شرح ديوان الحماسة

وديوان الحماسة مجموعٌ من الشِّعر الرَّائع اختاره شاعر العربية وحكيمها
أبو تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى فى عام ٢٣١ من الهجرة

تأليف

أبى زكريّا يحْيى بن على الخْطِيبِ التّبرِيزىّ
المتوفَّى فِى عَام ٥٠٢ من الهجرة

حققه ، وضبط غريبه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيي الدين عبد الحميد

المدرس فى قسم التخصص بكلية اللغة العربية
بالجامع الأزهر

الجزء الثانى

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بشارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة حجازى بالقاهرة
تليفون ٥٥٤٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حَمْدَ الشاكرين ، وصلاة الله وسلامه على خيرته من خَلْقه أجمعين ، سيدنا محمد رسول ربّ العالَمينَ ، وعلى آله وصحبه والتابعين .

١٤٩ — وقال مُسَاوِرُ بْنُ هند[١] :

---

(١) ابن قَيْس بن زُهَيْر بن حُذَيفة بن خُزَيمة[١] بن رَوَاحة ، قال أبو الفتح : هو منقول من اسم الفاعل ، يقال : سَاوَر فهو مُسَاوِر : أى واثب ، والسَّوَّار : المعربد ، ومن أبيات الكتاب :

تُسَاوِرُ سَوَّارًا إِلَى الْمَجْدِ وَالْعُلا   وَفِى ذِمَّتِى لَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلاَ

وأما هندٌ فعلم مرتجل ، تقال للمائة من الإبل هُنَيْدة ، وقال الزيادى : يقال للمائتين هند ، وأما قوله :

* وَبَلْدَةٍ يَدْعُو صَدَاهَا هِنْدَا *

فإنه حكى الصوت ، وهو يشبه هذا القول ، ومثله قول الآخر :

* تَدْعُو الْأَشَاخِيبُ هِشَامًا تَهْشِمُهْ *

حكى صوتَ شَخْبِ اللبن ، وهو يشبه قوله هشام ، ومثله قول الراعى :

إِذَا مَادَعَتْ شِيبًا بِجَنْبَىْ عُنَيْزَةٍ   مَشَافِرُهَا فِى مَاءِ مُزْنٍ وَبَاقِلِ

وكذلك قول الآخر :

بَيْنَمَا نَحْنُ مُرْتَعُونَ بِفَلْجٍ   قَالَتِ الدُّلَّحُ الرِّوَاءُ إِنِيهِ

إنيه : صوت رزمة السحاب ، قال : وأنشدنا أبو على لراعى شاء

* يَدْعُونَنِي بِالْمَاءِ مَاءٍ أَسْوَدَا *

الماء : صوت الشاء ، كقول ذى الرمة :

لاَ يَنْعَشُ الطَّرْفَ إِلاَّ مَا تَخَوَّنَهُ   دَاعٍ يُنَادِيهِ بِاسْمِ الْمَاءِ مَبْغُومُ

ويحكى عن ابن الخياط أنه قال : بقيت أربعين سنة لا أُنشد هذا البيت إلا باسم الماء ، يعنى هذا الماء المشروب ، وكذلك أيضا يحكى عنه أنه قال : بقيت كذا وكذا سنة لا أعرف وزن ازْعَوَى من الفعل ، والأصوات الخارجة مخرج

---

(١) كذا فى ب ، وفى بن « حذيمة » بحاء مهملة مفتوحة فذال معجمة

سَائِلْ تَمِيمًا هَلْ وَفَيْتُ فَإِنَّنِي ... أَعْدَدْتُ مَكْرُمَتِي لِيَوْمِ سِبَابِ (١)
وَأَخَذْتُ جَارَ بَنِي سَلَامَةَ عَنْوَةً ... فَدَفَعْتُ رِبْقَتَهُ إِلَى عَتَّابِ (٢)
وَجَلَبْتُهُ مِنْ أَهْلِ أُبْضَةَ طَائِعًا ... حَتَّى تَحَكَّمَ فِيهِ أَهْلُ إِرَابِ (٣)
قَتَلُوا ابْنَ أُخْتِهِمِ وَجَارَ بُيُوتِهِمْ ... مِنْ حَيْنِهِمْ وَسَفَاهَةِ الْأَلْبَابِ (٤)
غَدَرَتْ جَذِيمَةُ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ ... أَبَدًا لِأُولِفَ غَدْرَةً أَثْوَابِي (٥)

الأسماء كثيرة ، وفيما ذكرناه كاف بإذن الله

(١) الثانى من الكامل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متواتر

يقول : سل تميما هل كان منى وفاء لما تضمنته لجارى ، فانى رجل نظار فى أعقاب الأحاديث أخلص أفعالى مما يعد سُبة

(٢) كان عتاب هذا مستظهرا بذمته فاحتجه من بنى سلامة اهتضام فى أمر فجاء مساور ومكنه من جارهم وأعطاه ربقته المتحكم فيه

(٣) الهاء من « جلبته » ترجع إلى جار بنى سلامة ، وأبضة : اسم ماء ، وقوله «جلبته طائعا» تنبيه على أنه وإن لزمه لجاره الانتقام له من خصمه ومهتضمه فقد تبرع له بما لم يكن عليه وتكلف فيه ما لم يلزمه ، وإراب : ماء لبنى العنبر ، وأبضة : لطى ، والأبض كالعقل ، ومنه المأبض فى الرِّجْل ، وقيل للغراب « مؤتبض النسا » لأنه يحجل فكأنه مأبوض

(٤) يقول : أسرت الرجل ودفعته إليهم ليمنوا عليه ، ولو أردت قتله لقتلته ؛ فقتلوه لخفة عقولهم

(٥) يعنى قومه إذ قتلوا الأسير الذى دفعه إليهم وكان ابن أخته وجار بيوتهم ، يقول: غير أنى لم أغدر ولم أكن لأولف غدرة أثوابى ، واللام فى « لأولف » لام الجحود ، وانتصاب الفعل بأنْ مضمرة ، وموضع « لأولف » نصب على أنه

وَإِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكُمْ لَمْ تَتْرُكُوا
أَحَدًا يَذُبُّ لَكُمْ عَنِ الْأَحْسَابِ (١)

خبر « كان » وانتصاب « غَيْرَ » على أنه استثناء منقطع ، وذكر الثوب على عادتهم فى الكناية عن النفس ، وعلى هذا قوله :

نُبِّئْتُ أَنَّ دَماً حَرَامًا نِلْتَهُ   فَهُرِيقَ فِي ثَوْبٍ عَلَيْكَ مُحَبَّرِ

(١) الخطاب توجّه إلى جذيمة ، وهو سهم ، ولذلك جعل لهم أَحْسَابًا يحتاج إلى الذبّ عنها

قال الرياشي : كان من خبر هذه الأبيات : والذى ساقها حديث ابن الْمُكَعْبَرِ الْهُجَيْمِي ؛ وذلك أن مروان بن أبى الحليل العبسى أخا بنى مالك بن زهير ضرب ابن المكعبر ضربةً فشجّه ، والْمُكَعْبَرَ ابن أخت الْمُسَاوِر بن هند ، فتركه ابن المكعبر ولم يعرض له فيها ، ثم إن بنى قيس بن زهير قاتلوا بنى مالك بن زهير إخوتهم ، فغدا ابن المكعبر ينصر أخواله بنى قيس بن زهير ، وضربه زيد بن أبى حليل فلم يُجْهِزْ عليه ، ومروان بن أبى حليل عند امرأة من بنى عبس بناظِرَةَ فبعث المساور بن هند رجلين من بنى عبس معهما عَتّاب بن المكعبر تحت الليل ، حتى طرقوا ناظرة ومعهم فرس وناقة ، فربطوا الفرس وأناخوا الناقة ، وانطلق عَتَّاب حتى أتى مروان بن أبى حليل عند المرأة ، فقال : إنا قد أردنا أن نُحْدِرَ خيلَنَا العراقَ وقد أقسم صاحبنا أن لا ينحدر حتى تأتيه بحقه ، فقال : أيْ هاالله لا عطينّكُمْ حقكم ، فانطلق فخرج معه حتى أتى الرجلين ، فأخذاه ، فسمعت المرأة غَيْطَلَةَ الرجلين ، وقوله : أدركوا ، فأقبلت تسعى حتى تمنعهما ، فأخذها أحد الرجلين فصرعها ، ثم وجأ بالحجارة فخذيها حتى أثقلها ، ثم شَدّاه وَثَاقًا ، وقالا لابن المكعبر : الْحَقْ بقومك يا أخا بنى تميم

فخرج حتى أتى بنى حذيم من بنى عبس ، فأرادوا أن ينزعوه منهم ، فقال : إنما هو ثأرى ، فهاب القوم أن يعرضوا له ، فمضى حتى أتى بلاد قومه بنى المُدِلّ من بنى الهُجَيم ، ثم بعث راكبا يَعْلَم له عِلْمَ أخيه فوجده قد مات ، فلما علم الخبر قال له مروان : ياعَتَّابُ أنت أولى من ههنا بى وأدناهم منى ، فأحسن تجهيز خالك وأجمل فى قتله ، ثم إن بنى المُكَعْبر جلَواعن بنى عبس فلحقوا ببنى تميم ، وتركوا إبلا عظيمة فى بنى عبس ، فأغار عليها بنو عبس فذهبوا بهافسكتت بنو تميم حتى مرّت عير لبنى عبس إلى هَجَر أربعمائة راحلة فتركوهم حتى امتاروا ، ونصبوا عليهم العيون حتى انصرفوا ، ثم أغاروا عليهابطرف الشقيق ، فأخذوا الإبل وما عليها ، فلما رأى ذلك بنو عبس أتوا مروان بن الحكم وهوأمير المدينة ، فقالوا : قتلنا المساور بن هند بابن أخته ، وانتهبنا ، فبعث مروان إلى المساور فأخذه فضمنه كل طعام وراحلة أخذته بنوتميم من بنى عبس ، فركب حتى أتى بنى تميم ، فقالوا : مرحبًا ياأبا الصَّهْبَاء نعطيك ماأدركت ، فاقبل مابقى ووجد فى أيدى القوم . فردوه عليه ، فأتى بنى عبس فقالوا : والله مارددت علينا أموالنا ، فعقبوا إلى مروان ، فبعث إليه ، فقال المساور :

أَحَلَمْتَ أَمْ طَرَقَتْكَ أُمُّ الْهَيْثَمِ ... وَمَتَى تَهِمْ أَبَداً بِشَىْءٍ تَحْلُمِ
وَإِذَا دَعَا الدَّاعِى عَلَىَّ رَقَصْتُمُ ... رَقْصَ الْخَنَافِسِ فِى شِعَابِ الأَخْرَمِ
أَسَدٌ عَلَىَّ وَلِلْعَدُوِّ عَشِيرَةٌ ... هٰذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ مَوْلَى الأَشْأَمِ
فَتَعَلَّمَا مَرْوَانُ أَنَّكَ إِنْ تَشَأْ ... تَقْدِرْ عَلَىَّ فَتُلْقِنِى فِى الأَدْهَمِ
أَرَأَيْتَكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَمَرْتَنِى ... بِرِكَابِهِمْ وَجِهَازِهَا الْمُتَقَسَّمِ
حَلَفُوا لَئِنْ فَقَدُوا بَعِيراً وَاحِداً ... أَوْ حُلَّتَيْنِ لَتَخْضِبَنِّى بِالدَّمِ
حَالَتْ دُرُوءُ بَنِى تَمِيمٍ دُونَهَا ... وَطِعَانُ أَلْفَىْ فَارِسٍ مُسْتَلْئِمِ
أَقْبَلْتُ أَحْدُوهَا كَأَنِّى غَانِمٌ ... وَلَقَدْ رَأَى نَبْهَانُ أَنْ لَمْ أَغْنَمِ

وقال أيضا « غدرت جذيمة ... الأبياتَ » فأقبلت بنو عبس على المُسَاور

فقالوا : قد فضحت أهل بيتك وأغضبتهم ، فعفا عنهم ، فحمل له مائة بعير ، فجمعها أحسن ما يكون ثم أقبل بها إلى بنى أبى الحليل حتى إذا دنا منهم لقيه رجل من أصحابه ، فقال : إنى سمعت زيد بن أبى حليل يقول :

لَا تَجْزَعْ أَبَا الصَّمْعَاءِ وَادْلَحْ ... لِسَيْفِي بَعْدَ جَارِكَ بِالْمِئِينِ

فصرف مساور صدور الإبل حتى ردها إلى بنى المكعبر ، وقال :

نَمَّا أَنْ بَدَتْ أَعْنَاقُ كُومٍ ... عَلَى أَثْبَاجِهَا مِثْلِ الْأُرُومِ
تَنَاهَى جَدُّهُمْ عَنْهُمْ فَخَابُوا ... وَأَحْرَزَهَا جُدُودُ بَنِي تَمِيمِ
أَلَمْ تَرَنِي قَرَنْتُ أَخَا جَرِيٍّ ... كَمِثْلِ الْبَكْرِ يُقْرَنُ لِلْغَرِيمِ
وَقُلْتُ لِقَائِدَيْهَا انْعِيَاهَا ... إِلَى أَهْلِ الْجِفَارِ ذَوِي الْقَصِيمِ
فَأَبْلِغْهَا بَنِي الدُّؤَلِ بْنِ عَمْرٍو ... وَأَبْلِغْهَا سَرَاةَ بَنِي الْهُجَيْمِ

وقال أبو العلاء : قوله فى خبر مساور فسمعت المرأة غَيْطَلَةَ الرجلين ، يقال لكل مختلط : غيطل وغيطلة ، وكذلك يقال للشجر الملتف ، واضوء الصبح إذا اختلط بظلام الليل ، قال امرؤ القيس :

فَظَلَّ يُرَنِّحُ فِى غَيْطَلٍ ... كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحِمَارُ النَّعِرْ

فيجوز أن يكون الغيطل ههنا للمصيد ؛ لأنه يختلط عليه أمره ، ويحتمل أن يكون للصَّادَة لأنهم يجْلِبُونَ فرحاً بالصيد ، ولا يمتنع أن يسمى الغبار غيطلا ؛ وقوله :

وَإِذَا دَعَا الدَّاعِي عَلَيَّ رَقَصْتُمُ ... رَقْصَ الْخَنَافِسِ فِي شِعَابِ الْأَخْرَمِ

يريد أنهم يفرحون بدعاء الداعى عليه فيرقصون كما ترقص الخنافس ، وإنما يريد أنهم صغار الشأن ، وأن الدمامة فيهم ظاهرة ، والأخرم : جبل أو موضع ، وإنما شبه بالأنف الأخرم ، وقد سموا منقطع أنف الجبل المخرم ، وقال قوم : المخرم الطريق فى الجبل ، وقوله :

* هٰذَا لَعَمْرُ أَبِيكَ مَوْلَى الْأَشْأَمِ *

يريد مولى الأمر الأشام ، والمولى ههنا : ابن العم ، وقوله « فتلقني في الأدهم » محمول على الهزء ، كما يقول الرجل للرجل إذا علم أنه لا يصل إلى مساءته : لا تطرحني في السجن : أي إنك لا تصل إلى ذلك ، والأدهم : القيد ، وقوله « أرأيتك القوم الذين » الكاف التي في قوله « أرأيتك » لا موضع لها من الإعراب عند البصريين لأنها زائدة دخولها في الكلام كخروجها ، وكذلك الكاف في قوله تعالى : (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) إنما هي مثل الكاف في قولهم ذاك وذلك وأولئك وكان بعض الكوفيين يجعل الكاف في موضع رفع ، وبعضهم يجعلها منصوبة ، ويقال : إن في مصحف ابن مسعود (أرأيتك الذي يكذب بالدين) بكاف ثابتة ، وكذلك ما جرى هذا المجرى مما فيه « أرأيت » فأما قول عمر بن أبي ربيعة :

أَرَيْتَكَ إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ أَلَمْ تَخَفْ وُقِيتَ وَحَوْلِي مِنْ عَدُوِّكَ حُضَّرُ

فالكاف في قوله « أريتك » يجوز أن تكون مثل الكاف التي تقدم ذكرها ، ولا يمتنع أن تكون الكاف في هذا البيت منصوبةً بالفعل ؛ لأن أفعال العلم والشك يمكن أن تعدى إلى المضمر إذا اتصلت بالمضمرات ، وليس كذلك سائر الأفعال ، فيقال : ظننتني ، كما يقال : ظننت نفسي ، ولا يقال : ضربتُني ، كما يقولون : ضربت نفسي ، ويقولون للمخاطب : حَسِبْتَكَ أيها الرجل قائماً ، كما يقولون : حسبت نَفْسَك ، ولا يجيزون : ضَرَبْتَكَ ، والمراد ضربت نفسك ، وقوله :

* حَالَتْ دُرُوءُ بَنِي تَمِيمٍ دُونَهَا *

الدروء : جمع دَرْء ، وأصل الدرء الدفع ، ثم كثر ذلك حتى قيل لحدّ الشيء درء ، لأنه يدفع به ، ويقال لأنوف تندر من الجبل دروء ، قال الهذلي :

تَهَابُ الْعُقَابُ أَنْ تَمُرَّ بِرَيْدِهِ وَتَنْبُو دُرُوءٌ دُونَهُ بِالْاجَادِلِ

وقوله « مثل الأروم » الأروم : جمع أرم ، وهو العلم من الحجارة ، شبه

١٥٠ — وقال العبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَمِىُّ : (١)

أسنمتها بالأعلام المنصوبة على جهة المبالغة ، وقوله « سراة بنى الهَجِيمِ » الذى جرت العادة به أن يقال فى هذا الحى من بنى تميم بنو الهُجَيْم على لفظ التصغير فيجوز أن يكون جاء به على لفظ فَعِيل لتكون القافية خالية من العيب ، وليس ذلك بأبعد من قول الخنساء :

كَمَا أَقْرَرْتُ عَيْنِى مِنْ هِشَامٍ ... وَكَانَتْ لاَ تَنَامُ وَلاَ تُنِيمُ

أرادت هاشم بن حرملة المرى ، وقالت أخت حازوق الخارجى :

أُقَلِّبُ عَيْنِى فِى الْفَوَارِسِ لاَ أَرَى ... حُزَاقًا وَعَينى كَالْحَجَاةِ مِنَ الْقَطْرِ

نقلته إلى حُزَاق من حازوق ، وإن كان الشاعر ترك اسم القبيلة على حاله ففى الأبيات سِنَاد ، وهو أحد عيوب الشعر ، وقوله :

* وَقُلْتُ لِقَائِدَيْهَا انْعَيَاهَا *

هو من استنعى إذا تقدم : أى وجهاها ، ثم قال « فأبلغها » فخاطب الواحد بعد الاثنين ، وذلك موجود فى كلامهم : يخرجون من خطاب الاثنين إلى الواحد ومن خطاب الواحد إلى الاثنين ، أنشد الفراء :

فَقُلْتُ لِصَاحِبِى لاَ تَحْبِسَانَا ... بِنَزْعِ أُصُولِهِ وَاجْتَزَّ شِيحَا

فهذه رواية على الأمر ، ومن روى « فأُبْلِغُهَا » على معنى الإخبار عن النفس فقد خلص من هذا .

(١) أصل الرَّدْس رمى بحجر عظيم ، فمرداس مفعال من ذلك ، قال العجاج :

* يقمد الأعداء رأسًا مِرْدَسَا *

ومِفْعَل ومِفْعَال أختان ، كقولهم : مِنْسَج ومِنْسَاج ، ومِفْتَح ومِفْتَاح ، ويقال لحجر يلقى فى البئر لينظر أبها ماء أم لا : مِرْدَاس .

أَبْلغْ أَبَا سَلْمَى رَسُولاً يَرُوعهُ ... وَلَوْحَلّ ذَا سِدْرٍ وَأَهْلِي بِمَسْجَلِ (١)

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك .

سلمى : اسم يستعمل للنساء ، وربما استعمل للرجال ، ويجب أن تكون مشتقة من السلامة ، وسَلْمى : جمع سليم : أى لديغ ، وحكى أبو مسحل فى المثل: أنْفٌ فِي المَاءِ وَأُسْتٌ فى السَّلْمَاء . وزعم أن السلماء الأرض ، فإذا صح ذلك فيجوز أن يكون اشتق لها الاسم من السِّلَام ، وهى الحجارة ، ولا يمتنع أن يكون اسم المرأة أخذ من هذا المعنى ، وظاهر المثل الذى تقدم يوجب أن يكون السَّلمى إذا أريد بها الأرض ممدودة ؛ لأنهم ربما جاءوا بالمثل مَسْجُوعا ، كقولهم: عَيَّرَ بُجَيْرٌ بُجَرَهْ ، نَسِيَ بُجَيْرٌ خَبَرَهْ ؛ وقد يجوز أن يكون أصلها المد ثم تقصر وقد جاءت أشياء حكى فيها المد والقصر ، فلعل هذا الاسم من نحو ذلك ، وأما سُلْمَى بالضم فإنه يقال : هذا أسلم من هذا ، فان أدخلت الألف واللام حذف الخافض ومابعده فقيل : هذا الأسلم ، وهذه السُّلمى ، وكذلك الأحسن والحُسْنى والأكبر والكُبْرى ، والقياس فى جميعه مطرد . وذكر سيبويه أن الألف واللام تلزم الفُعْلى من هذا الباب ، وعلى ذلك الأكثر من كلام العرب ، وربما استعملوها بغير الألف واللام ، كقولهم : أُخْرَى ، وَدُنْيَا ؛ وهما معدولتان عن الألف واللام ، وفى القرآن (وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى) وقال الأعشى :

عُلِّقْتُهَا عَرَضًا وَعُلِّقَتْ رَجلاً ... غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

والرسول : الرسالة ، قال كثير :

لَقَدْ كَذَبَ الْوَاشُونَ مَابُحْتُ عِنْدَهُمْ ... بِسِرٍّ وَلاَ أَرْسَلْتُهُمْ بِرَسُولِ

وإذا استعمل الرسول فى الإنس جاز أن يقع على الواحد والاثنين والجميع ، وفى الكتاب العزيز : (إنا رَسُولُ رب العالمين) وقال أبو ذؤيب :

رَسُولَ أمْرِئٍ يُهْدِي إلَيْكَ رِسَالَةً
فَإِنْ مَعْشَرٌ جَادُوا بِعِرْضِكَ فَابْخَلِ (١)

وَإِنْ بَوَّؤُكَ مَبْرَكاً غَيْرَ طَائِلٍ غَلِيظاً فَلاَ تَنْزِلْ بِهِ وَتَحَوَّلِ (٢)

وَلاَ تَطْعَمَنْ مَا يَعْلِفُونَكَ إِنَّهُمْ أَتَوْكَ عَلَى قُرْبَاهُمُ بِالْمُثَمَّلِ (٣)

أَلِكْنِي إِلَيْهَا وَخَيْرُ الرَّسُو لِ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرْ

و « ذو سِدْرٍ » : موضع ينبت السِّدر ، وهو شجر النبق ، وعسجل : موضع من حَرَّة بنى سليم ، و بينهما مسافة بعيدة ، والرسول يقع على الرسالة والمرسل جميعا ، و يجرى مجرى المصادر فى وقوعه على الواحد وما فوقه ، وقوله « يروعه » أى يُفْزِعه على ما بيننا من البعد أو لما فيه من التحذير ، فيقول : أدّ رسالة متنصح متقرب .

(١) قوله « فان معشر جادوا بعرضك » تعريض بمن كان يغشه ، ونقل الكلام فى البيت الثانى عن الإخبار إلى الخطاب لتكون الرسالة أبلغ ، و « معشر » يرتفع بفعل مضمر جادوا يفسره ، لأن إنْ بالفعل أولى .

(٢) يقال : بَوَّأْته مُبَوَّأ صِدْقٍ : أى أحللته ، والْمَبَاءة : المنزل ، يقول : و إن حملوك على مركب غير وطىء فلا ترض به وانتقل عنه ، وقوله « غيرطائل » يجب أن يكون من الطَّوْل الفضل ، يقال : طال عليهم طَوْلاً فهو طائل ، والمعنى لا خير فيه فيطول على غيره ، وقوله « فلا تنزل به » الفاء مع ما بعده جواب الشرط ، وموضع « لا تنزل » رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : فأنت لا تنزل به .

(٣) الْمُثَمَّل : هو السم الذى قد خلط به ما يقويه و يهيجه ليكون أنفذ ، و يقال للصوفة التى توضع فى الهناء عند الطلى به : الثملة ، و « على قرباهم »

أَبَعْدَ الْإِزارِ مُجْسَدًا لَكَ شاهِدًا ... أُتِيتَ بِهِ فِي الدَّارِ لَمْ يَتَزَيَّلِ (١)

أَرَاكَ إِذَا قَدْ صِرْتَ لِلْقَوْمِ نَاضِحًا ... يُقَالُ لَهُ بِالْغَرْبِ أَدْبِرْ وَأَقْبِلِ (٢)

فَخُذْهَا فَلَيْسَتْ لِلْعَزِيزِ بِخُطَّةٍ ... وَفِيهَا مَقَالٌ لِامْرِئٍ مُتَذَلِّلِ (٣)

١٥١ — وقال أيضا :

أَتَشْحَذُ أَرْمَاحًا بِأَيْدِي عَدُوِّنَا ... وَتَتْرُكُ أَرْماحًا بِهِنَّ تُكَابِدُ (٤)

على قرابتهم : أى ستَقَوْكَ السم وإن كانوا أقرباءك فلا تغتر بهم وكن ذا أنفة

(١) هذا الكلام وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فمعناه أنه قدر أن الدم على الإزار فوجب أن يعرف صاحب الجناية ، وهو نحو مما قال الهذلى :

تَبَرَّأُ مِنْ دَمِ الْقَتِيلِ وَثَوْبِهِ ... وَقَدْ عَلِقَتْ دَمَ الْقَتِيلِ إِزَارُهَا

والْمُجْسَد : الذى قد صبغ بالجساد ، وهو الزعفران ، وإنما يريد فى هذا الموضع الدم لأنه يشبه الزعفران ، ومعنى « لم يتزيل » لم يفارق الدم ولم ينفك مما خالطه منه

(٢) الناضح : البعير الذى يُسْتَقى عليه الماء ، والنَّضْح من الحياض : ماقرب من البئر فيفرغ الماء من الدلو فيه ، يقول : أبعد الإزار مَخْضُوبًا بالدم أتيت به فى الدار شاهداً تصالحهم ، فإن فعلت ذلك صرت كالناضح للقوم انقياداً لهم .

(٣) أى : خذ هذه الخطة إن رضيت بها ، فإنها ليست بعزيزة ، فإن قال لك قائل : إنك ذليل ، فلا تنكر ؛ فانك لم تدفع ذلك وأقررت به

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

الشحذ : الإحداد ، وهـذا مثل ، يقول : أتُعين أعداءنا علينا ؟ وقوله « وتترك أرماحا » أى : وتترك شحذ أرماح ، فحذف المضاف ، والباء

عَلَيْكَ بِجَارِ الْقَوْمِ عَبْدِ بْنِ حَبْتَرٍ فَلاَ تَرْشُدَنْ إلاَّ وَجَارُكَ رَاشِدُ(١)

فَإِنْ غَضِبَتْ فِيهَا حَبِيبُ بْنُ حَبْتَرٍ فَخُذْ خُطَّةً تَرْضَاكَ فِيهَا الْأَبَاعِدُ(٢)

إِذَا طَالَتِ النَّجْوَى بِغَيْرِ أُولِى النُّهَى أَضَاعَتْ وَأَصْغَتْ خَدَّ مَنْ هُوَ فَارِدُ(٣)

من قوله « بأيدى » تتعلق بمضمر ، كأنه قال : أرماحا مستقرة وحاصلة بالأيدى وخص من بين الْعُدَد الرماح لأنها أخص بهم ، ويجوز أن يكون كنى بالأرماح عن الرجال ، والمعنى أتهيج أصحاب أعدائى علىّ وتترك أصحابى الذين بهم أكابد أعدائى ، والمكابدة : معالجة الأقران ، يقال : كابدت الشىء مُكَابدة وكِبَاداً ، إذا قاسيته فى مشقة ، والْكَبَد : الشدة

(١) الباء تتعلق بعليك ، لأن معنى عليك خذ ، فكما يقال : خذ كذا ، وبكذا ، يقال أيضا : عليك كذا ، وبكذا ، يقول : انتصف لجارك وانتقم له بأن تؤثر فى جار القوم فانك لا تكون راشدا إلا وقد رَشَدَ جارك معك ، يقال : رَشَدَ يَرْشَدُ ، وَرَشَدَ يَرْشُدُ

(٢) الضمير فى « فيها » للفعلة والخطة : أى إن يتسخَّطْ هؤلاء القوم مما تتكلفه لجارك من الذبّ عنه والانتقام له فلا تُبَال بهم وخذ فى أمره بما يحمدك فيه الأباعد دون الأقارب ، فان الأخبار إذا انتشرت عنك بالوفاء استرجحك الأجانب ، وتسليم الجار يجلب الذم ويلحق العار

(٣) أصل النَّجْوَى الْمُسَارَّة ، فاستعيرت للمشورة لأنها فى الأكثر بها ، ويقال : فلان نَجِىُّ فلان ، يقول : إذا طالت المناجاة مع غير أرباب الآراء القوية ضيعت المستشير ، وأمالت خدّه ، وصار فى الانفراد بما يعانيه بمنزلة من لا ناصر له ولا مشير لوقوع التشاور على غير حده ، وقد جمع بين فعلين فى قوله « أضاعت وأصغت » فأعمل الثانى ، وهو المختار عند البصريين ، ويجوز

فَحَارِبْ فَإِنْ مَوْلَاكَ حَارَدَ نَصْرُهُ
فَفِى السَّيْفِ مَوْلًى نَصْرُهُ لَا يُحَارِدُ (١)

١٥٢ — وقال أيضا ، وهى من الْمُنْصفات :

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَىِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا فَوَارِسَا (٢)

أن يكون مفعول أضاعت غير « خَدّ من هو فارد » فحذفه ، كأنه قال : أضاعت ربها ، وكان الحكم فى هذا الوجه أن يقول لو أظهر المفعول : وأصغت خده لكونه فاردا وحيدا ؛ لكنه لما كان الآخر هو الأوَّل وقد حذفه لم يبال باظهاره لأن الذى هو فارد هو ربُّ النجوى لاغير

(١) يقول : حارب من قصد جارك وأعان عليه ، ولاتقعد عن نصرته ، فان لم يعاونك مواليك فيما تَرُومُه فاستنصر بالسيف ؛ فان فيه مولى لك لا يخذلك ؛ والمحاردة : أصلها فى قلة اللبن ، واستعير فى غيرها

(٢) مثل الوزن الذى قبلها

أشار بالحى إلى قوم معهودين ، يقول : لم أرمُغَارا عليه كالحى الذين صبحناهم ، ولامغيرا مثلنا يوم لقيناهم ، وانتصب قوله « حيا مصبحا » على التمييز ، وفيه دلالة على جواز قول القائل : عشرون درهما وضحا ، وكذلك قوله « فوارسا » تمييز وتبيين ، ويجوز أن يكون الأول والثانى فى موضع الحال ، والمصبَّح : الذى يُؤتى صباحا للغارة ، ويستعمل فى الخير ، يقال : صَبَّحَكَ الله بخير ، فان قيل : لم قال « فوارس » والتمييز يؤتى به مُوَحَّد اللفظ ؟ قلت : إذا لم يتبين كثرة العدد واختلاف الجنس من المميز يؤتى بالتمييز مجموع اللفظ متى أريد التنبيه على ذلك ، وعلى هذا قول الله تعالى : (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) وكأنه لما كانت أعمالهم مختلفة كثيرة نبه على ذلك بقوله (أعمالا) ولو قال عملا

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمُ وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا (١)

إِذَا مَاشَدَدْنَا شَدَّةً نَصَبُوا لَنَا
صُدُورَ الْمَذَاكِى وَالرِّمَاحَ الْمَدَاعِسَا (٢)

لكان السامع لايبعد فى وهمه أنهم خسروا فى عمل واحد ، فكذلك قوله « فوارسا » جمعه حتى يكون فيه إيذان بالكثرة

(١) المصراع الأول ينصرف إلى أعدائه ، وهم بنو أسد ، والثانى إلى عشيرته ، والمراد لم أر أحسن كرًّا وأبلغ حمايةً للحقائق منهم ، ولا أضرب للقوانس منا ، وانتصب القوانس من فعل دل عليه قوله « وأضرب منا » ولا يجوز أن يكون انتصابه بأضرب؛ لأن أفعل الذى لايتم بمن (١) لايعمل إلا فى النكرات ، تقول : هو أحسن منك وجها ، وأفعل هذا يجرى مجرى فعل التعجب ، ولذلك تعدى إلى المفعول الثانى باللام ، فقلت : ماأضرب زيدًا لعمرو وما أوهبك للدراهم وما أقتلك للأقران ، فان حذفت اللام قبح إلا أن تضمر فعلا ، وقوله تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) موضع « حيث » نصب بما دل عليه « أعلم » والْقَوْنَس : أعلى الْبَيْضَةِ ، وقونس الفرس : مابين أذنيه

(٢) ويروى « حملنا حملة » يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا فى وجوهنا ونصبوا صدور الخيل والرماح للدعس ، والدَّعْسُ فى الأصل : الدفع ، ثم يستعمل فى الطعن وشدة الوطء والجماع ، والذكاء : ضد الْفَتَاء ، يقال : فرس مُذْكٍ ومُذَكٍّ ، إذا تم سنه وكمل قوته ، وفى المثل : جَرْىُ الْمُذْكِيات غلاب ، ويقال : غلاء ، ويقال : فتاء فلان كذكاء فلان ، وكتذكية فلان ، أى حزامته على نقصان سنه كحزامة ذلك مع استكماله

---

(١) كذا ، ولعله « وأفعل الذى يتم بمن » أو « وأفعل الذى لايتم إلا بمن »

إذا الْخَيْلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيعٍ نَكُرُّهَا
عَلَيْهِمْ فَمَا يَرْجِعْنَ إلاَّ عَوَابِسَا [(١)]

١٥٣ — وقال عبد الشارق بن عبد الْعُزَّى الْجُهَنِيّ ، وهى من المنصفات [(٢)]

---

(١) أى إذا الخيل دارت عن مصروع منا كررناها عليهم لنصرع مثل ماصرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع منهم لايقنعنا ذلك منهم ، بل نكرها عليهم لمثله ، وإن كرهت الكر للبأس فلم ترجع إلا كوالح ، والعامل فى قوله « إذا الخيل » نكرها ، وهو جوابه أيضا ؛ و « إلا عوابسا » فى موضع الحال ، و « الخيل » ارتفع بفعل مضمر مابعده يفسره

(٢) قال أبو الفتح : الشارق : اسم صنم لهم ؛ ولذلك قالوا : عبد الشارق ، كقولهم : عبد العزى ، وكلاهما صنم ، ومثله عبد يَغُوث ، وعبد وُدّ ، ونحو ذلك ؛ ويجوز أن يكون الشارق من قولهم « عبد الشارق » هو قرن الشمس ، كقولهم : لاأ كلمك ماذَرَّ شارق : أى ماطلع قرن الشمس ، فقولهم إذاً « عبد الشارق » كقولهم : عبد شمس ؛ فأما العزى وهو اسم صنم فانه تأنيث الأعز ، كما أن الْجُلَّى تأنيث الأجل ؛ وأما قول الآخر :

* وَإِنْ دَعَوْتِ إِلَى جُلَّى وَمَكْرُمَةٍ [(١)] *

فليست الْجُلَّى فيه تأنيث الأجل ، ألا ترى أن فُعْلَى أفعل لاتنكر ، إنما هى معرفة باللام أو بالإضافة ، لاتقول : صُغْرى ، وَلاَ كُبْرَى ، ولاوُسْطَى ، وإنما

---

(١) هذا صدر بيت ينسب لبشامة بن حزن النهشلى ، وقد رواه أبو تمام فيما مضى من هذا الكتاب ، ونسبه إلى بعض بنى قيس بن ثعلبة ، وعجزه :

* يَوْمًا سَرَاةَ كِرَامِ النَّاسِ فَادْعِينَا *

وانظر الجزء الأول (ص ٩٧ - ١٠٦)

أَلاَ حُيِّيتِ عَنَّا يارُدَيْنَا نُحَيِّيهَا وَإِنْ كَرُمَتْ عَلَيْنَا (١)

حُلَّى فى البيت مَصْدَر بمنزلة الْجَلاَل وَالْجَلاَلَة ، ومثلها من المصادر على فُعْلَى الرُّجْعَى والنُّعْمَى والْبُؤْسى ، يقال : آنَسْنِي برُجْعى منك : أى برجوع ، ولك عندى آلاَء ونُعْمى ، ولا أجزيك بُؤْسى ببؤسى ، وكذلك قراءة من قرأ (وقولوا للناس حُسْنَى) أى : إحسانا وَحُسْنا ، وقد أنكر ذلك أبو حاتم ، ولا وجه لإنكاره إياه ؛ لما ذكرناه ، أنثوا العُزَّى فى اسم الصنم كما أنثوه فى قوله تعالى (اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى)

(١) الأول من الوافر ، مطلق موصول ، والقافية متواتر

رُدَيْنَة : من أسماء النساء ، ويجوز أن يكون اشتقاق رُدَيْنَة من الردن الذى تمارسه النساء ، ويقال « جمل رَادِنِىّ » قيل : هو الشديد الحمرة ، وقيل : هو الذى بين الأصفر والأحمر ، وزعم قوم أن الزعفران يقال له الرادن ، وأن البعير نسب إليه ، وقد استعملوا من هذا اللفظ أشياء فقالوا لأصل الكم : رُدْن ، وللخز : رَدَنٌ وقيل : الردن ما نسج مما تردنه النساء ، وهذا اشتقاق مطرد ، وقالوا للنعاس أُرْدُنّ قال الراجز :

قَدْ أَخَذَتْنِي نَعْسَةٌ أُرْدُنٌّ وَمَوْهَبٌ مُبْزٍ بِهَا مُصِنٌّ

والعامة يقولون للناعس : عينه تردن وتغزل ، والردن والغزل متقاربان ، وأراد يارديئة فرخم ، وقوله « نحييها » هى تحية الوداع ، يعنى نودعها ونفارقها وإن كرمت علينا ، وقال أبو رياش : قيل إن الرجل إذا عرف بحب المرأة لم يزوجوه إياها ، فإذا سلم عليها عرف أنه يهواها ، فقال : نسلم عليها وإن كان فى السلام يأسٌ منها ، وهذا من إفراط شوقه وغلبة هواه ، وقيل : التحية السلام ، وكان هذا الشاعر غائبا عن ردينة فحن إليها واشتاق إلى قربها ، فقال : ألا خُصِصْت

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَدَاةَ جِئْنَا عَلَى أَضْمَاتِنَا وَقَدِ اخْتَوَيْنَا (١)
فَأَرْسَلْنَا أَبَا عَمْرٍو رَبِيئًا فَقَالَ أَلَا انْعَمُوا بِالْقَوْمِ عَيْنَا (٢)
وَدَسُّوا فَارِساً مِنْهُمْ عِشَاءً فَلَمْ نَغْدِرْ بِفَارِسِهِمْ لَدَيْنَا (٣)

عنا ياردينة بتحية ، ثم قال معتذراً من التسليم عليها فى حال الغيبة : نحييها و إن كرمت علينا ، يعنى و إن جلت عندنا من أن يتولى تحيتها غيرنا غَيْرَةً منا عليها

(١) الأضم : شدة الحقد ، واختوينا : أى لم نطعم ، وكانوا يتخففون للحرب ويكرهون أن يقتل الرجل أو تصيبه طعنة فى بطنه أو ضربة فيخرج منه الطعام فيعير بذلك ، وفى تقليل الطعم وجه آخر ، وهو أن الأمعاء إذا امتلأت كان أخذ الطعن منها أكثر ، ويجوز أن يكون معنى قوله « اختوينا » أى خلونا من كل شىء إلا من الغضب ، ويروى « اجتوينا » وهو افتعلنا من الجَوَى ، وهو داء الجوف ، يعنى أن نار العداوة أحرقت قلوبنا ، وهذه الرواية جيدة لمكان الأضْمَات فى البيت . ويروى « احتوينا » أى : ملأنا أيدينا من الغنائم ، يقول : لو رأيتنا على الصفة التى ذكرها لهالك ذلك ، وجواب لو محذوف . لأن الأبيات التابعة لهذا البيت جميعها مقصور على بيان القصة

(٢) الربىء والربيئة : الطليعة ، والجمع ربايا ، وقوله «انعموا بالقوم عينا» يعنى أن العدو فى قلة عدد ؛ ولو قال « عيونا » لكان أحسن ، غير أن الواحد ينوب عن الجمع فى مثل هذا ، وعينا : ينتصب على التميز

(٣) أى : أخفوه ، وأصل الدس إخفاء الشىء تحت غيره ، وفى القرآن : (أم يدسه فى التراب) ويقال : اندس إلى فلان : أى أتاه بالنمائم ، فان قيل : مافائدة ذكر الغدر ههنا ، والفارس الذى أنفذوه داسوسا من غير أن يكون منهم أمان يوجب له السلامة ؟ قلت : كأن المراد أنا لم نستعمل مكراً باحتباس الرسول ، إذ

فَجَاؤُا عَارِضاً بَرِدًا وَجِئْنَا ... كَمِثْلِ السَّيْلِ نَرْكَبُ وَازِعَيْنَا (١)
تَنَادَوْا يَا لَبُهْثَةَ إِذْ رَأَوْنَا ... فَقُلْنَا أَحْسِنِى ضَرْبًا جُهَيْنَا (٢)

كان فى منعه الانصراف إليهم انطواء أخبارنا عنهم ، فيكون كالغدر بهم ، ويجوز أن يكون ذلك الفارس ظهر لهم ثقة بالمعرفة بينه وبينهم فعد ظهوره أخذا للأمان عليهم

(١) يقول : تسارعوا مقبلين نحونا ، وكأنهم فى كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب ، فيها برد ، ووجه التشبيه أن لهم حففا ووقعا شديدا متتابعا كما تكون كذلك السحاب ونحن لكثرتنا وإتياننا على مايعترض فى طريقنا كالسيل الذى لايبقى ولايذر ، ومعنى « نركب وازعينا » أى : لاننقاد لمن يريد ضبطنا من الجيشين جميعا ، ولفظ التثنية يحتمل أن يكون أريد به الكثرة فثنى على عادتهم فى نحو لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، ويحتمل أن يكون لكل واحد من العسكرين وازع وهو أميرهم الذى يأمرهم وينهاهم

(٢) بُهْثَةُ : بطنان فى العرب : بهثة فى بنى سُلَيْمٍ ، وبُهْثَةُ فى بنى ضُبَيْعَةَ ورَبِيعَةَ وهو ربيعة أَضْجَمَ ، وبهثة فى اللغة : ولد الزنا ، واشتقاقه من البهث ، وهو البشر والارتياح ، واللام من « يالبهثة » لام الجر ، وتعلقت بيا حرف النداء ، ولايجوز أن يقال : تعلقت بالفعل الذى دل عليه « يا » لأن ذلك الفعل لما لم يخرج إلى الوجود سقط حكمه ، وفتحت لوقوع المنادى موقع المضمر ، وبهثة مَدْعُوَّةٌ ، والجار والمجرور فى موضع نصب لأنه منادى ، وقوله « أحسنى ضربا » يجوز أن يكون «ضربا» مفعولا به من أحسنى ، ويجوز أن يكون فى موضع الحال : أى ضاربة ، ويروى « أحسنى ملأ » معناه خلْقاً ، والمراد مخالقة أهل الحرب المستنصرين ، وهذه رواية أبى زيد ، وقال ابن السكيت : منعاه أحسنى تملؤا : أى تعاونا ، يقال : مالأت على فلان ، وكأنه من قولهم : رجل ملىء وقد مَلُؤَ يَمْلُؤُ مَلَاءة وملَاء ، قال أبو العلاء : إذا حمل البيت على أن المعنى أحسنى

سَمِعْنَا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ فَجُلْنَا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنَا (١)

خلقا صح الغرض ، وأشبه بعض الكلام بعضاً ، كأنهم لما لقوهم قذفوهم بما يكرهون لماذكروا بهثة وهو لغير رشد قالوا أحسنى ملأ أى خلقاً إذ كان السباب ليس بجميل ؛ وجهينة : مشتقة من غلاظ الخلق وانشدة .

(١) أى : دعوة تأدّتْ من مكان غائب عن عيوننا فدرنا دَوْرَةً ثم رجعنا إلى أماكننا ، وهذا يجوز أن يكون فعلوه مكيدةً ، ويجوز أن يكون خافوا الكَمِين فجالوا ليتأملوا ، فلما أمنوا رجعوا ، وقوله « عن ظهر غيب » يقال : فعل فلان كذا بظهر الغيب، وأتانى بخبر عن ظهر الغيب ، وقوله « ثم ارعوينا » يقال : ارْعَوَى عن الجهل ارْعِوَاءً وَرَعْوَى حسنة ورُعْوَى ، إذا رجع ، وارعوى عنه إذا كف ، وحكى عن ابن الخياط النحوى الذى كان من أصحاب ثعلب أنه قال : أقمت سنين أسأل عن وزن ارْعَوَى فلم أجد من يعرفه ، قال أبو العلاء : ووزنه له فرع وأصل ، وأصله أن يكون على افْعَلَّ نحو أحمرّ واخضرّ ، كأنه ارْعَوَّ وكرهوا أن يقولوا ذلك لأن الواو المشددة لم تقع فى آخر الماضى ولا المضارع ، ولو نطقوا بقولهم ارْعَوَّ ثم استعملوه مع التاء لوجب إظهار الواوين ، كما أنهم إذا ردّوا احمرّ إلى التاء قالوا : احْمَرَرْت فأظهروا فالمدغم ، ولم يمكنهم أن يقولوا « ارْعَوَوْتُ » فيجمعوا بين الواوين ، كما أنهم لم يقولوا « اغْزَوَوْت » فقلبوا الواوالثانية ياء ، ولاريب أن إحدى الواوين زائدة كما أن إحدى الراءين فى احمرّ كذلك ، فان قيل : ما الموجود فى وزن ارْعَوَى ؟ فجائز أن يقال : افْعَالَ ، ولو قال قائل افْعَلَى لكان وجها ، والأوّل أقيس ، ولو قال : ابنوا من الغزو مثل احْمَرَّ لقيل : اغْزَوَى ، كما قيل : ارْعَوَى ؛ وكذلك جميع ذوات الثلاثة التى واوها فى موضع اللام ؛ والياء جارية هذا المجرى ؛ ولم يثبت أنه جاء فى الكلام القديم شىء على مثال ارعوى ،

فَلَمَّا أَنْ تَوَاقَفْنَا قَلِيلاً أَنَخْنَا لِلْكَلاَكِلِ فَارْتَمَيْنَا (١)
فَلَمَّا لَمْ نَدَعْ قَوْسًا وَسَهْمًا مَشَيْنَا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا (٢)
تَلأْلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرَى إِذَا حَجَلُوا بِأَسْيَافٍ رَدَيْنَا (٣)

إلا أنه قد جاء فى شعر يُطْعن فيه «مُجْحَو» مأخوذ من جحا بالمكان إذا أقام به ، و«مُدْحَو» وهو من دَحَوْت فهذا يدل على اجْحَوَى وادْحَوَى

(١) هذه المواقفة التى أشار إليها يجوز أن تكون للتعبئة والتهيئة ، ويجوز أن تكون لتداعى الأبطال والمبارزة . وقوله «قليلا» يجوز أن يريد به زمانا قليلا ، فيكون ظرفا ، ويجوز أن يريد تواقفا ، فيكون صفة لمصدر محذوف ، والصفات تنوب عن المصادر والظروف ، وجواب «لما» أنخنا ، ومفعوله محذوف والمعنى إنا بعد المطاردة نزلنا وأنخنا للصدور فتناضلنا ، واللام فى «للكلاكل» يجوز أن تكون زائدة ؛ ويجوز أن تكون بمعنى على

(٢) أى : لما رمينا فنفيت السهام وانكسرت الْقِسِيُّ تقدمنا إليهم فتجالدنا بالسيوف

(٣) انتصب «تلألؤ مزنة» على أنه مما دل عليه «مشينا نحوهم ومشوا إلينا» لأن فى ذلك تلألؤ السلاح من الجانبين جميعا ، وقوله «إذا حجلوا بأسياف» يقول : إذا كان مشيهم إلينا حجلانا كان مشينا إليهم رديانا ، والرديان فوق الحجلان ؛ لأن الحجلان تقارب خطو كمشى المقيد ، والرديان عَدْوُ الحمار بين آرِيِّهِ ومُتَمَعَّكِه ، وقال أبو زيد : هذا من رديان الجوارى ، إذا لعبن ترفع إحداهن رِجْلاً وتخطو بأخرى خطوتين ثم تضعها وترفع الأخرى ؛ تفعل ذلك مرارا

شَدَدْنَا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُمْ ثَلاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلتُ قَيْنَا (١)
وَشَدُّوا شَدَّةً أُخْرَى فَجَرُّوا بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنَا (٢)
وَكَانَ أَخِي جُوَيْنٌ ذَا حِفَاظٍ وَكَانَ الْقَتْلُ لِلْفِتْيَانِ زَيْنَا (٣)
فَآبُوا بِالرِّمَاحِ مُكَسَّرَاتٍ وَأُبْنَا بِالسُّيُوفِ قَدِ انْحَنَيْنَا (٤)

---

(١) قين : اسم رجل كان مشهورا فيهم بالبأس والنجدة ، فلذلك عين عليه ، وقوله « ثلاثة فتية » فتية من أبنية القليل كغِلْمَةٍ وصِبْيَةٍ ، ولذلك أضاف الثلاثة إليها ، و بناء الكثير الْفِتْيان

(٢) إن قيل : مافائدة قوله « شَدَّةً أخرى » ولم يكن قد تقدم لهم الأولى ؟ قلت : يجوز أن يكون أراد توالى بيننا حملتان الأولى منا والأخرى منهم ؛ لأن قصده اقتصاص الحال الدائرة بينهم ، و يجوز أن يكون أراد أن يبين أنهم كانوا السابقين والمبتدئين ، فوصف شدتهم بالأخرى ليعلم أن المتقدم فى الذكر كانت له الأولى .

(٣) نبه على أنه لحسن محافظته على الشرف ثبت حتى قتل وأن قتلته كانت محمودة تزين ولا تشين

(٤) جعل فيه أعلى الصفتين لنفسه و إن كان الظاهر من قصده فى الوصف الجرى على سنن النصف ، يشهد لذلك مارتبه زهير فى قوله :

يَطْعَنُهُمْ مَاارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا اطَّعَنُوا ضَارَبَ حَتَّى إِذَا مَاضَارَبُوا اعْتَنَقَا

وأما قول الآخر :

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْهَرِيَّ الْمُقَوَّمَا

فليس من التناصف فى شىء ؛ إذ كان المعنى إنا عند الطعان نذريهم عن ظهور الدواب فنغنم دوابهم ونفوز بها ، وهم يستنقذون رماحنا لأنا نكسرها

فَبَاتُوا بِالصَّعِيدِ لَهُمْ أُحَاحٌ وَلَوْ خَفَّتْ لَنَا الْكَلْمَى سَرَيْنَا (١)

فيهم إذا طعناهم وَنُجرُّها فيفوزون بها ؛ فيقول : انصرفوا وقد تكسرت رماحنا بالإجرار ، ورجمناوقد تثنت سيوفنا بإعمالنا إياها فى البيض والدروع وقت الجلاد

(١) الأُحاح : صوت من الصدر يشبه الأنين ، والأُحاح : العطش أيضاً ، وأصله الصوت ، يريد أنهم صُرعوا وبهم عطش . ومن كانت هذه حاله جاء من صدره صوت يشبه الكرير ، وقال الرياشى : لهم أحاح من حَرِّ جراحاتهم : أى لو خفت جراحات الجرحى وخفوا معنا فى السير لسرنا إلى قومنا فى برد الليل ، والْكَلْمَى : الجَرْحَى ، والواحد كَلِيم ، والأحاح : ما يجده الرجل فى صدره من الحرارة حتى يقول : حسٍّ ، أح ، وهما كلمتان تقولها العرب عند الوجع ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « لولا أن طلحة قال حسّ لطار مع الملائكة » وأما أح فهو مثل قول العجم عند الوجع أخ ، وليست من كلام العرب بالخاء ، ويروى أن شَبِيباً لما اشتد أمره على الحجاج وحصره فى القصر أشار على الحجاج بعضُ جلسائه أن يَضُمَّ جَمْعَه ويخرج إليه ، فانما هو فى قلة ، وكان مع الحجاج عشرة آلاف من أهل الشام سوى جند العراق ، فأمر غلاماً شجاعا فلبس ثياب الحجاج وسلاحه وركب فرسه وصاح فى الجند فجمعهم وخرج ، فقال الناس : قد خرج الحجاج ، ولا يشك الجند أنه الحجاج ، فلما صفوا أقبل شَبيب فى خيله ، فسأل : أين الحجاج ؟ فأومؤا إليه ، فحمل عليه حتى خلص إليه فضربه بالعمود ، فلما أحس بوقعه قال : أخ ، فانصرف شبيب ، وقال : قبحك الله يا ابن أم الحجاج ، أتتقى الموت بالعبيد ، وقتل الغلام ، وقال أبوالعلاء فى قوله « وكان أخى جوين ذا حفاظ » : لامِرْيَةَ أن جُوينا ههنا اسم رجل ، وكان بعض الناس يتأول أن الأخ يقال له جَوْن وجُوَيْن ويستشهد بهذا الشعر ، وهذا قول لاخفاء

١٥٤ — وقال بِشْر بن أبىّ بن حُمَام العَبْسِى لبنى زُهَيْر بن جذِيمة ، ويروى بُشَيْر:

إنَّ الرِّبَاطَ النُّكْدَ مِنْ آلِ دَاحِسٍ ... أَبَيْنَ فما يُفْلِحْنَ يَوْمَ رِهَانِ (١)

بفساده على ذى لب ، وكان صاحب هذه المقالة يحتج بقول الْقَتَّال :

وَلِى صَاحِبٌ بالْغَارِ هَدَّكَ صَاحِباً ... هُوَ الْجَوْنُ إلاَّ أَنَّهُ لاَ يُعَلَّلُ

وهذا البيت يحتمل أن يدعى فيه أن الْجَوْن يراد به الأخ ، وأما البيت الأول فلا يسوغ فيه دعواه ، والظاهر أن القتال أراد بالْجَوْن صفة النمر ؛ لأن الْجَوْن من الأضداد : يوصف به الأبيض ، والأسود ، والأحمر ، وفى النمر بياض وسواد ، ومما يجوز أن يتأول أن يكون للْقَتَّال أخ أوصديق يقال له الجون فيريد أن هذا النمر قد جرى عندى مجرى الأخ ، وهذا مثل قولهم « تحيته الضرب » و « عتابه السيف » أى : قد أقامهما مقام التحية والعتاب ، ولوكان لرجل قريب يقال له خالد فشحط عنه فصادف رجلا يقال له عمرو أو زيد فجعل يقول « أنت خالد » أى : أنت الذى تنوب منابه ؛ لـكان ذلك جائزاً بلا اختلاف ، ومن هذا النوع قول الشَّنْفَرَى :

وَلِى دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الْأَهْلُ لاَ مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ عِنْدَهُمْ ... مُضَاعٌ وَلاَ الْجَانِى بِمَا جَرَّ يُخْذَلُ

(١) الثالث من الطويل ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

الرباط : الخيل المربوطة هنا ، واحدها ربيط ، والرباط من الخيل : الْخَمْسُ فما فوقها ، وقيل : هو مصدر رَابَطَ يُرَابط مُرَابطة وَرِبَاطاً ، فلذلك وقع على الجميع والواحد ، والنُّكْد : جمع أنكد ، وهو القليل الخير ، وداحس : اسم فرس لقيس ابن زُهَيْر بن جَـذِيمة العَبْسِىِّ ، وكان غلقها حُذَيْفَة بن بَدْرٍ الفَزَارى على خطر

جَلَبْنَ بِإِذْنِ اللهِ مَقْتَلَ مَالِكٍ   وَطَرَّحْنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانِ
لُطِمْنَ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ وَجَمْعُكُمْ   يَرَوْنَ الْأَذَى مِنْ ذِلَّةٍ وَهَوَانِ (١)

عشرين بعيراً ، وجعلا الغاية بينهما مائة غَلْوَة . والْمِضْمار أربعين ليلة ، والمجرى من ذات الإصَاد ، وكان حذيفة أمر فِتْيَانًا من فَزَارة ـ لما تغالق هو وقيس بن زهير على أن يجرى حذيفة الْخَطَّار والحنفاء ، وقيل : قُرْزُلاً والحنفاء ، ويجرى قيس داحساً والغبراء ـ أن يقعدوا بشعب سمى بعد ذلك شعب الْحَيْس ، وذلك أن حذيفة أطعمهم هناك حَيْسًا ، وقال : إن مر بكم داحس متقدما فأمسكوه ، فلما طلع داحس سابقا أمسكوه ، ولم يعرفوا الغبراء ، وهى خلف داحس مُصَلِّية ، ثم أرسلوه فوردت الغبراء سابقة ، فلطمتها بنو فزارة ، وَحَلَّؤُهَا عن الماء ، وأبت أن تُقِر لقيس بالسبق ، ومنعوه الخطر ، فوقع بينهم الشر ، فغزاهم قيس ، فلحق عوف بن بدر أخا حذيفة بن بدر فقتله ، ثم وداه مائة ناقة مُتْلِيَةً عُشَرَاء ، وَالْعُشَرَاء : التى قد أتى على حملها عشرة أشهر ، والمُتْلية التى قد نتج بعضها والباقى يتلوها بالنتاج ، والحامل متلية ، والتى يتبعها ولدها متلية ، ثم قتل حَمَلُ بن بدر مالكَ بْنَ زهير أخا قيس ، فأرسل قيس إلى حذيفة أن أردد إلينا إبلنا مع أولادها ، وكانت قد ولدت عندهم ، فقد قتلتم بقتيلكم ، فقالت بنو فزارة : أنعطيهم أكثر مما أعْطَوْنَا ، وأمسكوا أولادها ، وأبى قيس إلا أن يأخذها مع أولادها ، ثم قتل جُنَيْدِبُ بن خَلَفٍ العبسىُّ مالكاً أخا حذيفة ، فهاج الحرب بين بنى عبس وفزارة ، ثم قتل قيسٌ حذيفةَ بن بدر وأخاه حَمَلَ بن بدر ، ولحق قيس بعُمَان ، وهو قوله : «جلبن»

(١) قال « لُطِمْنَ » وإنما لطم داحس وحده ، فأنكر حذيفة السبق ظلما ، فتأدى ذلك إلى الشر . واتصلت الحرب ، وبقيت أربعين سنة ، فحمل بينهم الدماء الحرثُ بن عَوفٍ الْمُرِّىُّ ، وقتل فى تلك الحروب مالك بن زهير أخو قيس ، فلما

سَيُمْنَعُ مِنْكَ السَّبْقُ إِنْ كُنْتَ سَابِقاً ... وَتُقْتَلُ إِنْ زَلَّتْ بِكَ القَدَمَانِ (١)

١٥٥ — وقال غلاّق بن مَرْوَان بن الْحَكَم بن زِنْبَاع (٢)

تدانى صلح عبس وذبيان قال قيس للربيع بن زياد : ارجعوا إلى قومكم فصالحوهم فهم خير لكم من الغربة . وأما أنا فوالله ما أنظر فى وجه غطفانية أبدا . وقد قتلت أباها أو أخاها أو حميا لها ، ثم فارقهم فلزم بُرْقَةَ عُمَان حتى هلك هناك ، وهذا معنى قوله :

* وَطَرَّحْنَ قَيْسًا مِنْ وَرَاءِ عُمَانِ *

ويروى « وَطَوَّحْنَ » أى : أسقطن ، وقوله فى البيت الأوّل :

* أَبَيْنَ فَمَا يُفْلِحْنَ يَوْمَ رِهَانِ *

أى : أبين الفلاح ، ودل عليه بقوله « فما يفلحن » أى : لا يأتين بخير أبدا . والرهان : المراهنة ، والإصاد : رَدْهَة بين أجبل ، والإصاد : جمع أصيدة ، وهى مثل الحظيرة من الصخر ، فأما الأصدة فهو ثوب لم تتم خياطته ، وقيل : هى البقيرة ، وقيل : بل هى الصُّدْرَة ، قال الشاعر :

مِثْلِ الْبُرَامِ غَدَا فِى أُصْدَةٍ خَلَقٍ ... لَمْ يَسْتَعِنْ وَحَوَامِى الْمَوْتِ تَغْشَاهُ

وقد يجوز أن تجمع الأصدة على الإصاد كما قالوا : جُفْرة وَجِفَار ، وَنُقْرَة ونقار ، وذات الإصاد يريد البقعة التى فيها الإصاد

(١) أى : إن سَبَقْتَ لم تعط السبق ؛ لأنه كان منتقلا إلى بنى عمه وأهل بيته ، أراد إنك لا تعطى النصفة وتقتل إن زلت بك القدمان ؛ يعنى إن سُبِقْتَ فمنعت قتلت

(٢) قال أبو الفتح : يكون غلاق هذا فعّالا من غَلِقَ الرهن فهو غلاق كعلم فهو عَلاَّم وَسَلِمَ فهو سَلاَّم ، ويجوز أن يكون من أَغْلَقَ البابَ ونحوه ، وهذا أقلهما

هُمُ قَطَعُوا الأَرْحامَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ وَأَجْرَوْا إِلَيْهَا وَاسْتَحَلُّوا المَحَارِمَا (١)

فَيَالَيْتَهُمْ كَانُوا لِأُخْرَى مَكَانَهَا وَلَمْ تَلِدِى شَيْئًا مِنَ القَوْمِ فاطِمَا (٢)

فَمَا تَدَّعِى مِنْ خَيْرِ عَدْوَةِ دَاحِسٍ وَلَمْ تَنْجُ مِنْهَا يَا ابْنَ وَبْرَةَ سَالِمَا (٣)

شَأَمْتُمْ بِهَا حَيَّيْ بَغِيضٍ وَغَرَّبَتْ أَبَاكَ فَأَوْدَى حَيْثُ وَالَى الأَعَاجِمَا (٤)

لعزة فَعَّال من أفعل ، إنما جاء منه أسْأر فهو سَئَّار وأدرك فهو دَرَّاك وأجْبَرَ فهو جَبَّار وأَقْصَرَ فهو قَصَّار ، ومروان : علم مرتجل

(١) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك

(٢) قوله « أجروا إليها » الإجراء : يستعمل فى المنكر المذموم ، ومفعوله محذوف ، كأنه [قال] : أجْرَوْا فعلهم إليها ، والضمير فى « إليها » للقطيعة ؛ لأن الفعل يدل على مصدره ، وهذا كما يقال : مَنْ كَذَبَ كان شراً له : أى كان الكذب شراً له ، والمراد ما أجرى إليه القوم فى سبق داحس من قطيعة الرحم ، وقوله «فياليتهم كانوا» البيت على كلامين : صدره إخبار [١] ، وعجزه خطاب لفاطمة ، وهى أخت لهم ، ومثله فى أنه على كلامين قوله تعالى : (يوسُفُ أَعْرِضْ عن هـذا ، واستغفرى لذنبك) وقوله « كانوا لأخرى مكانها » أى : لقرابة أخرى مكان هذه القرابة ، لأن ظلم ذوى القربى أشد تأثيرا

(٣) وإنما قال « ماتدّعى » لأنهم كانوا يعللون سبق داحس وينكرونه ؛ فلهذا عَلَّق ما حكاه عنه بالدعوى ، وقوله «من خير عَدْوَةِ» أى : من نفعه وسناء ذكره ، « ولم تنج منها » أى : من العَدْوة

(٤) قال أبو زيد : يقال : شَأَمَ فلان أصحابه ، إذا أصابهم الشؤم من قبله ، و« بها » يريد بالعَدْوة ، وهذا تفسير قوله « فلم تنج منها يا بن وبرة سالما » أى: أوقعتم لعدوته الشؤم فى حيى عبس وذبيان ، وأخرج أبوك يعنى قيس بن زهير إلى

---

(١) ليس صدر هذا البيت إخبارا ؛ بل هو تمن ، والاخبار فى البيت قبله

وَكَانَتْ بَنُو ذُبْيَانَ عِزًّا وَإِخْوَةً فَطِرْتُمْ وَطَارُوا يَضْرِبُونَ الْجَمَاجِمَا (١)

فَأَضْحَتْ زُهَيْرٌ فِى السِّنِينَ الَّتِى مَضَتْ
وَمَا بَعْدُ لاَ يُدْعَوْنَ إِلاَّ الْأَشَائِمَا (٢)

بلاد العجم ، حتى صار يواليهم إلى أن مات

(١) أى : وكانت بنو ذبيان لكم يا بنى عبس مَلاَذًا وعزاً لما يجمعكم وإياهم من الأخوة فتسرعتم إلى القطيعة

(٢) أنث الفعل لأنه أراد بذكر زهير القبيلة بأسرها ، ومعنى « يدعون » يسمون ، كما قال ابن أحمر :

* وَكُنْتُ أُدْعُو قَذَاهَا الْإِثْمِدَ الْقَرِدَا *

يريد أسمى ، ولذلك تعدى إلى مفعولين ، والأشائم : جمع أشأم ، وقوله « فى السنين » يجوز أن يكون ظرفا لقوله « لا يدعون » وقوله « وما بعد » يراد به فيما بعد ، فيكون «ما» معطوفا على السنين ، ويجوز أن يكون موضع «ما» نصبا على أن يكون معطوفا على موضع فى السنين ، لا على لفظه ، لأن موضعه نصب لكونه ظرفا ، ويجوز أن تكون « ما » صلة ، كأنه فى السنين الماضية وبعدها ، ويجوز أن يروى « وَمِنْ بَعْدُ لاَيُدْعَوْنَ » وهو حسن ، قال المرزوقى : وذكر بعضهم أن « ما » من قوله «وما بعد» لا يجوز أن تكون إلا صلة وزائدة ، لأن بعد لما جعل غاية ودخله النقصان بحذف ما كان مضافا إليه امتنع من أن يكون مبنيا على شىء وخبراً عنه ، وإذا امتنع من ذلك امتنع من أن يكون صلة الموصول ؛ لأن الذى يكون من صلة الظروف والجمل هو ما جاز أن يكون خبر المبتدأ ، وليس الأمر على ما قاله ، ألا ترى أن قوله عز وجل : (قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله ؟ ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) معناه ومن قبل الذى

١٥٦ — وقال المُساور بن هند بن زهير :

أَوْدَى الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مُتَقَفَّرُ وَفَقَدْتُ أَتْرَابِى فَأَيْنَ المَعْبَرُ (١)

فرطتم فى يوسف : أى قدمتم ، ويجوزأن يراد ومن قبل تفريطكم ، فيكون «ما» مع الفعل فى تقدير مصدر ، وعلى الوجهين جميعا « ما » فى موضع رفع ، و«من قبل» خبره ، وذكر أبو إسحق الزجاج فى « ما » من الآية ثلاثة أوجه : ما ذكرناه أحدها ، وإذا كان الأمر على هذا فما ذكر هذا القائل غير صحيح ؛ لأنى قد أريتكه ، أعنى بعد وهو غاية ؛ خبراً ، وكونه صلة تابع لكونه خبراً فاعلمه ، هذا رد المرزوقى على ابن جنى ، وقد أنحى عليه ولم ينصفه بقوله « وما ذكرهذا القائل غير صحيح » لأن الذى ذهب إليه ابن جنى أحسن من الذى ذهب إليه المرزوقى ، وأما قوله « وذكر الزجاج فى « ما » من الآية ثلاثة أوجه ما ذكرناه أحدها » فهو كما ذكره ؛ غير أن الذى ذكره ابن جنى هو أجود الوجوه الثلاثة التى ذكرها الزجاج ، وكتابه يدل عليه ، وغيرالزجاج من النحويين ذكر فى الآية الوجه الذى ذكره المرزوقى وقال : فيه قبح للتفرقة بين حرف العطف والمعطوف بمن قبل ، ثم قال : وهو عند الكوفيين حسن ؛ وليس المرزوقى أن يترك المختار من قول البصريين ويعدل إلى قول الكوفيين رداً على ابن جنى رحمه الله

(١) الأوّل من الكامل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متدارك

أكثر مايستعمل الأَتْرَاب فى النساء ، يقال : هذه تِرْبُ فلانة ، إذا كانت على سنها ، وربما استعمل ذلك فى الرجال ، وأكثر الناس ينشد «وفقدت أصحابى» وَمُتَقَفَّرَ : متتبع ، من قولك : قَفَرْتُ الشىء (١) وَتَقَفَّرْتُهُ ، إذا تتبعته ،

---

(١) فى القاموس « وقفرت الشىء واقتفرته وتقفرته : تتبعته » والأول مخفف ، ووقع فى هامش بعض النسخ أن أصلح الناسخ قفرت بقفوت بالواو ، وليس لهذا

وَأَرَى الْغَوَانِي بَعْدَ مَا أَوْجَهْنَنِي   أَعْرَضْنَ ثُمَّتَ قُلْنَ شَيْخٌ أَعْوَرُ(١)
وَرَأَيْنَ رَأْسِيَ صَارَ وَجْهًا كُلُّهُ   إِلاَّ قَفَايَ وَلِحْيَةً مَا تُضْفَرُ(٢)

ويقال : غَبَرَ إذا مضى وإذا بقى ، والْمَغْبَرُ ههنا بمعنى البقاء

(١) الغوانى : جمع غانية ، وهى التى تستغنى بزوجها عن الرجال ، وقيل : هى التى تغنى بمحاسنها عن التزين بالحلى ، وقال أبو عبيدة : هى المتزوجة ، وأنشد لجميل :

حَبَبْتُ الْأَيَامَى إِذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ   فَلَمَّا تَغَنَّتْ أَعْيَتْنِي الْغَوَانِيَا

وقال آخر :

* أَزْمَانَ لَيْلَى كَعَابٌ غَيْرُ غَانِيَةٍ *

وقوله « أوجهننى » أى : كنت ذا جاه عندهم ، ومنه « أَوْجَهَ السلطانُ فلانا » إذا جعله وَجْهاً ، و« شيخ » ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والتاء فى « ثُمَّتَ » علامة التأنيث للقصة ، وجعلت مفتوحة فرقا بينها و بين التى تلحق الاسم والفعل

(٢) قوله « صار وجها كله » ارتفع كلُّه على أنه توكيد للضمير فى صار ، أو على أنه اسم صار ، أو على أنه يرتفع بفعله ، وفعله ما دل عليه قوله وجها ، كأن المراد تَوَجَّهَ كله ، ويكون كقولك : رأيت زيدا قَيْسِيًّا أبوه : أى تقيَّس ، ومررت بسرج خَزٍّ صُفَّتُهُ ، يقول : انحسر الشعر عن رأسى حتى صار كله كوجهى ، إلا قفاى فإن به نُبَذًا من الشعر ، وإلا لحية لا تقام مقام الذؤابة فى الضفر والتجمل فقوله « ولحية ما تضفر » تحسر على ما عدم فى رأسه من الضفائر ، وإن كانت اللحية لم يعتد ضفرها

الاصلاح مقتض ، نعم إن قنوت بمعنى تبعت أيضا ، ولكن لا يكون اشتقاق المتقفر الذى فى البيت من هذه المادة ، والمقصود للشارح بيان اشتقاقه كما هو ظاهر

وَرَأَيْنَ شَيْخًا قَدْ تَحَنَّى ظَهْرُهُ ... يَمْشِى فَيَقْعَسُ أَوْ يُكِبُّ فَيَعْثُرُ(١)

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرُّوا فِتْنَةً ... عَمْيَاءَ تُوقَدُ نَارُهَا وَتُسَعَّرُ(٢)

وَتَشَعَّبُوا شُعَبًا فَكُلُّ جَزِيرَةٍ ... فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ(٣)

---

(١) يَقْعَس : أى يرفع رأسه إلى السماء من يبس عنقه وتَشَنُّج أخادعه وعلابيه ، والكبير يَيْبَس عنقه إلى فوق أو إلى أسفل، ويروى «يُقْعَش» أى : يضطرب، ومنه تَقَعْوَشَت الخيمة إذا سقطت ، والْقَعَسُ : ضد الحَدَب ، وروى أبو هلال « يمشى فَيَقْعُسُ » بضم العين ، قال : وهو أن يمشى مشية الْقُعْسَان كما تقول : عَرَجَ يعْرُجَ ، إذا مشى مشية العُرجَان ، وكان الواجب أن يقول « أو يعثر فيكب » لأن العثار قبل السقوط للوجه ، لكنه لم يبال بتغيير الترتيب لأمنه من الالتباس ، وهذا دون مايجىء فى كلامهم من القلب ، مثل قوله :

* كما أسلمت وحشية وَهَقَا *

ويقال : قَعِسَ يَقْعَسُ قَعَسًا إذا صار أَقْعَسَ خلقةً ، وَقَعَس يَقْعُسُ : إذا تكلَّفَ مشية الْقُعْسَان .

(٢) هَرُّوهَا : أى كرهوها ، والفتنة العمياء : التى لا يهتدى فيها الوجه أمر، وجواب لما منتظر ، وهو ههنا محذوف يدل عليه الكلام ، كأنه قال : انقبضنا عن النهوض فيها والحراك لننظر ماذا يكون ، وإنما قدم مااقتصَّه من ضعفه وكبره لِيُرِى العذر فيما يعجز عنه من النهوض فى الفتنة التى ذكرها

(٣) «أمير المؤمنين» لفظة معروفة للاضافة المعتادة فى هذه اللفظة المألوفة على الحد الذى ترى ، ولكن التنوين منوى ، وإذا كان كذلك فهى فى حكم النكرات، وإنما ساغ ذلك لأن قوله أمير يشار به إلى الحال : أى فيها أمير على المؤمنين ، واسم الفاعل إذا أريد به الحال أو الاستقبال كان إضافته على وجه التخصيص

وَلَتَعْلَمَنْ ذُبْيَانُ إنْ هِيَ أَعْرَضَتْ ... أَنَّا لَنَا الشَّيْخُ الْأَغَرُّ الْأَكْبَرُ (١)

وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةَ صَدْقَةٌ ... زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَزْوَرُ (٢)

لا على وجه التعريف ، ويصير التنوين الذى هو الأصل منو يا فيه ، وعلى هذا قوله تعالى : (هذا عارض ممطرنا) و (هديا بالغ الكعبة) وهذا البيت بما فيه منعطف على قوله « هروافتنة »

(١) يقول على وجه التوعد : لتَعْلَمَنَّ هذه القبيلة إنْ توجهت نحونا أنا لنا هذا الرئيس المشهور الشأن ، ويقال : عَنَى به زُهَيْرَ بن جذيمة العبسى ، وقيل : هو قبل زهير ، ويروى « إن هى أدبرت » والمعنى إن وَلَّتْ وأعرضت فانها ستعلم أنا نكتفى من دونهم ، ويجوز أن يكون المراد بأدبرت تركت الحق ، وجواب « إن » فى قوله « ولتعلمن ذبيان »

(٢) ردينة : امرأة السَّمْهَرِى ، وكان صاحبَ قَناً يبيعه ، فاذا غاب باعت ردينة مكانه ، وكانا يُثَقِّفَان الرماح ، فالرُّدَيْنِيَّةُ : منسوبة إلى رُدَيْنة ، والسَّمْهَرِية : منسوبة إلى سَمْهَر ، والصَّدْق : الصلب ، ومنه قيل للصدق : صدق : لأن له قوة ليست للكذب ، ونظر إليه نظرة صَدْقَة : أى صلبة ، وَصَدَقوهم القتال : صلبوا فيه واشتدوا ، وتمر صادق الحلاوة : شديدها ، والأزور : أصله المائل ، يعنى أنها لا تستقيم وحاملها أيضا لا يستقيم ، والمعنى إن من أراد تقويمنا لم نتقوم له ، ويجوز أن يكون المراد أن قناتهم مائلة للطعن وصاحبها مائل ليطعن بها الأعداء ، ولم يرض ذكر القناة وما جرت به العادة من وصف صلابتها واعوجاجها عند الطعن بها حتى عقبها بقوله : « حاملها كذلك أزور » وإنما أراد التأكيد والمبالغة وتبيين قوة الامتناع على من يطلب اقتسارهم ، وارتفع « حاملها » بالابتداء ، وقد أخبر عنه بخبرين : كذلك ، وأزور ، وقوله « كذلك » إذا وقع هذا الموقع لا يغير بل يكون

١٥٧ — وقال عُرْوَةَ بن الوَرْدِ العَبْسى (١) :

قُلْتُ لِقَوْمٍ فى الْكَنِيفِ تَرَوَّحُوا   عَشِيَّةَ بِتْنَا عِنْدَمَاوَانَ رُزَّحِ (٢)

للمذكر والمؤنث على حالة واحدة ، وأنشد أبو زيد :

أَمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِى عَلَى فَرَسٍ   وَلاَ كَذا رَجِلاً إلاَّ بِأَصْحَابِ

والمعنى ولا كما أنا الساعة رَجُلاً

(١) العروة العروة المرود والجوالق وغيرهما ، والعروة أيضاً القطعة الجيدة من الكلأ وجمعها عُرًا ، وأنشد أبو زيد :

خَلَعَ الْمُلُوكَ وَسَارَ تَحْتَ لِوَائِهِ   شَجَرُ الْعُرَا وَعُرَاعِرُ الأَقْوَامِ

قال أبو الفتح : قال أبو بكر : هو جمع عرعرة ، وهى أعلى الجبل ، فقلت لأبى على : كيف يكون جمعاً وهو مضموم الأول ، فقال : يكون اسما للجمع بمنزلة الجامل والباقر و السَّفْر والرَّكب . والْوَرْدُ : الفرس يَضْرب إلى الحمرة ، وكذلك الأسد ، قال :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ   وَيَاابْنَةَ ذِى الْجَدَّيْنِ وَالْفَرَسِ الْوَرْدِ

وما أحسن ماجاء به الطائى فى قوله :

أَرُدُّ يَدِى عَنْ عِرْضِ حُرٍّ وَمَنْطقِى   وَأَمْلَؤُهَا مِن لبْدَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ

وجمع وَرْدٍ وُرْدٌ ، وهو صفة ، ويقال فى مؤنثه وَرْدة ، قال الله عز وجل (فكانت وردة كالدهان) ومثل وَرْد وَوُرْد فى تكسير فَعْل على فُعْل كَثٌّ وَكُثٌّ وَثَطٌّ وثُطٌّ وَسَهْم حَشْرٌ وَحُشْر ، ومثله من الأسماء سَقْف وَسُقُف ورَهْن ورُهْن.

(٢) الثانى من الطويل ، مطاق مجرد موصول ، والقافية متدارك

تَنَالُوا الْغِنَى أَوْ تَبْلُغُوا بِنُفُوسِكُمْ إلى مُسْتَرَاحٍ مِنْ حِمَامٍ مُبَرِّحِ (١)

وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنَ الْمَالِ يَطْرَحْ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ (٢)

لِيَبْلُغَ عُذْرًا أَوْ يُصِيبَ رَغِيبَةً وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ (٣)

تقدير البيت قلت لقوم رُزَّحٍ عشية بتنا عند ماوان فى الكنيف تروَّحوا ؛ يقال : رَزَح البعير رُزُوحا ؛ إذا أعيا ، وإبلٌ رَزْحى . وقوم رِزَاح : أى مهازيل ساقطون ، والكنيف : الحظيرة من الشجر

(١) قوله « تنالوا الغنى » جواب الأمر من البيت الأول ، وهو « تروحوا » وقوله « مستراح » الفعل إذا بلغ الأربعة فما زاد استوى فيه لفظ المصدر والمفعول واسم الزمان والمكان ، فقوله مستراح يحتمل ذلك كله ، فاذا حملته على المصدر فالمعنى إلى استراحة يأتى بها الحمام ، وإذا حمل على معنى المكان فكأنه قال : إلى مكان تستريحون فيه ، وذلك المكان هو القبر ، وإذا حمل على الزمان فالمعنى إلى وقت تستريحون فيه ، وإذا جعل مستراحاً مفعولا فهو من قولهم : استراح الشيء واسْتَرْوَحَه : إذا وجد رائحته كما يستروح الذئب

(٢) أى : مَنْ يَكُ مثلى معيلا مقترا من المال يَطْرَحْ نفسه فى كل بلاء ومشقة

(٣) ويروى « غنيمة » أى : يَطْرَحْ نفسه فى كل بلاء لينال مالا أو ليقيم لنفسه عذرا فلا ينسب إلى الكسل والجبن ، ومن أبلغ نفسه ما فيه العذر كمن غنم .

قال أبو رياش : كان سبب هذه الأبيات أن مَعَدًّا تتابعت عليها سَنَوَات فجهد الناس إليها جهدا شديدا ، وكانت غطفان من أحسن مَعَد فيها حالا ، وكان فى بعض تلك السنين عُرْوَة بن الْوَرْد بن بحابس (١) بن زيد بن عبد الله

(١) كذا ، ولعله حابس ، ووقع فى مكانه فى نسب عروة « بن عمرو »

ابن ناشب بن سفيان (٢) بن هَرِم (٣) بن عوف (٤) ابن غالب بن قُطَيْعَةَ بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار بن معـد ، وكنيته أبو نَجْدَة ، ويعرف بعُرْوَة الصَّعَاليك ؛ غائبا فرجع مخفقا وقد أهلك إبله وخيله وجاء إلى قومه بحال شديدة ، فاذا نَخذ عروة : أى قومه قُصْرَةً ، قد حظروا عليهم كنيفا لما أعوزتهم المكاسب ، وقالوا : نموت فيها جوعا خيرٌ من أن تأكلنا الذئاب ، فأتاهم عروة فنزع عنهم كنيفهم ، وقال لهم : اخرجوا وهذه قَلُوصى فتمدّدوا لحمها واحملوا أسلحتكم على هذه القَلوص حتى أصيب لكم ماتعيشون به أو أموت ، فخرج مُتَيَامِناً عن المدينة يريد أرض قُضَاعة وقصد بَلْقَيْن ، فمر بمالك بن حمار بن مُخَاشن بن لأى بن شمخ ابن فزارة ، وقد أنفد ما معه ، فقال له مالك : ويحك ! ! أين تنطلق بفتيانك هؤلاء تهلكهم ضيعة ؟ قال : إن الضيعَة ما تأمرنى به ، دعنى ألتمس معاشا لى ولقومى أو أموت فالموت خير من الهزل ، فقال له مالك : إن أطعتنى رجعت على حَرْسَيْن ، وهما جبلان فى أرض بنى فزارة ، فقال عروة : كيف أصنع بمن كنت عوّدته إذا جاءنى وعرانى ؟ فقال : يعذرك إذا لم يكن عندك شىء ، فقال : ولكننى لا أعذر نفسى بترك الطلب ، فقال هذه الأبيات ، وهى أكثر منها ، فأعطاه مالك بعيراً فقسمه بين أصحابه ، وسار حتى أتى أرض بنى القين ، وهم بأرض

وسقطت فى بعض الروايات ، فقيل : عروة بن الورد بن زيد ، انظر الأغانى (٣ : ٧٣ طبع دار الكتب)

(٢) سقط اسم سفيان من بعض الروايات

(٣) فى بعض الروايات « هريم » مصغرا ، وفى رواية « بن هريم بن لديم »

(٤) فى بعض الروايات « عوذ » بالذال معجمة

التيه ، فهبط أرضا ذات خَاقيق فيها ماء ، فرأى آثارا فقال : هذه آثار من يرد الماء ، فاكمنوا فأحرِ أن يكون قد جاءكم رزق فى أرض بنى القين ، وتلك عراً من الشجر العظام إذا أجدب الناس رَعَوْها ، فعاشوا فيها ، فأقاموا يوما ، ثم ورد عليهم فَصِيل ، فقالوا : دعنا فلنأخذ هذا الفصيل فنأكل منه فنعيش به أياما ؛ فقال : إنكم إذاً تنفروا أهله إن هَمُّوا برعى هذا الشجر ، وإن بعد هذا الفصيل إبلاً ؛ فتركوه ، فندم قوم عروة ، فجعلوا يلومونه ؛ فوردت الإبل بعد خِمْس . فوردت منها مائة معها فُصْلاَنها فيها فارس معه سلاحه وظعينته ، فلما وردت الإبل خرج إليه عروة فرماه بسهم فى مرجع كتفيه فأخرجه من ثَنْدُوَته : واستاق الإبل والظعينة حتى أتى قومه فأحياهم ، وقال فى ذلك (١)

أَلَيْسَ وَرَائِى أَنْ أَدِبَّ على العَصَا ... فَيَأْمَنَ أَعْدَائِى وَيَسْأَمَنِى أَهْلِى (٢)

رَهِينَةَ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... يُلاَعِبُنِى الوِلْدَانُ أَهْدِجُ كالرَّأْلِ (٣)

أَقِيمُوا بَنِى لُبْنَى صُدورَ رِكابِكُمْ ... فَإِنَّ مَنَايَا القَوْمِ شَرٌّ مِنَ الهَزْلِ (٤)

قولهم فى اسم المرأة لبني ولُبَيْنَى مأخوذ من اللبنى ، وهو ضرب من الطيب يقال هو الميعة . وفى الحديث « إن للشيطان بنتا يقال لها لبينى »

فإِنَّكُمُ لَنْ تَبْلُغُوا كُلَّ هِمَّتِى ... وَلاَ أَرَبِى حَتَّى تَرَوْا مَنْبِتَ النَّخْلِ (٥)

يثرب ، ومَنْبِتُ الأثل : بلاد بنى القين

---

(١) انظر هذه الأبيات فى الأغانى (ج ٣ ص ٨٢ طبع دار الكتب المصرية)

(٢) فى الأغانى « فيشمت أعدائى »

(٣) فى الأغانى « يطيف بى الولدان » وأهدج : مضارع من الهدجان

(٤) فى الأغانى والديوان * فكل منايا النفس خير من الهزل *

(٥) فى الأغانى « منبت الأثل ، ومنبت النخل بيثرب » . ومن هذا تفهم كلام الشارح الذى بعد هذا البيت

فلوْ كُنْتُ مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ إذَا بَدَتْ بلادُ الْأَعَادِى لاَ أُمِرُّ وَلاَ أُحْلِى
رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنِ إذْ قَالَ مَالِكٌ هَلَكْتَ وَهَلْ يُلْحَى عَلَى بَغْيَةٍ مِثْلِى
لَعَلَّ انْطِلاَقِى فِى الْبِلاَدِ وَرِحْلَتِى وَشَدِّى حَيَازِيمَ الْمَطِيَّةِ بِالرَّحْلِ (١)
سَيَدْفَعُنِى يَوْمًا إلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وبِالْبُخْلِ
قَلِيلٌ تَوَالِيهَا وَطَالِبُ وِتْرِهَا إذَا صِحْتُ فِيهَا بِالْفَوَارِسِ وَالرَّجْلِ
إذَا مَاهَبَطْنَا مَنْهَلاً فِى تَنُوفَةٍ بَعَثْنَا رَبِيًّا فِى الدَّرَابِىءِ كَالْجِذْلِ
يُقَلِّبُ فِى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ بِطَرْفِهِ وَهُنَّ مُنَاخَاتٌ وَمِرْجَلُنَا تَغْلِى

وكان عُروة إذا أصابت الناسَ السنةُ وتركوا المريض والضعيف والكبير فى ديارهم يجمع أشباه هؤلاء من عشيرته ثم يحفر الأسراب ويكنف الـكُنُفَ ويكسبهم ويكسوهم ، فاذا قوى منهم واحد خرج به معه فأغار وكسب أصحابه الباقين ، حتى إذا أخصب الناس وألبنوا وذهبت السنة لحق كل إنسان بأهله ، وقسم لـكل إنسان نصيبه من الغنم ، إن كانوا قد غنموا ، فربما عاد أحدهم غنيا ، فبذلك سمى عُرْوَةَ الصعاليك ، وكان صعلوكا فقيرا مثلهم ، وأما أُشَيمُ بن شراحيل بن عبد رُضَا ابن عوف بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة فسمى مأوى الصعاليك لأنه كان يَعُولهم ويفضل عليهم حتى يستغنوا

وذكر أن عروة كان مع قوم من عشيرته فى شتاء شديد قد سعى عليهم شتاءه كله وكَنَّفَ عليهم ، وكان أول ما أصاب لهم ناقتان دَهْمَاوَانِ فنحر إحداهما وجعل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى ، فجعل يَتَنَقَّل بهم من مكان إلى مكان ، وكان ما بين النَّقْدَة والرَّبَذَة ماء يقال له ماوَان نزل بهم عليه ، ثم إن الله قَيَّضَ له رجلا صاحب مائة من الإبل قد فَرَّ بها من عقوق أهـله . وذلك أول ما ألبن الناس واحتلبوا ، فقتله وأخذ إبله وامرأته ، وكانت حسناء ، فأتى بالابل الـكنيفَ فجعل

---

(١) فى الأغانى * لعل ارتيادى فى البلاد وحيلتى *

يحلبها ثم يحملهم عليها ، حتى إذا دنوا من بلادهم وعشائرهم أقبل يَقْسِمُهَا فيهم ، وأخذ مثل نصيب أحدهم ، واستخلص المرأة لنفسه ، فقالوا : لا واللات لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيبا ، فمن شاء أخذها من سهمه ، فجعل يهم أن يحمل عليهم ليقتلهم وينتزع ما معهم ثم يتذكر صنيعه بهم وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان صنع ، ففكر طويلا ثم أجابهم إلى أن يرد عليهم الابل إلا راحلة يحمل عليها امرأته حتى يلحق بأهله ، فأبوا إلا أن يجعل الراحلة لهم ، فانتدب رجل منهم فجعل الراحلة من نصيبه ، وأفقرها عروة : أي منحه إياها منيحة إذا استغنى عنها ردها ، فقال عروة يذكر ذلك[1] :

أَلا إِنَّ أَصْحَابَ الْكَنِيفِ وَجَدْتُهُمْ كَمَا النَّاسِ لَمَّا أَخْصَبُوا وَتَمَوَّلُوا
وَإِنِّى لَمَدْفُوعٌ إِلَىَّ وَلاؤُهُمْ بِمَاوَانَ إِذْ نَمْشِى وَإِذْ نَتَمَلْمَلُ
وَإِذْ مَا يُرِيحُ النَّاسُ صَرْمَاءَ جَوْنَةً يَنُوسُ عَلَيْهَا رَحْلُهَا مَا يُحَوَّلُ

صَرْمَاء جَوْنة : قِدْر سوداء يطبخ فيها كل عشية ماتفتر ، وشبه القدر بالناقة المصرمة التى قد انقطت أخلافها

مُوَقَّعَةُ الصَّفْحَيْنِ حَدْبَاءُ شارِفٌ تُقَيَّدُ أَحْيَانًا لَدَيْهِمْ وَتُرْحَلُ
لَدَيْهَا مِنَ الوِلْدَانِ مَا قَدْ رَأَيْتُمُ وَتَمْشِي بِجَنْبَيْهَا أَرَامِلُ عُيَّلُ
وَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّ بَيْضَاءَ فِتْيَةٌ طَعَامُهُمُ مِنْ ذِى قُدُورٍ مُعَجَّلُ
بَضِيعٌ مِنَ النِّيبِ السِّمَانِ وَمُسْخَنٌ مِنَ الْمَاءِ نَعْلُوهُ بِآخَرَ مِنْ عَلُ
وَإِنِّى وَإِيَّاكُمْ كَذِى الأُمِّ أَرْهَنَتْ لَهُ مَاءَ عَيْنَيْهَا تُفَدِّى وَتَحْمِلُ

أرهنت : أى أدامت ، وهذا مثل تقول المرأة لولدها ربيتك ماء عينى فضلا عن كل شىء

---

(١) البيتان الأول والثانى فى الأغانى (ج ٣ ص ٨٠) مع الأبيات الثامن والعاشر والحادى عشر ، وفى الديوان فى الثانى « وإذ نتمالل » وفيه فى السابع « مضيغ من النيب المسان »

١٥٨ — وقال أبو الأبيض العَبْسى (١) :

أَلا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ يَقُولَنْ فَوَارِسٌ ... وَقَدْ حَانَ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ قُفُولُ (٢)

فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَفْعَهُ وَشَبَابَهُ ... أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى جَدِيدٌ تَكَحَّلُ

فَبَاتَتْ بِحَدِّ الْمِرْفَقَيْنِ مُكِبَّةً ... تُوَحْوِحُ مِمَّا نَابَهَا وَتُوَلْوِلُ

تَخَيَّرُ مِنْ أَمْرَيْنِ لَيْسَا بِغِبْطَةٍ ... هُوَ الثُّكْلُ إِلاَّ أَنَّهَا قَدْ تَجَمَّلُ

أى : تتخير ما تريد أن تصنع ثم ترجع فتقول : هو ولدى وما أصنع به

كَلَيْلَةِ شَيْبَاءَ الَّتِي لَسْتُ نَاسِياً ... وَلَيْلَتِنَا إِذْ مَنَّ مَا مَنَّ قَرْمَلُ

ليلة شيباء هى الداهية ، كأنه وقع فيها فنجا منها على ظهر فرس يقال له قرمل

أَقُولُ لَهُ يَامَالِ إِنكَ (١) هَابِلٌ ... مَتَي حُبِسَت عَلى أَفِيح فتعقل

بَدَيْمُومَةٍ مَا إِنْ تَكَادُ تَرَى لَهَا ... مِنَ الظمأ الكومُ الجِلادُ تنوّل

تَنَكَّر آيَاتُ الْبِلاَدِ لِمَالِكٍ ... وَأَيْقَنَ أَنْ لاَ شَيْءَ فِيمَا يُقَوَّلُ

(١) قال أبو هلال : وكان فى أيام هشام بن عبد الملك ، وخرج مجاهداً فى بعض الوجوه ، فرأى فى المنام كأنه أكل تمراً وزبداً ودخل الجنة ، فلما كان من الغد أكل تمراً وزبداً وتقدم فقاتل حتى قتل

(٢) الثالث من الطويل ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

قوله « ألا ليت شعرى » شعري اسم ليت ، وخبره مضمر استغنى عنه بمفعول شعرى ، وليت شعرى لا يجىء إلا هكذا ، كما أن لولا يجىء أبدا محذوف خبر الابتداء الذى بعده ، وقد استغنى عنه بجوابه ، وذلك قولك : لولا عبد الله لفعلت ، وقوله « هل يقولن فوارس » سد مسد مفعول شعرى ، ومعنى الكلام ليت علمى واقع هل يتمّ هذا القول من الفرسان فى تلك الحالة ، ومفعول يقولن أول البيت الثانى ، وهو قوله « تركنا » وقوله « وقد حان منهم يوم ذاك قفول » موضعه

(١) فى الديوان « أمك هابل » ويروى « فقلت له ما بال أمك هابل » .

تَرَكْنَا وَلَمْ نُجْنِنْ مِنَ الطَّيْرِ لَحْمَهُ ... أَبَا الْأَبْيَضِ الْعَبْسِيَّ وَهْوَ قَتِيلُ[(١)]

وَذِى أَمَلٍ يَرْجُو تُرَاثِى وَإِنَّ مَا ... يَصِيرُ لَهُ مِنِّى غَدًا لَقَلِيلُ[(٢)]

وَمَا لِىَ مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ وَمِغْفَرٍ ... وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ

وَأَسْمَرُ خَطِّىٌّ الْقَنَاةِ مُثَقَّفٌ ... وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ طَوِيلُ

أَقِيهِ بِنَفْسِى فِى الْحُرُوبِ وَأَتَّقِى ... بِهَادِيهِ إِنِّى لِلْخَلِيلِ وَصُولُ[(٣)]

١٥٩ — وقال قيس بن زهير فى بنى زياد الربيع وعُمَارة وأنس ، وكان يقال لهم الْكَمَلة :

لَعَمْرُكَ مَا أَضَاعَ بَنُو زِيَادٍ ... ذِمَارَ أَبِيهِمِ فِيمَنْ يُضِيعُ[(٤)]

نصب على الحال ، ويوم ذاك إشارة إلى ملاقاة الأعداء

(١) موضع « ولم نجنن من الطير لحمه» منصوب على الحال ، فان قيل : هل تقدر فى الكلام بعد الاستفهام شيئاً لأنك إذا استفهمت عن شىء كان ما تستفهم عنه وخلافه سواء عندك و إلا لم تكن مستفهما ؟ قلت : لا بد من التقدير ؛ ولولا ذلك لامتنع الاستفهام ، فان قيل : فما المقدر بعد الاستفهام هنا من حرفى العطف أم أو أو ؟ وكيف يكون معنى الكلام مع ذلك المقدر ؟ قلت : المعنى على أو بدلالة أنه يجاب مثل هذا الكلام بنعم أو لا ، إذ كان المعنى على ليتنى علمت هل يقع ذلك منهم ، فأما تقدير أم وهى عاطفة فلا يصح فى مثل هذا الموضع

(٢) أى ورب كل ذى أمل ، و «ما» يكتب مفصولا لأنه بمعنى الذى

(٣) يقول : أحفظ مقاتل فرسى بفخذى ورجلى وأتقى مما يأتينى بعنقه ، ثم قال « إنى للخليل وصَوُل » أى : لاأخذله فى الشدائد ولا أنتفع به إلا وأنفعه

(٤) الأول من الوافر ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

بَنُو جِنِّيَّةٍ وَلَدَتْ سُيُوفًا صَوَارِمَ كُلُّهَا ذَكَرٌ صَنِيعُ (١)
شَرَى وُدِّي وَشُكْرِي مِنْ بَعِيدٍ لِآخِرِ غَالِبٍ أَبَدًا رَبِيعُ (٢)

يعنى بنى زياد العبسيين الْكَمَلَةَ وأمهم فاطمة بنت الْخُرْشُبِّ الأنمارية ، وهى إحدى الْمُنْجِبَات ، وقيل لها : أىّ بنيك أفضل ؟ فقالت : ربيع الواقعة ، بل عمارة الواهب ، بل قيس الحافظ ، بل أنس الفوارس ، ثَكِلْتُهُمْ إن كنت أدرى أيهم أفضل ، وكانت رأت فى منامها كأن قائلا قال لها عَشَرَةٌ هَذَرَةَ أحبّ إليك أم ثلاثة كعشرة ، فلما انتبهت قصت رؤياها على زوجها ، فقال : إن عاودك فقولى له ثلاثة كعشرة ، فرجعت إلى المنام ورأت مثل مارأت من قبل ، فجعلت فى الجواب بل ثلاثة كعشرة ، فولدت بنين ثلاثة صار كل منهم أبا قبيلة ، وهم : رَبيع ، وعُمَارَةُ ، وأَنَسٌ ، وكما جعل الأم جنية لخروجها فيما أتت به عن المعتاد من الإنس جعل الأولاد سيوفا فى قوله « بنو جنية »

(١) أى : مصنوع بين الحديد اللين والفولاذ ، ويروى بنو « حِنِّيَّةٍ » الحِنّ : قبيلة من الجن ، و بنو حُنّ : حى من قُضَاعَةَ وهو حُنّ بن دَرَّاج من أخوال قصى بن كلاب

(٢) يقال : شَرَيْتُ الشىء ، بمعنى اشتريته وبعته جميعا ، وكذلك بعت يصلح للأمرين ، ومن شريت الشَّرْوَى ، وهو المِثْلُ ، لكن لامه وهو ياء قلبت واوا لأن فَعْلَى إذا كان اسما ولامه ياء يُفْعَلُ به ذلك فرقا بين الاسم والصفة ، وعلى هذا قولهم الْفَتْوَى ، يقول : اشترى ربيعُ الحفاظِ على بعده منى وُدِّى له وثنائى عليه وعلى آخر رجل يبقى من بنى غالب أبدا ، وقوله «من بعيد» فى موضع الحال ، واللام فى «لعمرك» لام الابتداء ، وخبر المبتدأ محذوف ، كأنه قال : لعمرك قسمى ، وإنما شكر الربيع بن زياد لقيامه معه ونصرته إياه فى حرب داحس ، وذلك أن

١٦٠ — وقال هُدْبَة بن خَشْرَمٍ (١) :

إِنِّى مِنْ قُضَاعَةَ مَنْ يَكِدْهَا أَكِدْهُ وَهْىَ مِنِّى فِى أَمَانِ (٢)

الربيع قد كان ساوَم قَيْسًا على درع له ، والربيعُ راكبٌ وقيسٌ راجل ، فلما وضعها على قَرَبُوسه ركض فرسه ، فمضى بها ، فلما انتجعوا أخذ قيس بن زهير بزمام أمه فاطمة بنت الْخُرْشُبّ يريد أن يرتهنها بدرعه ، فقالت : أين ضل حلمك يا قيس؟ أترجو الصلاح فيما بينك وبين بنى زياد وقد ذهبت بأمهم يَمْنَةً وَيَسْرَةً وقال الناس ما شاؤا وحسبك من شر سماعه ، فذهبت مثلا ، وعلم قيس أنها صدقت ، فأرسلها وأغار على إبل الربيع فاستاقها ، وكان هذا بينهما ، فلما قتل حُذَيفة مالك ابن زهير ظَنَّ قيسٌ أن الربيع لا يقوم معه بطلب ثأر أخيه لما بينهما من الشحناء ، فلما قام معه قال قيس :

* شَرَى وُدِّى وَشُكْرِى مِنْ بَعِيدٍ *

أى : كان بينى وبينه بعد فألقى العداوة وراء ظهره ونصرنى للرحم والقرابة ، وغالب : من عبس ، وقال أبو هلال : وروى هشام بن محمد بن السائب الكلبي هذه الأبيات لحاتم ، وكان جاور حاتم زمن الفساد بنى زياد بن عبد الله بن عبس فأحسنوا جواره فقال فيهم هذه الأبيات

(١) قال أبو الفتح : هى واحدة الْهُدْب ، وهى للثوب ، وللأرطى هُدْب واحدته هدبة ، والْهُدَّاب : اسم يجمعهما جميعا ، واحدته هدابة ، قال العجاج :

وَشَجَرَ الْهُدَّابَ عَنْهُ فَجَفَا بِسَلْهَبَيْنِ فَوْقَ أَنْفٍ أَذْلَفَا

والْخَشْرَم : جماعة النحل ، وهو أيضا الثول والدَّبْر

(٢) الأول من الوافر ، مطلق موصول مردف ، والقافية متواتر

قوله « إنى من قضاعة » لا يريد به نسبة نفسه إلى قضاعة فقط ، بل أراد

وَلَسْتُ بِشَاعِرِ السَّفْسَافِ فِيهِمْ ... وَلَكِنْ مِدْرَهُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ (١)

سَأَهْجُو مَنْ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ ... وَأُعْرِضُ مِنْهُمُ عَمَّنْ هَجَانِي (٢)

اختصاصه بهم وتعصبه لهم ، وهذا كما يقال : أنا من فلان و إلى فلان : أى ابتدائى منه وانتهائى إليه يعنى أنه يهوى هوى قضاعة وضِلَعُهُ معها

(١) السَّفْسَاف : مالا خير فيه من الأفعال والأقوال ، وفى الحديث « إن الله يحب معالى الأمور و يبغض سَفْسَافَهَا » فان قيل : أين عجز البيت من صدره فى النظام ؟ وهلا قال بعد مانفى عن نفسه من الشعر الركيك : ولكنى شاعر المتخير الرصين ؟ قلت : إنما أراد التنبيه على فضله فيهم وطَوْله عليهم ليدخل تحته الأمران جميعا ، والْمِدْرَه [قيل] : هو السيد الذى يدفع به الشر فينظم أمور الحرب ، وقيل : إنه من دره علينا أى طلع ، وقيل : من درأ أى دفع ، والهاء فيه بدل من الهمزة

(٢) قوله « من سواهم » يتعلق بمن هجاهم ، وموضعه نصب على الحال ، والإعراض هنا الترك : أى أترك من هجانى منهم فلا أهجوه ، يقول : إنى أكيد أعداء قومى ولا أكيدهم ، ولست بالشاعر الضعيف الكلام ، لكننى قيم الحرب التى قوتل فيها مرة بعد مرة

خبر هذه الأبيات : قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات والذى هاج الحرب بين بنى عامر بن عبد الله بن ذبيان بن الحرث بن سعد بن هُذَيم بن زيد ابن ليث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة و بين بنى رَقَاشٍ ، وهم بنو قُرَّةَ ابن خَشْرَم بن عبد الله بن ذبيان ، وهم رهط زيادة بن زيد وبنو هام من رهط هُدْبة بن خَشْرَم بن كُرْز بن أبى حَيَّة بن سَلَمَة الكاهن بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان : أن حَوْطَ بن خَشْرَم أخا هُدْبة بن خَشْرَم رَاهَن زيادة ابن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مطلبهما على يوم وليلة من الغاية فى زمن وغرة من القيظ ، فتزودوا الماء فى الأداوى والقِرَبِ ، وكانت أختُ حَوْط سَلْمى بنتُ

خشرم تحت زيادة بن زيد ، فمال صَغْوُها مع أخيها على زوجها ، فوهَّنتْ أوْعية زيادة ، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه ، ففى ذلك يقول زيادة

قَدْ جَعَلَتْ نَفْسِيَ فِي أَدِيمِ مُحَرَّمِ الدِّبَاغِ ذِي هُزُومِ
ثُمَّ رَمَتْ بِي عُرُضَ الدَّيْمُومِ فِي بَارِحٍ مِنْ وَهَجِ السَّمُومِ
* عِنْدَ اطِّلَاعِ وَغْرَةِ النُّجُومِ *

المحرم : الذى لم ينضج دباغه ، والهُزُوم : الكسور

ثم إن هُدْبة بن خَشْرَم وزيادة خرجا فى ركب من بنى الحرث حُجَّاجا ، ومع هدبة أخته فاطمة حاجَّة ، فاعتقب القوم السَّوْق ، فنزل زيادة بن زيد ، فقال :

عُوجِي عَلَيْنَا وارْبَعِي يَا فَاطِمَا مَادُونَ أَنْ يُرَى الْبَعِيرُ قَائِمَا

يقول : سيرى سيراً ضعيفا ولا تقفى لغيرك فيستراب بنا

فَعَرَّجَتْ مُطَّرِدًا عُرَاهِمَا فَعْمًا يَبُذُّ الْقُطُفَ الرَّوَاسِمَا

العُرَاهم والْعُرْهم والْعُرْهُوم : القوى الشديد ، والفعم : الممتلىء

كَأَنَّ فِى الْمَثْنَاةِ مِنْهُ عَائِمًا عَوْمَ السَّفِينِ تَرْكَبُ الزَّمَازِمَا

الزمازم : الجماعات ، يقال لكل مجتمع زمزوم وزمزمة ، وأراد مجتمع الماء

يَاأَيُّهَا الْغَازِى رَجَعْتَ سَالِمَا مِنَ الْغَزَاةِ مُسْتَفِيدًا غَانِمَا
يَا أَيُّهَذَا اللَّائِمِي تَعَاجُمَا إِنْ كُنْتَ بِالْحُبِّ طَبِيبًا عَالِمَا
فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْكَيَّ وَالتَّمَائِمَا لَنْ يَنْفَعَ الْقَلْبَ الْمُصَابَ الْهَائِمَا
وَلَا اللِّقَاءُ دُونَ أَنْ تُبَاغِمَا خَوْدًا كَأَنَّ الْبُوصَ وَالْمآكِمَا

المباغمة : مثل المناغمة ، وهو الكلام الضعيف ، وإنما أخذ من بُغَام الظبية والناقة إذا بَغَمَتْ بغمة ضعيفة دون أن ترغو ، والمآكم : جمع مأكمة ، والمأكمتان : ناحيتا العجز

مِنْهَا نَقًا مُخَالِطًا صَرَائِمَا خَيْرٌ مِنْ اسْتِقْبَالِكَ السَّمَائِمَا

* وَمِنْ نِدَاءٍ تَبْتَغِي مَعاً كِمَا *

يريد أنه يقول : يافلان اعكمنى : أى أعنى علي جملى

فغضب هدبة فنزل ورجز بأخت لزيادة فى الحى ، وقال : أُختى تسمع وأخته غائبة وأخت زيادة يقال لها أم خازم

لَقَدْ أَرَانِي وَالْغُلَامَ الْحَازِمَا   نُزْجِي الْمَطِيَّ ضُمَّرًا سَوَاهِمَا
مَتَى يَقُودُ الذُّبَّلَ الرَّوَاسِمَا   وَالجِلَّةَ النَّاجِيَةَ الْعَيَاهِمَا

العيهوم : الماضى من الابل الجرىء

إِذَا بَلَغْنَ عَاسِمًا وَعَاسِمَا   ثُمَّ وَرَدْنَ مُسْتَجِيرًا قَاتِمَا
وَرَجَّعَ الْحَادِي لَهَا الْهَمَاهِمَا   أَرْجَفْنَ بِالسَّوَالِفِ الْجَمَاجِمَا
تَسْمَعُ لِلْمَرْوِ بِهِ قَمَاقِمَا   كَمَا يَطِنُّ الصَّيْرَفُ الدَّرَاهِمَا
يُبْلِغْنَ أُمَّ خَازِمٍ وَخَازِمَا   أَلاَ تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِنِّي سَاجِمَا
حِذَارَ دَارٍ مِنْكِ أَنْ تُلاَئِمَا   قَدْ رُعْتِ بِالْبَيْنِ جَلِيدًا حَازِمَا
عَلَى نَجَاةٍ تَشْتَكِي الْمَنَاسِمَا   غَادَرَ مِنْهَا النَّصُّ وَجْهًا سَاهِمَا
تُطَبِّقُ الْأَخْفَافَ وَالْقَوَائِمَا   وَاللهِ لاَ يَشْفِي الْفُؤَادَ الْهَائِمَا
تَمْسَاحُكَ اللَّبَّاتِ وَالْمَآكِمَا   وَلاَ اللِّمَامُ دُونَ أَنْ تُلاَزِمَا
وَلاَ اللِّزَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقِمَا   وَلاَ الْفِقَامُ دُونَ أَنْ تُفَاغِمَا

المفاغمة : استنشاق الرائحة الطيبة

* وَتَرْكَبُ الْقَوَائِمُ الْقَوَائِمَا *

فقال أشياخ بنى الحرث : اركبا لاحملكما الله فاننا قوم حُجَّاج ، ودَعُونا من هذا ، ووعظوهما ، فأمسكا ، وقَضَوْا حجهم ورجعوا إلى الحى ، فالتقى نفر من بنى عامر رهطِ هُدْبة فيهم أبو جبر وهو رأسهم الذى لا يعصونه وَخَشْرَم أبو هُدْبة وزُفَرعَمُّ هُدْبة ، وهو الذى بعث الشر ، والحجاج بن سلامة ، وأبو ناشب ، ونفرٌ من

بنى رَقاش رهط زيادة فيهم زيادة وإخوته عبدالرحمن ونَفّاع وأُدْرَعُ: بوادٍ من أودية حرّتهم ، فكان بينهم كلام ، فغضب ابن الغسّانية ــ وهو أُدْرَعُ ــ وأبو جبر ، وكان زُفَرُ عَمُّ هُدْبة يعزى إلى رجل من بنى رقاش . فقال أُدْرَعُ :

أَدُءا إليْنَا زُفَرَا نَعرِفُ منْهُ النَّظَرَا

* وَعَيْنَهُ وَالأَثَرَا *

فغضب هدبة ، وادعى قومه حقا على بنى رقاش ، فتداعوا إلى السلطان ، ثم اصطلحوا على أن يدفع إليهم أُدْرَع فيخلو به نفر منهم فما رأوا عليه أمضوه ، فلما خلوا به ضربوه الحدّ ضرْباً مبرحاً ، فراح بنو رقاش ، وقد أضمروا الحرب والغضب ، فقال عبد الرحمن :

أَلاَ أَبْلِغْ أَبا جَبْرٍ رَسُولاً فَمَا بَيْنِى وَبَيْنَكُمُ عِتَابُ
أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ القَوْمَ رَاحُوا عَشِيَّةَ فَارَقُوكَ وَهُمْ غِضَابُ

وَلَجَّ الشر بينهم ، فقال قوم زيادة له : اهج هدبة وقومه ، فقال : إنى لم أبسط لسانى على قوم قطُّ إلا جهدوا على تبلى من شدة هجائى ، ولكن انطلقوا لنضربه ، فخرج زيادة فى رهط قومه فيهم نَفّاع يطلبون هُدْبة ، فوجدوا الحى خُلُوفاً ووجدوا هدبة وأباه خشرما . فضربوهما بسيوفهم ضربَ قوم مبقين تخذيعا ، فأصاب خشرما شجّاتٌ فى رأسه ، ووقع بذراع هدبة حز كالتوقيف ، وزعم نَفّاع أنه لم ينزع تلك الليلة حتى وطىء بقدمه ركب ريحانة أم هدبة ، فقال قائلهم :

شَجَجْنَا خَشْرَمًا فِى الرَّأْسِ سَبْعاً وَخَذَّعْنَا هُدَيْبَةَ إِذْ هَجَانَا
كَذَاكَ العَبْدُ إِنَّ العَبْدَ يَوْمًا إِذَا وَقَّفْتَهُ بِالسَّيْفِ لاَنَا
تَرَكْنَا بِالعُوَيْنِدِ مِنْ حُسَيْنٍ نِسَاءَ الحَىِّ يَلْقُطْنَ الجُمَانَا

أى أمّنّا نساءنا فتركناهن يلقطن الجمان على هينتهن ، والعوينِد وحسين : موضعان.

فأجابه هدبة

إِنَّ الدَّهْرَ مُؤْتَنِفٌ طَوِيلٌ   وَشَرُّ الْخَيْلِ أَقْصَرُهَا عِنَانَا
وَلَيْسَ أَخُو الْحُرُوبِ بِمَنْ إِذَا مَا   مَرَتْهُ الْحَرْبُ بَعْدَ الْعَصْبِ لَانَا

ثم إن هدبة جمع رهطا من قومه وأصحابه فقصدوا لزيادة فى ربيع قليل العدد ، لأن الناس فى الربيع تَفَرَّقُ بهم المحال ، فأتوهم ليلا فى واد يقال له خَشُوب وزيادة وأبياته على ماء يدعى سَحْنَةَ ، فلما بعثوا ركابهم وقد أردف هدبة رجلا من أصحابه انقطع صدار بعيره (١) فقالت ريحانة أم هدبة : يا بنى عامر ، لم أر كالليلة فألا لاتخرجوا ليلتكم هذه ، فقال : أَنُنْهَى ؟ والله لَنَخْرُجَنَّ ، ثم شد بصدار آخر ، فلما بعث بعيره انقطع ، فنهته عن الخروج ، فلم ينته وشد بصدار آخر ، وركب فرجع عنه نفر من قومه ومضى حتى بَيَّتَ زيادة ، فلما غشوه جعل يرتجز ويقول :

مِنْ أَيْنَ جَاءَتْ عَامِرُ الْقُبُوحِ   لَا مَرْحَبًا بِأَمَةِ المسيح
لَنْ تَقْبَلُوا الْعَقْلَ مَعَ الْفُضُوحِ   وَلَنْ تُبِيحُوا الْحَيَّ فِي سَرِيحِ
* حَتَّى تَذُوقُوا خَدَبَ الصَّفِيحِ *

الخدب : الضرب الشديد ، ضَرْبة خدباء ، ورجل أخدب ، إذا كان فيه هوج ، وجعل نَفَّاع أخوه يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمَتْ أَنِّى إِلَى الدَّاعِى عَجِلْ   أَحوس دُونَ الدَّارِ بِالرُّمْحِ الْخَطِلْ
لَا عَاجِلٌ طِعَانُه وَلَا فَشِلْ   وَالْمَشْرَفِيِّ ذِى الْمُتُونِ الْمُعْتَدِلْ
* لَا بَاسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلْ *

وجعل هدبة يرتجز ويقول:

إِنِّى إِذَا اسْتَخْفَى الْجَبَانُ بِالْخدر   وَكَانَ بِالْكَفِّ شِهَابٌ كَالشَّرَرْ

الخدر : المكان المظلم الغامض ، وسمى يوم الغيم اليوم الخدر

صَدْقُ الْقَنَاةِ غَيْرُ شَعْشَاعِ الْعُذَرْ   حَمَّالُ مَا حُمِّلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّْ

---

(١) فى نسخة بن « صدار بعيرهما »

وهى طويلة

ثم التقى هدبة ونَمَّاع فضرب هدبة نفاعا فأَطَنَّ داغضة رجله التى زعم أنه وطىء بها على ركب ريحانة أم هدبة ، والداغضة : العضلة ، فاعتمد على رمح ، وجعل يذبب بسيفه عن نفسه ، وقيل : بل كان زيادة قَاوَلَ فتى من رهط هدبة فقال له زيادة : أتكلمنى وقد وضعت رجلى على ركب أمك ؟ فنذر الفتى قطع رجله ، فلما أحس بهدبة وأصحابه ليلةَ البيات كَمَنَ فى بيت زيادة تحت الكماء وخرج زيادة فضربه فأطنّ رجله ، فاعتمد على رمح ، وجعل يذبّب بسيفه عن نفسه حتى غشيه هدبة فصرعه ، فزعموا أن زيادة جدع أنف هدبة فى تذبيبه ، وقيل : بل عانق هدبة فعضه فاستأصل أنفه ، وضربه القوم حتى ظنوا أنهم قد أجهزوا عليه ، ثم أتوا منزل أَدْرَع أخى زيادة فصوّتوا به ، فخرج عليهم فحاضرهم فلما أحضروا فى أثره قالت لهم امرأته : ماتريدون من رُوَيْعِيناً قبحكم الله ، هاموا يخرج أدرع ، فلما رجعوا إليها قالوا لها : أين هو ؟ قالت : لاأدرع لكم عندى ، هو الذى مضى بين أيديكم ولكنى أردت لأنفس عنه ، وفى ذلك يقول هدبة :

وَكَانَتْ شفاء النفس مِمَّا أَصَابَها غَدَاتَئِذٍ لَوْ نِلْتُ بِالسَّيْفِ أَدْرَعَا
وَأُقْسِمُ لَوْ أَدْرَكْتُهُ لَكَسَوْتُهُ حُسَامًا إِذَا مَا خَالَطَ الْعَظْمَ أَسْرَعَا

وانصرف هدبة وأصحابه ولا يعلم بأنه جدع ، فاستقبل نقبا : أى طريقا ، وهبت الريح فأصابت أنفه فلمسه فاذا هو أجدع ، فقال : يا بنى عامر ، جُدِعْتُ ، ورجع إلى زيادة فوجده صريعا بين النساء يبكين عليه ، فقلن له : يافتى بنى الحرث ، ننشدك الله فى شيخ بنى الحرث ، فاحتز أنفه ورجع إلى أصحابه ، فقالوا : ظَفِرَتْ يداك إنما هو جَدْع بجدع ، فكر عليه ومعه رجلان غَوِيَّانِ ، فلما رأته النسوة قلن : ياسيد بنى الحرث ، مالهذا كانت ترجوك نساء بنى الحرث ، فضرب عاتقه بالسيف حتى خرجت الرئة من بين كتفيه ، فانصرف إلى أهله فأخبرهم ،

وشبت الحرْبُ بين الحيين ، ورأى كل واحـد منهما عن صاحبه ، واستعدى أصحاب زيادة سعيد بن العاصى ، وهو عامل يومئذ على المدينة ، فأخذ أبا نمير عَمَّ هدبة ورجلين معه ، فحبسهم فى السجن ، ثم إن هدبة أعطى بيده وأراد أن يخلى عن عمه وصاحبيه ، فلطخوه بدعوى من جراحات وترويع النساء ، فأمر بهدبة إلى الحبس ، فقال :

أَلاَ نَعَقَ الْغُرَابُ عَلَيْكَ ظُهْراً أَلاَ فِي فِيكَ مِنْ ذَاكَ التُّرَابُ
يُخَبِّرُنَا الْغُرَابُ بِأَنْ سَتَنْأَى حَبَائِبُنَا ؛ فَقَدْتُكَ يَاغُرَابُ

ثم رفع سعيد إلى معاوية ، و بعث معهم بهدبة ، فوفد إلى معاوية وَفْدُ بنى رَقَاش فيهم عبد الرحمن بن زيد ، ووفد بنى عامر وفيهم أبو جَبْر ، فشكا عبد الرحمن قتل أخيه وتَرْوِيعَ نسائه و تكلم أبو جبر بكلام كأنه يرد عليه ، فقال لهدبة : أخبرنى خبرك ، فقال : ياأمير المؤمنين ، إن شئت بشعر و إن شئت قصصت عليك ، قال : أنشدنى فعسى أن أستغنى عن قصصك بشعرك ، فقال هدبة :

* أَلاَ يَالَقَوْمِى لِلنَّوَائِبِ وَالدَّهْرِ *

وهى طويلة ، حتى انتهى إلى قوله :

رمينا فَرَامَيْنَا فَصَادَفَ رَمْيُنَا مَنِيَّةَ نَفْسٍ فِى كِتَابٍ وَفِى قَدْرِ
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَالَنَا وَرَاءَكَ مِنْ مَعْدًى وَلاَعَنْكَ مِنْ قَصْرِ
فَإِنْ يَكُ فِى أَمْوَالِنَا لاَنَضِقْ بِهَا ذِرَاعاً وَإِنْ صَبْرٌ فَنَصْبِرُ لِلصَّبْرِ

فقال معاوية : أسمعك تعترف بدم صاحبهم ؟ فلم يتعدّ هدبة وكرهها أبو جبر ، فقال معاوية : هل لزيادة ولد ؟ قال : نعم ، غلام صغير ، فقال : لاأجعل الْقَوَدَ إليك ياعبد الرحمن لأنك لاتكره أن تقتل عدوّك ولا تبالى أن لا يأخذ الدَّرَّ غيرك ، ولكن ذلك إلى ابن زيادة إذا احتلم ، فان شاء قتل و إن شاء أخذ العقل ، ثم كتب إلى سعيد فضمن هـدبة السجن وتربَّصَ بلوغ المسور بن

زيادة ، فقال هدبة فى السجن أشعارا كثيرة منها ماروى عنه ومنها ماذهب ، فمكث هدبة فى السجن ماشاء الله أن يمكث ، حتى أدرك المسور بن زيادة ، وذلك خمس سنين أوست سنين ، وجعل عبد الرحمن بن زيد يقدم المدينة فيكلمه القرشيون وغيرهم ، وكان أهل المدينة رقوا لهدبة لوفائه وشعره وأنه أول مصبور رأوه فى المدينة بعد زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأضعفوا له الدية حتى بلغت عشرا : حَمَلَ الحسينُ بن على بن أبى طالب عليهما السلام دية ، وسعيد بن العاص دية ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب دية ، وعمرو بن عثمان بن عفان دية ، وعبد الله بن جعفر دية ، وجعل يردد عليهم الإباء ، فلما أكثروا عليه أنشأ يقول :

يُعَزِّى عَنْ زِيَادَةَ كُلُّ صَاحٍ ... خَلِيّ لاَ تَؤُوبُهُ الْهُمُومُ

وَكَيْفَ تَجَلُّدُ الْأَدْنَيْنَ عَنْهُ ... وَلَمْ يُقْتَلْ بِهِ الثَّأْرُ الْمُنِيمُ

فَلَوْ كُنْتُ الْقَتِيلَ وَكَانَ حَيًّا ... تَجَرَّدَ لاَ أَلَفُّ وَلاَ سَؤُومُ

وَلاَ جَثَّامَةٌ فِي الرَّحْلِ مِثْلِي ... وَلاَ ضَرِعٌ إِذَا أَمْسَى نَؤُومُ

غَشُومٌ حِينَ يُبْصِرُ مُسْتَقَادًا ... وَخَيْرُ الطَّالِبِي الْوَتْرِ الْغَشُومُ

فأُنشدت هدبة ، فقال : إن فيه لمطمعا فعودوا ، فعادوا ، فقال حين عادوا إليه :

بِاسْتِ امْرِئٍ وَاسْتِ الَّتِي زَحَرَتْ بِهِ ... إِذَا سَاقَ مَالًا مِنْ أَخٍ هُوَ ثَائِرُهْ

فَأُقْسِمُ لاَ أَنْسَى زِيَادَةَ مَرَّةً ... مِنَ الدَّهْرِ إِلاَّ رَيْثَمَا أَنَا ذَاكِرُهْ

وَكَانَ ابْنَ أُمِّي لَمْ يُعَيَّرْ بِسَوْأَةٍ ... وَلَا دَنَسٍ جَرَّبْتُ فِيمَا أُعَاشِرُهْ

وَإِنِّي وَإِنْ ظَنَّ الرِّجَالُ ظُنُونَهُمْ ... عَلَى صِيرِ أَمْرٍ لَمْ تَخَالَجْ مَصَادِرُهْ

وقال عبد الرحمن أيضا ، وهى من الحماسة :

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَنَهْنَهْتُ عَبْرَةً ... مِنَ الدَّمْعِ مَا كَادَتْ عَنِ النَّحْرِ تَنْجَلِي

أَبَعْدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رَهِينَةَ رَمْسٍ ذِي تُرَابٍ وَجَنْدَلِ

الأبيات . فلما سمع هدبة هذه الأبيات قال : والله لا يقبل عقلا أبدا فدعوه جُزيتم خيرا ، فمات عبد الرحمن فى تلك السنين قبل احتلام مسور بن زيادة ، فلما احتلم المسور خرج به فى تلك الليلة إلى المدينة ، فبعث إلى هدبة إخوانه من من قريش بكَفَنٍ وحنوط ، ثم بعث إليه فأخرج فى سلطان الوليد بن عتبة بن أبى سفيان ، فقال هدبة :

أَلاَ عَلِّلاَنِى قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ ... وَقَبْلَ اطِّلاَعِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
وَقَبْلَ غَدٍ يَالَهْفَ نَفْسِى عَلَى غَدٍ ... إِذَا رَاحَ أَصْحَابِى وَلَسْتُ بِرَائِحِ
إِذَا رَاحَ أَصْحَابِى تَفِيضُ عُيُونُهُمْ ... وَغُودِرْتُ فِى لَحْدٍ عَلَىَّ صَفَائِحِى
يَقُولُونَ : هَلْ أَصْلَحْتُمُ لأَخِيكُمُ ؟ ... وَمَا الْقَبْرُ فِى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ بِصَالِحِ

وقال لما خرج إلى القوم :

أَذَا الْعَرْشِ إِنِّى مُسْلِمٌ بِكَ عَائِذٌ ... مِنَ النَّارِ ذُو بَثٍّ إِلَيْكَ فَقِيرُ
بَغِيضٌ إِلَىَّ الظُّلْمُ مَالَمْ أُصَبْ بِهِ ... مِنَ الظُّلْمِ مَشْعُوفُ الْفُؤَادِ نَفِيرُ
وَإِنِّى وَإِنْ قَالُوا أَمِيرٌ وَتَابِعٌ ... وَحُرَّاسُ أَبْوَابٍ لَهُنَّ صَرِيرُ
لَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ : إِنْ تَدِنْ ... فَرَبٌّ ، وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ غَفُورُ

فلما خرج به صاحب الشرطة لقيه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى فقال له : أنشدنى ياهدبة ، فقال : أعلى هذه الحال ؟ قال : نعم ، فأنشده :

لَسْتُ بِمِفْرَاحٍ إِذَا الدَّهْرُ سَرَّنِى ... وَلاَ جَازِعٍ مِنْ صَرْفِهِ الْمُتَقَلِّبِ
وَلاَ أَتَمَنَّى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِى ... وَلٰكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ
وَحَرَّبَنِى مَوْلاَىَ حَتَّى غَشِيتُهُ ... مَتَى مَايُحَرِّبْكَ ابْنُ عَمِّكَ تَحْرَبِ

فلما فارقه جعل ينتحب ، فقالوا : ماشأنك ؟ فقال : لا آتى الموت إلا شداء فلما جاء المكان وبرك للقتل قامت امرأة زيادة أم المسور ، فقالت : أتذكر لَيْلَةَ لَيْلَةَ إن كان الله ليطالبك بها ، وهى محتجزة ، فسَلّت السيف ثم قالت

١٦١ — وقال عَمْرو بن كُلْثوم التَّغلبي (١) :

مَعَاذَ الإلٰهِ أَنْ تَنُوحَ نِسَاؤُنَا ... عَلَى هالكٍ أو أنْ نَضِجَّ مِنَ القَتْلِ (٢)

قِرَاعُ السُّيُوفِ بِالسُّيُوفِ أَحَلَّنَا ... بِأَرْضٍ بَرَاحٍ ذِى أَرَاكٍ وَذِى أَثْلِ (٣)

لابنها : اضرب بأبى أنت وأمى ، فضربه ضربة فأبانت رأسه ، ووثب رهط هدبة فنحوه عنه حتى دفن (١)

(١) كلثوم : علم مرتجل غير منقول ، وهو من الكلثمة . وهى غلظ الوجه وامتلاؤه ، ومنه سميت المرأة كلثم ، قال :

خَلِيلَىَّ مِنْ سَعْدٍ أَلِمَّا فَسَلِّمَا ... عَلَى كَلْثَمٍ : لَا يُبْعِدُ اللهُ كَلْثَمَا

وسميت المرأة كلثم كما سميت جهمة

(٢) الأول من الطويل ، مطلق مجرد موصول ، والقافية متواتر

معاذ الإله : من المصادر التى لا تكون إلا منصوبة ؛ لأنها وضعت موضعا واحدا من الإضافة على ماترى فلا يتصرف . والعياذ فى معناه ومن أصله ، وهو يتصرف مرفوعا ومنصوبا ومجرورا وبالألف واللام ، وانتصب «معاذ الإله» على إضمار فعل ترك إظهاره ، ويقولون : عائذا بالله من شرها ؛ فيجرى مجرى « عياذا بالله » كأنه قال : أعوذ بالله عائذا وعياذا ، يصف شدة صبرهم فى المصائب

(٣) المقارعة : مضاربة القوم فى الحرب ، وكل شىء ضربته بشىء فقد قرعته ، وهذا على حذف المضاف ، كأنه قال : قراع أصحاب السيوف بالسيوف ، والأصل فى البراح الأرض التى لا بناء فيها ولا عمران ، وجعل البراح بدلا من قوله بأرض ، فلذلك قال « ذى أراك » ولم يقل ذات أراك ؛ والأثل والأراك ينبتان فى السهل أكثر ؛ فوكّد بذكرهما أنهم غير متمنعين بهضاب وجبال

(١) انظر هذه القصة وأشعارها فى الخزانة (٤ - ٨٤ بولاق) وفى الشعراء (٤٣٤ أوربة)

فَمَا أَبْقَت الْأَيَّامُ مِلْمَالِ عِنْدَنَا ... سِوَى جِذْمِ أَذْوَادٍ مُحَذَّفَةِ النَّسْلِ (١)

ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ : فَأَثْمَانُ خَيْلِنَا ، ... وَأَقْوَاتُنَا، وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْقَتْلِ (٢)

١٦٢ — وقال الْمُثَلَّمُ بن عمرو التنوخى (٣) :

إِنِّى أَبَى اللهُ أَنْ أَمُوتَ وَفِى ... صَدْرِىَ هَمٌّ كَأَنَّهُ جَبَلُ (٤)

---

(١) أراد بالأيام الوقعات و « ملمال » أراد من المال ، فجعل الحذف بدلا من الإدغام لما التقى بالنون واللام حرفان يتقاربان بان الأول متحرك والثانى ساكن سكونا لازما ، والمعنى ما بَقَّى تأثير الحوادث من الأموال إلا بقايا أذواد ، والجذم : الأصل ، والأذواد : جمع ذَوْد ، والذود : جمع يقع على مادون العشرة ؛ وأكثر أهل اللغة يقول : إنما يقع على الإناث دون الذكور ؛ وبعضهم يجوز وقوعها على الذكور أيضا ، وما فى البيت يشهد للأول ، والمحذَّفة : المقطوعة ، وقيل : إنما قيل للابل ذود لأنها تُذَاد أو يذاد عنها

(٢) « ثلاثة أثلاث » يرتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وما بعدها تفسير لها وتفصيل ، كأنه قال : أموالنا ثلاثة أثلاث : ثلث نشترى به الخيل ، وثلث نشترى به أقواتنا ، وثلث نعطيه فى الديات ، وقوله « وما نسوق إلى القتل » كقول الآخر :

* نَأْسُو بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا *

(٣) تنوخ : هم أولاد تيم الله بن أسد بن وَبْرة ، وهى اسم قبيلة ؛ يجوز أن يكون فَعُولا من تَنَخَ بالمكان : أى أقام به ، ويجوز أن يكون تَفَعُّل من الاناخة ، فأما التَّنُوفة ففَعُولة لاغير ، ألا تراهم قالوا فى تكسيرها تنائف بالهمز ، ولو كانت تفعل لقالوا تناوف ، ولكان يجب [فى] تنوفة أن تصح أيضا فيقال تَنْوفة كما صحت تَدْوِرة للفرق بين الاسم والفعل

(٤) الأول من المنسرح ، مطلق مجرّد موصول ، والقافية متراكب

يَمْنَعُنِى لَذَّةَ الشَّرَابِ وَإِنْ كانَ قِطَاباً كَأَنَّهُ الْعَسَلُ (١)
حَتَّى أَرَى فَارِسَ الصَّمُوتِ عَلَى أَكْسَاءِ خَيْلٍ كَأَنَّهَا الْإِبلُ (٢)

أراد بالهم دما يطلبه أوحقدا ينقضه ، وكأن هذا الكلام إيذان بأنه مجتهد فى الطلب ، والواو من قوله « وفى صدرى » واو الحال ، وموضع « كأنه جبل » صفة للهم ؛ والهم يجوز أن يكون مصدر هَمَمْت بالشىء ويجوز أن يكون واحد الهموم ، وقال أبو هلال : يقول : أمضيت همومى كلها ، وبلغت مرادى فيها ، وأبى الله أن أموت ولى هم لم أُمضه .

(١) « يمنعنى لذة الشراب » من صفة الهم أيضاً : أى تَصُدُّنِى تلك الهموم عن التلذذ بالشراب ، وقوله « قِطَابًا » أى يقطب ، والقطب : الْمَزْج ، ويروى « وإن كان رُضَابًا » وهو الريق ، وإنما قال ذلك لأن واحداً منهم إذا أصيب بوتر كان يعقد على نفسه نذراً فى مجانبه بعض اللذات .

(٢) « الصَّموت » يجوز أن يكون اسم فرس ، أو اسم حَىٍّ من العرب ، وقد استعملوا الصموت فى صفة الدرع ، واشتقاق ذلك كله من « صَمَتَ » إذا سكت ، والأكساء : المآخير ، واحدها كَسْءٌ ، و «حتى» إن شئت تتعلق بإِبى أبى الله ، وإن شئت بيمنعنى ، والتقدير فى الوجهين يأبى الله موتى حتى أرى هذا الأمر ، أو يمنعنى الهم الالتذاذ بالشراب حتى أراه وأشاهده ، والوجه أن يعنى بالصَّمُوت اسم فرسه ، وبفارسه نفسه ، وقال أبو هلال : الصَّمُوت فرس ، تمنى أن يلقى فارسه ، وشبه الخيل بالإبل لعظمها وطولها ، وذلك مستحب فى الخيل ، ويروى «كأنها أُبُلٌ» بضم الهمزة والباء ، وهى جمع أبيل ، والأبيل: العصا ، والخيل تشبه بالعِصِىِّ فى ضمرها وصلابة لحمها ، قال امْرُؤ القيس : * كَأَنَّهَا هِرَاوَةُ منوال *(١)

(١) هذه قطعة من بيت فى لامية لامرىء القيس ، وهو بتمامه :

بِعِجْلِزَةٍ قَدْ أَتْرَزَ الْجَرْىُ لَحْمَهَا كُمَيْتٍ كَأَنَّهَا هِرَاوَةُ مِنْوَالِ

لاَ تَحْسَبَنِّي مُحَجَّلاً سَبِطَ السَّاقَيْنِ أَبْكِي أَنْ يَظْلَعَ الْجَمَلُ[١]
إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ تَنُوخَ نَاصِرُهُ مُحْتَمِلٌ فِي الْحُرُوبِ مَا احْتَمَلُوا[٢]

١٦٣ — وقال عبد الله بن سَبْرَةَ الْحَرَشِيُّ[٣]

إِذَا شَالَتِ الْجَوْزَاءُ وَالنَّجْمُ طَالِعٌ فَكُلُّ مَخَاضَاتِ الْفُرَاتِ مَعَابِرُ[٤]

---

(١) يجوز أن يعنى بالْمُحَجَّل امرأة تألف الحجال ، أو تلبس الأحْجَال ، وهى الخلاخيل ، والسَّبِط : ضد الجَعْد ، والجعد من الناس : يراد به الضخم المجتمع ، ولا يمتنع أن يعنى بالمحجل رجُلاً عليه حجل : أى قيد ، يريد أنى لست كالمقيد أجزع إذا نزلَتْ بى نكبة وإن كانت هينة ؛ لأن ظلع الجمل خطبٌ سهل ، وقوله « أبكى أن يظلع الجمل » صرف الكلام إلى الإخبار عن نفسه ، ولو قال « يبكى أن يظلع الجمل » لكان الكلام أحسن فى قران النظم ، وقال أبو هلال : « مُحَجَّلاً » أى صاحب الحجال ، وهو الخدر : أى لا تحسبنى لزوماً للنساء ، و « سبط الساقين » أى رخو الساقين ، يقول : إنى ذو تشمير ، وقوله « أبكى أن يظلع الجمل » أى : لست بمُكَارٍ يبكى إذا ظلع جمله ، ويجوز أن يكون المراد إنى قادر على المشى فلا أبالى بظلع راحلتى .

(٢) أى : أنتسب إلى تنوخ ، وأهْوَى هواها ، و « ناصره » نكرة لأن إضافته إضافة تخصيص لا إضافة تعريف ، والتنوين منوى فيه ، أراد ناصرٌ له ، وقوله « ما احتملوا » أراد ما احتملوه ، فحذف المفعول لطول الصلة ، قال أبو هلال : ويروى « ناصرهم » أى ناصر لهم ، قال : وهذا الشعر فى أشعار هذيل لِلْبُرَيْقِ ابن عياض الهذلى ، وقال « إنى امرؤ من هُذَيْل » .

(٣) الْحَرَشِيُّ : منسوب إلى حَرَشَ موضع باليمن

(٤) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ، والقافية متدارك .

وَإِنِّى إِذَا ضَنَّ الْأَمِيرُ بِإِذْنِهِ عَلَى الْإِذْنِ مِنْ نَفْسِى إِذَا شِئْتُ قَادِرُ(١)

شالت الجوزاء : ارتفعت ، وأراد بالنجم الثريا ، وقوله « طالع » أى طالع بالغداة ، فحذف الغداة ، والثريا أصلها من الثَّرْوَة ، وهى الكثرة فى العدد ، والمخاضات : المعابر ، واحدتها مخاضة ، وإنما ذَكَرَ الثُّرَيَّا مع الجوزاء لأنهما إذا طلعتا فذلك حين يشتد الحر ، قال أبو زُبَيْد :

أَىُّ سَاعٍ سَعَى لِيَقْطَعَ شِرْبِى حِينَ لَاحَتْ لِلصَّابِحِ الْجَوْزَاءُ

وَنَفَى الْجُنْدُبُ الْحَصَا بِكُرَاعَيْــــهِ وَأَذْكَتْ نِيرَانَهَا الْمَعْزَاءُ

يقول : إذا شالت الجوزاء وطلعت الثريا واشتد الحر فقلَّ ماء الفرات وأمكن أن يُخَاض فيه فكل مخاضاته مَعَابِرُ يُعْبَرُ فيها إلى العدو .

(١) أى : إن لم يؤذن له فى القفول قَفَلَ هو من غير إذن .

قال أبو رياش : كان عبدُ الله بن سَبْرَةَ هذا أَحَدَ فُتَّاكِ العرب فى الإسلام وكان رجُلٌ من الروم يقال له سَعْد الطَّلَائِع يأتى صاحب الصَّوَائف ، والصوائف : جمع صائفة ، وهى الْغَزَاة فى الصيف ، وكانوا فى صدر الإسلام يقولون : وَلِىَ فلانٌ الصائفة ، إذا كان أمير الجيش الذى يغزو الصائفة ؛ فيقول سعد لصاحب الصوائف : ابعث معى جنداً أَدُلُّهُمْ على عَوْرَات الروم ، فيتوغَّل بهم ، وقد جعل لهم كمينا من الروم ؛ فَيَقْتَتِلُون ، فأكثر ، فقال يوماً لصاحب الصائفة : ابعث معى رجلا من أصحابك فانى قد عَرَفْتُ غِرَّةً لهم ، فانتدب عبدُ الله بن سَبْرَةَ ومضى معه حتى انتهى إلى غَيْضَةٍ ، فقال لعبد الله : ادخل ، فقال له عبد الله : أنا الدليل أم أنت ؟ فأبى ، وعرف عبد الله ما أراد ، فقتله ، وخرج عليه بَطْرِيق من بَطَارِقتهم ، فاختلف هو وعبد الله ضَرْبَتَيْنِ فضربه عبد الله فقتله ، وضربه الرومى فقطع إصبعين له ، ورجع ، فسئل عن سعد ، فقال :

وَمُسْتَخْبِرٍ عَنْ حَالِ سَعْدٍ وَلَمْ أَكُنْ لآخُذَ شَيْئًا فِى الْحَوَادِثِ عَنْ سَعْدِ
وَعَهْدِى بِسَعْدٍ وَسْطَ شَجْرَاءَ جَمَّةٍ وَمَالِى بِسَعْدٍ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَهْدِ

وقال فى أصبعيه قصيدة منها :

وَيْلُ امِّ جَارٍ غَدَاةَ الْجِسْرِ فَارَقَنِى أَعْزِزْ عَلَىَّ بِهِ إِذْ بَانَ وَانْقَطَعَا
فَمَا أَسِيتُ عَلَيْهَا أَنْ أُصَاحِبَهَا لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَى أَنْ لا تَفُوتَ مَعَا
وَقَائِلٍ كَانَ مِنْ شَأْنِى بِمَجْهَلَةٍ هَلاَّ اتَّقَيْتَ عَدُوَّ اللهِ إِذْ صُرِعَا
وَكَيْفَ أَتْرُكُهُ يَمْشِى بِمُنْصُلِهِ صَلْتاً وَأَنْكُلُ عَنْهُ بَعْدَمَا وَقَعَا
مَا كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ مِنْ خُلُقِي وَلَوْ تَقَارَبَ مِنِّى الْمَوْتُ فَاكْتَنَعَا
وَيْلُ أُمِّهِ كَافِراً وَلَّتْ كَتِيبَتُهُ جَانٍ وَقَدْ ضَيَّعُوا الْأَحْسَابَ فَارْتَجَعَا
يَمْشِي إِلَى مُسْتَمِيتٍ مِثْلِهِ بَطَلٍ حَتَّى إِذَا أَمْكَنَا سَيْفَيْهِمَا امْتَنَعَا
كُلٌّ يَنُوءُ بِمَاضِى الْحَدِّ ذِى شُطَبٍ عَضْبٍ جَلاَ الْقَيْنُ عَنْ ذَرِّيِّهِ الطَّبَعَا
حَاسَيْتُهُ الْمَوْتَ حَتَّى اشْتَفَّ آخِرَهُ فَمَا اسْتَكَانَ لَهُ شَكْوَى وَلاَ جَزَعَا

اشتف : شرب الشفافة وهى آخر قطرة تبقى فى الإناء ، ومنه « شَرُّ الشُّرْب الاشْتِفَافُ وَشَرُّ الأَكْلِ الاقْتِفَافُ » والاقتفاف : أن يأكل حتى لا يبقى منه شيئا

بِنَانَتَيْنِ وَجِذْمُوراً أُقِيمُ بِهِ صَدْرَ الْقَنَاةِ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا

قوله « ويل أم جارٍ » بعضُ الناس يضم لام « ويل أم » وبعضهم يكسرها فالذين ضموها نَحَوْا بها نحو الضمة التى فى أوّل أم ، والذين كسروا جعلوا اللام على أصلها ، فإن كان هذا اللفظ « وىْ » على معنى التعجب ثم جاؤا باللام فالذين ضموا كأنهم قالوا فى أول الأمر لأمه فضموا اللام كراهة أن يخرجوا من كسر إلى ضم ، والذين كسروا اللام لم يحدثوا إلا وصلَ ألف القطع ، وهذا التأويل أوجه من تأويل من يزعم أن « ويل أمه » من الويل ؛ لأنه إذا كان كذلك

وجب أن تكون اللام مفتوحة لأن مذهب العرب فى « وَيْل » إذا أضافوه أن ينصبوا اللام فيقولون « وَيْلَ فلان » ونصبه على مذهب المصدر ، وأجاز قوم أن يكون نصبه على إضمار فعل ، وقوله

* لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَى أَنْ لاَ تَفُوتَ مَعاَ *

عند بعض النحويين أن « معاً » فى هذا الموضع تنتصب على الظرف كما كانت منتصبة عليه فى قولهم « معهم » وإنما مضت الإضافة و بقيت علة النصب على ما كان عليه ، كما تقول : قمت خَلْفَهُ ، ثم تقول : قمت خَلْفاً ؛ إلا أن قولهم « معاً » كلمة نقلت من شىء إلى شىء وقال قوم : تنصب « معاً » على معنى الحال ؛ لأنها نقلت من ذلك الموضع ، وصار معناها إذا قيل « جاء القوم مَعاً » جميعا ، وقوله « يمشى إلى مستميت » المستميت : الذى يطلب الموت ، كما تقول : استبان الرجلُ الأمر ، واستغاثَ زيدا ، واستغاثه : أى طلب غياثه ومَعُونته ، وقوله :

* بنَا نَتَيْنِ وَجُذْمُوراً أُقِيمُ بِهِ *

جذمور السَّعَفة : أصلها ، شبه يَدَه به ، ومنه قول الحجاج لعلى بن أصمع ، وكان علىّ بن أبى طالب عليه السلام قطعه فى سرقة فقطع أصابعه من أصولها ، فجاء إلى الحجاج وقال : إن أهلى عَقّونى ، قال : بماذا ؟ قال : بتسميتهم إياى عليا ، فاقْلِب اسمى ، فقال : قد سميتك سعيدا ، ووليتك البارجاه ، وأجريت عليك كل يوم دانِقَيْن وطَسُّوجا ، وأقسم بالله لئن زدت عليه شيئا لأقْطَعَنَّ ما بَقَّى أبو تراب من جُذْمُورها ، وكان رجل يقال له فيْرُوز عَطَّار يبايع القَيْسِيَّات بأثناء الفرات ، فأتته قَيْسية فاشترت منه عِطْرًا وأكبت تَنَاوَلُ شيئا ، فضرب على أَلْيَتِها ، فقالت : ياعبد الله بن سَبْرة ولا عَبْدَ الله بالوادى ، فتغلغلت هذه الكلمة إليه وهو بقَالِي قَلَا ، فأقبل حتى أخذ فيروز فذبحه ، وقال :

إِنَّ الْمنَايَا لِفَيْرُوزٍ لمعرضة يَغْتَالُهُ الْبَحْرُ أَوْ يَغْتَالُهُ الْأَسَدُ

أَوْ عَقْرَبٌ أَوْ شَجًا فِى الْحَلْقِ مُعْتَرِضٌ ... أَوْ حَيَّةٌ فِى أَعَالِى رَأْسِهَا رُبَدُ
أَوْ مُضْمَرُ الْغَيْظِ لَمْ يَعْلَمْ بِإِحْنَتِهِ ... وَمَا يُجَمْجِمُ فِى حَيْزُومِهِ أَحَدُ

أصل الجَمْجَمَة فى الكلام ، يقال : جَمْجَمَ ؛ إذا لم يُبِن ، واستعير فى غير ذلك فقيل : تجمجم عن الأمر ؛ إذا لم يُقْدِم ، وقيل : كانت امرأة أرملة قيسية فى بعض مدائن الشام ، فتعرض لها بعض المتعزِّبة ، فجعل يخطبها فى العلانية ، ويُرَاوِدها عن نفسها فى السر ، فمر بها قوم فيهم ابن سَبْرَة فأرسلت إليهم خَادِمَةً لها تسألهم هل فيهم رجل من قيس ، قال ابن سبرة : نعم ؛ فما حاجتك ؟ قالت : أنا مولاةُ امرأةٍ من قيس ولها إليك حاجة ، فأتاها فأخبرته خبر الرجل ، فقال : ابعثى إليه حتى أكلمه ، فبعثت إليه ، فراح مهيئاً يرجو غير الذى لقى ، فدخل ، فضربه ابن سبرة بسيفه حتى قتله ، ثم حفر له فى بيتها قامة ، وقال لجاريتها : ادخلى فأخرجى التراب ، فلما دخلت الجارية الحُفْرَةَ ضربها فقتلها ، فصاحت المرأة ؛ فقال لها : اسكتى فانك إن أنذرت بنا هلكنا جميعا ، ولم يكن أمرك لينكتم مع هذه الجارية ، فقالت : والله ما كان لى على وجه الأرض غيرها ، فدفن أمرالجارية ثم أتى أصحابه وقد استبطؤه وساء ظنهم فيه ، فاستخبروه وسألوه ما أبطأ به ؛ فقال : دعونى من المسئلة وأخرجوا نفقاتكم إلى ، فأخرجوا ما معهم ، فجمع لها سبعين دينارا ثم أتى بها المرأة وقال : اشترى خادماً مكان خادمك ، وقال :

دَعَتْنِى وَمَا تَدْرِى عَلَامَ أُجِيبُهَا ... مُقَنَّعَةٌ عَنْهَا أَخُو الضَّيْمِ شَاسِعُ
لِأَدْفَعَ عَنْهَا صِئْبِلًا مُصْمَئِلَّةً ... وَفِى اللهِ وَابْنِ الْعَمِّ لِلضَّيْمِ دَافِعُ
فَلَمَّا أَمَتُّ الضَّيْمَ عَنْهَا تَبَادَرَتْ ... أَسًى ضُلِّلَتْ مِنْهَا هُنَاكَ الْمَدَامِعُ
بُكَاءً عَلَى مَمْلُوكَةٍ قُتِلَتْ لَهَا ... وَمَا قُتِلَتْ إِلَّا لِتَخْفَى الْوَدَائِعُ
وَقُلْتُ لَهَا : لَا تَجْزَعِى إِنَّ سِرَّنَا ... مَتَى مَا يَجُزْنَا لَا مَحَالَةَ شَائِعُ
أَرَحْتُكِ مِنْ خَوْفٍ وَذُو الْعَرْشِ مُخْلِفٌ ... وَفِى الصَّبْرِ أَجْرٌ حِينَ تَعْرُو الْفَجَائِعُ

١٦٤ – وقال الربيع بن زياد العبسي :

حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَيَّ الْبِـلَا　　دَ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَتْ أَجْذَمَا (١)

وَهٰذِي لَكُمْ سَبْعُونَ أَوْسًا مَكَانَهَا　　وَفِيهَا إِخَالُ خَادِمٌ لَكَ نَافِعُ

(الأَوْسُ: العِوَضُ، أبطل «إخال» ههنا لما تقدم حرف الخفض، ومثله:

أَبِالْأَرَاجِيزِ يَا ابْنَ اللُّؤْمِ تُوعِدُنِي　　وَفِي الْأَرَاجِيزِ خِلْتُ اللُّؤْمُ وَالْخَوَرُ)

فَبُعْداً لَهُ مَيْتاً وَلَا تَبْعَدُ الَّتِي　　بِهِ قُرِنَتْ فِي الْقَبْرِ مَا حُمَّ وَاقِعُ

إِذَا لَمْ يَزَعْ ذَا الْجَهْلِ حِلْمٌ وَلَا تُقًى　　فَفِي السَّيْفِ تَقْوِيمٌ لِذِي الْجَهْلِ وَازِعُ (١)

سَتَبْكِي عَلَيْهِ عِرْسُ سُوءٍ لَئِيمَةٌ　　بِهَا لَخَنٌ مِنْ بَاطِنِ اللَّيْثِ رَادِعُ

ويروى «أم سوء» واللخن مايركب وطب اللبن من الوسخ

عَلَى مُحْصَنٍ لَمْ يُغْنِهِ اللّٰهُ بِالْغِنَى　　وَلَمْ يَدْرِ مَا إِنِّي لِذِي الْعَرْشِ قَامِعُ

رَحَضْتُ بِهَا عَاراً وَكُنْتُ مَكَانَهُ　　وَمَا يَقْضِ لَا تُسْدَدْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ

«مكانه» أي : مكان من يرحض العار

أَقُولُ لِدُنْ فَكَّرْتُ عَقْبَ مُصَابِهِ　　إِلٰهِي تَجَاوَزْ إِنَّ عَفْوَكَ وَاسِعُ

وَإِنِّي أَخُو الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَإِنَّنِي　　إِلَيْكَ مِنَ الْخَوْفِ الْمُبَاغَتِ ضَالِعُ

لِيَ الْوَيْلُ إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ　　بِمَنِّكَ لِي عِنْدَ الشَّفَاعَةِ شَافِعُ

وَأُبْتُ إِلَى صَحْبِي وَقَدْ سَاءَ ظَنُّهُمْ　　وَكُلُّهُمُ بَاكٍ عَلَيَّ وَجَازِعُ

يَقُولُونَ مَاذُقْنَا مِنَ الْهَمِّ أَكْلَةً　　وَمَاذَاقَ مِنَّا بَعْدَكَ النَّوْمَ هَاجِعُ

فَقُلْتُ لَهُمْ رُوحُوا فَقَدْ كَانَ بَعْدَكُمْ　　لَنَا نَبَأٌ وَاللّٰهُ رَاءٍ وَسَامِعُ

فَلَا يُعْطِيَاً ضَيْماً فَتًى خَشْيَةَ الرَّدَى　　وَلَا يَطْمَعَنْ أَنْ يُعْجِزَ الْمَوْتَ طَامِعُ

(١) الثالث من المتقارب ، مطلق موصول مجرد ؛ والقافية متدارك

---

(١) كذا في نسخة بن ، وفي نسخة ب «وادع» بالدال المهملة ؛ وهو تحريف

جَنِيَّةُ حَرْبٍ جنَاهَا فَمَا ... تُفُرِّجَ عَنْهُ وَمَا أُسْلِمَا (١)
غَدَاةَ مَرَرْتَ بِآلِ الرِّبَا ... بِ تُعْجِلُ بالرَّكْضِ أَنْ تُلْجِمَا (٢)
فَكُنَّا فَوَارِسَ يَوْمِ الْهَرِ ... يرِ إِذْ مَالَ سَرْجُكَ فَاسْتَقْدَمَا (٣)
عَطَفْنَا وَرَاءَكَ أَفْرَاسَنَا ... وَقَدْ أَسْلَمَ الشَّفَتَانِ الْفَمَا (٤)

يقول : أَلْهَبَ قَيْسُ بن زهير البلادَ على ناراً ، فلما استعرت هَرَبَ وتركني ؛ والإِجْذَام : الاسراع ؛ وإنما قال هذا لأن قيسا ترك أرض العرب وانتقل إلى عُمَان بعد إثارة الفتن واهتياج الشر فى سبق دَاحِسٍ

(١) أى : ما تكشف عنه ولم يسلم لمن أراده من الأعداء : أى لم يخذل قيس ، وجَنِيَّة : خَصْلة جنَاها عليهم قيس بن زهير ، وتكون بمعنى الجناية أيضاً ، والمعنى إنه جَنَاها على قومه فأعانوه وثبتوا معه ولم ينكشفوا عنه ولم يسلموه لأعدائه ولكنهم منعوه .

(٢) « غداة مررت » ظرف لما دل عليه قوله « أجذما » أى هربت فى ذلك الوقت ، وَ« تُعْجَل » فى موضع الحال ، والمعنى اجْتَزْتَ بآل هذه المرأة مستعجلاً تركض الأعداء فى أثرك حتى لم تتسع لإلجام دابتك ولم تؤمن رَيْثَ إصلاح أمرك ، والرَّبَاب — بفتح الراء — اسم المرأة ، وبكسرها اسم القبيلة ، و « أن تلجم » فى موضع النصب من « تُعْجَل » وكان الواجب أن يقول تعجل بالركض عن أن تلجم فحذف الجار ووصل الفعل فعمل .

(٣) «مال سرجك» مثل لاضطراب الأمر وفشل الرأى ، ويقال «استقدم» بمعنى تقدم ، و « استأخر » بمعنى تأخر ، ويوم الهرير فى الجاهلية ، وليلة الهرير فى الإسلام ليلة من ليالى صفين .

(٤) أى : تعطفنا عليك فى ذلك الوقت ودافعنا دونك ، وذكر الفم كناية عن الأسنان ، ومثله :

إِذَا نَفَرَتْ مِنْ بَيَاضِ السُّيُو   فِ قُلْنَا لَهَا أَقْدِمِى مُقْدَمَا (١)

١٦٥ — وقال الشَّنْفَرَى الأَزْدِىُّ (٢) :

لاَ تَقْبُرُونِى إِنَّ قَبْرِى مُحَرَّمٌ   عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَبْشِرِى أُمَّ عَامِرِ (٣)

---

* إذ تقلص الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ *

والواو من قوله « وقد أسلم الشفتان » واو الحال : أى كلح فتجافت شفته عن فمه ، والمراد أنه بهل بأمره ودهش فانفتح فوه فلم يقدر على ضمه من الخوف أو من الجهد ، وهم يصفون الشجاع بالكلوح والطلاقة .

(١) ذكر القول ههنا كناية عن الفعل . وهذا كما يقال « قال برأسه كذا » إذا حركه ، و« قال بسوطه » إذا أشار إليه ، والمُقْدَم : الإقدام ، وحقيقة الكلام إذا نفَرَت قَدَّمْنَاها تقديما .

(٢) قال أبو العلاء : تكلم بعض الناس فى اشتقاق هذا الاسم ؛ فزعم قوم أنه يراد به الأسد ، وقيل : الجمل الكثير الشعر ، ويجب أن يكون من قولهم « فى رأسه شنفارة » إذا كان حادًّا ، فإن كانت النون فى الشنفرى زائدة فيجوز أن يكون من قولهم « أُذُنٌ شُفارِّيَة » إذا كانت كثيرة الشعر والوبر ، وقالوا « ضب شفارى » إذا كان طويلا ضخما ، وقالوا : شفَّر الرجل ، إذا أقل العطية ؛ وشَفَّرَ المال ، إذا قل ، قال الشاعر فى صفة النساء :

وَلِعَاتٌ بِهَاتِ هَاتِ ؛ وَإِنْ شَفَّرَ يَوْمًا سَأَلْنَ فِيهِ الْخِلاَعَا

وقال الْبَعِيث :

فان كُنْتَ تَبْغِى السحَّ فَالْتَمِسِ الْغِنَى   بِجَمْعِكَ لِلدُّنْيَا إِنِ الْمَالُ شَنْفَرَا

(٣) الثانى من الطويل ، مؤسس مطلق موصول ، والقافية متدارك .

فى قوله « ولكن أَبْشِرِى أم عامر » وجهان : أحدهما أبشرى أمَّ عامرٍ

بآكلى إذا تُرِكْت ولم أدفن؛ والثانى أتركونى للتى يقال لها أبشرى أم عامر، ويروى « خامرى » أى استترى وتوارى، وهذا فى أنه جملة جعل لقبا، وشرطها أن تحكى كتأبط شرًّا وما أشبهه، وإنما جُعِلت لقبًا لها لأن العادة فى اصطياد الضَّبُع أن يقصد وِجَارُهَا ويحفر وهى تتأخر قليلا قليلا، والصائد يقول: أم عامر ليست ههنا، أَبْشِرى أمَّ عامر بشاء هَزْلَى وجَرَادٍ عظلى، فلا يزال يحفر ويقول هذا الكلام والضبع تتأخر حتى تبلغ أقصى وِجارها فتخرج حينئذ منه بأغلظ عُنْف، فكأنه قال: لا تقبرونى إذا قُتِلت فقد حرم دفنى عليكم، ولكن الذى يقال له أم عامر وَلِىُّ أمرى دونكم، وحكى سيبويه عن الخليل فى قول الأخطل:

وَلَقَدْ أَبِيتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبِيتُ لَا حَرِمٌ وَلَا مَحْرُومُ

أنه أراد فأبيت الذى يقال له لا حرم، فحكى، ثم قال: ويقويه فى ذلك قوله:

عَلَى حِينَ أَنْ كَانَتْ عقيلٌ وَشَائِظًا وَكَانَتْ كِلَابٌ خَامِرِى أُمَّ عَامِرِ

فحكى ذلك الكلام، وكنى به عن الضبع، ويحتمل أن يكون البيت على كلامين، كأنهُ قال « لا تدفنونى » مخاطبا أصحابه، وليس يريد نهيهم عن ذلك، ولكن يريد كشف حاله لهم وبيان عاقبة أمره فيهم، ثم أقبل على الضبع فقال « أبشرى يا أم عامر بآكلى » وهذا يكون فى تحويل الكلام عن شىء إلى آخر، كقول الله عز وجل (يُوسُفُ أَعْرِضْ عن هذا، واستغفرى لذنبك) وقال أبو هلال: أراد أن مثلى فى كثرة ما نال من الناس ووترهم يصير مَصيره إلى أن يقتل ويطرح للسباع تأكله ولا يدفن؛ لأن العدو الفاحش العداوة يفعل ذلك به طلبا للتشفى منه، فلفظه لفظ النهى والمعنى إخبار، قال: وقال بعضهم: أراد أن شرفى أن أُقْتَلَ وتأكلنى السباع، وقيل: إذا قتل ولم يقبر كان أشد على قومه وأحضّ لهم على طلب الثأر، فكأنه مكر بهم، وقيل: يجوز أن يكون أراد أن يخالفوه فيقبروه بإيثارهم مخالفته، وكل هذا وجه، إلا أن الأول أقرب.

إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي
وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي (١)

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسُرُّنِي سَجِيسَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ (٢)

---

(١) « إذا » ظرف لقوله « لا تقبروني » ولما دل اللفظ والحال وقد جعل خبر المبتدأ الذى بعد لكن وهو قوله « أبشرى أم عامر بأكلي و بتولّي أمرى » ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله « أبشرى » فى القول الثانى ، وإنما قال « وفى الرأس أكثرى » لأن الحواس خمس فأربع منها فى الرأس : البصر للمرئيات ، والأذن للسمع ، والأنف للشم ، والفم للذّوق : قال أبو هلال : وقيل : إن الرأس يعرف مفردا عن الجسد ، ولا يعرف الجسد مفردا من الرأس ، قال : وليس هذا بشىء ، وقد اعترض بين المعطوف والمعطوف عليه ، وساغ ذلك لأنه يسدد ذلك المعنى المطلوب ويؤكده ، وقوله « وغودر عند الملتقى ثَمَّ سائرى » يروى بفتح الثاء فيكون ظرفاً وإشارة إلى المعركة ، ويروى « ثُمَّ » بضم الثاء ويكون حرف العطف عطف سائرى به على المضمر فى « غودر » ، والمعنى وغودر رأسُه ثم سائره حيث التقى القوم للتَّطارد ، والأولى أجود ، وإنما ضعفت هذه لأن عطف الظاهر على المضمر المرفوع ضعيف حتى يؤكد ، وتأكيده وغودر هو عند الملتقى ثُمَّ سائره ، ويجوز أن يكون سائره فى موضع النصب معطوفاً على رأسى كأنه احتملوا رأسه ثم سائره فيكون أقرب ؛ ويروى « إذا احتملت رأسى » .

(٢) « هنالك » إشارة إلى الوقت الذى يتناهى فيه الأمد ، وهو ظرف للأرجو ، والمعنى فى ذلك الوقت لا أطمع فى حياةٍ سارَّةٍ لى وأنا مخذول مُسْلَم بجرائرى فى القبائل لا يرى إلا شامت أو طالب للانتقام منى ، و« سجيسَ الليالى » امتداده وسلاسته فى الاتصال ، وهو اسم الفاعل من سَجَس ، وهو ظرف لقوله

« مُبْسَلاً بالجرائر » وانتصب « مُبْسَلاً » على الحال ، وقوله « لا أرجو حياة » يجوز أن يريد البعث بعد الموت ، ويحتمل أن يكون مقراً بالبعث لكنه لم يحمد عاقبته لكثرة جرائره ، فقال « لا أرجو حياة تسرنى » لم ينف الحياة أصلا ، وإنما نفى حياة تسر . والمُبْسَل : المُسْلَمُ .

ذكروا أن الشنفرى من الأَوَاس ابن الحِجْر بن الهَنْو [1] بن الأسد بن الغوث ابن نبت بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ ، وأن بنى شَبَابَة حيًّا من فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان أسَرُوا الشَّنْفَرى وهو غلام صغير ، فلم يزل فيهم ، ثم إن بنى سَلاَمَان بن مُفَرِّج بن عَوْف بن مَيْدَعان بن مالك بن الأسد أسروا رجلا من بنى شَبابَة من فَهْم ، ففدته بنو شَبابة بالشَّنْفَرَى ، فكان الشنفرى فى بنى سَلاَمان لا يحسبه إلا أحدهم حتى نازعته بنت الرجل الذى كان فى حجره ، وكان اتخذه ابنا ، فقال لها : اغْسِلِي رأسى يا أُخَيَّة ، فأنكرت أن يكون أخاها ، ولطمت وجهه . فذهب مُغَاضبا ، حتى قدم الرجل الذى اشتراه من فَهْم ، وكان غائبا ، فقال له الشنفرى : ممن أنا ؟ قال : من الأَوَاس بن الحِجْر . فقال : أما إنى لا أدعكم حتى أقتل منكم مائة رجل بما اعتبدتمونى ، فقام يقتلهم حتى قتل تسعة وتسعين رجلا ، وضرب الرجل الذى تمم به المائة جمجمة الشنفرى بعد موته فعقرت قدمه فمات منها ، وقال الشنفرى للجارية السَّلاَمِيَّة :

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِى وَالأَمَانِيُّ ضَلَّةٌ ... بِمَا ضَرَبَتْ كَفُّ الْفَتَاةِ هَجِينَهَا
وَلَوْ عَلِمَتْ جُعْسُوسُ أَنْسَابَ وَالِدِى ... وَوَالِدِهَا ظَلَّتْ تَقَاصَرُ دُونَهَا

قعسوس : لقب لها ، وجعسوس بلغة أزد شنوءة .

أَنَا ابْنُ خِيَارِ الْحِجْرِ بَيْتاً وَمَنْصِباً ... وَأُمِّى ابْنَةُ الأَحْرَارِ لَوْ تَعْرِفِينَهَا

فلم يزل يقتلهم حتى قعد له أُسَيدُ بن جابر السَّلاَمى وخازم الفُقْمِيّ بالناصف من أبيدة . وأبيدة : وادٍ . ومعهما ابن أخى أسيد بن جابر . وكان الشنفرى لا يرى

---

(١) كذا فى أصول الكتاب . ويقال الهنء (مثلثة) ويقال الهنىء (ككميت)

١٦٦ — وقال تأبَّطَ شرًّا (١) :

سواداً بالليل إلا رماه ، فمر ، فأبصر السواد فوقف . وقال : كأنك شيء ، ثم رمى فشكَّ ذراع ابن أخي أسيد بن جابر إلى عضده ، فلم يتكلم ، فقال الشنفرى : إن كنت شيئاً فقد أصبتك ، وإن لم تكن شيئاً فقد أمنتك ، وكان خازم باطحا : أي منبطحا بالطريق يرصده . فنادى أسيدُ بن جابر : ياخازم ، أصلِتْ ، أي سُلَّ سيفك ، فقال الشنفرى : إذا ماتضرب ، فأصلَتَ الشنفرى ، فقطع اثنتين من أصابع خازم ، وضبطه خازم حتى لحقه أسيد وابن أخيه ، فجبذوه وأخذوا سلاحه ، وصَرَعَ الشنفرى خازما . فضبطه ابن أخي أسيد ، وأخذ أسيد رجل ابن أخيه . فقال : رِجْلُ مَنْ هذه ؟ فقال الشنفرى : رجلي ، فقال ابن أخي أسيد : هي رجلي ، فأرسلها ، وأخذوا الشنفرى ، فأدوه إلى أهلهم ، فقالوا له : أنشدنا ، فقال : إنما النشيد على المَسَرَّة ، فأرسلها مثلا ، ثم رَمَوْه في عينه . وقال له السلامي : أطْرِفُكَ ، فقال الشنفرى : كذاكَ نفعل ، يريد كذلك ، وكان الشنفرى إذا أبصر رجلا من بني سَلاَمان قال : أطْرِفُكَ ، ثم يرميه في عينه ، ثم ضربوا يده فتبعرصت : أي اضطربت ، فقال الشنفرى (١) :

لاتَبْعَدِي إمَّا ذَهَبْتِ شَامَهْ   فَرُبَّ وَادٍ نَفَّرَتْ حَمَامَهْ
وَرُبَّ خَرْقٍ قَطَعَتْ قَتَامَهْ   وَرُبَّ قَرْنٍ فَصَلَتْ عِظَامَهْ

ثم قالوا له : أين نقبرك ؟ فقال :

* لاتقبروني إن قبري محرم * الأبيات

(١) وهو ثابت بن جابر ، وهو من فَهْم ، وَفَهْم وعَـدْوان أخوان وكان خطب امرأةً من عَبْسٍ من بني قارب ، فأرادت نكاحه ، فوعدته ، فلما جاءها وَجَدَها قد نزعت ، فقال لها : ما غَيَّرَك ؟ فقالت : والله إن الحسب لكريم ، ولكن

(١) أنظر الديوان (ص ٤٠)

وَقالُوا لَها لاَ تَنْكِحِيهِ فَإِنَّهُ لِأَوَّلِ نَصْلٍ أَنْ يُلاَقِى مَجْمَعَا (١)
فَلَمْ تَرَ مِنْ رَأْىٍ فَتِيلاً وَحَاذَرَتْ تَأَيُّمَهَا مِنْ لاَبِسِ اللَّيْلِ أَرْوَعَا (٢)

قومي قالوا ماتصنعين برجل يقتل عند أحد اليومين وَتَبْقَيْن بلا زوج؟ فانصرف عنها وهو يقول « وقالوا لها »

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

يجوز أن يكون موضع « أن يلاقى » رفعا بالابتداء ؛ وخبره « لأول نصل » والجملة فى موضع خبر إن ، والتقدير إن تأبط شرا مُلاَقاته مَجْمَعاً لأول نصل يجرده ، ويجوز أن يكون موضع « أن يلاقى » نصبا على أن يكون بدلا من الهاء فى « إنه » كأنه قال : إن ملاقاته مجمعا لأول نصل ، والهاء من « فانه » يجوز أن تكون لتأبط شرا ، وهو الأجود فى الوجهين ، ويجوز أن تكون للأمر والشأن فى الوجه الأوّل ، ويكون تفسيره الجملة ؛ ويجوز أن تكون فى موضع الظرف : أى زمن أن يلاقى مَجْمَعًا ، والمعنى هو لأول نصل إذا لاقى مجمعا : أى يقتل بأول نصل يعمل فى ذلك الوقت ، ويروى « أن يلاقى مصرعا » وَالْمَصْرَع يجوز أن يكون مصدرا ومكانا وزمانا ، وانتصابه يجوز أن يكون على أنه مفعول « يلاقى » ويجور أن يكون مفعول « يلاقى » محذوفا ويكون « مصرعا » فى موضع الحال ، كأنه قال : أن يلاقيه ذا مَصْرَع : أى مصروعا ، فحذف المضاف

(٢) الْفَتِيل والنَّقِير والقِطْمِير يضرب المثل بها فى حَقَارة الشىء ، والأروع يكون الْمُرَوِّع الحديد الفؤاد ، ويكون الجميل ، وقوله « وحاذرت » فى موضع الحال ، والأجود أن يضمر معها قد : أى لم تر فتيلا من الرأى محاذرة ، والمعنى لم تر من الصواب فى الانصراف عنى شيئا قليلا ، والتأيم : الْأَيْمَةُ ، تأيمت المرأة تأيما ، وآمت تئيم أَيْمَةً وأُيُوماً ؛ إذا بقيت بلا زوج

قَليلُ غِرَارِ النَّوْمِ أكْبَرُ هَمِّهِ ... دَمُ الثَّأْرِ أوْ يَلْقَى كَمِيًّا مُسَفَّعَا (١)
يُصَاصِعُهُ كُلٌّ يُشَجِّعُ قَوْمَهُ ... وَمَا ضَرْبُهُ هَامَ الْعِدَا لِيُشَجَّعَا (٢)

(١) « قليل غرار النوم » من صفة لابس الليل ، فإن قيل : ما معنى قليل غرار النوم ؟ وإذا كان الغِرَار القليل من النوم فأنت لاتقول : هو قليلُ قليلِ النوم ، قلت : يجوز أن يراد بالقليل النفي لا إثبات شيء منه ، والمعنى لاينام الغرار ، فكيف ما فوقه ؟ ويجوز أن يكون المعنى نومه قليل مايقل من النوم : أى نومه قليل للقليل ، يريد أنه مُسهَّدٌ وأن أكثر ما يهتم له طلب دم الثأر أو ملاقاة كَمِيّ مسفّع الوجه لدوام تبذله فى الحروب ، وقوله « أو يلقى » أنْ مضمرة بين أو والفعل ، ولولا ذلك لم يجز عطف الفعل على الاسم لاختلافهما . وإذا أضمر «أن» يصير حرف العطف ناسقاً اسما على اسم ، والتقدير أكبر همه دم الثأر أو لقاء كمى ، ومثل هـذا قوله تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أومن وراء حجاب أو يرسل رسولا) والتقدير أو أن يرسل رسولا ، حتى تـكون أنْ مع الفعل فى تقدير مصدر منسوق على قوله (وَحْيا) إذ قد يمتنع أن يحمل على أن يكلم ، قال أبو هلال : ويروى « مشنعا » بالنون ؛ قالوا : وهو الذى عليه سلاحه .

(٢) يجوز أن يـكون « يصاصعه » صفة لـكميا مسفعاً لأن مثله من الأفعال يكون صفة للنـكرة وحالا للمعرفة ، ويكون الثناء على خصمه الذى همُّه ملاقاته كالثناء عليه ، ويجوز أن يكون راجعاً إلى الأوّل وداخلا فى صفاته فيتبع قوله « قليل غرار النوم » وأصلُ المصاصعة الضرب بالسيف والرمى ، يقال : مَصَع بذنبه ؛ إذا حركه ، ومَصَعَ الطائر بذَرْقه ؛ إذا رمى به ، وقوله « كل » أى : كل واحد من الناس ، فأفرد وهو فى النية مضاف ، ومعنى البيت أن كل من قاتل هذا الرجل قاتله طمعا فى أن ينسبه قومه إلى الشجاعة وما ضربه هام العدا لمثل ذلك ، وقوله

قَليلُ ادِّخَارِ الزَّادِ إلا تَعِلَّةً فَقَدْ نَشَزَ الشُّرْسُوفُ وَالْتَصقَ الْمِعَا (١)
يَبِيتُ بِمَغْنَى الْوَحْشِ حَتَّى أَلِفْنَهُ وَيُصْبِحُ لايَحْمِي لهَا الدَّهْرَ مَرْتَعَا (٢)
عَلَى غِرَّةٍ أَوْ نُهْزَةٍ مِنْ مُكَانِسٍ أَطَالَ نِزَالَ الْقَوْمِ حَتَّى تَسَعْسَعَا (٣)

« يشجع قومه » أى : لأن يشجع قومه . والمفعول محذوف ، بدلالة قوله « وما ضربه هام العدا ليشجعها » فلما حذف أنْ رفع الفعل ، وعلى هذا التفسير يكون « قومه » مرفوعا : أى يشجعه قومُه ، ويروى « كل يُشَجَّعُ يَوْمَه » أى : فى اليوم الذى لقى العدو ، ويروى « كل يشجع نفسه » ومن روى « كل يشجعُ قَوْمَه » بالنصب فالمعنى راجع إلى ما ذكرناه أيضاً لأن شجاعته فى نفسه شجاعة قومه ، فكأنه بإقدامه فى الحروب كسب لقومه ذكر الشجاعة فيهم ونسبها إليهم .

(١) تعِلَّة : تفعِلة من عَلَّلته بكذا ، فهو كالتَّقْدِمَة من قَدَّمْت ، والشراسيف : مَنَاطُ الأضلاع ، ولا ينشز إلا للهزال ، وذكر القلة ههنا مقصود به إلى النفى لاغير ، بدلالة مجىء الاستثناء بعده ، وإذا كان كذلك لم يثبت القليل به ، والمعنى ما يدخر من الزاد إلا قدراً يتعلل به ، فقد أثَّرَ الطَّوَى فيه حتى هزل فترى رؤس أضلاعه شاخصةً ، وعلى هذا قول الله تعالى : (قليلا ما تؤمنون) و (قليلا ما تذكرون)

(٢) مَغْنى الوحش : منزلها ، يقال : غَنِيتُ بمكان كذا وكذا ، إذا نزلت به ؛ أَغْنَى غَنًى مفتوح الأوّل ، وَغَنِينا أيضاً عشنا ، وفى القرآن (كأنْ لم يَغْنَوْا فيها) أى : كأنْ لم يعيشوا ، يقول : طال ملازمته الوحشَ حتى ألفنه فلا يحميها مراتِعَهَا : أى لا يمنعها عن الرعى إذا حضرها ، وقوله « لا يحمى لها » أى : لا يحمى من أجلها مَرْعًى ؛ كأنه لا يمنعها من الرعى فهى لا تخاف منه لأن همته مصروفة إلى غيرها .

(٣) « على » تتعلق بقوله « لا يحمى » والمعنى لا يحافظ لها ولا يترقبها إلا

وَمَنْ يَغْزُ بِالْأَعْدَاءِ لَا بُدَّ أَنَّهُ
سَيَلْقَى بِهِمْ مِنْ مَصْرَعِ الْمَوْتِ مَصْرَعَا(١)

رَأَيْنَ فَتًى لَا صَيْدُ وَحْشٍ يُهِمُّهُ فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحْنَهُ مَعَا(٢)

وَلٰكِنَّ أَرْبَابَ الْمَخَاضِ يَشُفُّهُمْ إِذَا اقْتَفَرُوهُ وَاحِدًا أَوْ مُشَيَّعَا(٣)

على غَفْلَةٍ واغترارمنه إياها ، والمكانس : الملازم للكِناس ، وتَسَعْسَع من قولهم : تسعسع الشهرُ ، إذا ولّى ، وروي أبو هلال «تَشَعْشَعَا» قال : من قولهم : رجلٌ شَعْشَاع : أى حلو خفيف : أى صار لبقا بانزال مايح الطعان والضراب لطول عادته لذلك ، والمصراع الأوّل ينافى المصراع الثانى ؛ لأن الأوّل فى صفة الوحش والثانى فى صفته .

(١) أى : ومن يلهج بمحاربة الأعداء لابد أن يلقى بذلك مصرعا

(٢) يريد أن يبين سبب أُنْسها به بأشفى مما قدمه ، فيقول : رأت الوحشُ به فتًى صَيْدُ الوحْشِ ليس مما يُخْطره ببال ، فقوله « لاصيدُ وحش يهمه » من صفة الفتى ، ونفى بقوله «لا» الفعلَ ؛ فلذلك لم يكرر «لا» مرتين كما يقال : لاعَبْدٌ لك ولا جاريةٌ ، وإذا كان كذلك فقد أضمر بعد « لا » فعلا ، وجعل الصيدَ يرتفع به ، ويكون الفعل الظاهر بعده تفسيراً له ، كأنه قال : لايهمه صيدوحش يهمه ، والمصافحة : أصلها فى ممارسة صفحة إحدى اليدين الأخرى عند السلام ، فاستعارها للتمكين والاستسلام ، وقوله « معا » فى موضع الحال : أى مصطحبة ومجتمعة

(٣) المخاض : هى النوق الحوامل ، وهو اسم صيغ للجماعة منها ، ولا واحد لها من لفظها ، وإنما خصَّها لأن التنافس فيها أكثر ، كأنه قال : لايهمه طلب الوحش لكن يهمه قصد أرباب الإبل فى أمواهم ، وانتصب « واحدا » على الحال ، والعامل فيه « اقتفروه » أى : منفردا ، ويقال : اقتفرت الوحش ، إذا

وَإِنِّى وَإِنْ عُمِّرْتُ أَعْلَمُ أَنَّنِي ... سَأَلْقَى سِنانَ المَوْتِ يَبْرُقُ أَصْلَعَا (١)

١٦٧ — وقال بعض بنى قيس بن ثعلبة :

دَعَوْتُ بَنِى قَيْسٍ إِلَىَّ فَشَمَّرَتْ ... خَنَاذِيذُ مِنْ سَعْدٍ طِوَالُ السَّوَاعِدِ (٢)

تتبعت أثرها ، ومعنى «يَشْفَهُمْ» يهزلهم ويكد عيشهم

(١) جواب الشرط فى قوله « أعلم أننى » وهو على إرادة الفاء ، ويجوز على نية التقديم والتأخير ، وأصلع : أى منكشف بارز لا يستره شىء : أى قصاراى الموتُ وإن طال عمرى

(٢) الثانى من الطويل ، مطلق مؤسس موصول ؛ والقافية متدارك

الخناذيذ : يستعمل فى فحول الخيل ، ويقال : إنه من الأضداد وإنه يقال خنذيذ للفحل والخصى ، وليس الخصاء مما يحمد فى الخيل ، وإنما يجىء الخنذيذ فى صفة الفرس الجواد ، قال بشر بن أبى خازم يصف الفحل :

وَخِنْذِيذٍ تَرَى الْغُرْمُولَ مِنْهُ ... كَطَىِّ الزِّقِّ عَلَّقَهُ التِّجَارُ

يعنى بالتجار الخمارين ؛ فقد ثبت أن الخنذيذ عندهم وصف محمود ، ويجوز أن يكون الخنذيذ إنما استعمل فى الخيل على النقل من موضع إلى موضع ؛ لأنهم يقولون لما أشرف من أنوف الجبال : خناذيذ ، فلعلهم قالوا ذلك للخيل كما قالوا : فرس سَهْبٌ ، إذا كان كثير الجرى ، لما قالوا : مكان سَهْبٌ : أى واسع ، كأنهم أرادوا بالخناذيذ من الخيل الطوال الصِّلابَ ، شبهوها بخناذيذ الجبال ، قال مالك بن الرَّيْب :

تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِى عَلَىَّ فَلَمْ أَجِدْ ... سِوَى السَّيْفِ وَالرُّمْحِ الرُّدَيْنِىِّ بَاكِيَا

وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ يَجُرُّ عِنَانَهُ ... إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا

وقوله «طوال السواعد» أى ممتدة القامات مبسوطة الأيدى بالضرب والطعن ،

إِذَا مَا قُلُوبُ الْقَوْمِ طَارَتْ مَخَافَةً
مِنَ الْمَوْتِ أَرْسَوْا بِالنُّفُوسِ الْمَوَاجِدِ (١)

١٦٨ — وقال سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة جدّ طَرَفَةَ بن العَبْد :

يا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِى وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاحُوا (٢)

ويجوز أن يريد بالطوال الاقتدار والغلبة . كما يقال فى السلاطة : هو طويل اللسان ، والخناذيذ : الكرام من الرجال أيضا . كما يستعار القُرُوم الصاعب لهم ، ومن زعم أن الخناذيذ الخصيان والفحولة فقوله بعيد من الصواب . و « طوال » يكون جمع طَويل وَطُوَال ، ومفعول « شمرت » محذوف ، والمراد رفعت ذيولها متخففة للقتال

(١) جواب « إذا » قوله « أرسوا » وأرسوا مفعوله محذوف ، كأنه قال : أرسوا قلوبهم بالنفوس الكريمة : أى أثبتوها . والمواجد : جمع ماجدة ، وأصله الكثرة ، يقول : إذا طارت القلوب من الخوف فمر أصحاب هؤلاء ثبتوا بالنفوس الشريفة

(٢) من مرفل الكامل ، مطلق مردف موصول ، والقافية متدارك

اللام فى قوله « يابؤس للحرب » دخلت لتأكيد الإضافة فى هذا الموضع ، وهى إضافة لاتخصص ولا تعرف ، وهذه اللام على هذا الحد لاتجىء إلا فى بابين : أحدهما باب النفى بلا ، وذلك نحو « لاغُلاَمَىْ لك ولا أَبَالَكَ » وما أشبههما ، والثانى باب النداء فى قولك « يا بُؤْسَ للحرب » وإنما المعنى يابؤس الحرب . ألا ترى أنه لو لم يرد الإضافة لنوّن يابؤس فى النصب لكونه نكرة أو كان يجعله معرفة فيبنيه على الضم ، وقد أتى الشاعر به فى باب النفى على أصله فى الإضافة فقال :

أَبِالْمَوْتِ الَّذِى لاَ بُدَّ أَنِّى مُلاَقٍ لاَ أَبَاكِ تُخَوِّفِينِى

والذى يدل على أن هذه الإضافة لاتخصص أن « لا » قد عمل معها ، وهو

إنما يعمل فى النكرات ، وأراهط : جمع جمع ، كأنهم قالوا رَهْط وأَرْهُط [١] ثم قالوا أراهط ، كما قالوا زَنْد وأَزْنُد وأزَاند ، قال الهذلى :

أَقَبَّا الكشوح أَهْضَمَانِ كِلاَهُمَا كَعَالِيَةِ الْخَطِّىِّ وَارِى الأَزَانِدِ

وسيبويه عنده أن العرب لم تنطق بأرهط [١] ، وقد حكاه غيره ، فاذا نصبت أراهط جعلت الحرب الفاعلة ، وليس الوضع ههنا ضد الرفع ، وإنما المراد أنها تركتهم فلم تكلفهم القتال فيها ، وإنما يعْنِى سعدُ بن مالك الحرثَ بن عُبَادٍ ومَنْ كان مثله فى اعتزال الحرب ، وقد روى أن الحرث لما حارب مع بنى بكر بعدقتل بُجَير قال : أترانى ممن وَضَعَتْه الحرب ؟ فهذا يدل على النصب ، ومن رفع «أراهطُ» فالمعنى يابؤس للحرب التى وضعتها أراهط ، وهذا اللفظ هو الأصل ؛ لأن قولك : ترك بنو فلان الحربَ ، هو واجب الكلام ، وقولك : تركت الحربُ بنى فلان ، مجاز واتساع ، ومثال الوجه الذى ترفع فيه أراهط قول الحنفى [٢] :

فإنْ وَضَعُوا حَرْباً فَضَعْهَا وَإنْ أَبَوْا فَعُرْضَةُ عَضِّ الْحَرْبِ مِثْلُكَ أَوْ مِثْلِى

وقال أبو هلال : اللام فى قوله « للحرب » زائدة ، والدليل على ذلك أنه أضاف ، ولو لم يكن مضافا كان يجب أن يقول : يابؤسا للحرب ، ونحن نقول : إنه أراد يابُؤْسَى فرخم ، فقال يابُؤْسَ ، كما تقول فى ترخيم سلمى : ياسَلْمَ ، فان قيل : لا يرخم إلا اسم علم ، قلنا : قد جاء فى الشعر ترخيم ما ليس بعلم ، وهو قوله :

---

(١) قد صرح كثير من العلماء باستعمالهم الأرهط جمعا لرهط ومن ذلك قول الراجز :

* هُوَ الذَّلِيلُ نَفَراً فِي أَرْهُطِهْ *

وقول الآخر :

* وَفَاضِحٍ مُفْتَضِحٍ فِي أَرْهُطِهْ *

(٢) قد مضى هذا البيت فى صلب الحماسة فى الجزء الأول

وَالْحَرْبُ لاَ يَبْقَى لِجَا ... حِمِهَا التَّخَيُّلُ وَالْمِرَاحُ (١)
إِلاَّ الْفَتَى الصَّبَّارُ فِى النَّجَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَاحُ (٢)
وَالنَّثْرَةُ الْحَصْدَاءُ وَالْـ ... ـبَيْضُ الْمُكَلَّلُ وَالرِّمَاحُ (٣)

---

* يَا تَلْعَ سَيْلُكِ غَامِضُ *

وذلك أنك جعلته معرفة فى النداء ، والترخيم إنما يكون فى المعارف ، وقوله « فاستراحوا » أى : لما صغر شأنهم قعدوا عن طلب المعالى وتحمل المشقات فى ابتغاء الحمد ، وقال بعض الأعراب لرجل : إنه قد وضع المكارم فاستراح : وقال رجل للأحنف : لا أبالى أهجيتُ أم مُدِحْتُ ، فقال : استرحت من حيث تعب الكرام ، وقال الخليل بن أحمد : أراحتهم من الدنيا بالقتل ، ومعنى وضعتهم على هذا أنها قتلتهم

(١) يجوز أن يريد صاحب التخيل . فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، الجاحم : الملتهب : أى من كان ذا خيلاء وَمَرَح ثم بُلى بالحرب شغلته عن خيلائه ومرحه ، على هذا يدل ظاهر الكلام ، وقيل : معناه لا يصبر ذو الخيلاء والمرح على حر الحرب ، وفحوى البيت لا يدل على هذا المعنى ، ولكن البيت الثانى يدل عليه وهو قوله « إلا الفتى »

(٢) « إلا الفتى » ارتفع على أنه بدل من التخيل ، وهذه لغة تميم ، ولغة سائر العرب النصب فيما كان استثناء خارجا ، وإن كان جائيا بعد النفى ؛ لأن كونه ليس من الأوّل يبعد البدل فيه ، والنصب كان جائزاً على كل وجه ، والنجدات: الشدائد ، والصبر : أصله الحبس ، وصَبَّار : فَعَّال بناء للمبالغة ، ولا يجوز أن يكون اسم الفاعل من صَبَّرَ لأن اسم الفاعل من صَبَّرَ مُصَبِّر

(٣) الحصداء : الْجَدْلاء ، ومصدره الحصد ، ويقال : حَصِدَ يَحْصَدُ حَصَدًا ،

وَتَسَاقَطَ الْأَوْشَاظُ وَالذَّنَبَاتُ إِذْ جُهِدَ الْفِضَاحُ [(١)]
وَالْكَرُّ بَعْدَ الْفَرِّ إِذْ كُرِهَ التَّقَدُّمُ وَالنِّطَاحُ
كَشَفَتْ لَهُمْ عَنْ سَاقِهَا وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ [(٢)]

وأحصدته فهو مُحْصد ، وقوله « والبيض المكال » يعنى المسامير لأنها غشيت وسمرت

(١) ويروى «وتساقط التَّنْوَاط» قوله « وتساقط التَّنْوَاط» ينعطف على قوله «وضعت أراهط فاستراحوا» يقول : وتساقط الدخلاء والهجناء الذين نيطوا بصميم العرب فلم يكونوا منهم ، والتَّنْوَاط مصدر فى الأصل كالتَرْدَادوالتَّكرار ، فكأن المراد ذو التنواط ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويجوزأن يكون وصفه به كما يوصف بالمصادر ، وذكر بعضهم أن التَّنْوَاط ما يعلق على الفرس من إداوة وغيرها ، لأن كل ذلك قد نيط به ثم أطلق تشبيها على الدخلاء ، واستعملت هذه اللفظة فى الدعىّ فيجوزأن يريد بذوى التَّنْوَاط الأدْعياء والذنبات التباع والعُسَفاء ، وذكر بعضهم أن الذنبات لا يقال فى الناس ، وإنما يقال أذناب ، كما قال [(١)] :

قَوْمٌ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمُ وَمَنْ يُسَوِّى بِأَنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبَا

ومن حيث جاز الأذناب واستعارتها جاز استعارة الذنبة والذنبات ، وهم المتخلفون ، يقول : إذا بلغ الأمر إلى حد يقع من التقصير فيه الفضيحة سقط هؤلاء فيكون الغناء فيه للرؤساء لما لهم فيه من قوة الرأى وصدق اللقاء

(٢) هذا مثل تضربه العرب فى كشف الساق ، وذلك أن الرجل إذا أراد أن يمارس أمرا شمَّرَ ذيله ، فاستعمل ذلك فى الأنيس ، ثم نقل إلى الحرب وغيرها من خطوب الدهر التى تعظم وتشتد ، وقد قيل : الساق اسم للشدّة ، وفسر عليه

---

(١) البيت للحطيئة

فَالْهَمُّ بَيْضَاتُ الْخُدُو رِ هُنَاكَ لاَ النَّعَمُ الْمُرَاحُ (١)
بِئْسَ الْخَلاَئِفُ بَعْدَنَا أَوْلاَدُ يَشْكُرَ وَاللِّقَاحُ (٢)
مَنْ صَدَّ عَنْ نِيرَانِهـــا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لاَ بَرَاحُ (٣)

قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) فقيل : المعنى يوم يكشف عن شدّة

(١) أراد ببيضات الخدور النساء ، ويجوز أن يكون قولهم للمرأة « بيضة الخدر » من قبل أنهم شبهوها ببيضة النعامة ، ولا يمتنع أن يكون قولهم « بيضة الخدر » يراد بها حقيقة ماينصب من أجله لأنهم قد قالوا « بيضة الصيف » يريدون شدّة حره ؛ وقالوا للرجل الخامل الذى لايعرف نسبه « هو بَيْضَة البلد » وللرجـل المشهور « هو بيضة البـلد » قالت أخت عمرو بن عبـد ود ترثيه وكان على بن أبى طالب عليه السلام قتله :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَمْ تَخْلُ نَفْسِي طُولَ الدَّهْرِ مِنْ كَمَدِ
لَـكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لاَ يُعَابُ بِهِ وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يُدْعَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ

فهذا مدح ، وقال الراعى :

أَبَتْ قُضَاعَةُ لَمْ تَعْرِفْ لَـكُم نَسَبًا وَابْنَا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

ويقال : إن أصل ذلك أن توجد بيضة فى مكان خال فيقال : هـذه بيضة البلد ، كأنما باضها هو ، يقول : همّنا أن نَسْبِى النساء لا أن نُغير على النعم

(٢) يروى « اللَّقَاح » بفتح اللام و« اللِّقاح » بكسرها ، يقول : خلفنا من لادفاع به من الرِّجال والأموال فبئس الخلائف بعدنا ، جعل أولاد يشكر كاللِّقاح — وهى الإبل بلا لبن — فى حاجتها إلى من يذبُّ عنها ، ومن روى واللَّقاح — بفتح اللام — فالمراد به بنو حنيفة ، وكانوا لايدينون الملوك ، ويكون الـكلام على هذا تهكما ، يعنى أنهم لايحمُون حَوْزَتَهم بعدنا فهى لمن غلب

(٣) أى : أنا المشهور بأبيه المستغنى عن تطويل نسبه ، وقوله «لا براح» الوجه

صَبْراً بَنِى قَيْسٍ لَهَا ... حَتَّى تُرِيحُوا أَوْ تُرَاحُوا (١)
إِنَّ الْمُوَائِلَ خَوْفَهَا ... يَعْتَاقُهُ الْأَجَلُ الْمُتَاحُ (٢)
هَيْهَاتَ حَالَ الْمَوْتُ دُو ... نَ الْفَوْتِ وَانْتُضِىَ السِّلَاحُ (٣)
كَيْفَ الْحَيَاةُ إِذَا خَلَتْ ... مِنَّا الظَّوَاهِرُ وَالْبِطَاحُ (٤)

فيه النصب ، لكن الضرورة دعت إلى رفعها ، وقال سيبويه : جعل «لا» كليس هنا فرفع النكرة ، وجعل الخبر مضمرا ، كأنه قال : لا براح عندى فى الحرب ؛ وهذا يقل فى الشعر ولا يكثر ، وجعل غيره براح مبتدأ والخبر مضمرا ، وإنما يحسن ذلك إذا تكرر لا كقول القائل : لادرهم لى ولا دينار ، ولا عبد لى ولا أمة ، إلا أنه جوز للشاعر الرفع فى النكرة بعد «لا» وإن لم يكرر لأن أصل ماينفى بلا الرفع ، فكأنه من باب رد الشىء إلى أصله ؛ ويقال : مابرحت من مكان كذا وكذا : أى مازلت ، بَرَاحاً وَبُرُوحا ، وما برحت أفعل كذا بَرَاحاً : أى أقمت على فعله ، مثل مازلت أفعله ، فالْبَرَاح الأول فى المكان ، والثانى فى الزمان ، ولا بدّ له من خبر

(١) أى : اصبروا لهذه الحرب حتى تقتلوا أعداءكم فتريحوهم من شدتها أو يقتلوكم فيريحوكم من ذلك ، ونحو هذا قولهم للميت : مستريح ، أو مستراح

(٢) الموائل : الذى يطلب الموئل ، خَوْفَهَا : أى خوف الحرب ، ونصب الخوف بالموائل ، ويعتاقه : أى يشغله الأجل عن النَّجاء فيقع فيما يكره منها ، والْمُتَاح : المقدر ، وهو كقولهم : لا ينفع مما هو واقع التَّوَقِّى .

(٣) أراد أن الموت قد حال دون أن يفوت الرجل فيذهب عن هذه الحروب منهزما ، يريد أنه ليس إلا القتل أو الغلب .

(٤) الظواهر : أعالى الأودية ، والبطاح : بطونها ، وهو من نوادر الجمع ،

أَيْنَ الْأَعِزَّةُ وَالْأَسِنَّةُ عِنْدَ ذَلِكَ وَالسَّمَاحُ

واحدها أَبْطَح و بَطْحَاء .

قال أبو رياش : هذه الأبيات قالها سَعْدٌ يُعَرِّض بالحرث بن عُبَاد بن ضُبَيْعة ابن قيس بن ثعلبة ، وكان من حكام ربيعة وفرسانها المعدودين . وكان قد اعتزل حَرْبَ ابنى وائل وتنحّى بأهله وولده وولد إخوته وأقاربه وحَلَّ وتر قوسه ونزع سنان رمحه ولم يشدد فيها عُرْوَة ولم يحل منها عُقْدة ، وقال : لا نَاقَةٌ لى فيها ولا جَمَل ، فذهبت مثلا ، فلم يزل الحرث بن عُباد معتزلا لحربهم متنحياً حتى إذا كان فى آخر وقائعهم خرج بُجَيْر بن عَمْرو بن عُباد فى أثر إبل له ندَّت يطلبها ، فعرض له مُهَلْهِل بن ربيعة بن مرة بن الحرث بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حُبَيْب بن عمرو ابن غنم بن تغلب بن وائل فى مِقْنَب من مَقَانِب بنى تغلب يطلبون غِرَّة بكر بن وائل ، فلما نظر إليه أعجبه الغلام وما رأى من جماله وهيئته ، فقال له : من أنت ياغلام ؟ فقال : أنا بجير بن عمرو بن عُبَاد ، قال : فمن خالك ؟ قال : أمى أخيذة ؛ فبوّأ له الرمح ليطعنه به ، فقال له امرؤ القيس بن أبان بن كعب بن زهير بن جشم وكان من أشرف بنى تغلب وساداتهم وكان على مُقَدَّمتهم زماناً طويلا : لا تفعل ، فوالله لئن قتلته ليقتلن به منكم كبش لا يُسْأَلُ عن خاله من هو ، و إياك أن تَحْقِر الْبَغْيَ والظلم فإن عاقبتهما وبيئة ، وقد اعتزلنا عَمُّهُ وأبوه وأهل بيته واعتزلوا قومهم وتركوا قتالا مع بكر بن وائل ، نخلّ عنه وأطعنى ، فأبى على امرىء القيس المهلهلُ إلا قتله ، فطعنه برمحه حتى خرج من ظهره ، وقال : بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ ، فبلغ كلامُه عمّ الغلام الحرثَ بن عُبَاد ، وما كان من أمره ، وكان من أحلم أهل زمانه وأشدهم بأسا وبدنا ، وكان أحد حكام وائل ، وامرؤ القيس بن أبان

١٦٩ — وقال حَجْدَر بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثعلبة بن ضُبَيْعة (١)

الآخر ، فقال الحرث : نعم القتيل قتيل أصلح بين ابنى وائل فكفَّ سُفَهَاءهم وَحقَنَ دماءهم ، فقيل له : إن المهلهل إنما قتله بشسع نعل كليب ، فلم يقبل ذلك ، ولم يعجل على القوم ، وأرسل إليهم وإلى امرىء القيس : إن كنتم إنما قتلتم بُجَيْراً بكليب وانقطعت الحرب بينكم وبين إخوانكم فانى راضٍ بذلك وَطَيَّبْت به نفسى ليهدأ هذا الأمر ، فأرسل إليه المهلهل : إنما قتلته بِشِسْعِ نعل كليب ، فقال الحرث بن عباد لأمة له : ردّى جمالك ألحقك الشرُّ بأهلك ، فمن أناس ما أنت ، فذهبت مثلا ، ودعا بفرسه وكانت تسمى النَّعَامَة ، فجز ناصيتها ، وهلب ذنبها ، ويقال : قطعه ؛ وكان أول من فعل ذلك بالخيل على ما زعموا ، فقال بعض العرب : رَدَّهَا جَذَعَة ، وقال فى مردود جواب المهلهل عليه :

لاَ بُجَيْرٌ أَغْنَى قَتِيلاً وَلاَ رَهْطُ كُلَيْبٍ تَزَاجَرُوا عَنْ ضَلاَلِ
قَرِّبا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

هذا مثل ضربه ، لأن الناقة إذا حالت وقَرَعَهَا الفحلُ كان أسرع للقاحها ، وإنما يعظم أمر الحرب

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللّهُ وَإِنِّى بِحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالِى
قَرِّبَا مَرْبَطَ النَّعَامَةِ مِنِّى إِنَّ قَتْلَ الْكَرِيمِ بِالشِّسْعِ غَالِى

ثم ارتحل بجماعة أهل بيته ومن كان معه من قومه ، حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل ، وعليهم يومئذ الحرث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، فكان يوم التَّحَالُق .

(١) وجحدر : اسمه رَبيعة ، وإنما جَحْدَرٌ قِصره ، وجحدر هو الجعد القصير من الناس ، فهو صفة منقولة .

قَدْ يَتِمَتْ بِنْتِي وَآمَتْ كَنَّتِي وَشَعِثَتْ بَعْدَ الرِّهَانِ جُمَّتِي (١)

(١) من مشطور الرجز ، والقافية من المتدارك .

قوله « يتمت » مصدره الْيُتْم ، وقوله « آمت » مصدره الأَيْمَة والأيوم ، و «الكنة» قال الخليل : هى امرأة الأخ أو الابن ، ويشهد لما قاله قول الشاعر :

هِيَ مَا كَنَّتِي وَتَزْ عُمُ أَنِّى لَهَا حَمُو

وهذا الشاعر من بنى كُنَّة ، وبنو كنة : بطن من العرب ، وكان فيه أخوان لأحدهما امرأة فهويها أخوه وكتم داءه فسلّ جسمه ضراً وهزالا ، واستعجم أمره على أهله ، فلما خيف عليه الموت أحضروا الحرث بن كَلَدَةَ ، وكان طبيب العرب ، فلما رآه واستبهم أمره عليه قال : أطعموه واسقوه نبيذاً ، فلما شرب أنشأ يقول :

أَلاَ رِفْقاً أَلاَ رِفْقاً قَلِيلاً مَا أُكُونَنَّهْ
أَلِمَّا بِى عَلَى الْأَبْيَا تِ بِالْخَيفِ أَزُرْهُنَّهْ
غَزَالاً مَارَأَيْتُ الْيَوْ مَ فِي وَفْدِ بَنِى كُنَّهْ
غَضِيضَ الطَّرْفِ مَرْبُوباً وَفِى مَنْطِقِهِ غُنَّهْ

فقال الطبيب : قد كاد يُبْدى عما فى نفسه ، فزيدوه من الشراب ، ففعلوا؛ فلما شرب ثانية أنشأ يقول :

أَيُّهَا الرَّكْبُ سَلِّمُوا وَارْبَعُوا كَى تُكَلَّمُوا
وَتَقَضَّوا لُبَانَةً وَتُحَيُّوا وَتَغْنَمُوا
خَرَجَتْ مُزْنَةٌ مِنَ الْ بَحْرِ رَيَّا تَحَمْحَمُ
هِيَ مَا كَنَّتِي وَتَزْ عُمُ أَنِّى لَهَا حَمُو

فلما سمع أخوه مقالته طلق للوقت امرأته ونزل عنها لأخيه ، فأبى المريض تزوّجها حياء من أخيه ، فلم يزل على حالته حتى قضى نحبه ، ويعنى جحدر بالكنة

رُدُّوا عَلَيَّ الخَيْلَ إنْ أَلَمَّتِ ... إنْ لَمْ يُنَاجِزْهَا فَجُزُّوا لِمَّتِي (١)

قَدْ عَلِمَتْ وَالِدَةٌ مَا ضَمَّتِ ... مَا لَفَّفَتْ فِي خِرَقٍ وَشَمَّتِ (٢)

إِذَا الكُمَاةُ بِالكُمَاةِ الْتَفَّتِ ... أَمُخْدَجٌ فِي الحَرْبِ أَمْ أَتَمَّتِ (٣)

امرأة نفسه ، والشَّعَثُ والشعوثة : اغبرار الشعر وتلبده .

(١) يريد اصرفوا وجوهها إلىّ ، والمناجزة : المعاجلة بالقتال

(٢) و يروى « ولففت » فمن رواه هكذا فهو عطف على «ضمت» ومن رواه «ما لففت» أبدل «ما» الثانية من الأولى ، كقولك : قد عرفت ماعندك ما فى ضميرك ، وإنما يبدل الموصول من الموصول لما تتضمنه صلة الثانى من زيادة البيان والفائدة ، وإلا فنفس الموصولين مجردين من الصلة بمنزلة واحدة ، وقد يجوز أن تكون «ما» استفهاما فتكون منصوبة الموضع بما بعدها من الفعل ، وتكون الجملة الثانية مبدلة من الجملة الأولى ، والتكرار على هذا الوجه تفخيم للقصة : أى قد علمت جلادتى وشهامتى وأنا صغير ، كما قال الكميت :

وَرَأَوْا عَلَيْكَ وَمِنْكَ فِى الْـ ... ـمَهْدِ النُّهَى ذَاتَ الْبَصَائِرْ

(٣) المخدج : الناقص الخلق

هذه قالها فى يوم التحالق ؛ وذلك أن بكر بن وائل اجتمعوا واحتشدوا فقال الحرث بن عُبَاد للحرث بن همام : هل أنت مُطِيعِى ياحارفيما أريد أن أعمله ؟ فقال له الحرث بن همام : هل أجدُ بُدًّا من طاعتك والمصير إلى أمرك ؟ فقال له الحرث بن عباد : إن القوم كانوا لك ولقومك مستقلين فزادهم ذلك فى الحرب جرأة عليكم ، فقاتلهم بالنساء فضلا عن الرجال ، فقال له الحرث بن همام : وكيف قتال النساء ؟ قال : قلد كل امرأة منهن إداوة من ماء ، وأعطها هراوة ، وأجعل جمعهن من ورائكم . فإن ذلك يزيدكم جدا فى القتال واجتهادا ، وعلموا بعلامات يعرفنها ،

فإذا مرت المرأة منهن على صريع منكم عرفته بعلامة فسقته من الماء ونعشته ، وإذا مرت على رجل من غيركم ضربته بالهراوة فقتلته وأتت عليه ، فأطاعوه وفعلوا ذلك ، وحَلَقَتْ بنو بكر يومئذ رؤسها استبسالا للموت ، وجعلوا ذلك علامة بينهم وبين نسائهم ، ولم يبق منهم أحد إلا حلق رأسه ؛ غير جحدر فانه كان رجلا دميما حسن اللمة فارسا من الفرسان المعدودين ، فقال : ياقوم ، إن حلقتم رأسي شوّهتم بي . فدعوا لمتي لأول فارس يطلع من الثنية غدا من القوم . ففعلوا ذلك وتركوا لمته ، وقال عامر بن تَيْم اللات بن ثعلبة يومئذ للناس : قطعوا ثمار سياطكم . فان الرجل منكم يضرب فرسه فينقب بطنه ولا يعلم أو يعقره أو يؤثر به أثرا قبيحا . ففعلوا ذلك ، وهو أول يوم قطعت فيه ثمار السياط على مايزعمون ، فسمى عامر بن مالك مقطع الجذم : لذلك ، والتقى الناس يومئذ بأشد مايكون من القتال ، وجالت بكر ابن وائل جولة ، فصعد البُرَكُ — وهو عوف بن مالك بن ضبيعة بن قيس — في ثنية قِضَّةَ ومعه أمه على ناقة لها ، فلما توسط الثنية ضرب عرقوبي الناقة ثم نادى : أنا البرك ؛ أبرك حيث أدرك . ثم انتضى سيفه ، وقال : والله لا يمر بي رجل من بكر ابن وائل منهزما إلا ضربته بالسيف ، أفي كل يوم فرار وعار ؟ وقال في ذلك :

سَدَدْتُ كَمَا سَدَّ ابْنُ بِيضٍ طَرِيقَهُ فَلَنْ يَجِدُوا فَوْطَ الثَّنِيَّةِ مَطْلَعَا

وكان ابن بيض رجلا من العماليق مجاورا للقمان بن عاد ، وكان له عليه خراج كل عام ثيابا يؤديها إليه ، وكان يريد الخلاص من لقمان ومفارقته فلا يقدر على ذلك خوفاً من لقمان ، فلما أحس بغفلة من لقمان ارتحل يريد قومه ، ثم خاف الطلب وعلم أنه لا يفوته ، حتى مر على ثنية ليس للقمان طريق غيرها فعمد إلى ما كان يعطى لقمان من الثياب فوضعه في الثنية ، ومضى لشأنه . وفقده لقمان فاتبعه فلما صار إلى الثنية وَجَدَ الثياب فقال لمن معه : قد والله سد ابن بيض طريقنا

واتَّقَانَا بحقنا ، و إن اتّباعه لمن البغى ، فارجعوا بنا ، فأخذ الثياب ورجع ، فضربته العرب مثلا ، وهو قول بشامة بن حزن .

كَثَوْب ابنِ بيضٍ وَقَاهُمْ بِهِ   فَسَدَّ عَلَى السَّا لِكِينَ السَّبِيلاَ

وكان مع الفند — وهو شهل بن شيبان — بنتان له جاريتان بَذِيَّتَانِ فتكشفت إحداها وهى تحضض الناس وتقول :

وغى وغى وغى وغى   حَرَّ الحْرار وَالتظَى
وَمُلِئَتْ منه الرُّبَا   ياحبذا المحلقون بالضحى

وقالت بنت الفند الأخرى :

نحن بنات طارق   نَمْشِى عَلَى النَّمَارِقْ
إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِق   أوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ

ثم إن بكرا عطفت على القوم بعد ذلك فقاتلوهم قتالا شديدا ، وأتاهم جَحْدَر بأول فارس طلع من الثنية من بنى تغلب ، كما كان ضمن لهم ، واستعرض الحرث ابن عُبَاد القوم يومئذ من جانب لا يقف على أحد من بنى تغلب إلا صرعه ، و إذا اشتهر موضعه قصد إليه فاحتمله عن سرجه حتى يأتى به أصحابه وهو لا يعرفه ، فحمل على رجل منهم لا يعرفه كفعلاته وكان الرجل من فرسانهم وممن اشتهر موضعه وحاله ، فقال له الرجل : أرفق بى وأدلُّكَ على عَدِىّ بن ربيعة ، قال له الحرث : دُلَّنى عليه وأنت آمن ، قال : لا والله أو يُجيرنى عليك هذا الشيخ — يعنى عَوْفَ بن مُحَلِّم بن ذُهْل بن شَيْبان — فقال له الحرث : يا عوف أجره على ، قال له عوف : اقتل أسيرك ، قال : أجره ، قال : أسألك بالرحم إلا قتلته ، قال له الحرث : بل أسألك بالرحم إلا أجرته ، وجعل عوف يتخوف أن يكون يغدر به ، وقد عرفه عوف وعرف الرجل عوفا ، وكانت قبل ذلك بينهما مودة وخلة ، فلما أكثر عليه الحرث بن عباد قال له عوف : خَلِّه حتى يصير خلف ظهرى و بين كتفى ، فلما فعل الحرث ذلك به قال له عوف : خَبِّرْهُ من أنت ؟ قال : أنا عدى بن

ربيعة . فقال له الحرث : أحلني على غيرك ، قال : أترضى بامرىء القيس بن أبان ؟ قال : نعم . أين هو ؟ قال : أترى صاحب الفرس الشقراء . التى يعطفها كيف يشاء ، المعتجر بالعمامة الحمراء ؟ قال : نعم ، فحمل الحرث بن عباد عليه ، فاحتضنه فجاء به إلى أصحابه ثم قتله ببجير بن عمرو بن عُبَاد ، وقال الحرث : رمح الجبان أطول . فذهبت مثلا ، وقال الحرث فى ذلك :

طُلَّ مَنْ طُلَّ فِى الْحُرُوبِ وَلَمْ يُطْـ ... ـلَلْ قَتِيلٌ أَبَانَهُ ابْنُ أَبَانِ

لَهْفَ نَفْسِى عَلَى عَدِىٍّ وَلَمْ أَعْـ ... ـرِفْ عَدِيًّا إِذْ أَمْكَنَتْنِى الْيَدَانِ

فَارِسٌ يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيْـ ... ـفِ وَتَسْمُو أَمَامَهُ الْعَيْنَانِ

وامرؤ القيس بن أبان هو الذى قال لمهلهل يوم قتل بجيرا : فوالله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسئل عن خاله ، فكان هو المقتول به . وحمل رجل من بنى تغلب على امرأة من بكر بن وائل وخلفه رديف يقال له البزباز بن مازن ، ومع المرأة صبى ، فطعن الصبى برمحه ، فرفعه وهو يقول : ويل لأم الفرخ ، ويقال : إن البزباز هوالذى أمره أن يطعن الصبى ، فبنو تغلب يتشاءمون بالبزباز وقومه لما أشار به : فرآه الفند فحمل عليه فطعنه وردينه فانتظمهما برمحه . وقال الأبيات التى أولها :

أَيَا طَعْنَةَ مَا شَيْخٍ ... كَبِيرٍ يَفَنٍ بَالِى

وهى تأتى فيما بعد إن شاء[(١)] الله ؛ وأصابت جحدرا يومئذ جراح شديدة فخر صريعا مع القتلى ، فمرت به النساء ولم يكن حلق رأسه ، فوجدنه ذالمة ؛ فظننه من بنى تغلب فقتلنه ، واقتتل الفرسان يومئذ قتالا شديدا ، وصبر بعضهم لبعض أشد مايكون من الصبر حتى كان آخر النهار من ذلك اليوم ، فانهزمت بنو تغلب ومضت على وجوهها ، ولحقت بالظعن بقية يومها وليلتها ، فاتبعهم سَرْعَان بكر

(١) انظرها فى (ص ١١٣) من هذا الجزء .

١٧٠ — وقال شماس بن أسود الطُّهَوِى لِحَرِّىّ بن ضَمْرة بن ضَمْرة بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل (١) :

أَغَرَّكَ يَوْماً أَنْ يُقَالَ ابْنُ دَارِمٍ
وَتُقْصَى كَمَا يُقْصَى مِنَ الْبَرْكِ أَجْرَبُ؟ (٢)

ابن وائل ، وتخلف الحرث بن عُبَاد ، وكان سعد قد عـيره باعتزاله حرب قومه بقوله : —

يَا بُؤْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعَتْ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَاحُوا

فقال له : أترانى ممن وضعته الحرب ؟ فقال : لا ، ولـكن لامخبأ لعطر بعد عَرُوس ، تم الخبر

(١) شَمَّاس : من الْفَرَس الشموس ؛ و إنما يريدون أنه أبى عزيز ، وهذا أشبه من اليوم الشامس ، وإن كان ذلك جائزا ، وسميت الخمر شموسا تشبيها بالفرس الشموس ؛ لأنها تحمل الشارب على غير مايحسن

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله «أغرك يوما» لفظه لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ ، يقال : غره ، إذا غشه وخـبره بما لايجب السكون إليه ؛ و يقال : ماغرك منى : أى لم وثقت بى ، وما غرك بى : أى لم اجـترأت على ، وما غرك عنى : أى لم غفلت عنى ، فيقول : اغتررت بقول الناس فيك هو ابن دارم وإن أخرت منزلتك : أى أغرك شرف آبائك واقتصرت عليه وظننته شرفا لك وأنت تقْصَى أى تبعد كما يبعد الأجرب من جماعة الابل مخافة عَدْوَاه ، وقوله « ابن دارم » يجوز أن يكون مبتدأ وخـبره محذوف ، وأن يكون خبرا والمبتدأ محذوف ، والمضمر فى الوجهين أنت أو هو

قَضَى فِيكُمُ قَيْسٌ بِمَا الْحَقُّ غَيْرُهُ كَذَلِكَ يَخْزُوكَ العَزِيزُ الْمُدَرَّبُ (١)
فَأَدِّ إِلَى قَيْسِ بن حَسَّانَ ذَوْدَهُ وَمَا نِيلَ مِنْكَ التَّمْرُ أَوْ هُوَ أَطْيَبُ (٢)
فَإِلاَّ تَصِلْ رِحْمَ بْنَ عَمْرِو بْنِ مَرْثَدٍ
يُعَلِّمْكَ وَصْلَ الرَّحْمِ عَضْبٌ مُجَرَّبُ (٣)

---

(١) وروى أبو هلال «قضى فيكم نوس بما الحق غيره» نوس : رجل ، أى قضى فيكم بغير الحق فرضيت لضعفك «كذلك يخزوك» أى يسوسك ، والعزيز : الغالب ، والمدرب : البصير بالأمور المعتاد لها

(٢) معناه أنه أخذ منه أكثر مما أخذ من جاره ، والواو من قوله «وما نيل» واو الحال ، كأنه قال : أده وأنت إذا أكلت مستطاب ، وقوله «أو هو أطيب» أى : أطيب من التمر ، والحذف من الخبر جائز ، وأوهى أو الاباحة ، أراد أن فيما أصابك من المكروه شفاء لغيظ و بردا على الفؤاد

(٣) يقول : إن لم تفعله طوعا فعلته كرها

كان من خبر هذه الأبيات أن قيس بن حسان بن عمرو بن مرثد بن سعد ابن مالك بن ضُبَيْعَة بن قيس بن ثعلبة كان نازلا فى أخواله بنى مُجَاشع ، وكان رجل من بنى أسد يقال له عمرو بن عمران جارا لحرِّىّ بن ضَمْرَةَ بن ضَمْرَة ، فأخذ قيس بن حسان بكراً من إبل عمرو بن عمران ، فأتى عمرو حرِّىّ بن ضمرة فقال : إن قيسا قد أخذ بكرا من إبلى وأنا جارك ، فغضب حرّىّ فأتى قيسا فضربه بالسيف ضربة على ساعده ، فقطع زنده ، ثم أخذ من إبله ثلاثين بعيرا فدفعها جميعا إلى عمرو بن عمران ، فقال حرى :

عَمْرَو بْنَ عِمْرَانَ حَبَوْتُ بِهَجْمَةٍ مَكَانَ قَلُوصٍ رَازِمٍ أَنْ أُعَيِّرَا
وَأَوْفَيْتُهُ مِنْهُ ثَلاَثِينَ جَلَّةً وَلَمْ يَكُ نَصْرِى الْيَوْمَ أَنْ أَتَدَبَّرَا

قوله « أن أعيرا » أى : مخافة أن أعير ، وهم يحذفون المصدر مع أن كثيرا ، ومنه الآية (ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما) أى : مخافة أن تضل ، وقوله « أن أتدبرا » أى : أتدبر الأمر وأنظر فى عاقبته وأفكر فيما يجىء بعد ، وهى طويلة ، وقال أيضا :

عَمْرَو بْنَ عِمْرَانَ حَبَوْتُ بِهَجْمَةٍ ... فَآبَ وَلَمْ يُقْرِفْ بِعَوْرَاءَ جَارِيَا
وَقُلْتُ لَهُ خُذْهَا هَنِيًّا فَإِنَّهَا ... سَتُغْنِيكَ يَوْماً أَنْ تَمَنَّى الْأَمَانِيَا

فانطلق قيس بن حسان إلى أخواله بنى مجاشع فأخبرهم بالذى صنع به حَرِّىّ فغضبوا من ذلك ومشوا إلى بنى نهشل ، فقالوا : يابنى نهشل ، إن لم نكن أخوال قيس بن حسان فانكم أخواله ، فردّوا عليه إبله فكلموا حرى بن ضمرة فأبى أن يردها ، فقال لهم بنومجاشع : إما أن تردوا الابل ، وإما ان تخلعوا حرى بن ضمرة ، فخلعوه ، وأخذه بنو مجاشع بأضاخ ، فضربوه وجروه وأخذوا منه أكثر من الابل التى كان أخذ من قيس بن حسان ، فلما رأى ذلك أتى بنى نهشل فقال : يابنى نهشل ، إنه قد أتى إلىّ أمر قبيح ، فانصرونى ، فأبوا أن ينصروه ، وقالوا : إنك قطعت إخوتك وأسأت فيما بينك و بينهم ، فقال فى ذلك حرى بن ضمرة يعير بنى نهشل خذلانهم إياه : —

إِنِّىَ إِنْ أَسْتَطِعْ وَالدَّهْرُ ذُو أَمَلٍ ... أَجْمَلْ لِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ أَشْطَانَا
يَشْفِى الْغَلِيلَ وَيَجْزِى الْعَامِدِينَ لَهَا ... بِالظُّلْمِ ظُلْماً وَبِالْعُدْوَانِ عُدْوَانَا

وأخذت بنو مجاشع أيضا عبد عمرو أبا عجرد بن ضمرة بن ضمرة فضربوه ضربا شديدا وأوثقوه حتى ردت عليهم الابل ، وولى ذلك منهم نواس بن عامر ابن جؤى بن سفيان بن مجاشع ، وكان أبو عجرد قد أسر حسان بن ضبيعة بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد ، فكان يتمنن بها على نواس ، فيقول : ناصية ابن عمكم عندى ، فقال الفرزدق :

١٧١ — وقال حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة :

وَجدْنَا أَبَانَا حَلَّ فِى الْمَجْدِ بَيْتُهُ ... وَأَعْيَا رِجَالاً آخَرِينَ مَطَالِعُهْ(١)

فَمَنْ يسْعَ مِنَّا لاَ يَنَلْ مِثْلَ سَعْيِهِ ... وَلٰكِنْ مَتَى مَا يَرْتَحِلْ فَهْوَ تَابِعُهْ(٢)

نَحْنُ أَخَذْنَا عَبْدَ عَمْرٍو فَلَمْ نَجِدْ ... لَهُ عَبْدُ عَمْرٍو عَنْ رَحَى الشَّرِّ مَذْهَبَا

فَجِئْنَا عَلَى رَغْمِ الْعُدَاةِ نَقُودُهُ ... إِلَى الْحَيِّ نُغْشِيهِ الْحُزُونَةَ مُتْعَبَا

بِنَاصِيَةِ الْقَيْسِيِّ يَسْعَى عَلَيْكُمُ ... غُلاَماً وَيَسْقِيكُمْ ذُعَافاً مُقَشَّبَا

فقال شماس بن أسود

* أغرك يَوْماً أَنْ يُقَالَ ابْنُ دَارِمٍ * الأبيات

وقال حَرِّىٌّ يرد عليه : —

لَنَا رَأْسُ رِبْعِيٍّ مِنَ العِزِّ مصعب

لَدُنْ أَنْ أَقَامَتْ فِى تِهَامَةَ كَبْكَبُ

أصل الربعى الذى يكون فى الربيع من نبت وغيره ، وقالوا : غزاة ربعية : إذا كانت فى وقت الربيع ، وقالوا لأولاد الرجل فى أول عمره : رِبْعِيُّونَ ، وأراد حَرِّىٌّ أن عزهم قديم ، تم الخبر

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « حل فى المجد بيته » فى موضع المفعول الثانى لوجد ؛ لأنه بمعنى علم ، والبيت لا يحل ، وإنما يحل فيه ، ولكنه رمى بالكلام على السعة والمجاز ، لأن المعنى لا يحيل ، يقول : وجدنا أبانا حل بيته فى الشرف وصعب على رجال آخرين فلم يبلغوه

(٢) يقول : من طلب نيل مكانه من الشرف كان أقصى غايته بعد استفراغ مجهوده أن يكون تابعاً له .

يَسُودُ ثُنَانَا مَنْ سِوَانَا وَبَدْؤُنَا ... يَسُودُ مَعَدًّا كُلَّهَا لاَ تُدَافِعُهْ (١)

وَنَحْنُ الَّذِينَ لاَ يُرَوَّعُ جَارُنَا ... وَبَعْضُهُمُ لِلْغَدْرِ صُمٌّ مَسَامِعُهْ (٢)

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى ... وَبَعْضُهُمُ تَغْلِى بِذَمٍّ مَنَاقِعُهْ (٣)

---

(١) الثُّنَى : مَنْ دون الرئيس لكنه يليه فى الرتبة ، مثل ولى العهد فى الإسلام ، والبَدْء : السيد غير مدافع عن أولية سيادته ، فكأن المراد بهما الأول فى الرياسة والثانى ، وأصل الثنى من ثنيت الشىء ، وفى الحديث « لا ثنى فى الصدقة » أى : لا تؤخذ فى السنة مرتين ، ويقال : ثنيت الشىء ثَنْياً . ثم يسمى المثنى ثنيا ، وما يثنى هو به أيضا ثنيا ، وعلى هذا الضعف يقال : ضَعَفْتُ الشىء ، مخففا بمعنى ضاعفت ، ثم يسمى المضعوف ضِعْفاً بالكسر ، والمضعوف به ضِعفاً أيضاً ، والبدء : العظم المنفصل بما عليه من اللحم ، كأنه من هذا . ومعناه إن المغمور فينا إذا حصل فى غيرنا سادهم ، والرئيس تسلم له الرياسة على قبائل معد كلها غير معارض فيها ولا مدافع عنها .

(٢) أى : تصم مسامعه عن ذكر العار فلا يبالى بذم الناس له ، وفى طريقته :

إِنْ يَجْبُنُوا أَوْ يَغْدِرُوا ... أَوْ يَبْخَلُوا لاَ يَحْفِلُوا

* يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا *

(٣) ندهدق : نغلى ، والدهدقة : الصوت ، ويقال للقدر « دهادق » إذا سمعت صوت غليانها ، وقيل : ندهدق نطرح بعض اللحم على بعض مقطعا ، وقال صاحب العين : الدهدقة : دوران البضعة الكبيرة فى القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل أخرى ، والباع مثل ، ويعنى به الشرف والفضل ؛ و « فلان طويل الباع رَحْبُ الذراع » يراد به البسطة والشرف ، ومن روى « الباغ » بالغين منقوطة أراد الباغى ، فحذف الياء ، والبضع : القطع ، أى نتولى ذلك كرماً منا على اعتساف وسوء تأَتٍّ ، ويجوز أن يكون البضع جمع بضعة فيكون المعنى إنا نقلبها فى القدور

وَيَحْلُبُ ضِرْسُ الضَّيْفِ فِينَا إِذَا شَتَا
سَدِيفَ السَّنَامِ تَسْتَرِيهِ أَصَابِعُهْ (١)

مَنَعْنَا حِمَانَا وَاسْتَبَاحَتْ رِمَاحُنَا حِمَى كُلِّ قَوْمٍ مُسْتَجِيرٍ مَرَاتِعُهْ (٢)

ولعظمها يسمع لها فى التقاب صوت ، والمناقع : القدور الصغار من الحجارة تكون للفَطِيم والصبى يطرح فيها اللبن والتمر يطعمه ، وهى الأثوار أيضا على ما قيل ، وقالوا : المناقع واحدها منقع ، وأصله ما ينقع فيه الشىء ، فاستعاره ، وقوله «بذم» فى موضع الحال تقديره تغلى مذمومة

(١) «السديف» قالوا: هو شحم السنام : أى يمضغه الضيف فيخرج له دسمه فكأنه يحلبه ، ويروى «ويَحْلُبُ ضرسَ الضيف» بالنصب ، و«سديفٌ» بالرفع : أى إذا رآه تحلَّبَ فُوهُ من الشهوة ، ويروى «ونحلب ضرس الضيف» يعنى أن الضيف إذا جاء حُلِب له ونحن نجعل حلبنا له سديف السنام ، ويقال : حلبته ، وحلبت له ، يقول : إذا اشتد الزمان فان الضيف فينا يأكل سديف السنام من الإبل السمان على ماتختاره أصابعه فى الجفان ، والسديف : قطع السنام ، وتستريه: تختاره . وموضع «تستريه» نصب على الحال للسديف ، والعامل فيه «يحلب» كأنه قال : يحلبه الضرس مختارا بالأصابع

(٢) الهاء فى «مراتعه» ترجع إلى «حمى كل قوم» والمعنى الحمى الذى استجار مراتعه بالممتنع القوى ؛ ويروى «مستحير» وكأنه يريد التفاف العشب من الكثرة وفرط الحماية له

فلما قال حجر بن خالد «يسود ثنانا مَنْ سوانا — البيت» رفع عمرو بن كلثوم التغلبي يَدَهُ فلطمه بين يدى الملك ، فغضب الملك ، وقام ابن كلثوم ، فلما كان الليل أقبل حجر حتى دخل على عمرو بن كلثوم قبته فلطمه ، فنادى : يا آل تغلب ، قال : فوالله مازالت الخيل تثوب حتى ظننت أن الأرض كلها خيل ، وجاءت

١٧٢ — وقال حجر بن خالد أيضاً :

لَعَمْرُكَ مَا أَلْيَاءُ بْنُ عَبْدٍ ... بِذِي لَوْنَيْنِ مُخْتَلِفِ الفَعَالِ (١)
غَدَاةَ أَتَاهُ جَبَّارٌ بِإِدٍّ ... مُعَضِّلَةٍ وَحَادَ عَنِ القِتَالِ (٢)

إلى كسر بيت ، ونحن بالحيرة ، فلما كان آخر ذلك إذا منادٍ ينادى فوق قصر الملك ياحجر بن خالد ، أنا لك جار ، قال : فوالله مازالت تلك الخيل تتصدع حتى ما بقى منهم أحد ، قال : فأقبلت إلى باب القصر ، فدخلت عليه ، فقال لى الملك : أقتلت الرجل ؟ قال : قلت : بل لطمته ، قال : أف لك ، فقال حجر يمدحه :

سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ أَجِدْ ... كَفِعْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلاَ
يُسَاقُ الْغَمَامُ الْغُرُّ مِنْ كُلِّ بَلْدَةٍ ... إِلَيْكَ فَأَضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلاَ
فَأَصْبَحَ مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ ... وَإِنْ كَانَ قَدْ أَخْوَى الْمَرَابِيعَ سَائِلاَ

أخوى : لم يمطر

فَإِنْ أَنْتَ تَهْلِكْ يَهْلِكِ الْبَاعُ وَالنَّدَى ... وَتُصْبِحْ قَلُوصُ الْحَرْبِ جَرْدَاءَ حَائِلاَ
فَلاَ مَلِكٌ مَا يَبْلُغَنَّكَ سَبْقُهُ ... وَلاَ سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلاَ

« ما » زائدة فى الموضعين ، ويقال : قالها فى عبد عمرو بن بشر بن مرثد حين أحدث حدثا فاطرده الملك؛ فلما مدحه حجر بهذه الأبيات قال : ارجع إلى بنى عمرو فأتنى بهم ، فأتاه بهم ، فأكرمهم وأعطاهم .

(١) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

أَلياء : فعيلاء من أَلْوَتُ

(٢) جبار : رجل ، والإد : المنكر ، قال الله تعالى (لقد جئتم شيئا إدا) وقد أفردها هنا غير موصوفة فأجراها مجرى أسماء الدواهى ، وأنث المعضِّلة على تأنيث الإدفى المعنى ، والمعضلة : الداهية العسرة الضيقة ، من قولهم : عضل به الأمر ، إذا اشتد عليه ، ومنه قولهم : عُضْلَةٌ من العضل ، وغداة : ظرف للفعل

فَفَضَّ مَجَامِعَ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ ... بِأَبْيَضَ مَا يُغِبُّ عنِ الصِّقَالِ (١)

فَلَوْ أَنَّا شَهِدْنَاكُمْ نَصَرْنَا ... بِذِي لَجَبٍ أَزَبَّ مِنَ العَوَالِي (٢)

وَلَكِنَّا نَأَيْنَا وَاكْتَفَيْتُمْ ... وَلاَ يَنْأَى الحَفِيُّ عَنِ السُّؤَالِ (٣)

١٧٣ — وقال غسان بن وعلة (٤) :

الذى دل عليه قول « بذى لونين مختلف الفعال » كأنه جلب عليه هـذا الرجل أمراً منكراً وهرب هو ، ويروى « غداة أتاه جبار بعبد * مُغَفّلَه » ومعناه أن جباراً جاءه بعبد مغفله كأنه يستغفله وحاد هو عن القتال فقتله أَلِيَاء ، ويروى « جبار بن عبد مغفله » كأنه استغفله لما أتى جبار أَلياء بن عبد ففض أَلياء بن عبد مجامع الكتفين من جبار .

(١) الفض : الكسر والتفريق ، يقول : فصل مجمع كتفيه بضربة من سيف يُحَادَثُ بالصقل : أى ما يزال يخضبه بالدماء ثم يمسحه فهو كل يوم يصقل لأنه فى كل يوم يخضب فجعل مسح الدم عنه صقالا

(٢) جعل الجيش أزبَّ لكثرة الرماح ، وأصل الزَّبَبِ فى الشعر . والمثل « كل أزب نفور » يعنى البعير الكثير الشعر على الوجه والعثنون لأن ماحول عينيه يخيل إليه المناظر على خلاف ما تكون عليه فينفر ، والعوالى : جمع عالية الرمح ، ويراد بها جنس الرماح .

(٣) المعنى إنالو شهدناكم نصرناكم على أنكم لاتحتاجون إلى نصرتناقوتكم إلا أنا لم ننأ عن السؤال لحفاوتنابكم ، والحفاوة العناية : أى لم يكن بأحد الحيين افتقار إلى الآخر فصار ذلك سببا فى التنائى وعذرا فى التأخر عن المعاونة ، ودل بقوله « ولا ينأى الحفى عن السؤال » على أن القلوب فى التعطف على مايوجبه الوداد ويقال : فلان حَفِى بفلان ظاهر الحفوة أى البر

(٤) أحد بنى مرة بن عباد ، ويقال : إنها للنمر بن تَوْلَب ، قال أبو الفتح :

إذَا كُنْتَ فِى سَعْدٍ وَأُمُّكَ مِنْهُمُ غَرِيباً فَلاَ يَغْرُرْكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدِ (١)

فَإنَّ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ مُصْغًى إنَاؤُهُ إذَا لَمْ يُزَاحِمْ خَالَهُ بِأبٍ جَلْدِ (٢)

غسان علم مرتجل ، ويجوز أن يكون من أحدشيئين : إمامن قولهم : فلان غُسٌّ : أى ضعيف ، قال الشاعر :

فلم أرْقِهِ إنْ يَنْجُ مِنهَا وإنْ يَمُتْ فَطَعْنَةُ لاَ غُسٍّ وَلاَ بِمُغَمَّرِ

وقال :

* غُسُّو الْأَمَانَةِ صُنْبُورٌ فَصُنْبُورُ (١) *

فان كان من الغس فهو فَعْلاَن ، وإن كان من الغسن ، وهى خصل العرف ، فهو فَعَّال ، وينبغى أن يكون من الأول لامتناعهم من صرفه ، قال :

وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أشَائِبِ

(١) الأوّل من الطويل ، والقافية متواتر

يقول : إذا كنت بعيداً عن وطنك من قبل أبيك وحاصلا فى بنى سعد لكون أمك منهم فلا تغتر بهم ، وقوله «فى سعد» يجواز أن يكون خبرا ، ويجعل « غريبا » منتصباً على الحال ، ويكون العامل فيه « كنت » أوالعامل فى الظرف ويجوز ويجوز أن يجعل « فى سعد » لغوا ، ويجعل « غريباً » خبر كان ، وقوله « فلا يغررك » جعل النهى فى اللفظ للخال ، والمعنى لاتغتر بخالك من سعد لأن المنهى هو المخاطب . ومثل هذا قولهم : لا أَرَيَنَّكَ هٰهُنا

(٢) المصغى : المُمَال : أى ينقص حظه وَيُظْلَم إذا لم تكن أعمامه أقوى

---

(١) البيت الأول لزهير بن مسعود ، وهذا عجز بيت لأوس بن حجر ، وصدره قوله :

* مُخَلَّفُونَ وَيَقْضِى النَّاسُ أمْرَهُمُ *

والبيتان فى اللسان (غ س س) وفى اللسان « غس الأمانة » على الأفراد .

١٧٤ — وقال بعض بنى جهينة فى وقعة كلب وفزارة (١) :

أَلاَ هَلْ أَتَى الْأَنْصَارَ أَنَّ ابْنَ بَحْدَلٍ حُمَيْدًا شَفَى كَلْبًا فَقَرَّتْ عُيُونُهَا (٢)
وَأَنْزَلَ قَيْسًا بِالْهَوَانِ وَلَمْ تَكُنْ لِتَقْلَعَ إِلاَّ عِنْدَ أَمْرٍ يُهِينُهَا (٣)

من أخواله ، وجعل إصغاء الإناء مثلا لنقصان الحق لأن الإناء إذا أصغى أى أميل نقص ما يسعه ، وجواب « إذا لم يزاحم » مقدم ، وهو ظرف لاصغاء الاناء ، ومثله

بَنُونَا بَنُو أبنائنا وَبَنَاتُنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْأَبَاعِدِ

وروى ابن دريد هذا الشعر للنمر بن تولب فى بنى سعد ، وهم أخواله ، وأغاروا على إبله فقال « إذا كنت فى سعد ـ البيت » وبعده

إِذَا مَادَعَوْا كَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْغَدْرِ أَدْنَى مِنْ شَبَابِهِمِ الْمُرْدِ

كَيْسَان : اسم للغدر . وبعده « فان ابن أخت القوم ـ البيت »

(١) جهينة : اسم مرتجل من الجهن ، وهو غلظ الوجه ، وكأنه تحقير جَهْنَة أو نحوها ، والفزارة : أم الببر ، قال :

وَلَقَدْ رأيت فزارة وَهَدَبَّساً والفزرُ يتبع فزرةً كالضَّيْوَنِ

الفزر : ابنه ، والفزارة : أخته ، والهدبس : أخوه ، أثبت هذا أحمد بن يحيى فقبله ولم يدفعه

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

ويروى «الأشراف» و«الأمصار» . حميد : من بنى فزارة ، وجهينة وكلب : من قضاعة ، وقرت عيونها : أى سُرُّوا وفرحوا

(٣) يعنى قيس بن عيلان : أى أنزل حميدٌ قيساً بالهوان ، ولم تكن قيس لتكف إلا إذا أهينت وأذلت ، ويقال : أقلعت السحابة ، إذا انقشعت ، تقْلِعُ إقلاعا

فَقَدْ تُرِكَتْ قَتْلَى حُمَيْدِ بنِ بَحْدَلٍ كَثِيراً ضَوَاحِيهَا قَلِيلاً دَفِينُهَا (١)
فَإِنَّا وَكَلْباً كَالْيَدَيْنِ مَتَى تَقَعْ شِمَالُكَ فِي الْهَيْجَا تُعِنْهَا يَمِينُهَا (٢)

(١) الضواحى : البوارز ، يقال : ضَحَا يَضْحَى ضَحْيًا وَضَحِيَ يَضْحَى ، إذا برز للشمس ، يقول : كثرت القتلى فعجزوا عن دفنها ، وقوله « قليلا » لم يرد أن القليل منهم دفنوا أراد ، أنه لم يدفن منهم أحد ، ومثله :

قَلِيلٌ عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ ظِلُّهُ سِوَى مَا نَفَى عَنْهُ الرِّدَاءُ الْمُحَبَّرُ

أى : ليس له ظل

(٢) يقال للقوم إذا كانت نصرتهم واحدة : هم يد واحدة ، وفى الحديث « يَسْعَى بذمّتهم أدناهم ، وهم يَدٌ على من سواهم »

قال أبو رياش : خبر هذه الأبيات أنه لما كانت فتنة ابن الزبير ، وكان عبد الملك بن مروان يقاتل مصعب بن الزبير ، وكانت قيس زبيرية ، وأن زفر ابن الحرث الكلابى وعمير بن الحباب السلمى كانا يغيران على كلب ، وكانت أبناء القيسيات من بنى أمية يفخرون على أبناء الكلبيات بما تفعل بهم قيس ، فى البدو والحضر ، فقال خالد بن يزيد بن معاوية للكلبيين : هل رجل فيه خير يغير على بادية قيس وأكفيه تباعة السلطان ، فإنَّ أبناء القيسيات قد أهلكونا بالفخر علينا بما تفتك قيس فى الجاهلية والإسلام ، فقال حميد بن بحدل خال يزيد بن معاوية : أنا لها إن كفيتنى تباعة السلطان ، فقال خالد : أنا أكفيكها إن فعلت ، قال : وكيف تكفينيها ؟ قال : أرسلك مصدّقا على باديتهم وأكتب لك عهدا على لسان عبد الملك بن مروان بأخذ الصدقة منهم حتى تنال حاجتك على غرة منهم ثم تنصرف ، فقال له حميد : هذا الوجه الذى تنال به كفايتى ، فكتب خالد بعد مقتل ابن الزبير لحميد بن بحدل عهدا على صدقات أهل البدو فيه

أخذ الصدقة ممن لقى من أموال المسلمين ، فسار بجمع غير كثير من قومه حتى ورد على بنى عبد ود وبنى عليم بجنوب دومة وخبت ، فاستحلفهم على قيس ، وأخبرهم بالذى قال خالد وفارقه عليـه ، وسار بناس معه ذوى عدد فأدرك ناسا من بنى فزارة متفرقين للنجعة ، فأصاب أوّلهم زيد بن عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وكان ابن أم ولد ، وكان رجل صدق ، وكانت بنو بدر أبوا أن يزوّجوه ، فتزوّج فى بنى بَوْلاَن من طيء من أهل الجبلين ، فولدت له بنين ، فأدركته كلب وهو آخر بنى فزارة وليس معه إلا بنوه وهم صغار دَلَّهُمْ عليـه أذانه بصلاة الفجر ، فذبحوه عَنْوة ، وأخذوا إبله مائة ، ثم لقوا بجانب الأجفر خمسة من بنى عنبس ابن عيينة بن حصن خلف أهلهم ، فقاتلوهم قتالا شديدا وشغلوهم عن الناس حتى أمسوا ، ثم ظهروا على الفتية ، ولم يكن معهم سلاح ولا خيل ، فأساؤا الضرب فيهم بالسيوف حتى حسبوا أنهم قتلوهم ، وقطعوا عِلْبَاوَىْ ناشرة بن عنبسة ، ولم يقطعوا نخاعه ، فتركوا الفتية وهم يرون أنهم قتلوهم ، فأرسل الله الدَّبُورَ فدفنتهم ودَحَسَت جراحهم ترابا فشفاهم الله بذلك ، وكان أجود أساء فى الأرض ، وسار الكلبيون من عشيتهم حتى أصبحوا الغد بجانب العاه ، فأدركوا عبد الله بن عمار ابن عيينة بن حصن يسير بأهله وليس معه رجل غير ابنه الجعد بن عبـد الله ، فلما نظر إليهم الجعد لبس سلاحه وركب فرسه فنزلوا ، واعتزل الفتى ، فقال لهم الشيخ عبد الله بن عمار : ماأنتم ؟ قالوا : نحن سعاة بعثنا عبد الملك بن مروان على صدقات من لقينا من العرب ، قال : أمعكم عهد ؟ قالوا : نعم ، قالوا: فأقرئوناه ، فجاؤا بسجل مسجل من عبد الملك بن مروان لحميد بن بحدل على صدقات من لقى من العرب والبدو : من أعطاه وكتب له فقد برىء ، ومن عصاه فقد عصى الله ورسوله وأمير المؤمنين ونزع يده من الطاعة ، فقال عبد الله بن عمار : سمعا وطاعة ، هذه صدقة مالى فخذوها ، فقالوا : وما تغنى عنا صدقة مالك ؟ قال : فما أصنع ؟ قالوا :

تطلب قومك فزارة فتضمها فتأتينا بصدقاتها ، وتواعدنا مكانا من أرضك نقيم لك به حتى تأتينا بصدقات بنى فزارة ، قال : ماأقوى على ذلك ، مافزارة مقيمة ولا مجتمعة ، إن أولها بالمضاجع وإنى لآخرها رجلا ، وأنتم أقوى على طلبها منى ، قد سرتم أبعد من ذلك من الشأم حتى أدركتم آخرهم باللوى ، وما أنا بالشاب السن ، وما معى من بنى وأهلى غير غلام واحد ، وأنتم مدركون كل يوم منهم صرما حتى تدركوا أولهم ، إنما هم منتجعون يرعون حيث أدركوا المرعى ، قالوا : بل هم فارون بالصدقة من أمير المؤمنين ، مفارقون للطاعة ، ملازمون المعصية ، قال : كلا لعمرى إنما هم لأهل سمع وطاعة ، وإنماهم منتجعون . وهذا أقرب ما كنتم منهم ، قالوا : مالك بد من أن تطلبهم وتكفيناهم ؛ قال : ماأقوى على ذلك ، وهذه صدقة مالى خذوها ، قالوا : وكيف تعطينا الصدقة وتسمع وتطيع وهذا ابنك يكابرنا . قال : ماعليكم من ابنى ، خذوا صدقة مالى وانصرفوا إن كنتم مصدقين ، قالوا : هذا تحقيق ما كان من قتالكم مع ابن الزبير . قال : مافعلنا ، إنما نحن أهل بدو نؤدى الصدقة إلى من قام ، قالوا : إن كنت صادقا فأنزل ابنك . قال : وماذا عليكم من ابني؟ إنه رأى رجالا وخيلا وسلاحا نخاف على دمه . قالوا : فلينزل وهو آمن ، فأتى الشيخ ابنه فقال له : انزل ، فقال : ياأبت إنى أرى عيون الذبحة . أعطهم ماأردت ودعنى أمنع دمى ، فرجع إليهم ، وقال : دعوه وخذوا صدقتكم وانصرفوا فانه قد أشفق على دمه ، قالوا : مانحن بقابلين منك شيئا حتى ينزل ؛ فقال : قد أبى أن ينزل ، ومالكم فى نزوله من حاجة ، نخذوا صدقتكم وانصرفوا ، قالوا : أبيت إلا نزوعا إلى المعصية ، ياغلام هلم الدواة والقرطاس قد أدركنا حاجتنا نكتب إلى أمير المؤمنين إنا وجدنا ابن عيينة قد حال بيننا وبين بنى فزارة ، قال : لاتفعلوا فانى لم أفعل ، فكتبوا إلى عبد الملك إنا قدمنا على بنى فزارة فوجدنا أدناهم عبد الله بن عمار بن عيينة ، ووجدناه على

المعصية ، فعازَّنا وحال بيننا وبين فزارة ، ثم أرسلوا به راكبا إلى عبد الملك ، قال : ياقوم لاتفعلوا ولاتَدَّعوا على مالم أفعل ، وأنا أذكركم الله أن تعصُونى وأنا طائع سامع ، فقالوا : إن كنت كما تقول فأنزل ابنك ، فقال : إنا والله قد أربنابكم أفهو آمن إن نزل ؟ قالوا : نعم ؛ فأخذ عليهم العهود والمواثيق العظام لئن نزل لايريبوه ولا يجاوزوا به أخذ صدقتهم ، فقام الشيخ إلى ابنه وقال : بهانى الله إن لم تنزل ، فنزل وضرب وجه فرسه ورمى برمحه . وقال : أف لك بعد اليوم ، وأقبل به أبوه حتى أتاهم به ؛ فعاتبوه وقالوا : دخلت فى المعصية ، وشققت العصا ، وكابرت السلطان ، قال : مافعلت ولكنى كنت قد أغوتنى عشيرتى ، وذهبوا عنى ، ورأيت خيلا ورجالا وسلاحا ، فأشفقت منها ، قالوا : خذوه ، بعد ماعاتبوه ساعة ، فاقتادوه إلى الصفا ليذبحوه عليه ، فالتفت إلى أبيه فكالح إليه بشدقه يذكره أنه قد أقاده القوم ، فقال الشيخ : ماآنس لاأنس كلحة الجعد إلى وأنا أقدته القوم . فذبحوه على الصفا . وضربوا الشيخ ضربا شديدا حتى ظنوا أنهم قتلوه ، ثم انصرفوا وزعموا أن فرس الجعد لم تزل تبحث على دمه حتى ماتت ، ثم مر الكلبيون على ناس من بنى مازن من بنى فزارة فى أخريات الناس فأصابوا ماأصابوا منهم ، ثم انصرفوا راجعين على أثرهم ، فتلاحقت الركبان ، وأخبرت الناس ما كان ، فركب خالد بن دثار بن كريز بن قطبة ابن سيار إلى عبد الملك فأخبره بالذى فُعِلَ بهم ونيل منهم . فقال عبد الملك : كم قتل منكم ؟ فسمى له عددا أكثر ممن قتل منهم ، فقال : الدية أخرجها لك من أعطيات قضاعة ، فقال : والله لانأخذ من أعطيات قضاعة ثمن دمائنا . فقال : لابأس أعطيك نصفها من بيت المال ، فان وفيتم إلى قابل أعطيتكم النصف الباقى . ولا أرى أن تفوا ، فيقال : إن عبد الملك حرضهم بهذه الكلمة ، فقال زفر بن الحرث الكلابى : خذوا ماطَفَّ لكم ، واتخذوه قوة ، فاذا خرجتم فليس لابن الزرقاء

عليكم إمرة . فجملوا ماأخذوه فى السلاح والخيل ، وكانت أم عبد العزيز بن مروان كلبية ، وأم بشر بن مروان قيسية ، فدخل عبد العزيز على عبد الملك ابن مروان وعنده بشر بن مروان ، فقال له : ياأبا مروان ، هل علمت مافعل أخوالى بأخوالك ؟ قال : وماذا ياأبا الاصبغ ؟ قال : خرجت سرية من حى كلب ، حتى أتوا على حى قيس فأهمدوه ، فقال : أخوالك أضيق أستاهاً من ذلك ، وأصبح بشر بن مروان فجاءه الخبر ، وجاءه حلحلة بن قيس وسعيد بن أبان وخالد بن دثار وقد شق جبته ليس عليه عطاف ولا حذاء ، وغضب بنو القيسيات ، وأخبر عبد الملك بذلك فأرسل إلى حلحلة وصاحبيه فأرضاهم بالديات ، فجملوا ماأخذوه فى السلاح والخيل ، ثم جمعوا ، فقال غلام من بنى فزارة لحلحلة ولبنيه : والله ما أنتم بشىء ولا عندكم شىء ، إن هذه الضباع قتلت رجالكم ، وأخذت أموالكم ، ثم أنتم هؤلاء لاتخرجون ، قال : يا ابن أخى ، استعدّ واعلم أنى غضبان على قوم قتلوا بردة ، يعنى ابنه ، وكان حلحلة يهتف ويقول : هل أحسستم بردة [و] فلانا وفلانا ، يعدد القتلى ويحثهم على طلب الثار ، فجرى بينهم خلف كثير ثم استقام أمرهم وأرسلوا الخيل فى بطن المعا ، فذلك قول ابن سهية :

فلما أن طلعن نَعَيْنَ جعدا ... وقتلى العاه إذ قُتِلُوا غرورا
بِلَأْيٍ مَا تَنَاوَلَ ماجموها ... نَوَاصِيَ قُرَّحٍ ذَهَبَتْ صُدُورَا

وقتلوا من أدركوا من كلب ، فيقال : لم يفلت بها ذكر إلا رجلا واحدا سبق الخيل على رجليه وهو يرتجز

كُلُّ فَتًى مُصَبَّحٌ فِى أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال عُوَيف القوافى فى يوم بنات قين ، وهو الموضع الذى وقعت فيه هذه الوقعة :

كَأَنَّ الْخَيْلَ يَوْمَ بَنَاتِ قَيْنٍ ... يرين وَرَاءَهُمْ مَا يَبْتَغِينَا

وفى يوم بنات قين يقول ابن سهية

وَقَعْنَا وَقْعَةً بِرؤُسِ كَلْبٍ   شَفَتْ قَيْساً وَأَخفَرَتِ الْأَمِيرَا

وجعل ناشرة بن عنبس يتبع القتلى فيجهز عليهم . فيقال له : ماتبتغى من هؤلاء ؟ فيقول : إن عندى من النخاع علما ، وهو الذى كانت عليه أواه قطعتا فبرأ هو وإخوته ، فلما أوقعت فزارة بكلب يوم بنات قين دخل بشر على عبد الملك وعنده عبد العزيز فقال : يا أبا الاصبغ ، هل علمت مافعل أخوالى بأخوالك ؟ فقال : أبعد الصلح وبعد ضمان أمير المؤمنين ، فذمرهما عبد الملك ، فسكتا ، وجاء مستغيث كلب إلى عبد العزيز بن مروان قد شق جبته وطرح عطافه وحذاءه فأدخله إلى عبد الملك . فقال : يا أمير المؤمنين أُخْفِرَتْ ذمتك ، ونقض عهدك ، وأكل مالك ، وقتلت رعيتك . فغضب عبدالملك غضبا شديدا ، وكتب إلى الحجاج بن يوسف وهو على الحجاز والطائف واليمامة واليمن أن اركب إلى بنى فزارة فلا تترك بها محتلما إلا قتلته . وإن الحجاج جهز إليهم الخيل وسار حتى نزل على ماء لهم يقال له لُقَاطَةُ . وعليه بنو عدى بن فزارة ، وهم جل أهلها ، وتجمعت غطفان وتحالفوا أن لايخذل بعضهم بعضا وكتبت إليهم قيس إن الذى فى أعناقنا إن خذلنا كم ، وبلغ ذلك الحجاج . فقال لأهل نصيحته : مافى الأرض مولود فى هذا الحى من قيس أشأم عليها منى إن قتلت بنو فزارة ، وقال حاحلة وسعيد : لاخير فينا بعدهذااليوم إن قتلت فزارة : فأتيا الحجاج حتى وضعا أيديهما فى يده ، فقالا : ماتصنع ببنى فزارة ونحن صاحبا كلب ؟ فسر بذلك وشدهما فى الحديد ، وكتب إلى عبد الملك بأخذهما وإن بنى فزارة قدتفرقوا وذهبوا ، وإن غطفان قد تحالفت وتعاقدت ، وإن قيسا قدفعلت مثل ذلك . فخشيت أن أفتق على أمير المؤمنين فتقا لا يرتقه أبدا ، فكتب إليه أن قدأصبت وأحسنت : فسرح الرجلين ، فلما قدما على عبدالملك وعنده جماعة من كلب يغدون ويروحون

١٧٥ — وقال الْمُنَخَّلُ بْنُ الْحٰرِثِ الْيَشْكُرِىُّ (١)

عليه وأذن للناس فقال عبد الملك : حلحل ، قال : بل حلحلة ، قال : بل حلحل ، قال : بل حلحلة كما سمانيه أبى . قال : أخفرت ذمة أمير المؤمنين ونقضت عهده وأكلت ماله ، قال : لا بل قضيت نذرى ، وبلغت وترى ، وشفيت وَحْرِى ، فقال : قد أقاد الله منك ، قال : والله ما أقاد الله منى بسوء يا ابن الزرقاء ، فدفعه إلى سُعَيْر بن سُوَيْد ابن عَرْفَجَةَ ، وسويد فيمن قتل يوم بنات قين ، فقال سُعَير : متى عَهْدُكَ بسُوَيْد ياحَلْحَلة ؟ قال : عهدى به فى بنات قين قد تَقَطَّعَ خُرْؤُه فى أسته ، قال : أَمَ وَاللهِ لأقتلنك ، قال : كذبت والله ، إنك أذل من ذلك والأم ، إنما يقتلنى ابن الزرقاء ، يعنى عبد الملك ، فقال له بشر : صَبْراً ياحلحلة ، فقال :

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ جُلَبْ قَدْ أَثَّرَ الْبِطَانُ فِيهِ وَالْحَقَبْ

ودفع سعيد إلى أخى بنى عُلَيم ، وقال له عبد الملك ما قال لحلحلة ، فرد عليه كما قال حلحلة ، وقال بشر : صبرا ياسعيد ، فقال :

أَصْبَرُ مِنْ ذِى ضَاغِطٍ عَرَكْرَكِ أَلْقَى بَوَانِى زَوْرِهِ لِلْمَبْرَكِ

وكان حلحلة عند دخوله على عبد الملك قيل له : سلِّمْ على أمير المؤمنين ، فقال :

سَلَامٌ عَلَى حَيَّىْ عَدِىٍّ وَمَازِنٍ وَشَمْخٍ وَخُصَّا بِالسَّلَامِ أَبَا وَهْبِ
فَإِنْ تَقْتُلُونِى تَقْتُلُونِى وَقَدْ شَفَا غَلِيلَ فُؤَادِى مَاأَتَيْتُ إِلَى كَلْبِ
فَقَرَّتْ بِهِمْ عَيْنِى وَأَفْنَيْتُ جَمْعَهُمْ وَأَثْلَجَ لَمَّا أَنْ قَتَلْتُهُمُ قَلْبِى
شَفَى النَّفْسَ مَا لَاقَتْ رُفَيْدَةُ كُلُّهَا وَأَحْيَاءُ وَدٍّ مِنْ طِعَانٍ وَمِنْ ضَرْبِ

وهذه الأبيات من قصيدة قالها قبل ذلك مع غيرها ، ويجىء فى يوم بنات القين أشعار كثيرة فى الفخر والمراثى وغيرها ، وأخبار كثيرة ليس هذا موضعها ، وفيما ذكر كفاية

(١) قال أبو هلال : المنخل بن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكرى ،

إِنْ كُنْتِ عَاذِلَتِى فَسِيرِى ... نَحْوَ الْعِرَاقِ وَلَا تَحُورِى (١)
لَا تَسْأَلِى عَنْ جُلِّ مَا ... لِى وَانْظُرِى كَرَمِى وَخِيرِى (٢)
وَفَوَارِسٍ كَأُوَارِ حَرِّ ... النَّارِ أَحْلَاسِ الذُّكُورِ (٣)
شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ ... فِى كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ (٤)

جاهلى ، كان ينادم النعمان بن المنذر ، وهو الذى سعى بالنابغة الذبيانى إلى النعمان فى أمر المتجرِّدة فلحق النابغة بآل جَفْنَةَ الغسانيين

(١) من مُرَفَّل الكامل ، والقافية متواتر

أى : إن كنت تعذليننى فاذهبى عنى فلست لى بصاحبة ، وقال أبو العلاء : يقول : إن كنت عاذلتى لقلة مالى وتحبين أن أستغنى فسيرى نحو العراق فانى أستغنى فيه ، وإنما قال ذلك لأن النعمان بن المنذر كان يكرمه ويقربه ، ودار النعمان بالحِيَرة ، والحيرة من العراق ، ولاتحورى : أى لاترجعى ، يقال : حار يحور ، إذا رجع

(٢) جُلُّ الشىء : معظمه ، والخِيرُ : الكرم ، يقول : لا تسألى الناسَ عن مالى وكثرته ، وسائلى الناس عن كرمى وعن خلقى ، يريد أنه ليس بكثير المال ولكنه كريم

(٣) الأُوار : الوهج : أى هم فى التهابهم وتلظيهم إذا لَقُوا ولُقُوا كذلك ، وأحْلاسُ الذكور : فرسان الخيل القُرَّح ، ويقال : وأرت النار ، إذا توهجت ، ومنه الإرة ، وإذا كان كذلك فالأصل فى أوار وُآر ، فاما أن يكون قلب فقدم الهمزة ، وإما أن يكون لَيَّن الهمزة ، ثم أبدل من الواو المضمومة التى هى فاء الفعل همزةً ، كما فعل فى وُقِّت إذا قيل أُقِّت ، فصار أُوَارا ، ولو قال « كأُوَار النار » كان أجود ؛ لأن أُوَار النار وحَرَّها سواء

(٤) يقول : شَدُّوا دوابر بيضهم إلى الدروع مخافة أن تسقط إذا أجروا الخيل

وَاسْتَلأَمُوا وَتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيرِ (١)
وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَا تِ فَوَارِسٌ مِثْلُ الصُّقُورِ (٢)
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَا رِ يَجِفْنَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ (٣)
أَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنْ أُولَـ ئِكَ وَالْفَوَائِحِ بِالعَبِيرِ
وَإِذَا الرِّيَاحُ تَنَاوَحَتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَسِيرِ (٤)
أَلْفَيْتَنِي هَشَّ الْيَدَيْـ نِ بِمَرْيِ قِدْحِي أَوْشَجِيرِي (٥)

والقتير : مسامير الدروع ، والدوابر : الأواخر

(١) استلأموا : أى لبسوا اللأمات ، وهى الدروع ، وتلببوا : أى تحزموا ، لأن التلبب من شأن المغير

(٢) الواو من قوله «وعلى الجياد» واو الحال ، كأنه قال : شدوا دوابر بيضهم والحال هذه ، يريد رُبَّ فرسانٍ تشمّروا واستعدّوا معى للغارة أو لدفاع المغيرين وبازائنا خيلٌ هكذا ، وقيل : إن جواب رب لم يجىء بعد ، وإنما أعاد ذكر الفرسان مع الجياد لتباعد جواب رب عنـه بما حال بينهما ، وجوابه « أقررت عينى من أولئك » وليس فى المختار ، وهو يروى بعد قوله « يخرجن »

(٣) يقال : وَجَفَ يَجِفُ ، إذا أسرع ، وَجِيفا ، وأوجف إيجافا : كذلك

(٤) تَنَاوَحَتْ : هبّتْ صبا مرةً وشمالا مرة وجنوبا مرة ، والكسير : الذى له كسور ، وهى ما مس الأرض من هُدّاب خيامهم ، وفيها حبال تشدّ بها يقال لها الأُصُر الواحد إصار ، فأخبر أن الرياح تشتد حتى تستخف هذا البيت الثقيل ذا الكسور فى العام الْمُمْحِلِ

(٥) « ألفيتنى » جواب قوله « وإذا الرياح » يقول : تجدنى فى ذلك الوقت خفيفَ اليد بمسح القداح ، وعند حضور الأيسار نشيطا فى إجالتها حريصا على

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَا   ةِ الْخِدْرَ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ (١)
الْكَاعِبِ الْحَسْنَاءِ تَرْ   فُلُ فِي الدِّمَقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ (٢)
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ   مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ (٣)

فَوْزها ، والشجير : الغريب ، يقال : نزل بينهم شجيرا : أي غريبا ، وإنما يعنى قِدْحًا يتبرّك به فيستعار من الغير ، فاذا أجاله الياسر مع قداحه كان كالشجير فيما بينها والدخيل ، وقيل : الشجير : القدح مع القداح ليس من شجرها التى هى منها ، يقول : كأن القداح كلها من نبع إلا هذا الشجير ، يقول : فانا أمسح هذا وهذا : أى أضرب بها عن نفسى وعن غيرى : أى بقدحى وقدحه ، وأغرم عنه غرما إذا لزمه ، وأوفِّرُ عليه غُنْمَه إن غنمه . ومثله :

إِنِّى أُتَمِّمُ أَيْسَارِى وَأَمْنَحُهُمْ   مَثْنَى الْأَيَادِى وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الْأُدُمَا

ويروى « سجيرى » بسين غير منقوطة ، وهو الصديق ، والمراد به هنا السيف ، جعله كالمصادق له ، وقيل : المعنى أضرب بالقدح الذى جربته ، والذى لم أجربه من القداح المستعارة حبا للندى واهتزازا له

(١) خص يوم المطر لأنه يوم لزوم المنزل ، وليس بيوم صيد ولا زيارة ، واللهو فيه أطيب لخلوّ البال فيه

(٢) أى : فى أجناس الحرير الأبيض منها وغير الأبيض ، والدِّمَقْسُ : هو الأبيض

(٣) تدافعت : مطاوعة دَافَعْتُ ، ومطاوعة دَفَعْتُ اندفع ، إلا أنه يوضع كل موضع صاحبه ، وانتصب «مَشْيَ» على أنه مصدر من غير لفظه ، لأن معنى تدافعت مَشَتْ ، والقصد إلى التشبيه ، وهذه المشية فيما يقال أحسن الْمَشْى لأمنها وسرورها بالمورد وعجبها بالخلاء ، وسيبويه يضمر فى مثل هذا الموضع فعلاً من لفظ المصدر إن وجده وإلا قدره وجعل الظاهر دليلا عليه

وَلَثِمْتُهَا فَتَنَفَّسَتْ كَتَنَفُّسِ ٱلظَّبْيِ ٱلْغَرِيرِ (١)
فَدَنَتْ وَقَالَتْ يَا مُنَخَّلُ مَا بِجِسْمِكَ مِنْ حَرُورِ (٢)
مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّكِ فَاهْدَئِي عَنِّي وَسِيرِي (٣)

---

(١) العقير (١) يطوّل نفسه ، فلهذا خصه : أى تنفست الصُّعَداء لموضعى من قلبها ، والبهير : المبهور ، وهو الذى يعلو نفسه من مواصلة تعب ، والأسم البُهْرُ ، وأصل الكلمة السعة ، ومنه قيل : بُهْرَة الوادى ، لوسطه

(٢) ويروى « من غرور » ؛ وقيل : هو قلة اللحم : أى من أثر الحرور ، والحرور : حر الشمس ، والسموم : الريح الحارة ليلاً هبت أو نهارا ، وقيل: السموم الريح الحارة بالنهار ، والحرور بالليل ، ومنهم من يعكس هذا فيجعل السموم بالليل والحرور بالنهار ، والوجه الأوّل قول الخليل ، والمعنى أنها رأته على غير ماعهدته فتعجبت وقالت : مابجسمك من حرور ؟ كما يقول : مالقينا من فلان ؟ على جهة الاستعظام والتعجب ، وقيل : الحرور هنا الحمى

(٣) « سيرى » أى هَوّنى عليك الأمر ، وعلى نحو من هذا يحمل قول الله تعالى : (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا) إذ لم يكن ثَمَّ مشى ولا انطلاق ، ويجوز أن يكون « سيرى » أمراً بالسير ، فقد قال فيما تقدم « فدفعتها فتدافعت » وقيل : معناه ماهزَلنى غير حبك فأمسكى عنى وسيرى فىَّ بسيرة حسنة ، ولم يرد السير

---

(١) هكذا وقع فى الأصول التى بأيدينا ، فاما ان يكون تصحيفا عما وقع فى صلب الديوان ، وإما أن تكون هذه رواية أخرى غير التى فى أصل الشعر هنا ، وهذا هو الغالب . ففى قافية البيت ثلاث روايات : الغرير ، العقير ، البهير

وَأُحِبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَيُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي (١)
وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةِ بِالصَّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ (٢)
فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الْخَوَرْنَقِ وَالسَّدِيرِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنَّنِي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ
يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَيَّمٍ يَا هِنْدُ لِلْعَانِي الْأَسِيرِ (٣)

---

(١) هذا بيان تطاول الألفة بينهما

(٢) يعنى بصغير ماله وكبيره ، ولم يرد إناء صغيرا وإناء كبيرا ، والذى يحقق هذا قوله :

وَشَرِبْتُ بِالْخَيْلِ الْإِنَا ثِ وَبِالْمُطَهَّمَةِ الذُّكُورِ

وهذا مثل قول الآخر :

شَرِبْتُ بِقِيرَاطٍ وَأَسْكَرْتُ صُحْبَتِي وَرُحْتُ وَلِي عِنْدَ التِّجَارِ حِسَابُ

قيراط : اسم ناقته ، وقيل : أراد بالصغير الدرهم وبالكبير الدينار

(٣) هى هند بنت المنذر بن ماء السماء ، وهى عمة النعمان بن المنذر ، وكان المنخل يُتَّهم بالمتجردة امرأة النعمان ، وكانت فاجرة وكانت ولدت له غلامين يقال : إنهما ابنا المنخل ، فذكر بعض من يحدث أن النعمان كان له يوم يركب فيه فيطيل ، وله إبَّانٌ يُعْرف فيه مجيئه . وأن المنخل كان يأتيها فيكون عندها حتى إذا جاء النعمان أخرجته ، فجاءها ذاتَ يوم وقد ركب النعمان فلاعبته بقيد جعلته فى رجله ورجلها ، فهما على حالهما تلك إذ دخل النعمان قبل إبَّانه الذى كان يجىء فيه ، فوجدهما على حالهما ، فأخذه فدفعه إلى عِكَبٍّ صاحب سجنه ، رجل من لخم صاحب الفرات ، ليعذبه ، ويقال :

يَعْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ التَّنُّومِ لَمْ تُعْكَفْ بِزُورِ (١)

١٧٦ — وقال باعث بن صُرَيم بن أسد بن تيم بن ثعلبة بن غُبَر ابن حبيب بن كعب بن يشكر

سَائِلْ أُسَيِّدَ هَلْ ثَأَرْتُ بِوَائِلٍ أَمْ هَلْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ بَلْبَالِهَا (٢)

عِكَبّ بن عِكَبٍّ التغلبي ، فقيده عِكَبٌّ وجعل يجره بقيده ، فقال فى ذلك المنخل لابنيه : —

أَلا مَنْ مُبْلِغُ الْحُرَّيْنِ عَنِّى بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَتَلُوا أُبَيَّا

يُدَرِّرُ بِى عِكَبٌّ فِى مَعَدٍّ وَيَطْعُنُ بِالصُّمُلَّةِ فِى قَفَيَّا

ومما قاله أيضا : —

طُلَّ وَسْطَ الْعِبَادِ قَتْلِى بِلاَ جُرْمٍ وَقَوْمِى يُنَتِّجُونَ السِّخَالَا

(١) [هذا] يقع فى بعض النسخ ، ويحتمل وجهين ، يجوز أن يكون فى صفة النساء فيكون من قولهم «عَكَفَت المرأةُ شعرها وعَكَّفَتْه» أى ألزمت بعضه بعضا ، وجعلته ضفائر ، وإذا كان كذلك احتمل « أساود التنوم » وجهين : أحدهما أن يكون أراد هذا الشجر لأنه يسودّ كله ، والآخر يريد بالأساود جمع الأسْوَد من الحيات لأن غدائر النساء تشبه بها ، هذا إذا وقع هذا البيت عند وصفه النساء ، وإن وقع عند وصفه الخيل فمعناه أن الخيل تجىء بالفوارس فكأنها تعكفها كعكف الشَّعَر وهو يعنى مذكرات فهو محمول على الجماعات ويكون قد وصف الرجال بالأساود من الحيات ؛ لأن الرجل قد يوصف بأنه كالحية إذا كان شجاعا مَخْشِيَّ الشر

(٢) الأول من الكامل ، والقافية متدارك

بلبالها : اهتمامها بطلب الثأر ، وقوله «أم هل» الاستفهام تام دون هل ؛ لأن «أم» هذه المنقطعة ، ولا تكون العاطفة ، لأن تلك تجىء عديلة الألف ، وقوله

إِذْ أَرْسَلُونِى مَائِحاً بِدِلاَئِهِمْ فَمَلأْتُهَا عَلَقاً إِلَى أَسْبَالِهَا (١)
إِنِّى وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ مَكَانَهَا وَالْبَدْرَ لَيْلَةَ نِصْفِهَا وَهِلاَلِهَا (٢)

« شفيت النفس » يجوز أن يريد به نفسه ، ويجوز أن يكون المراد به الكثرة والجنس ، كأنه يريد أنه شفى الموتورين منه ، وأُسَيِّد : قبيلة لاتنصرف للتعريف والتأنيث ، ولو لم يكن اسم قبيلة لم ينصرف أيضا لأنه تصغير أَسْوَد ، وأَفْعَلُ إذا كان صفة لا ينصرف فى معرفة ولا نكرة ، وإذا صغر على هذا المثال لم ينصرف أيضا

(١) « إذْ » ظَرف لقوله «ثأرت» أو لقوله « شفيت » وانتصب « عَلَقاً » على التمييز، وأسبالها: أعاليها . وسبلة الرجل منه . واختار بعضهم أن يرويه «إلى إسبالها» بكسر الهمزة مصدر أَسْبَلَ إسبالا ، وليس بالمختار ، ولا يمتنع أن يريد بأسبال الدلو العُقَدَ التى تتصل بالعراقى ، ويجوز أن يعنى بها فروع الدلو ، كأنها لما كان يخرج منها الماء شبهت بسَبَلِ المطر ، يقول : هل شفيت النفس لما بعثونى طالبا بِتِرَاتهم فأكثرت من القتل ، والميح والدلو مثلان هنا

(٢) سمك : رفع ، ومنه سمى عمود البيت المِسْماك ، وجواب القسم فى «آليت أثقف » وهو خبر إن أيضا ، وقوله « ليلة نصفها » أضاف النصف إلى السماء لما كان استكمال البدر عند انتصاف الشهر فى السماء فلاجتماعها فى ظهور البدر كاملا فى السماء ساغت الإضافة بينهما ، على عادتهم فى إضافة الشىء إلى الشىء لأدنى مناسبة بينهما ، وعلى هذا قول الآخر «ضوء برق ووابله» وأبعد منه قول الآخر :

نَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً فِى دَارِهَا عَشِيَّةَ الْهِلاَلِ أَوْ سِرَارِهَا

فأضاف السرار إلى العشية لاعتقاده أن استسرار القمر فى العشيات كما أن طلوعه فيها ، وقال أبو العلاء فى هذا البيت: إن حمل الكلام على التقديم والتأخير

آلَيْتُ أَثْقَفُ مِنْهُمْ ذَالِحْيَةٍ   أَبَدًا فَتَنْظُرُ عَيْنُهُ فِى مَالِهَا (١)

كأنه قال « إنى ومن سمك السماء ليلة نصفها وهلالها وَالبَدْرَ » فذلك غير ممتنع ، فأن جعل البدر لا يراد به التأخير انتقل المعنى الأول ؛ لأن الغرض يتحول إلى وجه آخر ، فأما الهاء فى « نصفها وهلالها » فهى إضمار راجع إلى شىء معلوم عند السامع لم يتقدم له ذكر ، كأنه قال : ليلة نصف الشهور وليلة هلالها ، ويحتمل أن تكون الهاء راجعة إلى السماء : أى ليلة انتصاف الشهر الذى فيه يكمل القمر ، وذلك إذا جعل البدر متأخرا فى المعنى ، فإن صرف إلى أن المراد البدر الواقع فى ليلة نصفها وهلالها جاز أن يعنى بالهلال البدر ، لأنه يكون هلالا ، وهذا متعارف فى الكلام لو قيل لرجل شيخ أو كهل : هذا طفل بنى فلان : أى الذى كان طفلا ؛ لكان القولُ غَيْرَ مطعون فيه . ومنه قولهم فى بدء الاسلام : محمدٌ يتيمُ قريش : أى الذى كان يتيما لأنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث إلا بعد الأربعين

(١) قوله «أثقف» هو الجواب ، وحذف معه لا ، لأنه أمن التباسه بالواجب ؛ إذ لو أراد الواجب لقال لَأَثْقَفَنْ ، فلما كان صيغة الواجب بما يلزمها من اللام وإحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة مخالفةً لصيغة النفى لم يبال بحذف حرف النفى . ومثله (١)

* فَقُلْتُ يَمِينُ اللهِ أَبْرَحُ قَاعِداً *

لأن المراد لا أبرح ، فان قيل : إذا كان القسم يتناول ماذكرت من قوله « لاأثقف » فما معنى قوله « آليت » وهل يصح أن يقال : إنى حلفت والله لاأفعل كذا ؟ قلت : إن قوله « آليت » دخل مؤكدا للقسم على أحد وجهين أحدهما : أنه لما تطاول الكلام باليمين و بعدما بين إن وخبره ذكر آليت ثم أتى بما

(١) هذا صدر بيت لامرىء القيس ، وعجزه قوله :

* وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِى لَدَيْكِ وَأَوْصَالِى *

وَخِمَارِ غَانِيَةٍ عَقَدْتُ بِرَأْسِهَا ... أُصُلاً وَكَانَ مُنَشَّرًا بِشِمَالِهَا(١)
وَعَقِيلَةٍ يَسْعَى عَلَيْهَا قَيِّمٌ ... مُتَغَطْرِسٌ أَبْدَيْتُ عَنْ خَلْخَالِهَا(٢)

هو الجواب ، والثانى أنه لما كان آليت لو اكتفى به مغنيا عن ذكر المقسم به صار كمكرر اليمين فجرى مجرى قوله : والله والله ، وما أشبهه ؛ فأما قوله « فتنظر عينه فى مالها » فلفظه لفظ الجواب ، والمعنى معنى الحال من الصفة النكرة التى قبله ، كأنه قال : لاأظفر أبدا بذى لحية إلا لم تنظر عينه فى مالها ، ومثله من أبيات الكتاب للفرزدق :

وَمَا قَامَ مِنَّا قَائِمٌ فِى نَدِيِّنَا ... فَيَنْطِقُ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَعْرَفُ

لأن المعنى ناطقا ، فان قيل : هل يجوز أن يكون جوابا ؟ قلت : لا ، وذلك أن المعنى يفسد وينعكس ؛ لأن التقدير حينئذ لاأثقفه فكيف ينظر : أى لو ثقفته لنظر ؛ لأن وجه الجواب أن يتعلق وقوع الثانى بوقوع الأول ويمتنع بامتناعه ، وفى هذا خروج عما يقصده المتكلم ، ومثله فى باب الواو

* لاَتَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِىَ مِثْلَه *

أى آتيا مثله : أبو هلال : أثقف : أظفر ، والمعنى لأجتهدن ولأطلبن حتى أظفر ولا أظفر منهم برجل ملتح فتنظر عينه فى مالها : أى أقتله فلا تنظر عينه فى مالها ؛ والهاء فى مالها راجعة إلى العين ، وجعل المال لها وهو لصاحبها

(١) يقول : إنها سبيت فلحقها عشيا بعد أن يئست لأن الغارة تكون بالغداة فلما رأته اطمأنت فَلاَثَتْ خِمارها برأسها ، ومعلوم أن باعثاً لم يَلِ عقدَ الخمار ، وإنما كان السبب فى أن عقدت المرأة ، وهذا كما يقال: قَتَلَ خالدُ بن الوليد مالك ابن نُوَيْرَة : أى كان الذى أعان على قتله ، وإنما قتله ضِرَارُ بن الأزور : أى أمنت هذه بى ؛ والبيت الآخر ضده وهو « وعقيلة »

(٢) العقيلة : كريمة الحى ، والقيم : زوجها ، والمتغطرس : النَّخْوة ، يعنى

وَكَتِيبَةٍ سُفْعِ الْوُجُوهِ بَوَاسِلٍ ... كَالْأُسْدِ حِينَ تَذُبُّ عَنْ أَشْبَالِهَا (١)
قَدْ قُدْتُ أَوَّلَ عُنْفُوَانِ رَعِيلِهَا ... فَلَفَفْتُهَا بِكَتِيبَةٍ أَمْثَالِهَا (٢)

أنه يَذُبُّ عنها وهذه صفته أبديت عن خلخالها أى أغَرْتُ على حيها فتشمَّرَتْ للهرب فظهر خلخالها ، يقول : فىّ نفع وضر ، ولا يكون الرجل كاملا إلا إذا نفع وضر .

(١) أى : فيها لمع سواد من البروز للشمس « بَوَاسل » رده إلى الكتيبة ، وفواعل فى صفة الرجال قليل ، يقال : فارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وناكس ونواكس ، وخارج وخوارج

(٢) الْعُنْفُوَان : هو الأوّل ، وإنما أضاف الأول إليه كأنه أراد قُدْتُ سوابق أوائلها ، وحقيقة العنفوان من اعتنفت الشيء إذا استأنفته ، وأمثالها ، يعنى أمثال هذه الكتيبة من العدو ، وقال أمثالها فرده إلى المعنى لأن الكتيبة هى الخيل والرجال .

قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن وائل بن صُرَيم كان ذا منزلة من السلطان ، وكان مَفْتُوقَ اللسان حُلْوَهُ ، جميلا ، فبعثه عمرو بن هند ساعياً على تميم ، فأخذ الاتاوة منهم غير بنى أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، فأتاهم وهم بِطُوَيْلع ، فنزل بهم ، وجمع الشاء والنَّعم وأمر بإحصائه ، فبينا هو جالس على شفير بئر جلس إليه شيخ من بنى أُسَيِّد ، فحدثه ، فغفل وائل ، فدفعه الشيخ فى البئر ، فوقع فيها ورَمَوْه بالحجارة حتى قتلوه وهم يرتجزون ويقولون :

يَا أَيُّهَا الْمَائِحُ دَلْوِى دُونَكَا ... إِنِّى رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَا

فبلغ أخاه باعثا خبرُه ، فعقد لواء وسار فى بنى غُبَرَ ، وآلى أن يقتلهم على دم وائل حتى تمتلىء دَلْوُه دمًا ، فقتل ثمانين رجلا ، وأسر جماعة ، وقتل رجلا

١٧٧ — وقال الْفِنْدُ الزِّمَّانِيُّ :

أَيَا طَعْنَةَ مَاشَيْخٍ كَبِيرٍ يَفَنٍ بَالِ[1]

منهم يقال له قُمَامَةُ فذبحه حتى ألقى دلوه فخرجت ملأى دما ولم يزل يُغير عليهم زمانا ويقتل منهم حتى إن المرأة من بنى أُسَيِّد كانت تعثر فتقول : تَعِسَتْ غُبَر ، ولا لقيت الظَّفر ، وَلاسُقِيت الْمَطَرَ ، وعدمت النفَّر ، وقال فى ذلك نصر بن عاصم بن الحليف من بنى ربيعة بن عامر بن جُهَيْلٍ بن ثعلبة بن غُبَر :

وَمِنَّا الَّذِى فَكَّ الْعُنَاةَ فَعَالُهُ بِحَوْمَلَ لَمَّا اُسْتَبْطَؤُا كُلَّ رَاحِلِ
مُلُوكِيَّةٌ كَانَتْ لَهُمْ وَرِيَاسَةٌ عَلَى الْعَهْدِ مِنْ عَصْرِ الْقُرُونِ الْأَوَائِلِ
وَمِنَّا الَّذِى غَشَّى طَوِىَّ طُوَيْلِعٍ ذَبَائِحَ مِنْ غَالِى الدَّمِ الْمُتَفَاضِلِ

قوله « ومنا الذى فك العناة » يعنى راشد بن شهاب بن عَبْدَةَ بن عُصَم بن ربيعة بن عامر بن جُهَيْل بن ثعلبة بن غُبَر فيما كان من حَمْل الدِّيات ، وقال المنخل اليشكرى فى ذلك :

وَقُرَى بَاعِثٌ أُسَيِّدَ حَرْبًا فِى النَّوَاحِى يُشِبُّ مِنْهَا الضِّرَامَا
جَرَّدَ السَّيْفَ ثَائِرًا بِأَخِيهِ يَقْتُلُ الْكَهْلَ مِنْهُمُ وَالْغُلَامَا
فَمَلَأْنَا الدِّلَاءَ حَتَّى عُرَاهَا عَلَقًا بَرَّدَ الْقُلُوبَ السِّقَامَا

(١) من الهزج الأوَّل ، والقافية متواتر

أراد يا طعنة شيخ ، وما زائدة ، وهذا اللفظ لفظ النداء ، والمعنى معنى التعجب ، كأنه أراد ما أهولها من طعنة ويالها من طعنة بدرت من شيخ كبير السن ، وَالْيَفَن : الشيخ الهرم ، ويجوز أن يكون المنادى محذوفا ، فيكون التنبيه بيا مُتَنَا ولاً غير الطعنة ، وينتصب على هذا طعنة بفعل مضمر ، كأنه أراد ياقوم اذكروا طعنة شيخ ، كما قال :

تُقِيمُ الْمَأْتَمَ الْأَعْلَى عَلَى جَهْدٍ وَإِعْوَالِ (١)
وَلَوْلَا نَبْلُ عَوْضٍ فِى حُظُبَّاىَ وَأَوْصَالِى (٢)

أَيَا شَاعِراً لَا شَاعِرَ الْيَوْمَ مِثْلُهُ جَرِيرٍ وَلَكِنْ فِى كُلَيْبٍ تَوَاضُعُ

المنادى محذوف ، وشاعرا : ليس بمنادى ، لأنه مقصود إلى واحد بعينه ، والمنادى إذا كان مقصودا إليه يعرّف ، كقولك : يارَجُلُ ، وَيَاغُلَامُ ، والمحذوف يجوز أن يكون هو الشاعر ، ويجوز أن يكون غيره ؛ فان كان المنادى غيره فكأنه قال لمن بحضرته : ياهذا ، حسبك به شاعرا ، على المدح والتعجب منه ، ثم بين أنه جرير ، ويشبه هذا الإضمار بقولهم : نعم رجلا زيد ، ويجوز أن يكون « حسبك به » على شريطة التفسير ، و « به » فى موضع اسم مرفوع لابد منه ، ويجوز أن يكون « حسبك به » الهاء للشاعر الذى جرى ذكره ثم وكده بقوله جرير : أى هو جرير ؛ وتقديرها ـ أعنى الخليل ويونس ـ ياقائل الشعر ، على أن قائل الشعر غير الشاعر المذكور ، كأنه قال : ياشعراء عليكم شاعرا لاشاعر اليوم مثله ، أو حسبكم به شاعرا ؛ فهذا ظاهر كلام سيبويه ، ويجوز أن يكون يا قائل الشعر المحذوف هو الشاعر المذكور ، وينتصب شاعرا على الحال ، ولا شاعر اليوم فى موضع النعت له ، واحتاج إلى إضمار قائل الشعر ونحوه حتى يكون المنادى معرفة كأنه قال : ياقائل الشعر فى حال ماهو شاعر لاشاعر مثله

(١) « تقيم المأتم » من صفة الطعنة ، وكأنه كان تناول بها رئيسا فلذلك وصف المأتم بالأعلى ، والمأتم أصله أن يقع على النساء يجتمعن فى الخير والشر ، واشتقاقه من الْأَتْمِ وهو الضم والجمع ، ومنه الأتوم وهى المرأة التى صار مسلكاها واحدا ، وكأنه مصدر وصف به ، ويجوز أن يراد به أهل المأتم ، فحذف المضاف كما يقال : جاء المجلس ، والمراد أهل المجلس ، والإعوال : رفع الصوت بالبكاء

(٢) عوض : اسم للدهر يبنى على الفتح ، وقد يبنى على الضم ، والضم فيه حكاه

لَطَاعَنْتُ صُدُورَ الْخَيْـــلِ طَعْنًا لَيْسَ بِالْآلِى [(١)]
تَرَى الْخَيْلَ عَلَى آثَا رِ مُهْرِى فِى السَّنَا الْعَالِى [(٢)]
وَلَا تُبْقِى صُرُوفُ الدَّهْــرِ إِنْسَانًا عَلَى حَالِ [(٣)]

الكوفيون ويقال : لا أفعله عوض العائضين ، وإنما بنى لتضمنه معنى الألف واللام والخُضْمَّة : ما[(١)] غلظ من الساعد ، يقال : خُضُمَّة وخُضُبَّة ، وقوله « حُظُبَّاى » أى جسمى ، ويقال : إن الحُظُبَّى عرق فى الظهر ، ومعنى البيت لولا رمى الدهر فى مفاصلى لكان تأثيرى فى الحرب أكثر مما كان . ونبل الدهر : حوادثه

(١) أراد بالخيل الفرسان ، ويجوز أن يريد بالصدور الأكابر والرؤساء ، والآلى : المقصر ، وجعل التقصير للطعن على المجاز

(٢) موضع « على آثار مهرى » نصب على الحال . والمعنى تابعين ، وَ « فى السنا » فى موضع المفعول الثانى لترى ؛ ومعنى السناقيل : النور العالى . وههنا يريد به بريق السلاح ، كأنهم يقدمونه ويَتَّقُونَ به ، هذا مَعْنًى . والأجود أن يكون المعنى ترى الفرسان إذا تبعت أثرى فى مَجْدٍ عالٍ : أى أنهم يرضون برآستى عليهم ويروى « فى الثُّبَا العالى » والأصل العالية ، ولكن ذكره على اللَّفْظِ لأنَّ ثبا مثل زلم ، وهى جمع ثبة ، وهى الجماعة ، وقال بعضهم : الثبا ههنا مجالس الأشراف

(٣) هذه تَسْلية لنفسه فيما صار إليه من ضعف بعد قوة ، وقوله « على حال » فى موضع الصفة لإنسان ، وتعلق على بمضمر ، كأنه قال : لا تبقى حوادثُ الدهر إنسانا قائما أو ثابتا على حال ، بل يُبَدَّل ويحول

---

(١) وقع البيت فى لسان العرب (حظب) كما هنا فى أصل الديوان ، ولكن الشارح يشرح ألفاظا غير موجودة فى هذه الرواية ، فلعلها رواية أخرى ، ويروى « فى حظنباى »

تَفَتَّيْتُ بِهَا إِذْ كَرِهَ الشِّكَّةَ أَمْثَالِى (١)
كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الْوَرْهَاءِ رِيعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ (٢)

١٧٨ — وقال رَبِيعَة بن مَقْرُومٍ :

أَخُوكَ أَخُوكَ مَنْ يَدْنُو وَتَرْجُو مَوَدَّتَهُ ؛ وَإِنْ دُعِىَ اسْتَجَابَا (٣)

---

(١) الشِّكَّة : ما يلبس من السلاح ، وقد شك الرجل فى السلاح ، إذا لبسه ؛ يَشُكُّ شَكًّا ، وهو شاكٌّ ، وتفتَّيْتُ : أى تخلقت بأخلاق الفتيان وأناشيخ ، ويروى « الشَّكة » وعَنى طعنةً انتظم بها رجاين على فرس فى حرب البسوس

(٢) الدِّفْنِس : الحمقاء ، والورهاء : المتساقطه العقل الضعيفة التماسك ، شبه اتساع الطعنة وسرعة خروج الدم منها باتساع جيب المرأة الحمقاء ونزوّها فى رَوْعها وقد سلك آخر هذا المسلك فقال فى معنى هذا ولفظه :

كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَاءِ رِيعَتْ وَهْىَ تَسْتَفْلِى

ومعنى « تستفلى » تطلب فَلْىَ شعرها ، وقد أخرجت يدها من جيبها فذعرت فى تلك الحالة فلم تصبر لرد اليد ولم ترفق بجيبها فمزقته ، وموضع « جيب الدفنس » نصب على الحال : أى تكلَّفْتُهَا مشبهة جيب الدفنس وقد ريعت بعد إجفالة ، وقيل : الدفنس التى تضع جيبها على طرف أنفها ، يراد أنها من عجلتها لا تستتم لبس ثيابها

(٣) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

«أخوك أخوك » يحتمل وجهين : أحدهما أن تكون اللفظة الثانية توكيدًا للفظة الأولى ، ويكون « مَنْ » وما بعدها خبر المبتدأ ، والمعنى أخوك الصادق الأخوة من يفعل بك هذه الأفعال ، والوجه الآخر أن يجعل أخوك الثانى خبر الأول كما تقول : فُلَان فلان : أى الذى قد عُرِف ، ومنه قول الشاعر :

إِذَا حَارَبْتَ حَارَبَ مَنْ تُعَادِي ... وَزَادَ سِلاَحُهُ مِنْكَ اقْتِرَابَا (١)

فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ ... يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حُرُّ

وأما قول الآخر :

سَلاَمٌ هِيَ الدُّنْيَا قُرُوضٌ وَإِنَّمَا ... أَخُوكَ أَخُوكَ الْمُرْتَجَى فِي الشَّدَائِدِ

فهو مثل البيت الأول ؛ فان شئت جعلت قوله أخوك الثانية توكيدا وجعلت « المرتجى » خبرا ، وإن شئت جعلت قوله أخوك الثانى خبرا و « المرتجى » نعتا له ويكون قوله « مَنْ يدْنُو » وما بعده من البيان الداخل فى صلته بدلا من قوله أخوك الثانى ، فهـذا المعنى يحتمل أن يكون حَثًّا على إكرام الغريب إذا نصح وأخاص ، كما قال الأعشى :

فإنَّ الْقَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ ... لَعَمْرُ أبِيكَ الْخَيْرِ لاَ مَنْ تَنَسَّبَا

ويجوز أن يكون وَصاةً بالأخ المناسب وإخبارا أن المؤاخى بغير النسب لاينتفع باخائه

(١) يجوز أن يكون هذا الـكلام متصلا بما قبله ، والضمير فى « حارب » لأخوك ، و « من تعادى » فى موضع المفعول من حاربت ، ويكون المعـنى إذا حاربتَ من تُعَادى حارب هذا المؤاخى معك ، ويجوز أن يكون منقطعا مما قبله ويكون مثلا مضروبا ، فيقول : إذا كاشَفْتَ عدوّك بعثه ذلك على مكاشفته ، وازداد عدته منك دنوا ، وإذا جاملته وداجيته بقى على ما ينطوى عليه مساترا لا مجاهرا ، أراد أنك إذا حاربت قَرُبَ منك ومعه سلاحه ليعينك ، فذكر قرب السلاح منه ليدل على أنه أراد إعانته على عدوه ، ولو ذكر أنه يقرب نفسه منه لم يدل على ذلك لأنه يجوز أن يقرب منه ولا يعينه

وَكُنْتُ إذَا قَرِينِي جَاذَبَتْهُ … حِبَالِى مَاتَ أَوْ تَبِعَ الْجِذَابَا (١)
فَإِنْ أَهْلِكْ فَذِى حَنَقٍ لَظَاهُ … عَلَىَّ تَكَادُ تَلْتَهِبُ الْتِهَابَا (٢)
مَخَضْتُ بِدَلْوِهِ حَتَّى تَحَسَّى … ذَنُوبَ الشَّرِّ مَلْأَى أَوْ قُرَابَا (٣)

---

(١) يقول : إذا جاذبنى قرينٌ لى حَبْلاً بينى و بينه فإما أن ينقطع دون شأوى إلى الجذاب فيهلك ، و إما أن يتبع صاغرا فينقاد

(٢) يضمرون « رُب » بعد الفاء كما يضمرونها بعد الواو ، وإضمارهم إياها مع غير الواو يدل على أن الواو ليست بدلا من رُبَّ ، ونحو منه قول امرىء القيس على رأى من خفض :

فَمِثْلِكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ وَمُرْضِعٍ … فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِى تَمَائِمَ مُحْوِلِ

يقول : إنْ أمُتْ فربَّ رجل ذى غضب تكاد نار عداوته تتوقد توقدا أنا فعلت به كذا ، و « لظاه » فى موضع المبتدأ ، و« تكاد تلتهب » فى موضع الخبر والجملة فى موضع الصفة لذى حنق ، والمجرور برب يقع موصوفا فى الأكثر ، وجواب رب فيما بعد ، والفاء من قوله « فذى حنق » مع ما بعده جواب الجزاء فان قيل : إن الفاء فى جواب الجزاء إنما يجىء إذا خالف الجملة التى تكون خبرا الجملة التى تكون شرطا بأن تكون مبتدأ وخبرا فكيف يكون تقديرها بعد الفاء ههنا ؟ قلت : يكون التقدير إن أهلك فالأمر والشأن رب ذى حنق

(٣) قوله « مخضت بدلوه » جواب رب إنسان هكذا أنا حَرَّكْتُ بدلوه حتى ملأتها ، جعل الدلو كناية عن السبب الذى جاذبه فيه ، وقُرَاب الماء : أن يقارب الامتلاء ، ويقال قِرَاب بالكسر ، كان المراد أن هذا المعادى الممتلىء غيظا لما ألقى دلوه يستقى بها الماء من بئرى ملأتها شرا وجعلته سقياه ، والمخض ــ بالخاء معجمة ــ تحريك الدلو فى البئر لتمتلىء ، والذَّنُوب : الدلو التى لها ذَنَبٌ

بِمِثْلِى فَاشْهَدِ النَّجْوَى وَعَالِنْ ... بِىَ الْأَعْدَاءَ وَالْقَوْمَ الْغِضَابَا(١)

فَإِنَّ الْمُوعِدِىَّ يَرَوْنَ دُونِى ... أُسُودَ خَفِيَّةَ الْغُلْبَ الرِّقَابَا(٢)

كَأَنَّ عَلَى سَوَاعِدِهِنَّ وَرْسًا ... عَلَا لَوْنَ الْأَشَاجِعِ أَوْ خِضَابَا(٣)

١٧٩ — قال سُلْمِىُّ بن ربيعة من بنى السِّيدِ بن ضَبَّةَ(٤)

والجمع أَذْنِبَةٌ ، وهى هنا مثل ، يقول : جَنَيْتُ عليه الشر حتى مَلَّه وجشمته إياه حتى تجشمه كله أو جله

(١) أى : جاهر بمثلى الأعداء وكاشفهم ليكفُّوا عنك؛ فمثلى يصلح لدفع المكاره وكشف النوائب

(٢) يريد الْغُلْبَ رِقَابًا ، وانتصابه على التشبيه بالضارب الرجلَ ، وروى بيت النابغة :

وَنُمْسِكْ بَعْدَهُ بِذُنَابِ عَيْشٍ ... أَجَبَّ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامُ

قالوا : يعنى أَجبَّ ظَهْراً ، وقال الحرث بن ظالم :

فَمَا قَوْمِى بِثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْدٍ ... وَلَا بِفَزَارَةَ الشُّعْرِ الرِّقَابَا

يعنى الشُّعْرَ رِقَابًا ، فلما أدخل الألف واللام نصب على ماذكرنا

(٣) أى : كأن على سواعد هـذه الأسود الْوَرْسَ أو الخضابَ من كثرة ما افترست الفرائس ، والأشاجع : عُرُوق ظاهر الكف ، والواحد أشجع

(٤) وكأنه منسوب إلى سلمى (١) ، قال أبو الفتح : سُلْمى : اسم علم مرتجل ، وَالسِّيد : الذئب ، والأنثى سِيدَانة ، وهذا يدلك على قلة حَفْلهم بالألف والنون ، ووجه الدلالة منه أن التاء فى نحو هذا إنما تلحق نفس المثال المذكر فرقا نحو ذِئْبٍ

---

(١) كذا ، والأصل فى النسب إلى المقصور الذى على أربعة أحرف ثانيها ساكن أن تقلب ألفه واوا فى النسب فيقال حبلوى

حَلَّتْ تُمَاضِرُ غَرْبَةً فَاحْتَلَّتِ فَلْجًا وَأَهْلُكَ بِاللِّوَى فَالْحَلَّتِ (١)

وَكَأَنَّ فِى الْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرَنْفُلٍ أَوْ سُنْبُلاً كُحِلَتْ بِهِ فَانْهَلَّتِ (٢)

وذئبة ، وعليه باب قائم وقائمة ، وقد نراهم قالوا سيدٌ وسيدانة ، فلولا أنهم لم يعتدوا بالألف والنون حتى كأنهم قالوا سيدة لذئبة لم يجز ذلك ، فإذا صح ذلك ثبت به عندك قوة ترك اعتدادهم بالألف والنون ، وأما ضَبَّة فمنقول ، وهى فى الكلام على أضرب : ضَبَّة الحديد ، وأنثى الضِّبَابَ ، والطلعة ، والمرة الواحدة من ضَبَبْتُ لِثَتَهُ

(١) الأوّل من الكامل ، والقافية متدارك

تُمَاضِر : من أسماء النساء ، وقد ذكرها بعض الناس فيما أغفله سيبويه من الأبنية ، وليس الأمر كذلك ؛ لأن تُمَاضِر مسماة بالفعل المضارع الذى هو مأخوذ من اللبن الماضر ، وهو الحامض ، أو من قولهم : عَيْشٌ مَضِر : أى ناعم ، وقيل : المضر الأبيض ، و« غَرْبَةً » أى : دارا بعيدة ، والْحَلَّة : موضع فى بلاد بنى ضبة ، وقالوا : الحلة حَزْن ببلاد ضبة ، وفَلْجٌ : وادفى طريق البصرة ، وبينهما مسيرة عشر : أى حلت بعيدةً منك ؛ إن قيل : لم قال حلت ثم قال احتلت ؟ وهلا اكتفى بأحدهما ؟ قلت : نبه بالأول أنها اختارت البعد منه والتغرب عنه ، وبالثانى الاستقرار ، فكأنه قال : نزلت فى الغربة واستوطنت فلجا ، وفَلَجٌ — بفتح اللام — موضع ، وفَلْجٌ — بسكون اللام — : ماء

(٢) ثَنَّى العينين ثم قال « كُحِلت به » فيجوز أن يكون جعل الاثنين جمعا كما جاء فى القرآن (قالوا لاتخف خصمان) وكما قال الفرزدق :

فَلَوْ بَخِلَتْ يَدَاىَ بِهَا وَضَنَّتْ لَكَانَ عَلَىَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

وإنما البابُ أن يقول : ضَنَّتَا ، فالأشبه أن يكون جعل الاثنين جمعا ، وقد

زَعَمَتْ تُمَاضِرُ أَنَّنِى إِمَّا أُمُتْ يَسْدُدْ أُبَيْنُوهَا الأَصَاغِرُ خَلَّتِى (١)

يجوز أن تخرج من الإخبار عن الاثنين إلى الإخبار عن الواحد ، كما تخرج من الإخبار عن الواحد إلى الإخبار عن الاثنين ، قال امرؤ القيس :

وعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ فَشُقَّتْ مَآقِيهِمَا مِنْ أُخَرْ

وقول الآخر : (١)

خَلِيلَىَّ قُومَا فِى عَطَالَةَ فَانْظُرَا أَنَارًا تَرَى مِنْ نَحْوِ بَابَيْنِ أَمْ بَرْقَا

والقَرَنْفُل والسنبل : من أخلاط الأدوية التى تحرق العين وتسيل الدموع ، وَانهلَّ وَاستهلّ : إذا سال

(١) قال أبو العلاء : أُبَيْنُوها : تصغير أبناء ، ولما ذكر سيبويه هذا الجمع عَبَّرَ بعبارة توهم أنه جمع أبنا على أفْعُلٍ ، ثم صغر كما يقال أَعْشَى وَأُعَيْشٍ ، والجمع أُعَيْشُون ، وإنما أراد أن الألف التى فى أبناء وبعدها الهمزة تحذف فيصير تصغيره كتصغير أفعل ، كأن أبا العلاء يريد أن مكبر هذا الجمع أَبْنَى على وزن أَفْعَل مفتوح العين بوزن أعمَى ، ثم حقر فصار أُبَيْنٍ كَأُعَيْمٍ ، ثم جمع بالواو والنون فصارا أُبَيْنُونَ ، ثم حذفت النون للاضافة ، وكان الأصل أبْنَاء على أفعَالٍ ، فالهمزة لام الكلمة ، وهى منقلبة من واو ، فلما حذفت الألف من أفعال رجعت اللام إلى ماكانت ، فصارت ألفا فى آخر الكلمة ، فصار أَبْنَي كأعمى ثم صغر على ماتقدم ، وقال : ويحسن أن يقال جمع أبنا على أَفْعُلٍ لأن أصله فَعَل كما يقال زَمَنٌ وأَزْمُنٌ ، ثم صغره وجمعه ، وقال قوم : إنما أراد بُنَيُّونَ ، وَابْنٌ من ذوات الواو فنقلها إلى أول الاسم ، ثم همزها للضمة ، كما قالوا : وُجُوه وأُجُوه ، ووُقِّتَتْ وأُقِّتَتْ ، كما قال الشاعر :

---

(١) هذا البيت لسويد بن كراع العكلى وانظره مع ثلاثة أبيات أخرى فى ياقوت (عطالة)

تَرِبَتْ يَدَاكِ وَهَلْ رَأَيْتِ لِقَوْمِهِ ... مِثْلِي عَلَى يُسْرِي وَحِينَ تَعِلَّتِي (١)
رَجُلاً إِذَا مَا النَّائِبَاتُ غَشِينَهُ ... أَكْفَى لِمُعْضِلَةٍ وَإِنْ هِيَ جَلَّتِ (٢)

مَنْ يَكُ لَاسَاءَ فَقَدْ سَاءَنِي ... تَرْكُ أُبَيْنِيكَ إِلَى غَيْرِ رَاعِ

فقوله « أُبَيْنُوهَا » على هذا تصغير أبْنَى مقصوراً عند البصريين ، وهو اسم صيغ للجمع كأَرْوَى وَأَضْحَى ، فهو على أفعَل بفتح العين ، وعند الكوفيين تصغير أبْنٍ مثل دَلْوٍ وَأَدْلٍ على أفْعُل بضم العين ؛ فان قيل : كيف ساغ أن يقول « خَلَّتِي » وإذا مات لم تكن له خلة ؟ قلت : أضافها إلى نفسه لما كان يَسُدُّهَا أيام حياته ، فكأنه قال : الخلة التي كنت أسُدُّها ، وهذا من إضافة الشيء إلى الشيء على حد قولهم : شهابُ الْقَذْفِ ، أضيف الشهاب إلى القذف لما كان من رَمْي الرامي ، ووجوه الإضافات واسعة ، وكان قوله « خلتي » أي موضعي وهي الفرجة والثلمة فيهم بموته

(١) « تربت يداك » أي صار في يديك الترابُ مما تؤملين ، هل رأيت أعْطَى مني على حال عسرتي ويسرى ؟ ويقال : اعتلّ مافي يد الرجل ، إذا قل ماله ، يقول : هل رأيت رجلا أكفى لمضلعة مني : أي داهية تملأ الأضلاع كَرْباً وَهَوْلاً ، وَالتَّعِلَّة : من عَلَّلْتُ ، كأنه أراد حين أفتقر فأحتاج إلى العِلَل : أي الْحُجَج ، أو إلى أن أُعَلِّل نفسي كما يعالل العليل ، والقياس يوجب أن تعلة مصدر على تَفْعِلة ، وهذا البناء مطرد في فَعَّل كَتَكْرِمة وَتَعْزِيَة من كرّمته وعزّيته ، فاذا جاؤا إلى المضعف مثل ربّبْتُ وَعَلَّلْتُ أدغموا فقالوا التَّرِبَّة وَالتَّعِلَّة ، وقد ذهب بعض الناس إلى أن التَّرِبَّة وبابها ليست مصدر فَعَّلَ وإنما هي بناء موضوع من الثلاثي ، والقول الأول أشبه

(٢) انتصب « رجلا » على أنه بدل من « مثلي » كأنه قال : هل رأيت لقومه رجلا أكفى للشدائد مني ، فحذف « مني » لأن المراد مفهوم ، وأراد لقومي فلم

وَمُنَاخِ نَازِلَةٍ كَفَيْتُ وَفَارِسٍ ... نَهِلَتْ قَنَاتِي مِنْ مَطَاهُ وَعَلَّتِ (١)
وَإِذَا الْعَذَارَى بِالدُّخَانِ تَقَنَّعَتْ ... واسْتَعْجَلَتْ نَصْبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتِ (٢)

يَسْتَوِ له ، فجعل الضمير بالهاء على معنى الرجل

(١) يجوز أن يعنى بمناخ نازلة مناخَ رفقة نزلت به ، ولا يمتنع أن يكون عَنَى نازلةً من نوازل الدهر ، واستعار الإناخة ، وكان بعضُ أهل العلم ينكر قوله « نهلت قناتى من مطاه وعلت » ويزعم أنه إذا طعن الفارس لم يقف له حتى تعلَّ منه القناةُ ، وهذا كلام ليس بشىء ، والبيت يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون أراد أن قناتى رَوِيَتْ من مَطاه . فجعل النَّهَلَ والْعَلَل كناية عن الرى ؛ لأن الناهل إذا عل فقد تناهى فى الشرب ، وهذا كقول الآخر :

* نَهِلَ الزَّمَانُ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرَّدِ *

وليس هناك نَهَلٌ ولا عَلَلٌ ، والآخر أنه يريد أنها نهلت من فارس وعلت من غيره ، لأن صاحب القناة يجوز أن يطعن فى الساعة الواحدة مرارا ، ويجوز أن يكون المراد أنها نهلت منه وعلت من غيره : أى لم يكن بلائى مقصورا على طعنة واحدة ، والمطا : الظهر ، جعله مُوَلِّيا منهزما ، ولو جعله مُقْبلا كان أفخم له، لأنه لامؤنة فى طعن المنهزم ، وكان ينبغى أن يقول : نهلت قناتى من حَشَاه

(٢) الْعَذَارَى : جمع عذراء ، وأصله عَذَارِىّ بتشديد الياء ، فالياء الأولى مبدلة من المدة قبل الهمزة ، كما تبدل فى سِرْبَال إذا قلت : سَرَابيل ، فلما انقلبت المدةُ ياءً لانكسار ما قبلها وكان الأصل فى همزة التأنيث ألفا عادت إلى أصلها لزوال الألف قبلها فأبدل منها ياء ثم أدغمت الأولى فى الثانية فقيل عَذَارِىّ ، وكذلك فى صحراء صَحَارِىّ ، ثم حذفت إحدى الياءين تخفيفا ، فقيل عَذَارِى وصَحَارِى ، ثم فروا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفا فقيل :

دَارَتْ بِأَرْزَاقِ الْعُفَاةِ مَغَالِقٌ بِيَدَىَّ مِنْ قَمعِ الْعِشَارِ الْجِلَّةِ (١)
وَلَقَدْ رَأَبْتُ ثَأَى الْعَشِيرَةِ بَيْنَهَا وَكَفَيْتُ جَانِيَهَا اللَّتَيَّا وَالَّتِى (٢)
وَصَفَحْتُ عَنْ ذِي جَهْلِهَا وَرَفَدْتُهَا نُصْحِي وَلَمْ تُصِبِ الْعَشِيرَةَ زَلَّتِى (٣)

عَذَارَى وصَحَارَى، وخص العذارى بالذكر لفرط حيائهن وشدة انقباضهن، وجعل « نَصْبَ القدور » مفعول « استعجلت » على المجاز والسعة، ويجوز أن يكون المراد استعجلت غيرها بنصب القدور أو فى نصبها، فحذف، والمراد أنها طلبت العجلة فى نصبها وملت قبل إدراكها: أى أكبت على النار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع، وعلى هذا يكون « وملت » بالواو، وغير أبى تمام يرويه « واستبطأت نصب القدور فملت »

(١) أى: دارت بيدىَّ مغالق بأرزاق العفاة من قمع العشار، ففصل بالفاعل بين الأرزاق وبين «من قمع العشار»، وإنما سميت القداح مغالق لأن الجزر تغلق عندها وتهلك بها، وَالْعِشار: جمع عُشَرَاء، وهى التى أتى عليها من حملها عشرة أشهر، وتسمى به بعد وضعها الحمل بأشهر

(٢) الثَّأَى: الفساد، والرأب: الإصلاح، وقوله « جانيها » إن فتحت الياء كان واحدا، وإن أدى معنى الجمع، وإن سكنت الياء جاز أن يكون جمعا سالما وأن يكون واحدا وقد حذفت فتحتها؛ واللتيا والتى: اللتيا تصغير التى فجعلهما اسمين للكبيرة والصغيرة من الدواهى، ولهذا استغنيا عن الصلة وانتقلا عن كونهما موصولين، ويذهب بعضهم إلى أن صلتيهما محذوفتان لدلالة الحال عليهما والمعنى أنه يكفى عشيرته الجليل من الأمور والحقير منها فلا يحوجهم إلى غيره

(٣) يقال: رَفَدْتُ وأَرْفَدْتُ، إذا أعطيت، لغتان فصيحتان، والمعنى أنه ينصح لهم ويصفح عن جاهلهم ولم تصبهم عثرته، والرِّفْد: المعونة، ومنه قيل:

وَكَفَيْتُ مَوْلاَىَ الْأَحَمَّ جَرِيرَتِي ... وَحَبَسْتُ سَائِمَتِي عَلَى ذِي الْخَلَّةِ (١)

١٨٠ — وقَالَ أُبَىٌّ بنُ سُلْمِىّ بن رَبيعة بن زَبَّان الضَّبِّىّ : (٢)

رفادة الجرح ، ورَفَّد بنو فلانٍ فلاناً ، إذا سَوَّدوه ، تَرْفيدا

(١) الأحم : الأخص والأمسُّ ، وهو أفعل من الحميم : أى لم يؤاخذوا بجرائرى ، والسائمة : المال الراعى ، والخلة : الحاجة والفقر : أى حبستها على أصحاب الحاجات منهم لينالوها

(٢) قال أبو الفتح : أُبَىٌّ تصغير أب ، ويجوز أن يكون تصغير آبٍ على الترخيم ، أو تحقير أَبِىّ وأصله أُبَيِّىٌ بثلاث ياآت الوسطى منها مكسورة ككسرة الياء من طُرَيِّف فحذف الطرف ، لا على رأى أبى عمرو ، ألا تراه كان يقول فى تحقير أَحْوَى أُحَىٍّ حتى ألزمه سيبويه أن يقول فى تحقير عَطَاء عُطَىٍّ ؛ ويجوز أن يكون تحقير أب من قولك هذا تيس أبٍ وعنز أبواء ، ويجوز أن يكون تحقير اسم رجل سمى أَبًا من قولهم : تيس أب ، وهو ما أنشده أبو زيد

أَقُولُ لِكَنَّازٍ تَدَكَّلْ فَإِنَّه ... أَبًى لَا أَظُنُّ الضَّأْنَ مِنْهُ نَوَاجِيَا (١)

ويجوز أن يكون تحقير إباء مصدر أَبَيْت ، ولست أقول : إن المصدر يُحقر ، ولكنه كأنّ إنسانا سمى إباء كما سمى مَضَاء ثم حقر ، فان قيل : ولم لم يحقر المصدر نفسه ؟ قيل : لم يجز ذلك لانتقاض المعنى به ، وذلك أن المصدر اسم لجنس فعله ، والجنس أبدا غايةُ الغايات فى معناه ، وما كانت هذه صفته فى الشياع والانتشار فما أبعده من التحقير ، وهو الغاية فى العموم ، ولذلك لم تُثَنَّ المصادر ولم تكسر إلا أن توقع على الأنواع ، وامتناع المصادر من ذلك كامتناع الأفعال ، وأما زَبَّان فمرتجل علما ، مثاله فَعْلَان من الأَزَبّ والزَّبَب ، وليس بفعال من الزبن لامتناعه من الصرف

---

(١) البيت لابن أحمر ، انظر اللسان (أ ب ى) وانظره (د ك ل) أيضا

وَخَيْلٍ تَلاَفَيْتُ رَيْعَانَهَا بِعِجْلِزَةٍ جَمَزَى الْمُدَّخَرْ (١)
جَمُومِ الْجِرَاءِ إِذَا عُوقِبَتْ وَإِنْ نُوزِقَتْ بَرَّزَتْ بِالْحُضُرْ (٢)
سَبُوحٍ إِذَا اعْتَرَضَتْ فِى الْعِنَانِ مَرُوحٍ مُلَمْلَمَةٍ كَالْحَجَرْ (٣)
دُفِعْنَ عَلَى نَعَمٍ بِالْبِرَا قِ مِنْ حَيْثُ أَفْضَى بِهِ ذُو شَمِرْ (٤)

(١) الثالث من المتقارب ، والقافية متدارك

رَيْعَان كل شىء : أوله ، والْعِجْلِزة : الفرس الصلبة ، وجَمَزَى : فَعَلَى من الجمز وهو سرعة السير ، وهذا مما يوصف به الإناث والذكور ، والألف للتأنيث ، قال الرياشى : ولم يوصف الذكر بشىء آخره هكذا إلا هذا الحرف ، وحرف آخر : وهو قول الهذلى

أَوَ أُصْحَمُ حَامٍ جَرَامِيزَهُ حَزَابِيَةٌ حَيَدَى بِالرِّحَالِ

والْمُدَّخَر : ما يدخره الدابة من عَدْوه : أى رب خيل تداركتها وهى منهزمة أو راجعة بنهب من غارة بفرس هذه صفتها

(٢) جَمُوم : يجم لها جرى بعد جرى ، وعوقبت : طاب منها عقب : أى جرى بعد جرى ، وأول الجرى نزقة وآخره عقب ، وقوله « وإن نوزقت » أى إذا جرت الخيل معها الجرى الأول ، وهو من النَّزَق : أى النشاط ، برزت عليهن بالحضر وهو العدو الشديد

(٣) أى : كأنها تَسْبَح فى جَرْيها ، وقوله « إذا اعترضت » أى : إذا اعترتها صعوبة ، وهى العُرُضِيَّة ، ويروى « اعترمت » أى : انتخت (١) ، ويروى « اعترمت » أى : سطت وعالت ، والْعُرَام : مفارقة القصد والخروج عن الحد ، وقوله « فى العنان » فى موضع الحال ، كما يقال : جاء فلان فى جُبَّة : أى وعليه جبة ، وململمة : صلبة ، من قولهم : لممت الشىء ، إذا جمعته ؛ وأصله مُلَمَّمَة

(٤) قوله « دفعن على نعم » جواب رُبَّ إذا جعلت قوله « تلافيت

---

(١) هكذا ، ولم أوفق للعثور على هذه الرواية ، ولعله « انتحت »

فَلَوْ طَارَ ذُو حَافِرٍ قَبْلَهَا ... لَطَارَتْ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطِرْ (١)

فَمَا سَوْذَنِيقٌ عَلَى مَرْبَأٍ ... خَفِيفُ الْفُؤَادِ حَدِيدُ النَّظَرْ (٢)

رَأَى أَرْنَباً سَنَحَتْ بِالْفَضَاءِ ... فَبَادَرَهَا وَلَجَاتِ الْخَمَرْ (٣)

بِأَسْرَعَ مِنْهَا وَلاَ مِنْزَعٌ ... يُقَمِّصُهُ رَكْضُهُ بِالْوَتَرْ (٤)

ريعانها » من صفة « وخيل » حملا على مايجىء المجرور برب فى الأكثر من لزوم الوصف له ، وقد جاء غير موصوف ، وإن قل ، وعلى هذا يكون تلافيت الجواب ، ودفعن من صفة الخيل ، والمعنى دفعت هذه الخيل على إبل بالبراق من حيث أدّاه إلى الفضاء ذوشمر . وهو مكان ، وقوله « أفضى به » الضمير للنعم ، وهو مذكر ، يقال : هذا نَعَم وارد ، والْبِرَاق : جمع برقة ، وهو موضع فيه حجارة بيض وسود

(١) أى : لو كان يطير فرس قبل هذه لطارت هذه من سرعتها ، ولكن هذا مالا يكون

(٢) السَّوْذَنيق : من جوارح الطير ، وهو الشاهين

(٣) الْوَلَجَات : جمع ولجة ، وهو موضع الولوج ، وموضع « ولجات » نصب على أن يكون مفعول « بادرها » وَالْخَمَرُ : ماواراك من الشجر ، ويقال : بادرت كذا ، وإلى كذا

(٤) قوله « بأسرع منها » خبر ما ، يقول : ماسوذنيق هذا وصفه بأسرع من فرسى ، ولا سَهْمٌ ينزيه رَكْضُ الوتر به ، والمنزع : السهم ، يقال : نزعت فى القوس نَزْعاً ، وانتزعت له بِمِنزَع ونزعت : أى بسهم ، وفى المثل : عاد السهم إلى النَّزَعَة فى معنى رجع الحق إلى أهله ، و « يقمص » أى يُجْرى ، يقال : قمص البحر بالسفينة إذا حركها بالموج ، حتى كأنها بعير يقمص ، وإنما جعل الركض للوتر لأنه هو

١٨١ — وقال زَيْدُ الْفَوَارِسِ بن حُصَيْن بن ضِرَار الضَّبي :

تَأَلَّى ابْنُ أَوْسٍ حَلْفَةً لِيَرُدَّنِي ... عَلى نِسْوَةٍ كَأَنَّهُنَّ مَفَائِدُ (١)

الذى يزجُّ بالسهم ويدفعه . فكأنه يركضه ، وهذا نحو من قول الآخر : ماأمسك الحبل حافزه ، وما أشبهه ؛ لأن الركض للوتر وجعله للسهم ، ويمكن أن يترك على ظاهره فيجعل السهم راكضا من حيث كان راكبا للوتر ، والركض : تحريك الفارس رجليه على الفرس عند الاستحثاث ، وإذا كان كذلك فكأن السهم هو الذى ركض الوتر وإن كان الحفز للوتر

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

آلى الرجل وائْتَلَى وتألّى بمعنى ، وهذه الأبنية من الأَلِيَّة وهى اليمين ، وَ « حَلْفَةً » انتصب على أنه مصدر من غير لفظه ، وقوله « ليردنى » يروى بفتح اللام وضم الدال على أن تكون اللام لام اليمين ، وذكر سيبويه أن لام القسم يلزمها إحدى النونين الثقيلة أو الخفيفة ، وقال أيضا : وقد تحذف النون فى الشعر وهذا الموضع بالرواية الثانية جاء على ماسوّغه[1] ، وقد جاء أبعد من هذا فى الاستعمال وهو حذف اللام وإثبات النون ، قال :

وَقَتِيلِ مُرَّةَ أَثْأَرَنَّ فَإِنَّهُ ... فَرْغٌ وَإِنَّ أَخَاهُمُ لَمْ يُقْصَدِ

والْمَفَائِد : جمع مِفْأَد ، وهى المساعير والسفافيد ، ومن روى « لِيَرُدَّنِى » فالمعنى حلف لهذا الأمر ، وجواب القسم يكون محذوفا مقدرا ، ويستدل عليه بما ذكره وقال بعض المتقدمين : تقول : حلف لَيَفْعَلَنَّ ، فاذا حذفت النون كسرت اللام وأعملتها إعمال لام كى ، والموضع موضع القسم ، والمعنى معناه ، وأنشد :

إِذَا قُلْتُ قَدْنِى قَالَ بِاللهِ حَلْفَةً ... لِتُغْنِيَ عَنِّى ذَا إِنَائِكَ أَجْمَعَا

وقيل : مثل تألى ليردنى « أراد ليفعل كذا » وفى القرآن (يريدون ليطفؤا

---

(١) يريد أن البيت على رواية فتح اللام قد جاء كما سوغه سيبويه بحذف النون المؤكدة

قَصرْتُ لهُ مِنْ صَدْرِ شَوْلَةَ إِنَّمَا ... يُنَجِّي مِنَ الْموْتِ الْكَرِيمُ الْمُنَاجِدُ (١)
دَعَانِي ابْنُ مَرْهُوبٍ عَلَى شَنْءٍ بَيْنَنَا ... فَقُلتُ لَهُ إِنَّ الرِّمَاحَ مَصَايِدُ (٢)
وَقُلْتُ لَهُ كُنْ عَنْ شِمَالِي فَإِنَّنِي ... سَأَكْفِيكَ إِنْ ذَادَ الْمَنِيَّةَ ذَائِدُ (٣)

نور الله بأفواههم) كأن الفعل دل على المصدر ، واللام مع الاسم المجرور به فى موضع الخبر لذلك المصدر المبتدأ ، كأنه قال : أراد لى كذا (١)

(١) شَوْلة : اسم فرسه ، وقوله « إنما ينجى من الموت الكريم » يعنى أنه خاص نفسه لما علق الرجاء به

(٢) أى : استغاث بى على مابيننا من عداوة و بغضاء فأجبته بعد ماهوّنت عليه ماخوّفه وبينت أن الرماح حبائل الرجال ومصايدهم ، فلا تبال بالموت إذا كان على وجه لايتعقبه عار

(٣) إنما قال « كن عن شمالى » لأن الضرب والطعن والرمى فى العِطْف وماشا كل ذلك من الجانب الأيسر أمكن منه من الأيمن ، ووجه آخر : وهو أن العطف فى الجانب الأيسر ، فقال له : كن فى الجانب الذى أنا ممنى به ، وقيل : إنما قال « كن عن شمالى » لأنه موضع المُعَان المنصور ، واليمنى موضع الناصر ، يقال : أنا على يمينك ، وعن يمينك : أى ناصرك ، كأنه أمره أن يكون على ميسرة الجيش ، ويكون هو على الميمنة ، لأنهم يجعلون على ميمنة العسكر كل موثوق به ، وهذا أحسن وجه يحمل عليه قوله « وقلت له كن عن شمالى »

قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن زيد الفوارس أقبل هو وعَلْقَمَة بن مرهوب ورجل من بنى هَاجَرَ ورجل من بنى صُبْح وحَسَّان ابن المُنْذِر بن ضِرَار حتى نزلوا ببنى جَدِيلة من طيىء ، وكان بنو جَدِيلة قد ولدوا جَبَّار بن صَخْر بن ضِرار ، فأبى زيد وعلقمة أن ينزلا مع حَسَّان وركبا

---

(١) هذا حل المعنى ، وليس هو حل الذى ذكره من الاعراب

١٨٢ – وقال الرُّقَاد بن الْمُنْذِر بن ضرار الضبي (١)

لَقَدْ عَلِمَتْ عَوْذٌ وَبُهْثَةُ أَنَّنِي ... بِوَادِي حُمَامٍ لاَ أُحَاوِلُ مَغْنَمَا (٢)

وجوههما ، فقال أوس بن حارثة بن لأم لحسان : مَنْ هٰذَانِ معك ؟ قال : زيد الفوارس ، وعلقمة بن مرهوب ، فقال لابنه قيس بن أوس : اركب فارددهما عليّ ، فركب فقال : إن أبي يُقْسِم عليكما لترجعَانّ ، فأبيا ، فأغلظ لهما ، فرجع إليه زيد فقتله ، فلما رأى ذلك ابن مرهوب ، وكان مصارما لزيد ، قال : يازيد أذكرك الله أن تتركني ، فربع عليه ، فلما أبطأ على أوس ابنه تحذر حسان الذي كان عنده ، فركب هو وصاحباه ، فلما انتهوا إلى زيد ورأوا ماصنع قال بُرَيْمَةَ وهو أهون من معه : ارجع إلى درعي نسيتها عند أوس فأتني بها ، فان قال لك : من أنت ، فقل : أنا ابن ضرار ، فرجع بُرَيْمَةُ إليه فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا ابن ضرار ، فقتله ، وقال : كريم بكريم ، وقيل : إن قيس بن أوس لما لحق زيداً ناداه : يازيد ارجع ، فقال زيد : إلام أرجع ؟ فقال قيس : واللات والعزى لأردنك أسيرا إلى نسوة تركتهن ، فقتله زيد ، وقال : تألّى ابنُ أوسٍ حلفة — الأبيات

(١) قال أبو الفتح : هذا في الأصل من رَقَد يَرْقُدُ ، ودخول اللام عليه وهو علم يمكّن فيه حال الصفة كالحرث والطفيل ، وهذا إنما هو على جريان المصدر صفة ، نحو قولك : هذا رَجُل رُقَاد : أي راقد ، كقولك : رجل عَدل : أي عادل ، وَصَوْم : أي صائم ، ومثله الْفَضْل والعلاء وأشباهه كثيرة .

(٢) الثاني من الطويل ، والقافية متدارك

بُهْثَة : من سُلَيْم بطنٌ منهم ، والبُهْثَة في اللغة : ولد البغيّ ، والبهث : البشر وحسن اللقاء ، وَالْحُمَام بضم الحاء : حمى الإبل والدواب ، يقول : لقد علمت هاتان

وَلَكِنَّ أَصْحَابِى الَّذِينَ لَقِيتُهُمْ ... تَعَادَوْا سِرَاعاً وَاتَّقَوْا بِابْنِ أَزْنَمَا (١)

فَرَكَّبْتُ فِيهِ إِذْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ ... بِمُنْقَطَعِ الطَّرْفَاءِ لَدْناً مُقَوَّمَا (٢)

وَلَوْ أَنَّ رُمْحِى لَمْ يَخُنِّى انْكِسَارُهُ ... جَعَلْتُ لَهُ مِنْ صَالِحِ الْقَوْمِ تَوْءَمَا (٣)

وَلَوْ أَنَّ فِى عُمْنَى الْكَتِيبَةِ شَدَّتِى ... إِذَا قَامَتِ الْعَوْجَاءُ تَبْعَثُ مَأْتَمَا (٤)

القبيلتان أنى قصرت بغيتى على طلب الثأر فى هذه الوقعة دون طلب المغنم. وقال أبو رياش: عَوْذ بن غالب من بنى عبس، وبُهْثة من عبد الله بن غطفان

(١) يريد بالأصحاب من لاقاه من الأعداء، وتَعَادَوْا: أى تبادروا مسرعين، ويجوز أن يكون من « عَادَى بينهم » : أى والى، فيكون المعنى تَوَالَوْا، ومن هذا قولهم : تعادى القوم : أى مات بعضهم فى أثر بعض ، وقوله « واتقوا بابن أزنما » يريد جعلوه بينى وبينهم لأنه ثبت فى وجه القوم يشغلهم ليسلم أصحابه

(٢) الباء من قوله « بمنقطع الطرفاء » تتعلق بقوله « ركبت » أى: طعنته لما عرفت محله من أصحابه وموضعه من البلاء؛ ولا يمتنع أن يكون معنى قوله « عرفت مكانه » عرفت موضعه ومقامه، لأن الرئيس يخفى مكانه ويخمل نفسه كثيرا وحينئذ تتعلق الباء من « بمنقطع الطرفاء » بقوله « مكانه » ولكن قوله « واتقوا بابن أزنما » يأبى إلا القول الأول

(٣) التوءم: زنته فَوْعَل، واشتقاقه من الوئام، والتاء فيه مبدلة من الواو، وكأن الولد وَاءَمَ فى الإتيان غيره: أى وافق، وخص الصالحين منهم لأنهم يتبجَّحون بقتل الملوك والرؤساء.

(٤) كأنه خفى عليه مكان واتره فلم يعلم أهو فى الميمنة أم فى الميسرة فأخذ

١٨٣ — وقال :

إذَا المُهْرَةُ الشَّقْرَاءُ أُدْرِكَ ظَهْرُهَا ... فَشَبَّ الإِلهُ الْحَرْبَ بَيْنَ الْقَبَائِلِ (١)

وَأَوْقَدَ نَاراً بَيْنَهُمْ بِضِرَامِهَا ... لَهَا وَهَجٌ لِلْمُصْطَلِي غَيْرُ طَائِلِ (٢)

يتلهَّفُ على مافاته منه ، وَالشَّدَّة : الحملة ، يقول : لو اتفقت حملتى فى يمنى الكتيبة بدلا من يسراها لقامت أمه وقد ثكلته تهيج المأتم للنوح عليه ، ولكن نجَّاه منى ذهاب مقامه عن علمى ، وجعلها عَوْجاء إما على طريق السب كما قال (١) :

كَمْ عَمَّةٍ لكَ يَاجَرِيرُ وَخَالَةٍ ... فَدْعَاءَ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِى

فيكون الْعِوَج فى تلك لتفاوت خلقتها وزوالها عن سَنَن الاستقامة كالْفَدَع فى هذه ، وإما أن يكون أراد أنها مضرورة مجهودة ، أو يكون لقبالها ، والمأتم أصله فى الضم والجمع

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

ويروى « أَرْكَبَ ظَهْرُهَا » أى : حان أن يُرْكب ، وجعل الفعل للظهر على التوسع ؛ إذ كان موضع الركوب ، ويكون «أركب» كما يقال : أَحْصَدَ الزرعُ ، و«أدرك ظهرها » من أدرك الثمر إذا أمكن الانتفاع به ، وارتفاع المهرة بفعل مضمر بعد إذا يكون الظاهر تفسيره : أى إذا قَوِيَ وصار بحيث يركب فشب الله الحرب حينئذ بين القبائل ، يعنى أنه إذا ركبها لا يبالى بما يكون من الحروب

(٢) قوله «وأوقد ناراً بينهم» من جملة الدعاء ، والكلام يدل على استعجاله لحصول الحالة التى يتمناها ، يقول : أجَّجَ بينهم نار الحرب بما يلهبها حتى يصير لها وَهَجٌ لا خير فيه لمن يدنو منه ، وخص الضرام لأنه يسرع ذهاب النار فيه فيعلو لهبها . فإن قيل : لم كرر طلب إيقاد النار فى البيت الأول والثانى ؟ قيل : أراد به

---

(١) هو الفرزدق

إِذَا حَمَلَتْنِى وَالسِّلاحَ مُشِيحَةً
إِلَى الرَّوْعِ لَمْ أُصْبِحْ عَلَى سِلْمِ وَائِلِ (١)

فِدًى لِفَتًى أَلْقَى إِلَىَّ بِرَأْسِهَا تِلادِى وَأَهْلِى مِنْ صَدِيقٍ وَجَامِلِ (٢)

١٨٤—وقال شَمْعَلَةُ بن الأخضر بن هُبَيْرَةَ بن المنذر بن ضِرَار الضبى (٣)

نار الخلاف حتى إن من دخل فيهم طالباً لصلاح بينهم لم يقدر على إزالته .

(١) المشيح والمشائح والشِّيح واحد ، قال :

* وَشَايَحْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ إنك شِيحُ *

والمشايحة : المجادة ، والمشيح : الحازم : أى إذا تمت لى آلة الحرب لم أسالم وائلا

(٢) « ألقى إلىّ برأسها » أى : وَهَبَهَا لى وأمكننى من قيادها ، وذكر الرأس كما يقال : هو يرتبط كذا رأسا ، والمعنى أفدى بمالى القديم وأهلى المصادقين فتى مكَّننى من هذه المهرة وملكنيها ، وقوله «من صديق وجامل» تبيين ؛ فالصديق تفسير الأهل ، والجامل تفسير المال التلاد ، و يروى « من صديق وحامل » فيكون من تفسير الأهل خاصة ، كأنه يريد وأهلى من مصادق لى و بارّ بى ، و يقال : حمله على كذا مركباً ، إذا أعطاه ، كأنه قال : كل من حمانى على فرس من أهلى فهو فداء لمن حملنى على هذا المهر لأنه يقع دونه فى القدر ، أبو هلال : كان ينبغى أن يقول من صديق وعدوّ فأما أن يقول من صديق و إبل فردىء جدا لأنه جعل الإبل من الأهل ، و إن رد الجامل إلى التلاد فردىء أيضا ؛ لأن قوله من صديق يحتاج إلى قسم آخر و إلا فالكلام مبتر لا خير فيه .

(٣) قال أبو العلاء : الشمعلة أصل بناء «اشْمَعَلّ» إذا أسرع ، قال أمية بن أبى الصَّلْت :

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ وَآخَرُ فَوْقَ دَارَتِهِ يُنَادِى

وَيَوْمَ شَقِيقَةِ الْحَسَنَيْنِ لاَقَتْ   بَنُو شَيْبَانَ آجَالاً قِصارَا (١)
شَكَكْنَا بِالرِّمَاحِ وَهُنَّ زُورٌ   صِمَاخَىْ كَبْشِهِمْ حَتَّى اسْتَدَارَا (٢)

والأخضر : ينعت به الرجل على معنى المدح ، وعلى معنى الذم ، وإذا مدح به احتمل أن يكون مشبها بالبحر ؛ لأن البحر يوصف بالخضرة ، أو بالربيع ، وهذان الوصفان لمن ذكر بالجود ، ويوصف الإنسان بالأخضر لأن الخضرة من ألوان العرب قال (١) .

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِى   أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِى بَيْتِ الْعَرَبْ

وإذا جاؤا بالخضرة فى معنى الذم فانما أرادوا أنهم قد اخضروا من اللؤم ؛ لأن السواد إذا اشتد جعل خضرة فقيل : ليلٌ أَخْضَر ، واخضرَّ الليل ، قال القطامى :

يَانَاقُ سِيرِى عَنَقًا قِسْبَرَّا   وَقَلِّبِى مَنْسِمَكِ الْمُغْبَرَّا

* وَبَادِرِى اللَّيْلَ إِذَا مَا اخْضَرَّا *

وقال جرير :

كَسَا اللُؤْمُ تَيْمًا خُضْرَةً فِى جُلُودِهَا   فَوَيْلٌ لِتَيْمٍ مِنْ مَطَارِفِهَا الْخُضْرِ

وهُبَيْرة : تصغير هَبْرَةٍ ، وهى القطعة المستديرة من اللحم ، قال أبو الفتح : شمعلة منقول من الشمعلة وهى الناقة السريعة ، وهبيرة : منقول من تصغير هبرة

(١) الأول من الوافر ، والقافيه متواتر

الشقيقة : رملة عظيمة ، وقيل : رملة بين رملتين ، وهى فى الأصل صفة فجعلت اسما وألحق بها الهاء ، والحسنان : رملتان ببلاد بنى تميم ، وقيل : كثيب ضم إليه قطعة أرض يقرب منه ، وكان فيه مقتل بِسْطَام بن قيس الشيبانى

(٢) الشك : النَّظْم ، يقول : انتظمنا بالرماح والخيل منحرفة للطعن صماخى

---

(١) هو للفضل بن عباس بن عتبة بن أبى لهب ؟

فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوَسَّدْ   وَقَدْ كَانَ الدِّمَاءُ لَهُ خِمَارَا (١)

١٨٥ — وقال حُسَيْل بن سُجَيْح الضبى (٢)

كبشهم ، يعني بسطاما ، وكان قد أغار على بنى ضبة واستاق إبلها ، فلما لحقوه أخذ بسطام يُعَرْقب الإبل ، فقالوا له : يابسطام ، ماهذا السَّفَه ؟ لاتعقرها لاأبالك إمَّا لنا و إمالَك ، ثم أصيب فى صماخه ، وهو الخرق الباطن الذى يفضى من الأذن إلى الرأس ، قتله عاصم بن خليفة الضبى ، وكان مضعوفا ، ورأته أمه يقمع حديدة له فقالت له : ما تفعل بهذه ؟ فقال : أقتل بها بسطاما ، فقالت مستنكرة : أست أمك أضيق من ذلك ، ويحكى أنه أدرك الإسلام وأسلم ، فكان إذا وردباب عمر ابن الخطاب واستأذن يقول : عاصم بن خليفة قاتل بسطام بن قيس بالباب ، مفتخرا ، وأستدار : أخذه دُوَارٌ

(١) الألاءة : شجره حسنة المرأى قبيحة المخبر ، ولهذا شبه بها كل من قَصُرَ مَخْبَرُهُ عن مَنْظَره ، قال :

فَإِنَّكُمُ وَمَدْحَكُمُ بُجَيْرًا   أَبَا لَجَإٍ كَمَا امْتُدِحَ الْأَلَاءُ
يَرَاهُ النَّاسُ أَخْضَرَ مِنْ بَعِيدٍ   وَيَمْنَعُهُ الْمَرَارَةُ وَالْإِبَاءُ

وخر : أى سقط ، وقوله « لم يُوسَّد » فى موضع الحال ، وهو بيان لكونه مقتولا وأن سقوطه كان لذلك ، والخمر والخمار : [كل] ماوارك

(٢) قال أبو الفتح : هو منقول من تصغير حِسْل ، وهو ولد الضب ، وقالوا فى تكسيره : حِسَلَةٌ ، وسُجَيْح : يحتمل أن يكون تحقير أسْجَح ، وهو البعير الرقيق المشفر ، قال :

* وَخَدٌّ كَمِرْآةِ الْغَرِيبَةِ أَسْجَحُ *

وكان بنو ضبة انتجعوا أرض بنى عامر بالشُّرَيْف فطلبتهم بنو عامر فسار

لَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْمُصَبَّحُ أَنَّنِى غَدَاةَ لَقِينَا بِالشُّرَيْفِ الْأَحَامِسَا (١)
جَعَلْتُ لِبَانَ الْجَوْنِ لِلْقَوْمِ غَايَةً مِنَ الطَّعْنِ حَتَّى آضَ أَحْمَرَ وَارِسَا (٢)

حُسَيْل فى أُخْرَيات بنى ضبة فمنع بنى عامر من النيل منهم ، وقال « لقد منع — الأبيات »

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

يقال : صَبَحْت — مخففا ومشددا — إذا قصدته للغارة صَبَاحاً ، وفى المثل: صَبَحْنَاهُمْ فغدوا شَامَةً ، والأحامس : لقب لبنى عامر بن صعصعة ، ولدت قبائل منهم مجد بنت تيم بن غالب القرشى ، وقريش ، وكل من ولدته من العرب حُمْس وجُمِع جمع الأسماء وإن كان صفة فى الأصل ، فهو كالأبطح وماأشبهه ، وَشُرَيْفٌ : موضع بنجد ، وكذلك الشرف ، وقوله « غداة لقينا » ظرف لقوله « جَعَلْتُ »

(٢) إن قيل : هلا جعلت « غداة » ظرفا لعلم أو للقينا ، قلت : لايجوز أن يكون ظرفا لعلم لأنه إذا جعل كذلك صار أجنبيا مما دخل فى صلة أن وحائلا بينه و بين خبره ، وهو قوله « جعلت لبان الجون » ، والفصل بين الموصول وما فى صلته بالأجنبى منه غير جائز ، ولا يجوز أن يكون ظرفا للقينا لأنه مضاف إليه ، والمضاف إليه لايجوز أن يكون عاملا فى المضاف ، و « جعلت » ههنا تتعدى إلى مفعولين لأنه بمعنى صيرت ، والجون : اسم فرسه ، والْوَرْس : صبغ أحمر ، يقال : ثوب وَرْس ووَارِس : أى أحمر ، وورستِ الصخرة فى الماء ، إذا ركبها الطحلب فاصفرت وامْلاَسَّت ، ولَبَان الفرس : صدره ، وقوله « غاية » أى : ينتهون إليها ، وروى «غابة» أى : صار كالأَجَمَة من كثرة ماانكسر من الرماح فيه : أى قد علم القوم الذين صبحناهم بالغارة أنى جعلت صَدْرَ فرسى غرضا للطعن حتى صار هكذا

وأَرْهَبْتُ أُولَى الْقَوْمِ حَتَّى تَنَهْنَهُوا
كَمَا ذُدْتَ يَوْمَ الْوِرْدِ هِيمًا خَوَامِسَا (١)

بِمُطَّرِدٍ لَدْنٍ صِحَاحٍ كُعُوبُهُ وَذِى رَوْنَقٍ عَضْبٍ يَقُدُّ الْقَوَانِسَا (٢)

وَبَيْضَاءَ مِنْ نَسْجِ ابْنِ دَاودَ نَثْرَةٍ تَخَيَّرْتُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ الْمَلَابِسَا (٣)

وَحِرْمِيَّةٍ مَنْسُوبَةٍ وَسَلَاجِمٍ
خِفَافٍ تَرَى عَنْ حَدِّهَا السَّمَّ قَالِسَا (٤)

فَمَا زِلْتُ حَتَّى جَنَّنِى اللَّيْلُ عَنْهُمُ أُطَرِّفُ عَنِّى فَارِساً ثُمَّ فَارِسَا (٥)

---

(١) أى : خَوَّفْتُ أوائلهم حتى كَفُّوا كما تكف إبلا عطاشا وردت لخمس فازدحمت على الماء يوم الورد ، والهِيمُ : التى بها الهُيَام ، وهو داء يصحبه العطش الشديد : أى هم شجعان يركبوننى وأنا أطردهم

(٢) الباء من قوله « بمطرد » تعلق بقوله «أرهبت» بمطرد : أى رمح مُسْتَوٍ ؛ وذى رَوْنق : أى سيف ذى ماء ، والعضب : القاطع ، وَالْقَوْنس : أعلى الْبَيْضَةِ

(٣) عنى بالبيضاء درعا ، وإنما قال « من نسج ابن داود » كما قال الآخر

* وَنَسْجِ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَّاءَ ذَائِلِ *

وللعرب عادة معلومة فى إقامة الأب مقام الابن ، والابن مقام الأب ، وتسمية الشىء باسم غيره إذا كان من سببه ، وانتصب «الملابسا» على المفعول ، لأن الفعل وصل إليه بعد حذف حرف الجر ، وأصله تخيرتها يوم اللقاء من الملابس

(٤) حِرْمِيَّة : قوس متخذة من شجر الحِرْم ، وَالسَّلَاجِم : الطوال ، وانتصب « قالسا » على الحال للسم ، كأنه قال ترى السم ذا قاس ممجوجا به من جوانب حدودها .

(٥) و يروى « أطرف فُرْسَانًا وألحق فارسا » ومعنى أطرف أى أجعله منى

وَلاَ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الْكِرَامُ أَخَاهُمُ الْــعَتِيدَ السِّلاَحِ عَنْهُمُ أَنْ يُمَارِسَا[١]

١٨٦ — قال مُحْرِز بن الْمُكَعْبَرِ الضبي:[٢]

نَجَّى ابْنَ نُعْمَانَ عَوْفاً مِنْ أَسِنَّتِنَا ... إِيغَالُهُ الرَّكْضَ لَمَّا شَالَتِ الْجِذَمُ[٣]

فى طرف ، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون خبر ما زال ، وأراد بقوله « فارسا ثم فارساً » المداومة والاتصال .

(١) أى : لا ينبغى أن يحمدوه فان ذلك واجب عليه ، وقوله « عنهم » يتعلق بالعتيد السلاح ، ولا يجوز أن يتعلق بيمارس ؛ لأنه لو كان كذلك لكان فى صلة أن فلم يجز تقديمه عليه ، ويكون المعنى أخاهم المعد السلاح عنهم النائب منابهم ومعنى « أخاهم » الواحد منهم ، كما يقال : يا أخا بكر أو تميم .

(٢) يقال : كَعْبَرْتُ الزرع ، إذا قطعت كعابره ، وهى عقد أنابيبه ، الواحدة كعبرة ، والمكعبر : اسم المفعول من هذا ، وقد قيل : المكعبر فى اسم الرجل أيضا هذا اسم الفاعل .

(٣) الأول من البسيط ، والقافية متراكب

قال الخليل : الإيغال فى السير : الإمعان فيه مع دخول فيما بين جبال أو فى أرض العدو ؛ وقال غيره : هو إسراع فى إبعاد ، والركض : ينتصب على أنه مفعول من الإيغال ، كما يقال : أبعد السير ، وأسرع السير ، ويجوز أن يكون مصدرا فى موضع الحال ، كأنه قال : إيغاله راكضا ، وأدخل الألف واللام على حد دخولهما فى قوله « فأرسلها الْعِرَاكَ » و « أوردها التَّقْرِيبَ » وَالْجِذْمُ : بقايا السياط ، وجِذْمُ كل شىء : أصله ، وجَذَمْتُ الشىء : قطعته ، والجذمة : القطعة من الحبل وغيره .

حَتَّى أَتى علَمَ الدَّهْنَا يُوَاعِسُهُ ... وَاللهُ أَعْلَمُ بِالصَّمَّانِ مَا جَشِمُوا (١)
حَتَّى انْتَهَوْا لِمِيَاهِ الْجَوْفِ ظَاهِرَةً ... مَالَمْ تَسِرْ قَبْلَهُمْ عَادٌ وَلَا إِرَمُ (٢)

---

(١) يواعسه : يسير في وعسائه ، وهي الرملة اللينة ، والسير فيها يصعب ، ويقال : وَعَسْتُ المكان وَعْساً ، إذا وطئته وطأ شديدا ، وسمي الأثر الوعس ، وسمى ضرب من سير الإبل المواعسة ، من هذا ، وحقيقة قوله « يواعسه » أي : يواعس إليه أو فيه : أي يمد سيره إليه أو فيه ، والصَّمَّان : الأرض الصلبة ، واحدتها صمانة ، وموضع «ما» من قوله « ماجشموا » نصب على المفعول من جشموا ، يقول : أوغل الركض حتى بلغ جبال الدهناء مواعسا في رمالها ، والله يعلم لأي شيء تخلف هو وأصحابه من السير في الصمان ، وموضع «يواعسه» نصب على الحال ، ويجوز أن يكون موضع «ما» من قوله «ماجشموا » نصبا على المفعول من فعل دل عليه الله أعلم ، ومثله في القرآن(الله أعلم حيث يجعل رسالاته)

(٢) الْجَوْفُ : واد ، و « ظاهرة » انتصب على أنه مصدر مما دل عليه « حتى انتهوا » ، وتلخيص الكلام حتى صاروا إلى مياه هذا الوادي نصف النهار سيرا لم تسر مثله واحدة من هاتين الأمتين لما دخل عليهم من الرعب ، قال أبو هلال: عاد وإرم واحد ، فجعلهما اثنين غلطا ، وظاهرة : أي مظهرة ، ويجوز أن يجعل ظاهرة حالا للمياه ، قال أبو رياش : الذي عناه محرز هو عَوْفُ بن نعمان من بني شيبان ، وهو سيد بني هند ، يقول فيه عبد الله بن عَدَّاء الْبُرْجُمِيُّ :

لَوْ كُنْتُ جَارَ بَنِي هِنْدٍ تَدَارَكَنِي ... عَوْفُ بْنُ نُعْمَانَ أَوْ عِمْرَانُ أَوْ مَطَرُ
قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا لِجَارِهِمُ ... لَمْ يُسْلِمُوهُ وَلَمْ تَسْنَحْ لَهُ الْبَقَرُ

العرب تتشاءم بالبقر لحدة قرونها ، وعنى عمران بن مرة بن الحرث بن مرة بن ذُبَّ بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان من فرسان بني شيبان ، وقتله

١٨٧ — وقال عامر بن شَقِيق من بَنِي كُوز بن كَعْب بن بَجَالَة بن ذهل بن مالك (١)

أَلاَ حلَّتْ هُنَيْدَةُ بَطْنَ قَوٍّ ... بِأَقْوَاعِ الْمَصَامَةِ فَالْعُيُونَا (٢)

فَإِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرَيْهِ ... أَكُفَّ الْقَوْمِ تَخْرُقُ بِالْقَنِينَا (٣)

بنو قشير ، وله يقول النابغة الجعدى

تَرَكُوا عِمْرَانَ مُنْجَدِلاً ... لِضِبَاعٍ حَوْلَهُ رَذِمَهْ

(١) شقيق : يجوز أن يكون سمى بقولهم « هو شقيقه » أى أخوه ، أو بالشقيق الذى هو نبت . أو بالشقيق جمع شقيقة من الرمل ؛ وهى أرض صلبة بين رملين

(٢) الضرب الأوّل من الوافر ، والقافية متواتر

قو : موضع ، وأقواع : جمع قَاع ، وَالْمَصَامَة : موضع

(٣) يقول : لو رأيت ولا أراك الله مثله مشهدَ القوم وأكفهم تخرق بالرماح لرأيت أمراً هائلا ، وجواب لو محذوف ، كما يقال : لو رأيت زيدا وفى يده السيف ، فقوله «ولن تريه» دعاء ، وأكثر ما يقع الدعاء يقع بلا ، وبلن يجىء قليلا ، يقال : لن يبارك الله فى كذا ، وتريد الدعاء ، كما يقال : لايبارك الله ، وقد فسر قطرب قول الله عز وجل (فلن أكون ظهيرا للمجرمين) على أنه دعاء ، ويجوز أن يكون قوله « ولن تريه » إخبارا بأنها وقد فاتها رؤية ذلك فيما مضى لاترى مثله فى المستأنف فظاعةً ؛ لأن الخطب خرج عن المعتاد ، وقوله « تخرق » أى تثقب ، ومنه خَرَقْت الأرض ، واخترقتها ، وريح خَرِيق ، ويروى تَخْرُق بفتح التاء وضم الراء — وله وجهان : أحدهما أن يكون من الْخُرْق ضد الرفق ، كأن الأكف كانت تخرق فى الطعن ولا ترفق لشدة الأمر ،

بِذِي فِرْقَيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَيْبٍ نُيُوبَهُمُ عَلَيْنَا يَحْرُقُونَا (١)

والثانى : أن يكون من الْخَرْقِ ، ويكون المفعول محذوفا لأن الكلام يدل عليه ، وفى هذا الوجه يجوز كسر الراء من تخرق ، وَالْقَنِين : جمع قَنَاة جمع المنقوص ، كما قالوا : إضين فى جمع إضاة ، وهو جمع سالم ، كأنه يجعل هذا البناء جُبْرَانا له مما نقص منه ، ويجىء أيضا فى أسماء الدواهى كالأَقْوَرِين والْفِتَكْرِين ، كأنه بلغ بها رتبة الناطقين تهويلا ، وقد حكى كسر القاف من الْقِنين ، وحينئذ يكون كمَصًّا وَعِصِىّ ، ويكون وزنه فُعُولاً ، والنون بدل من لام الفعل ، ويحمل على هذا سنة وسنين إذا جعلت الاعراب فى النون ، قال أبو هلال : «ولن تريه» أى أنت لاتشهدين حَرْباً فترين ذلك ، يعنى امرأة ، وإنما ذلك للرجال ، والْقَنين جمع الْقَنَا ، وتَخرق : تنتظم ، والخرق : الطعن الخفيف ، وليس هذا بالمختار ، لأن الطعن قلما يقع بالأكف ، وتَخْرُقِ من الْخُرْقِ أجود الروايتين ، وتخرق أيضا من الْمِخْرَاق : أى تلعب كما يلعب الصبيان بالمخاريق ، ويروى ، بالْقُلِينا جمع قُلَة

(١) ذو فرقين : هضبة فى بلاد بنى أسد من ناحية الفرات ، وقوله « بذى فرقين » يجوز أن يتعلق بقوله « لو رأيت » ويجوز أن يتعلق بتخرق بالقنينا ، وكذلك قوله « يوم بنو حبيب » يجوز أن يكون ظرفا لكل واحد من الفعلين ، لأنهما ظرفان : أحدهما للزمان ، والآخر للمكان ؛ وأضاف اليوم إلى الجملة التى بعده لأن الأزمنة تضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر والفعل والفاعل تبيينا لها ، ويقال : هو يحرق أنيابه ، إذا حك بعضها ببعض تهديداً ، ويقال : هو يَحْرِق عليه الأُرَّمَ : أى يَصْرِف بأنيابه تغيظا ، وحكى فيه الأزم بالزاى ، والأَزْم : العض ، ويقال : حرقه بالمبرد ، إذا برده ، وحكى أبو حاتم : فلان يَحْرِق نابُهُ علىّ برفع الباء ، لأنه هو الذى يحرق ، وبيت زهير يشهد بذلك :

كَفَاكَ النَّأْىُ مِمَّنْ لَمْ تَرَيْهِ وَرَجَّيْتِ الْعَوَاقِبَ لِلْبَنِينَا (١)

١٨٨ — وقال أبو ثُمَامة بن عازب الضبي (٢)

رَدَدْتُ لِضَبَّةَ أَمْوَاهَهَا وَكَادَتْ بِلاَدُهُمُ تُسْتَلَبْ (٣)

أَبَى الضَّيْمَ وَالنُّعْمَانَ يَحْرِقُ نَابَهُ عَلَيْهِ فَأَفْضَى وَالسُّيُوفُ مَعَاقِلُهْ

وقال أبو العلاء : قوله بذى فرقين أراد ذات فرقين فذكر على معنى الموضع أو الجبل ، وهى التى ذكرها عبيد فى قوله * فذات فرقين فالقليب * قيل : هى ثنية كسنام الفالج ، فلذلك سميت ذات فرقين .

(١) يقول : أغناك بعدك إذا اعتبرت عن الاستكشاف و إن تلهفت على ما لا تدركينه من مصارعهم وعلقت رجاءك بالأولاد بأن يحسن الله العقبى لهم إذا بلغوا طلب الأوتار وقطعت طمعك فى الآباء ، كأنه يقول : يئست من رجالك ورجوت البنين أن يخلفوا آباءهم لانقطاع الطمع عنهم ، وقوله « رجّيْتِ » قد معه مضمرة لأن الماضى بتقدير قد معه يقع موقع الحال ، وضعف للتكثير ، كأنها كانت تكرر الرجاء وتجدده مع كل حادثة ، كأن المعنى لو رأيتنا ذلك اليوم لقلت إنا قتلنا و بعدنا و يئست منا فصرت ترجين العواقب لأولادنا بعد أن كنت ترجيها لنا ، وكان البعد يكفيك من قوم مقتولين لا تريهم أبداً ، ورجوت لأبنائنا الظفر بثأرنا ، وذلك لشدة ما كانوا فيه .

(٢) ثمامة : منقولة من الثمامة نابتة ضعيفة قال :

جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشَمٍ وَآخَرَ مِنْ ثُمَامَهْ (١)

وقيل : ابن عارم ، وقيل ابن غارب :

(٣) الثالث من المتقارب ، والقافية متدارك

---

(١) هذا بيت من الشعر لعبيد يقوله فى شأن بنى أسد وكان حجر أبو امرىء القيس الشاعر قد سامهم الخسف

بِكَرِّ المَطِيِّ وَإِتْبَاعِهِ ... وَبِالكُورِ أَرْكَبُهُ وَالقَتَبْ (١)

أُخَاصِمُهُمْ مَرَّةً قَائِمًا ... وَأَجْثُو إِذَا مَا جَثَوْا لِلرُّكَبْ (٢)

وَإِنْ مَنْطِقٌ زَلَّ عَنْ صَاحِبِي ... تَعَقَّبْتُ آخَرَ ذَا مُعْتَقَبْ (٣)

أبو ثمامة كان مقيما على مياه ضبة ، وهم منتجعون ، فجاء قوم يريدون التغلب عليها فطردهم عنها أبو ثمامة وقومه .

(١) ويروى « بكرى المطى » والباء من قوله « بكر » تتعلق « برددت » وإنما ذكر هذه المراكب ليدل على طول الأمد بينه وبينهم .

(٢) انتصب «قائما» على الحال ، ويقال : جثا لركبته ، إذا سقط ، والجثو : جلسة المتشهد

(٣) يقول : إن زلّ صاحبي فى منطق تلافيته وتعقبته بمنطق صائب أغاب به . وتَعَقَّبْتُ : أخذت طريقا آخر ذا مُعْتَقَب : أى ذا مطاع كما يطلع فى العقبة ، والعقبة : الطريق فى أعلى الجبل ، ومن روى « مُعْتَتَب » جعله من العَتَبة ، وهى الدرجة ، أى : آخذ فى طريق فيه درج أعتتب فيها حتى أغلب : أى آخذ بحجة بعد حجة كما يرتقى فى الدرجة عَتَبَةً بعد عتبة ؛ وفصل بين إن والفعل بقوله منطق ، ولو ظهر تأثيره بالجزم لم يجز ذلك فيه ، وارتفع منطق بفعل هذا الظاهر تفسيره ، فان قيل : فى أى الفعلين عمل ؟ وهل نقول : إنه عمل فيهما جميعا ؟ فغير سائغ لأن أداة واحدة لا تجزم شرطين فى حالة واحدة ، لكن الفعل المضمر لمّا لم يظهر صار فى حكم مالم يعتد به ، وإن كان الاسم يرتفع به ، حتى صار التقدير وإن زل منطق عن صاحبى ، وقد روى تعقبت وتعرقبت ، ومعنى تعقبت تتبعت ، ومثله اعتقبت ، وقيل : المعتقب أخذ عقبة الشىء ، وهى آخره ، ومعنى تعرقبت عدلت عنه وأخذت فى غيره ، ويقال : تعرقبت الفرس ، إذا ركبتها من خلفها ، وعراقيب الأمور : التباساتها وطلب الحيل والحجج فيها ، ومعنى البيت إن بدرت

أَفِرُّ مِنَ الشَّرِّ فِى رِخْوةٍ ... فَكَيْفَ الْفِرَارُ إِذَا مَا اقْتَرَبْ (١)

١٨٩ — وقال أبو ثمامة أيضا :

قُلْتُ لِمُحْرِزٍ لَمَّا الْتَقَيْنَا ... تَنَكَّبْ لا يُقَطِّرْكَ الزِّحَامُ (٢)

أَتَسْأَلُنِى السَّوِيَّةَ وَسْطَ زَيْدٍ ... أَلَا إِنَّ السَّوِيَّةَ أَنْ تُضامُوا (٣)

فَجَارُكَ عِنْدَ بَيْتِكَ لَحْمُ ظَبْىٍ ... وَجَارِى عِنْدَ بَيْتِى لا يُرَامُ (٤)

من واحد منهم كلمة لم يوفق فيها للصواب أو خفت عودها بغير صلاح عدلت عنها وطلبت أخرى مكانها

(١) يعنى أنه يتفادى من الشر ما أمكن ، ولا يبتدىء الخصم ، ولا يستعمل البغى ، ومثله قول هُدْبَةَ :

وَلَا أَتَمَنَّى الشَّرَّ وَالشَّرُّ تَارِكِى ... وَلٰكِنْ مَتَى أُحْمَلْ عَلَى الشَّرِّ أَرْكَبِ

(٢) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

هذا تهكم واستهزاء ، كأنه يرميه بأنه لم يباشر الشدائد ، ولم يقع فى المضايق ، وَتَنَكَّبْ : أى تنحَّ وكن جانبا

(٣) السَّوِيَّة : الإنصاف ، وهو من الاستواء والسواء ، وزيد : قبيلة المخاطب ، فيقول على وجه الاستهزاء : أتسأل إنصافك وأنت وسط رهطك ، ثم قال : إن من السوية اهتضامكم ، وهذا من إبدال الشىء من الشىء ، كقول الآخر (١) :

* تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضَرْبٌ وَجِيعُ *

والضرب لا يكون تحية ، وقوله « أتسألنى السوية » يخاطبه مقررا ومتوعدا ، والتقرير بألف الاستفهام ، ولا حرف نفى معه يكون فيما لا يثبت ولا يستجاز كونه

(٤) أى : جارك كالصيد لمن يطلبه ، وجارى لا يُطْمَع فيه ، وإنما قال ذلك لأن النزاع بينهما كان بسبب جار

---

(١) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدى

١٩٠ — قَال عبد الله بن عَنَمَةَ الضبى وهو من بنى غَيْظ بن السِّيد (١)

أَبْلِـغْ بَنِى الْحَارِثِ الْمَرْجُوَّ نَصْرُهُم
والدَّهْرُ يُحْدِثُ بَعْدَ الْمِرَّةِ الْحَالَا (٢)

أَنَّا تَرَكْنَا فَلَمْ نَأْخُذْ بِهِ بَدَلاً
غِرًّا عَزِيزًا وأَعْمَامًا وأَخْوَالَا (٣)

---

(١) الْعَنَمَة : واحدة العنم ، وهى قُضْبَان حُمْر تنبت فى جوف السمُرة تُشَبه بها الْبَنَان المخضوبة ، وقيل : هى أطراف الخروب الشامى ، و يقال : هو دود أحمر يكون فى الرمل يشبه به ، و يقال : بل هو شىء ينبت ملتفًّا على الشجر يبدو أخضر ثم يحمر ، و إنشاد بعضهم قول النابغة :

* عَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَد *

يدل على أنه نبت

(٢) الثانى من البسيط ، والقافية متواتر

المرة : الطريقة التى يستمر عليها الشىء ، ومنه مِرَرُ الحبل : أى قُوَاه ، و إنما أراد والدهر يحدث بعد الحال الحال ، أو بعد المرة المرة ، فأقام الوزن بمخالفة اللفظين ، وقيل : المراد أن الدهر يحدث الحالة المنكرة بعد المرة ، وقيل أيضا : الحال التراب اللين والحمأة فاستعاره للضعف واللين ، و يقال للحم المنتن : حال ، وللرماد الحار حال ، وكل شىء متغير حال ، فكأنه قال : إن الدهر يأتى بعد الأمر المستوى بالأمر المتغير ، وجعل المرة عبارة عن الاستواء ؛ لأن الشىء إذا استوى قوى صاحبه على العمل به

(٣) أى : تركنا قومنا وأهلنا وكان لنا فيهم عز ومنعة واخترنا كم عليهم ، فلم نجد البدل منهم : أى أنكم لم تبذلوا من النصرة ما أمَّلْنَاه فيكم

قَدْ كُنْتُ آخُذُ حَقِّي غَيْرَ مُهْتَضَمٍ
وَسْطَ الرِّبَابِ إذَا الْوَادِي بِهِمْ سَالاَ (١)

لاَ تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْلًى يَحُلُّ بِنَا عَقْدَ الْحِزَامِ إِذَا مَا لِبْدُهُ مَالاَ (٢)

مَوْلًى مِنَ الْخَوْفِ يُدْعَى وَهُوَ مُشْتَمِلٌ
تَرَى بِهِ عَنْ قِتَالِ الْقَوْمِ عِقَّالاَ

١٩١ — وقال ابن عَنَمَةَ أيضا :

مَا إِنْ تَرَى السَّيِّدُ زَيْداً فِي نُفُوسِهِمِ كَمَا تَرَاهُ بَنُو كُوزٍ وَمَرْهُوبُ (٣)

---

(١) غير مهتضم : أى غير مقهور وسط الرباب إذا جاؤوا كالسيل مختلفين تمتلىء منهم الطرق والفجاج لا يرد وجوههم شىء

(٢) أى : لا تجعلونا مسندين إلى ابن عم يُسْلمنا عند الشدائد و يعين علينا فى الحرب وإذا رأى منا ضعفا اجتهد أن يزيده ، كأنه لما مال اللبد عن ظهر الفرس دل ذلك على استرخاء الحزام فحل مولاهم عقده ، لأن ذلك يؤدى إلى اضطراب الفارس ووقوعه ، فهذا وجه ظاهر ، و إلى هذا ذهب الشاعر ، وقال النمرى : إن المولى إذا أراد حل عقد حزامه حله بانشاد هجائنا مستريحا إليه ومتعللا به ، وقال أبو العلاء : كان النمرى يذهب إلى أنه كقول الآخر :

بِهِ تُنْفَضُ الْأَحْلاَسُ وَالدِّيكُ نَائِمٌ وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ الْمَطِيِّ وَتُطْلَقُ

وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل « من يَرْقُدْ يَحْلُمْ » وذكر فى هذا البيت التفسير الأول . وليس لرده على النمرى وجه ، لأن الذى ذكره محتمل كثير فى أشعارهم ، وكل من يعمل عملا أنشد وغنى ؛ قال الراجز :

لَنْ يُغْلَبَ الْمَاتِحُ مَادَامَ رَجَزْ فَإِنْ أَصَاخَ سَاكِتاً فَقَدْ عَجَزْ

(٣) الثانى من البسيط ، والقافية متواتر

إنْ تَسْأَلُوا الْحَقَّ نُعْطِي الْحَقَّ سائِلَهُ
وَالدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ وَالسَّيْفُ مَقْرُوبُ (١)

وَإنْ أَبَيْتُمْ فَإنَّا مَعْشَرٌ أُنُفٌ
لا نَطْعَمُ الْخَسْفَ إنَّ السَّمَّ مَشْرُوبُ (٢)

قوله « ما إن ترى » إن زيدت لتأكيد النفى ، وذكر سيبويه أن « ما » الحجازية إذا قرن بإن هذه يبطل عمله ، وَزَيْد : حى من بنى ضبة ، وكذلك بنو كوز ، وبنو السيد ، وبنو مرهوب ، وهذا كما يقال : الترك ليس لهم فى نفوس الروم مثل ما لهم فى نفوس العرب : أى أن العرب يكرمونهم أكثر من إكرام الروم : أى بنو السيد لا يوجبون له فى نفوسهم من الحرمة والتبجيل ما يوجبه بنو كوز ومرهوب ، والضمير على هذا من قوله « فى نفوسهم » يكون للسيد ، ولا يمتنع أن يكون الضمير لزيد ، لأنه قبيلة أيضا ، وهذا كما يقال : لك فى نفسك حق ومنزلة : أى ليس منزلة زيد فى نفوس بنى السيد منزلته فى نفوس بنى كوز

(١) مُحْقَبَة : أى مشدودة فى الحقائب ، وأراد بالدرع الجنس ، والاحتقاب والاستحقاب : شد الحقيبة من خلف ، وكذلك قوله « والسيف مقروب » أراد السيوف ، ويقال : قَرَبْتُ السيف وأَقْرَبْتُه ، وغَمَدْتُه وأغمدته ، وَالْقِرَاب : غشاء يكون السيف فيه مغمدا

(٢) يقول : إن انتصرتم على أخذ حقكم أعطيناكموه والحرب موضوعة بيننا وبينكم ، وإن طلبتم أكثر منه أبينا أن نعطيكم إياه ، وأصل الخسف أن تبيت الدابة على غير علف ، وهو حمل الإنسان على ما يكرهه ، ثم استعمل فى معنى الذل ، يقال : سُمْتُه الخسفَ ، إذا حملته على الهوانِ ، و « نطعم » مستعار : أى لا نُقِرُّ به ولا نصبر على الذل ، وقوله « إن

فَازْجُرْ حِمَارَكَ لاَ يَرْتَعْ بِرَوْضَتِنَا إِذًا يُرَدُّ وَقَيْدُ الْعَيْرِ مَكْرُوبُ (١)

السم مشروب » مثل أيضا : أى نحن نأباه و إن كان غيرنا يقر بما هو أبلغ فى الهوان ، أو يريد أن السم مشروب فان احتجنا إلى شربه شربناه ولم نقبل ضيما ؛ لأن الإنسان يصبر على شرب السم و يكون ذلك أيسر عليه من صبره على الضيم ، والْمَعْشَر : الجماعة أمرهم واحد ، يقال : جاء القوم معشر معشر : أى عشرة عشرة ، وقال أبو العلاء : كأنه يريد كيف لا نأنف من الْخَسْف وقد علمنا أنا لا بدّ لنا من الموت ، فيجب أن نحارب ولا نأمن من القتل ، وذكر النمرى أن السم يعنى به الموت وأن الإنسان لا بد له من الموت ، وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل : ما طَعَنْتَ فى حَوْصه ، إنما أراد أنا نخوض الموت ونحتمل الشدائد ولا ننزل تحت الضيم ، وهو كما قال عبد هند بن زيد رجل من تغلب :

فَلاَ أَسْمَعَنْ فِيكُمْ بِأَمْرٍ مُنَأْنَإٍ ضَعِيفٍ وَلاَ تَسْمَعْ بِهِ هَامَتِي بَعْدِي
فَإِنَّ السِّنَانَ يَرْكَبُ الْمَرْءُ حَدَّهُ مِنَ الْخِزْيِ أَوْ يَعْدُو عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ

وهذه الأقوال يقرب بعضها من بعض ، وكلها يرجع إلى معنى واحد ، وليس فيها ما يرد .

(١) يقول : اكْفُفْ شَرَّكَ عنا ، وجعل الحمار كناية عن الأذاة ، أو عن رجل من أصحاب هذا المخاطب يتعرض لهم بالمكاره ، وهذا نحو من قول النابغة :

سَأَمْنَعُ كَلْبِي أَنْ يَرِيبَكَ نَبْحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أَرْعَى مُسْحُلاَنَ فَحَامِرَا

والعرب تكنى بالحمار والْعَيْر فى أنحاء الكلام ، فيقولون : قد حل حماره أو عيره بمكان كذا ، إذا أقام فيه وتمكن ، وقوله «وقيد العيرمكروب» أى مُدَانًى مُضَيَّق حتى لا يقدر على الخطو ، وقوله « إذًا » قال سيبويه : هو جواب وجزاء فالابتداء الذى هوجوابه وجزاؤه محذوف مُسْتَدَلٌّ عليه فى كلامه ، كأنه قال : فانه

إن تَدْعُ زَيْدٌ بَنِي ذُهْـلٍ لِمَغْضَبَةٍ
نَغْضَبْ لِزُرْعَةَ إِنَّ الْفَضْلَ مَحْسُوبُ (١)
وَلاَ تَكُونَنْ كَمُجْرَى دَاحِسٍ لَكُمُ فِي غَطَفَانَ غَدَاةَ الشِّعْبِ عُرْقُوبُ (٢)

إن رتع رجع إليك وقد ضُيِّق قَيْدُه ، قال المرزوقى : أى مُلِىء قيـده فَتْلاً حتى لايمشى إلا بتعب ، كأنه يضرب أو يستعمل حتى يَرِمَ جسمه و يؤدى الوجع منه إلى موضع حافره فيضيق عليه ، وقال : النمرى : قال الباهلى صاحب كتاب المعانى : قوله «مكروب» من قولك : كَرَبْتُ الشىء ، إذا أحكمته وأوثقته ، ومعنى البيت إنا نرد الحمار مملوأقيده فتلا كما يمتلىء الإنسان كربا ، وقال أبو محمد الأعرابى راداً عليه : إنما معنى قوله « أُزجر حمارك » يعنى به فرس زيد الفوارس واسمه عرقوب فكنى عنه بالحمار على سبيل التهكم والهزء ، و بعد البيت ما يدلك على ذلك . وهو :

* وَلاَ تَـكُونَنْ كَمُجْرَى دَاحِسٍ لَـكُمُ *

وقوله « وقيد العير مكروب » أى : إنهم يعقرونه ، والعقر أضيق القيود ، وجعل القعقاع بن عطية الباهلى العقر عُقَالاً فقال :

فَخَرَّ وظيف القرم فِي نِصْفِ سَاقِهِ وَذَاكَ عُقَالٌ لاَيُنَشَّطُ عَاقِلُهْ

(١) أى : إنْ تَدْعُ زيد قومها لأمر تغضب له أجبنا نحن لقومنا أيضا إذا دعونا وغضبنا لهم إن الفضل محسوب ، و يروى « إن القَبْضَ محسوب » أى : معدود ، نطالب ماتصنعون مثلا بمثل وعدداً بعدد فلا يكون لكم علينا فضل .

(٢) كان التنازع بينهم فى رهان وقع على عرقوب ، وهو فرس لهم ، فيقول : لايكونن جرى عرقوب عليكم فى الشؤم مجرى داحس فى غطفان غداة شعب الحيس فقوله « عرقوب » ارتفع على أنه اسم « ولا تـكونن » وقد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ؛ لأن المراد ولا يكونن مجرى عرقوب كمجرى داحس ، وقوله

١٩٢ — وقال الفضل بن الأخضر بن هُبَيْرَةَ الضَّبِّى (١)

أَلا أَيُّهَاذَا النَّابِحُ السِّيدَ إِنَّنِى ... عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَبْسِلٌ مِنْ وَرَائِهَا (٢)

« غداة الشعب » ظرف لقوله « كمجرى » وجعل النهى فى اللفظ لعرقوب وهو فى المعنى لهم ، حَذَّرهم استعمال اللجاج لئلا يتأدى الأمر إلى مثل ماتأدى إليه فى رهان داحس والغبراء ، ومثل هذا من النهى قولهم : لا أَرَيَنَّكَ هٰهُنَا .

(١) قال أبو هلال : هو للأخضر بن هبيرة بن المنذر بن ضرار بن عَمْرو بن مالك بن كعب بن بَجَالة بن ذُهْل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة بن أدّ ، وقال بعضهم : هى للفضل بن الأخضر

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

وصف « أىّ » بذا غير جائز لأن الصفة تشرح الاسم وتبينه وتزيل اللبس عنه ، وإذا كان « أى » و « ذا » مبهمين فالانشراح غير حاصل بهما ، لكنه لما كان المعول على مايتبعه من المعرف بالألف واللام صار كأنه لااعتداد به فى الشرح ، فيقول : أيها المتعرض لبنى السيد إننى على بعدها مدافع عنها ، وقوله « على نأيها » موضعه نصب على الحال ، لأن المعنى أستبسل من ورائها ، وبَسَل واسْتَبْسَل وَتَبَسَّل بمعنى واحد ، إذا وَطَّنَ نفسه على الموت واستيقن به ، وقال أبو هلال : من عادة كلاب الأعراب أن تنبح السحاب لأنها يؤذيها بمطره ، وإذا رأت القمر ظنته قطعة سحاب فنبحته أيضا ، وليست تضره ؛ فجعل هذا مثلا للذى ينال من الشريف ويقع فيه ولا يضره ، و « مستبسل » أى مستسلم لا أبالى ما يصيبنى إذا ذَبَبْتُ عنهم ، وقوله « من ورائها » من قولك : فُلَانٌ يرمى من وراء فلان ، إذا كان يحميه ويحفظه

دَعِ السَّيدَ إنَّ السَّيدَ كانتْ قَبِيلَةً تُقاتِلُ يَوْمَ الرَّوْعِ دُونَ نِسائِها
عَلَى ذاكَ وَدُّوا أنَّنِي فِي رَكِيَّةٍ تُجَذِّقُوَى أسْبابِهَا دُونَ مائِها (١)

١٩٣ — وقال سِنانُ بن الْفَحْل أخو بنى أم الْكَهْف من طيء

وَقالُوا: قَدْجُنِنْتَ ، فَقُلْتُ: كَلاَّ وَرَبِّى ماجُنِنْتُ وَماانْتَشَيْتُ (٢)

---

(١) « ذاك » من مثل هذا الموضع لايثنى ولا يجمع ولا يؤنث ، ويشار به إلى الحال ، يقول : على ماذكرته فيهم ليسوا بأوِدَّاء لى ، يتمنون أنى فى بئر تقطع طاقات حبالها دون الوصول إلى مائها لبعد قعرها ، وقوله « دون مائها » فى موضع الحال ، لأن دون للقاصر عن الشيء ، والتقدير تُجَذُّ القوى قاصرةً عن الماء ، وقال أبو هلال : قدم وأخر وأساء ، ووجه الكلام أن يقول : ألا أيهاذا النابح السِّيد دعها فانها كانت قبيلة تحوط حريمها ، وإنى مَعَ مَنَعَتِها وعزتها مستبسل من ورائها أيضا وهى على ذاك تود لى الهلاك وتبغينى الغوائل

(٢) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

كان الواجب أن يقول جُنِنْتَ أو سكرت ، فاكتفى بذكر أحدهما لأن النفى الذى يتعقب فى الجواب ينظمهما ، ومثله قول الآخر :

فَمَا أدْرِى إذَا يَمَّمْتُ وَجْهاً أُرِيدُ الْخَيْرَ أيُّهُما يَلِينِى

فاكتفى بذكر أحدهما لأن مابعده يبينها (١) والكلا موضعان : أحدهما أن يكون للردع والزجر ، وحينئذ يصح الاكتفاء به والوقف عليه ، والثانى أن يكون للتنبيه كألا وحينئذ يحتاج ما بعده إلى مايتم به ، وسيبويه قصر تفسيره على أنه للردع والزجر

---

(١) بعده قوله :

أألْخَيْرُ الَّذِى أنَا أبْتَغِيهِ أمِ الشَّرُّ الَّذِى هُوَ يَبْتَغِينِى

وَلٰكِنِّى ظُلِمْتُ فَكِدْتُ أَبْكِى ... مِنَ الظُّلْمِ الْمُبَيَّنِ أَوْ بَكَيْتُ (١)

فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِى وَجَدِّى ... وَبِئْرِى ذُوحَفَرْتُ وَذُوطَوَيْتُ (٢)

وَقَبْلَكَ رُبَّ خَصْمٍ قَدْ تَمَالَوْا ... عَلَىَّ فَمَا هَلِعْتُ وَلَا دَعَوْتُ (٣)

---

(١) لكنّ استدراك بعد نفى ، وهذا الكلام بيان ما أنكر منه حين قيل إنه جنّ ، وذكر البكاء ليرى أنفته وإنكاره لما أريد ظلمه فيه ، فأما العرب فانما تنسب أنفسها إلى القساوة وتعير من يبكى ؛ قال مهلهل :

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِى عَلَى أَحَدٍ ... لَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(٢) « ذو حفرت » لفظة طائية فى معنى الذى ، يقولون : هذا ذو قال ذاك ، ورأيت ذو قال ذاك ، ومررت بذو قال ذاك ، فيحتاج من الصلة إلى مثل مايحتاج إليه الذى ، لكنها تقع فى لغتهم للمذكر والمؤنث ، ولهذا صلح أن يقول: بئرى ذو حفرت ، والبئر مؤنثة

(٣) يقول : قد بُليتُ قبلك بقوم لُدٍّ تألّبُوا على وتعاونوا ، فلم أجزع لما مُنيتُ بهم جزعاً فاحشاً ولا استنصرت عليهم غيرى ، والهلع : أفحش الجزع ، وتمالؤا : تفاعلوا ، وهو من قولهم : هو مَلِئٌ بكذا ، فان قيل : كيف قال فما هلعت وقد قال فيما قبله فكدت أبكى وهل الهلع إلا البكاء والجزع الفاحش الذى يظهر فيه الخضوع والانقياد فهذا هو الذى اتضح منه وزعم أنه لايظهر عليه ، وقد بينا أن البكاء الذى ذكر أنه شارفه أو كاد يشارفه كان منه على طريق الاستنكاف وإذا كان كذلك فانه لم يكن عن تخشع ، وسلم الكلام من التناقض ، وقال أبو هلال : قوله « ولا دعوت » أى : ولا استغثت أحداً ، وفى القرآن (وادعوا شهداءكم من دون الله) أى : قد ضعفتُ الآن وذل جانبى فقويت علىّ وظلمتنى ، وقبلك قد تعاون علىّ الخصوم فى هذا الماء فغلبتهم ودفعتهم عنه ، وقويت فى

وَلَـكِنِّى نَصَبْتُ لَهُمْ جَبِينِى   وَأَلَّةَ فَارِسٍ حَتَّى قَرَيْتُ [١]

١٩٤ — وقال جابِر بن حَرِيش :

وَلَقَدْ أَرَانَا يَاسُمَىَّ بِحَائِلٍ
نَرْعَى الْقَرِىَّ فَكَامِساً فَالأَصْفَرَا [٢]

فَالْجِزْعَ بَيْنَ ضُبَاعَةٍ فَرُصَافَةٍ   فَعُوَارِضٍ حُوَّ الْبَسَابِسِ مُقْفِرَا [٣]

حياضى لواردة إبلى ، يدل على ماذكره قوله « ولـكنى نصبت الخ »

(١) أى : خاصمتهم باللسان ، ثم بلغنا إلى الرماح فطاعنت وغلبت ، حتى قريت الماء فى الحوض ، وهذا ماء لبنى أم الْـكَهْف من جَرْم طيىء ولبنى هَرِمِ ابن الْعُشَراء من فَزَارة اختصم فيه الْحَيَّان وهم مختلطون مجاورون .

(٢) الأول من الـكامل ، والقافية متدارك

سُمَىّ : ترخيم سُمَيَّة ، وحائل : بطن واد ، والْقَرِىّ : اسم واد هنا ، وكامس : جبل ، وكذلك الأصفر ، والْقَرِىّ فى غير هذا الموضع : مجرى الماء إلى الروضة ، والجمع أَقْرِيَةٌ وَقُرْيَان ، وفى مثل

* جَرَى الْوَادِى فَطَمَّ عَلَى الْقَرِىِّ *

وأرانا : بمعنى رأيتنا ، مستقبل بمعنى ماض

(٣) ضُبَاعَة ورُصَافَة : جبلان ، ويروى رُضافة ـ بالضاد منقوطة ـ وَعُوارِض : جبل عليه قبر حاتم الطائى ، وجَوّ البسابس : خاليها ، والبسبس : الفضاء من الأرض ، والجو : الهواء ، وَمُقْفِر : لا أنيس به ، والْحُوّ : جمع أحوى ، وهو الأسود ، والمراد به النبت ، أبو هلال : مقفر أى مقفر مَنْ فيه ، يريد أن من حصل فيه فقد أقفر : أى صار فى القفر الأرض الخالية ، ويجوز أن يكون هذا المـكان مقفراً كأنه داخل فى القفر ، ويجوز أن يكون حُوَّ البسابس نعتاً للجزع

لا أَرْضَ أَكْثَرُ مِنكِ بَيْضَ نَعَامَةٍ وَمَذَانِباً تَنْدَى وَرَوْضاً أَخضَرَا (١)

وَمُعَيَّناً يَحْمِي الصِّوَارَ كَأَنَّهُ مُتَخَمِّطٌ قَطِمٌ إِذَا مَابَرْبَرَا (٢)

إِذْ لا تَخَافُ حُدُوجُنَا قَذَفَ النَّوَى قَبْلَ الْفَسَادِ إِقَامَةً وَتَدَيُّرَا (٣)

وإن كان الجزع واحداً والحو جمعاً لأنه للبسابس ، وإنما يريد حُوًّا بسابسه ، فلما حذف الهاء عوض منها الألف واللام ، وحذف من حُوٍّ التنوين تخفيفاً ، وأضاف ، وجعلهما اسماً واحداً ، وأجراه على الجزع نعتاً له ، وهو مثل قولهم : مَرَرْتُ بامرأةٍ خَصِيِّ الزَّوْجِ ، ومقفراً أيضاً قد يكون نعتاً للجزع

(١) خاطب هذا الموضع ، يقول : لا أرض أكثر خصبا منك ولا أخلى منك ، فكثرة بيض نعامك من كثرة مائك وكلئك ، والنعام لا تبيض إلا فى خصب من الأرض

(٢) المُعَيَّن : الثور ، سمى معينا لكبر عينيه ، وقيل : سمى معينا لأن فيه لمع سواد وبياض ، وكأن على جلده عيونا ، ويروى « مُغَبَّباً » أى ثورا له غبب ، ومتخمط : متكبر ، وَقَطِمٌ : فحل هائج ، وبربر : صاح ، وعطف معينا على ما قبله من المنصوبات ، وكلها تنتصب على التمييز ، وقوله « ومذانبا تَنْدَى » تندى فى موضع الصفة للمذانب

(٣) التدير : نزول الدور : أى إذ كنا فى هذه المنازل والأمكنة التى تقدم ذكرها قبل الفساد : أى قبل حرب الفساد ، وهى الحرب التى كانت بين طيء خمسا وعشرين سنة ، وإنما سميت بهذا الاسم لأن بعضهم كان يشرب فى قحف رأس صاحبه إذا قتله ويخصف نعله باذنه إظهاراً للتشفى ، وانتصب « إقامة » على أنه مصدر لعلة ، ويجوز أن يكون فى موضع الحال ، فتقدير الأول لا تخاف قَذَفَ النوى لإقامتنا وَتَدَيُّرِنَا ، وتقدير الثانى لا تخاف مقيمين ومتديرين

١٩٥ – وقال إياس بن مالك بن عبد الله بن خَيْبَرِيّ الطائى :

سَمَوْنا إلى جيشِ الحَرُورِيِّ بعدَما ... تَناذَرَهُ أعرابُهُمْ والمُهاجِرُ (١)

بِجَمْعٍ تَظَلُّ الأُكْمُ ساجِدَةً لَهُ ... وأعلامُ سَلْمَى والهِضابُ النَّوادِرُ (٢)

فَلَمّا ادَّرَكْناهُمْ وقد قَلَّصَتْ بِهِمْ ... إلى الحَيِّ خُوصٌ كالحَنِيِّ ضَوامِرُ (٣)

وكان قيس بن حُجْر جَدُّ الطِّرِمّاح قد جهد فى تلك الأيام ، ثم أصاب تمرة فعضها ، ونظر إليه موْلًى له ، فلفظها إليه ، ففخر الطرماح به ، فقال :

أَبِى بِالفَسَادِ الأَوَّلِ اللَّافِظُ الَّذِى ... بِفِيهِ لِمَوْلَاهُ عَلَى سَاعَةِ الجَهْدِ

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الحَرُورِيَّةُ : فرقة من الخوارج ، أبو هلال : الحَرَوْرِيُّ بفتح الراء الأول ، وحروراء قرية كانت الخوارج فيها ، والمُهاجِر : مَنْ ترك البدو وانتقل إلى الأمصار ، وتناذره : تعالمه فأنذر بعضهم بعضا به ، والانذار : التخويف مع الاعلام ، وأعرابهم والمهاجر يعنى أهل الأمصار والبوادى

(٢) يريد أن هذا الجمع إذا علا الأكم والجبال دَقَّها بالحوافر فخشعت لذلك ، فكأنها ساجدة ، ويجوز أن يعنى بالسجود الإعظام ، ويكون هذا اللفظ من الادعاء الذى يقع فى الشعر ولا حقيقة له ، أى : إن الجبال والأكم تعظمه لأنه أعظم منها ، والسجود عندهم من الأضداد : يكون فى معنى الانتصاب ، والانحناء ، وكل شىء زال عن موضعه فقد نَدَرَ ، ومنه نوادر الكلام ، وجعل لسلمى أعلاما لامتداده واتصال جبال به

(٣) قَلَّصَتْ بهم : ارتفعت وضمتهم إلى الحى ، كما يقال : قَلَّصَ ثوبه ، إذا رفعه ، وقد يكون قلص من الأضداد : يكون فى معنى ارتفع ، وفى معنى

أَنَخْنَا إِلَيْهِمْ مِثْلَهُنَّ وَزَادُنَا
جِيَادُ السُّيُوفِ وَالرِّمَاحُ الْخَوَاطِرُ (١)
كِلاَ ثَقَلَيْنَا طَامِعٌ بِغَنِيمَةٍ وَقَدْ قَدَّرَ الرَّحْمٰنُ مَاهُوَ قَادِرُ (٢)

قصر ، قال الراجز فيما يدل على أن قلص يراد به ارتفع :

يَارِيَّهَا مِنْ بَارِدٍ قَلاَّصِ قَدْ جَمَّ حَتَّى هَمَّ بِانْقِيَاصِ

وقال امرؤ القيس :

* بَلاَثِقَ خُضْرًا مَاؤُهُنَّ قَلِيصُ *

وخوص : إبل غائرات العيون ، والْحَنِيُّ إذا فتحت الحاء فهو جمع حَنِيَّة ، يراد بها القوس ، وسميت بذلك لانحنائها ؛ فهو فعيل فى معنى مفعول ، وإذا ضممت الحاء فهو جمع حِنْو ، والْحِنْوُ : ماحنى من عيدان الرحل ؛ ومعناه أنها أسرعت بهم نحونا ؛ ويقال : فرس مُقَلَّص ؛ إذا كان طويل القوائم ، وإذا كان كذلك كان أسرع له ، وقيل له مقلص تشبيها بالرجل الذى قلص ثيابه : أى شمرها فظهرت رجلاه

(١) يجوز أن يكون معنى « إليهم » عندهم ، فقد حكى : لاتذكر فلانا إلىّ بسوء : أى عندى ، ويجوز أن يكون معناه الانتهاء ، ويكون المراد أنخنا إلى فنائهم ، و« أنخنا » هوجواب لما ، وإنما قال أنخنالما استمرت به عادتهم من ركوب الإبل وقود الخيل إلى المغار إبقاء عليها وإعداداً لوقت الحاجة إليها

(٢) أصل الثّقَل مايكون مع الانسان مما يثقله ، ثم قيل الثّقَلاَن يراد بهما الانس والجن ، كذلك تقول الرواة ؛ فأما الاشتقاق والقياس فيجيزان أن يراد بالثقلين العرب والعجم ، لأنهما ثقل على الأرض ، أو الإنس والحيوان غير الأنس ؛ فأما الحديث المروى « إنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتى » فإنما

فَلَمْ أرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سَالِبًا ... وَمُسْتَلَبًا سِرْبَالَهُ لاَ يُنَاكِرُ (١)
وَأَكْثَرَ مِنَّا يَافِعًا يَبْتَغِي الْعُلاَ ... يُضَارِبُ قِرْنًا دَارِعًا وَهْوَ حَاسِرُ (٢)
فَمَا كَلَّتِ الْأَيْدِي وَلاَ انْأَطَرَ الْقَنَا ... وَلاَ عَثَرَتْ مِنَّا الْجُدُودُ الْعَوَاثِرُ (٣)

شبههما بثقل الانسان الذى هو جهازه وآلته : أى هذان الشيآن هما اللذان يقومان لى مقام الثقل الذى ينتفع به الإنسان ، وقول الطائى « كلا ثقلينا » يريد كلا الجيشين صاحبى الثقلين ، ويجوز أن يجعل الجيش ثقلا لأنه ثقيل الوطأة ، وثقل الرجل : حشمه ومتاعه ، وقوله « بغنيمة » أى : بسبب غنيمة ، وقوله « وقد قدر الرحمن ماهو قادر » إن شئت جعلت «ما» موصولا بمعنى الذى ، وإن شئت جعلت «ما» موصوفا بمعنى شيئاً ، وعلى الوجهين وجب أن يقول ماهو قادره ، فحذف الضمير تخفيفا

(١) « كان أكثر سالبا » من صفة اليوم ، وفى الكلام حذف ، كأنه قال : من ذلك اليوم ، وانتصب « سِرْبَالَهُ » على أنه مفعول ثان من مُسْتَلَبًا ، و « لا يناكر » فى موضع الصفة له ، كأنه قال : وأكثر مستلبا هذه صفته ، ومعنى لا يناكر أى لا يقدر على الامتناع ، يقال : ناكرنى ، إذا دافعنى : أى لا ينكر السلب لأنه لا يقدر على الامتناع منه

(٢) فى هذا أيضا حذف وإيجاز ، كما كان فى البيت الأول ، كأنه قال : ولم أر قوما كان أكثر شابا يطلب الصيت والذكر من قومنا ، وقوله « وهو حاسر » حال للمضمر فى يضارب ، ويضارب ويبتغى جميعا صفتان لقوله «يافعا» وعلى هذا قد حذف حرف العطف من يضارب ، لأن الجمل حقها إذا وصف بها النكرات أن ينسق بعضها على بعض بحرف العطف ، ويجوز أن يكون «يضارب» فى موضع الحال مما فى « يبتغى »

(٣) ما كَلَّتْ : أى ماضعفت ولم تنهزم ، وَانْأَطَرَ : فِى معنى انعطف وتثنى ،

١٩٦ — وقال الأخرم السَّنْبَسِيّ :(١)

يقال : أطَرْته فانْأطَرَ ، ومنه إطار الباب والمنخل ، ويقال للرجل إذا هلك : عَثَرَ جَدُّه وتَعِسَ جَدُّه ، كما يقال : ثُلَّ عَرْشه ، وقوله « ولا عثرت منا الجدود العواثر » مثل قول الآخر :

* وَلاَ تَرَى الضَّبَّ بِهَا يَنْجَحِرُ *

لأنه لم يثبت لأنفسهم جدودا من شأنها أن تزل وتعثر ثم نفى ذلك عنها فى ذلك اليوم : أى لاجدود لهم بهذه الصفة كما أن الشاعر الآخر أراد أن لاضب بها فينجحر ، ومعناه كان الغلب لنا وتعثرت جدود غيرنا

قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات : أن جيشا لِنَجْدَةَ الْحَرُورِى ، وإليه تنسب النَّجَدَات وهو نَجْدَة بن عامر ، ويكنى أباالمطرّح ، وهو من بنى حنيفة ، ترى النَّجْدِية من الخوارج رأيه ، عليهم رجل يقال له أبوعمرو كان يغيرعلى العرب ، فلم يزل كذلك حتى ملأ يديه ، وفعل ذلك ببنى أسد وطيء حتى مرعلى بنى مَعْن ففعلوا بهم ذلك ومضوا ، ثم إن بنى مَعْنٍ تَزَامَروا وحَرَّضَ بعضهم بعضاً على القتال ، وأخذوا ماقدروا عليه من السلاح ثم أقبلوا فى أثر القوم ، فلما رآهم أبو عمرو وأصحابه قال لهم : إن بنى معن قد أقبلوا ، وأيم الله إن صَدَقُوكم القتال إنهم لَخُلَقَاء أن يَظْهَرُوا عليكم ، وقد كان مع بنى مَعْن كتاب من النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما دنوامنهم أخرجوا الكتاب واستقبلوا القبلة وحملوا عليهم فهزموهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة حتى إن الرجل من بنى مَعْن كان ينتهى إلى الرجل منهم فيأخذ السيف منه فيضرب عنقه ، وقد زعموا أن الله بعث فى وجوه الحرورية جَرَادا فأخذ بأبصارهم ، ولم ينج منهم أحد إلا رجلان على جمل ، فذلك حيث يقول إياس الأبيات ، وقد زعموا أن قائل هذه الأبيات مَرْوَان بن عبد الله بن حى

(١) قال أبو هلال : إن سنبس امرأة عمرو بن الْغَوْثِ بن طيء ، ولدت له

أَلاَ إنَّ قُرْطًا عَلَى آلَةٍ ... أَلاَ إنَّنِى كَيْدَهُ مَا أَكِيدُ(١)

بَعِيدُ الْوَلاَءِ بَعِيدُ الْمَحَلِّ مَنْ يَنْأَ عَنْكَ فَذَاكَ السَّعِيدُ

وَعِزُّ الْمَحَلِّ لَنَا بَائِنٌ ... بَنَاهُ الْإِلٰهُ وَمَجْدٌ تَلِيدُ(٢)

وَمَأْثُرَةُ الْمَجْدِ كَانَتْ لَنَا ... وَأَوْرَثَنَاهَا أَبُونَا لَبِيدُ(٣)

لَنَا بَاحَةٌ ضَبِسٌ نَابُهَا ... يَهُونُ عَلَى حَامِيَيْهَا الْوَعِيدُ(٤)

ثُعَلَ وَنَبْهَانَ ، فهم يسمون بها

(١) الأوّل من المتقارب ، والقافية متواتر

قُرْط : رجل من سَنْبس ، والآلة : الحالة ، ولا يقال بغير هاء ، وقوله «ألا إننى كيده ما أكيد» ما زائدة ، ومعناه إنى أكيد كيده : أى أفعل مثل فعله ، ويجوز أن تكون ما للنفى : أى ما أكيده كما يكيدنى لأكون خيراً منه ، ثم بين حاله وحال قومه بقوله «بعيد — الخ»

(٢) البائن : الظاهر

(٣) سميت المكارم مآثر لأنه يأثرها الآخر عن الأول

(٤) الباحة : عرصة الدار ، سميت باحةً لاتساعها ، ومنه الإباحة ، وهى التوسيع ، والضَّبِسُ : الشديد ، ويقال : ضِبْسٌ ، بكسر الضاد وسكون الباء ، قال :

* مُهْرٌ طِمِرٌّ وَغُلاَمٌ ضِبْسُ *

والناب : السيد المدافع عن القوم الرئيسُ ، وسمى بذلك لأن السبع بالناب يجرح ، وحامياها : أجأ وسلمى ، يقول : إذا حصلنا بينهما لا نفكر فيمن يوعدنا وقيل : حامياها جانباها الأمنعان منها ، مثل حوامى الحصن ، وهى البروج ، وقيل : حامياها الخيل والسلاح ، ثم ذكر كثرة السلاح بها فقال «بها قضب — الخ»

بِهَا قُضُبٌ هُنْدُوَانِيَّةٌ وَعِيصٌ تَزَاءَرُ فِيهِ الْأُسُودُ (١)
ثَمَانُونَ أَلْفًا وَلَمْ أُحْصِهِمْ وَقَدْ بَلَغَتْ رَجْمَهَا أَوْ تَزِيدُ (٢)

١٩٧ — وقال عبد الرحمن المَعْنِيُّ ولقبه مَرْقَس فى لقاء بنى مَعْن الحرورية : (٣)

---

(١) هُنْدُوَانية : منسوبة إلى هندى على غير قياس ، والْعِيص : الأصل الكريمُ ومنابت كرائم الأشجار الملتفةِ ، ومنه قيل : أعياص قريش ، لكرائمهم ، وأصل العيص الأَجَمة ، وأراد بها كثرة الرماح هنا ؛ ولهذا قال «تزَاءر فيه الأسود» أى : يزْئِرُ بعضها إلى بعض

(٢) لم أحصهم : أى لم أبلغ آخر عددهم لعجزى عن تعدادهم ، والأصل فيه الحصى ؛ كانوا يقسمون الشىء عليها فاذا لم يبق شيء قالوا : « أحصينا » أى جئنا إلى الحصى ، وقيل : بل أصله أنهم كانوا يعدون الغنائم ويقتسمون ، ثم يأخذون الحصى ويلقون عليها علامات ، فاذا فرغوا من العد وانتهوا إلى العلامات قالوا أحصينا ، و«قد بلغت رَجْمَهَا أو تزيد » : أى ظَنَّهَا ، وأصل الرجم الرمى بالقول وغيره « أو تزيد » معناه بل تزيد

(٣) قال أبو هلال : هذا الشاعر يعرف بمرْقَس — بفتح الميم والقاف ، والسين غير معجمة — أحد بنى مَعْن بن عَتُودٍ ثم أحد بنى حُتَيّ بن مَعْنٍ ، وقال أبو الفتح : المعن : الشىء القليل ، قال :

* فَإِنَّ هَلاَكَ مَالِكَ غَيْرُ مَعْنٍ *

أى : غير يسير ، ومنه « أمعن بحقه » أى : أذهبه ، والماعون منه لقلته ، وَمَعَنَ الماء يَمْعُنُ : أى سال قليلا قليلا ، فكأنه من مقلوب المنع ؛ وذلك أن قلة الشىء قريبة من امتناعه ، ولذلك أجروا القلة مجرى النفى ، حتى قالوا « قلما سرت حتى أدْخُلَهَا » فنصبوا كما ينصبون مع ما فى قولك : « ماسرت حتى أدْخُلَها » ، وعلى ذلك

قَدْ قَارَعَتْ مَعْنٌ قِرَاعًا صُلْبَا ... قِرَاعَ قَوْمٍ يُحْسِنُونَ الضَّرْبَا (١)

تَرَى مَعَ الرَّوْعِ الْغُلَامَ الشَّطْبَا (٢) ... إِذَا أَحَسَّ وَجَعًا أَوْ كَرْبَا (٣)

دَنَا فَمَا يَزْدَادُ إِلَّا قُرْبَا ... تَمَرُّسَ الْجَرْبَاءِ لَاقَتْ جُرْبَا (٤)

ماحكاه سيبويه عن يونس من قولهم : كَثُرَ مَاتَقُولَنَّ ذلك ، فأدخل النون حملا لـكَثُرَ على نقيضه الذى هو قَلّ ، وكقولهم : رُبَّمَا تقومَنَّ ؛ والنون بالنفى ـ أعنى « ما » ـ أوْلَى بها من كثر

(١) من مشطور الرجز ، والقافية متواتر

أصل القراع الضرب على شيء صاب ، ومَعْن : قبيلة ، يريد أنها ضاربت أعداءها ضراب قوم لهم هداية فى ملاقاة الأعداء

(٢) الشَّطْب : السَّبْطُ العظام الخفيف اللحم ، وشبه بما يشق من الجريد ، ومنه ماروى فى حديث أم زرع « مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَة » وأكثرما يستعملون هذا الوصف بالهاء ، يقولون : فرس شَطْبَة ، قال عبد يغوث الحارثى :

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِى مِنْ الْخَيْلِ شَطْبَةٌ ... تَرَى خَلْفَهَا الْجُرْدَ الْعِتَاقَ مَتَالِيَا

وقال علقمة :

فَلَمْ يَنْجُ إِلَّا شَطْبَةٌ بِلِجَامِهَا ... وَإِلَّا طِمِرٌّ فِى الْعِنَانِ نَجِيبُ

(٣) قوله « إذا أحس » ظرف للروع : أى عند حصول الروع لايتأخر عنه ، والأجود أن يكون قوله « إذا أحس » ظرفاً لقوله « دنا فما يزداد إلا قربا» وأحَسَّ : وجد

(٤) التَّمَرُّسُ: التحكك، وجُرْبًا يجوز أن يكون جمع أجرب وَجَرْباء ، فيقال: جُرْبٌ ـ بضم الجيم ـ كأسود وسُود وأقْلَف وَقُلْف ، و يجوز أن يكون مقصورا من

١٩٨ — وقال عُبَيْدُ بن مَاوِيَّة الطائى : (١)

أَلاَ حَيِّ لَيْلَى وَأَطْلاَلَهَا ... وَرَمْلَةَ رَيَّا وَأَجْبَالَهَا (٢)
وَأَنْعِمْ بِمَا أَرْسَلَتْ بَالَهَا ... وَنَالَ ٱلتَّحِيَّةَ مَنْ نَالَهَا (٣)

جَرْباء . وللشاعر أن يقصر الممدود : أى تَمَرَّسَ الجرباء لاقت جرباء مثلها ، فيروى بفتح الجيم

(١) قال أبو الفتح : الماوية المرأة ، وكأن المرأة سميت بذلك لنقائها وماء جسمها ، ألا تراها منسوبة إلى الماء ، وَلذلك سموها عندى الْمذيَّة ، وكأنها فعيلة من مَذَى يَمْذِى ، لما هناك من جريان الماء ورقته ، وألزموها فى الإضافة بدل الواو كما فعلوا ذلك فى الشاوى ، قال :

مَاوِيَّ يَارُبَّتَمَا غَارَةٍ ... شَعْوَاءَ كَالَّذْعَةِ بِالْمِيسَمِ

وقال الآخر :

* لاَ يَنْفَعُ الشَّاوِيَّ فِيهَا شَاتُهُ *

وَمَاوِية — مخففة — الرحمةُ ، يقال : أَوَيْتُ لفلان إذا رحمته ، مَاوِيَةً

(٢) ثالث المتقارب ، والقافية متدارك

(٣) قوله « بما أرسلت » أى : بدلا مما أرسلت ، و « ما » مع الفعل فى تقدير مصدر ، يعنى بارسالها ، والعرب تقول : هذا بذاك ، أى عوض منه ، وهذا لك من ذاك ، فى معناه ، وعلى هذا قول الشاعر :

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ شَرْبَةً ... مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهَيَانِ

والبال والْخَلَد يستعملان على طريقة واحدة ، يقال : وقع فى خَلَدِى كذا ، وسقط على بالى ، والمعنى أنعم الله بالها جواباً لتحيتها وجزاء على مراسلتها ، وقوله « ونال التحية مَنْ نَالَهَا » يجوز أن يكون المعنى وأصاب الْمُلْكَ من أصاب هذه

فإنِّى لَذُو مِرَّةٍ مُرَّةٍ إذَا رَكِبَتْ حَالَةٌ حَالَهَا (١)
أُقَدِّمُ بِالزَّجْرِ قَبْلَ الْوَعِيدِ لِتَنْهَى الْقَبَائِلُ جُهَّالَهَا (٢)
وَقَافِيَةٍ مِثْلِ حَدِّ السِّنَا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا (٣)

المرأة ، والتحية : الملك ، ويقال : نِلْتُ كذا أَنَالَ نَيْلاً ، ويجوز أن يكون نال بمعنى أنال ، قال أبو زيد : يقال : نُلْتُهُ أَنُوله نَوْلاً ونَوَالا ، إذا أعطيته ، وعلى هذا يكون الكلام دعاء ، والمعنى حَيَّا الله من بَلَّغَهَا التحية

(١) المِرَّة : القوة ، ومنه قولهم اسْتَمَرَّتْ مَرِيرته ، واستمر عذاره فى الإباء والتمنع ، ولم يرض بأن يجعل لنفسه مرة حتى جعلها مُرَّةً فى فم ذائقها . وقوله « إذا ركبت حالة حالها » يعنى إذا ازدحمت الأمور ، والضمير من قوله « حالها » يعود إلى الحالة ، كأنه أضافه إليها لما كانت تليها وجعلها مركوبها ، يقول : يلقى الأعداء منى مكروها ، وقيل : الحال الثقل : أى إذا ثقلت الحالة ؛ والعرب تقول : خَفِّفْ عنى من حالى : أى من ثقلى ، ومنه قيل للكارَةِ التى تحمل على الظهر : حال ، وقيل « إذا ركبت حالة حالها » أى صعب الأمر وركب بعضه بعضا

(٢) يجوز أن يكون « أقدم » بمعنى أتقدم ؛ وتكون الباء من « بالزجر » فى موضعه ويكون مثل نَبَّه وتَنَبَّه . ويجوز أن يكون المراد أُقَدِّم الزجْرَ ، فجعل الباء زائدة للتأكيد ، كما جاء فى قوله (تُنْبِتُ بالدُّهْن) كذلك ، ومعناه أزجر المتعرض لى قبل الوعيد ، كأنه يبتدىء بالزجر ثم يرتقى إلى الوعيد ثم إلى الإيقاع

(٣) القافية : آخر البيت المشتمل على ما يجب على الشاعر مراعاته وإعادته فى كل بيت ، وسميت بذلك لأنها تَقْفُو ما قبلها ، وهم يُسَمُّونَ البيت بأسره قافيةً لاشتماله على القافية ، والقصيدة بأبياتها قافية لاشتمالها على الأبيات الْمُقَفَّاة ، والمراد فى هذا الموضع بالقافية البيت ، لأن نظم تسعين بيتا فى العرف والعادة غير مستنكر

تَجَوَّدْتُ فى مَجْلِسٍ وَاحِدٍ ... قِرَاهَا وَتِسْعِينَ أَمْثَالَهَا (١)

١٩٩ — وقال جابر بن رألانَ السِّنْبِسِىُّ :

لَمَّا رَأَتْ مَعْشَرًا قَلَّتْ حَمُولَتُهُمْ ... قَالَتْ سُعَادُ أَهٰذَا مَالُكُمْ بَجَلا (٢)

من المقتدرين على قول الشعر ، ولو أراد القصيدة لبعد عن المعتاد

(١) تجودت : أى اخترت عند الجميع جَيِّدَها ، وهذا كما يقال : تَنَقَّيْتُ الشيء ، وتخيرته ، وقوله « وتسعين » أراد مع تسعين ، فيكون انتصابه على أنه مفعول معه ، كقوله تعالى : (فأجمعوا أمركم وشركاءكم) لأن المراد مع شركائكم ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة ، كأنه أراد قراها وقرى تسعين ، وقراها يجوز أن يكون من قَرَيْت الماء فى الحوض ، ومن قَرَوْتُ الأرض ، إذا تتبعتها ، ويجوز أن يكون القرى ما يطعم الضيف فاستعاره هنا

(٢) الأول من البسيط ، والقافية متراكب

الْحَمُولة : الإبل التى يحمل عليها ، وتكون من غير الأبل ، جرت مجرى الرَّكوبة والْعَلوفة ، والْحُمُولة بالضم : الأحمال ، يقول : لما رأت هذه المرأة قلة إبلنا قالت منكرة ومتعجبة : أهذا مالكم فحسب ، وبجل : فى موضع الحال ، والمعنى أهذا مالكم مُكْتَفًى به ، والأصل فى « بجل » البناء على السكون ، ودعت الضرورة إلى تحريكه ، فحركه بالفتح ، كان الواجب إذا حرك الكسر فيه ، ومثله « وَنَعَمْ إنْ قُلْتُمَا نَعَمَا » لأن نَعَمْ أيضا مبنى على السكون فحرك آخره للضرورة ، وقد يضاف « بجل » لكونه اسما ، كما يضاف « قد » إذا كان بمعنى حسب ، قال :

* بَجَلِى الْآنَ مِنَ الْعَيْشِ بَجَلْ *

وقال أبو العلاء : يجوز أن يكون نصب « بَجَلَا » كأنه قال : « أهذا مالكم غَيْرَ مجاوِزٍ ما أراه ، ويجوز أن يكون أراد بَجَلِى : أى حسبى ، فقلب الياء ألفا لأن

إمَّا تَرَىْ مَالَنَا أضْحَى بِهِ خَلَلٌ فَقَدْ يَكُونُ قَدِيمًا يَرْتُقُ الْخَلَلاَ (١)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ أنَّا يَوْمَ نَجْدَتِهِمْ لاَ نَتَّقِي بِالْكَمِيِّ الحَارِدِ الْأَسَلاَ (٢)
لَكِنْ تَرَى رَجُلاً فِي إثْرِهِ رَجُلٌ قَدْ غَادَرَا رَجُلاً بِالقَاعِ مُنْجَدِلاَ (٣)

الأخفش وغيره حكوا أن بعض العرب يقول : جاءنى غُلاَمَا ، يعنى غلامى ، فيقلب الياء ألفا ، وعلى هذا أنشدوا :

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثُمَّ آوِى إلَى أُمَّا وَيَكْفِينِى النَّقِيعُ

(١) الخلل الأول : النقص ، والثانى الفرجة بين الشيئين حتى يصح الرتق معه ، وفى الكلام اختصار . والمعنى أجبناها بأن قلنا : إن كنت تَرَيْنَ اختلال حالنا فقديما كنا نَسُدُّ الخلل بأموالنا ، وقوله « فقد يكون » جعل اللفظ مستقبلا وإن أراد المضى ؛ لاستمرار الحال على طريقة واحدة ، ويجوز أن يكون حكى الحال ، كقوله تعالى : (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكذلك قوله « قد يعلم — الخ »

(٢) جعل اللفظ مستقبلا والمراد غيره ، وقوله « لانتقى بالكمىّ » يقول : لانحجم فنتقى رماح الأعداء بالشجعان ، بل غيرنا يتقى بنا ؛ فنتقدم إذا تأخروا ، والحارد : المجتمع الخلق الشديد المهيب الذى تحسبه من عزة غضبان

(٣) كأن أحدهما صَرَعَ قتيلا والآخر يتبعه لينال منه ، ويجوز أن يكون معنى « قد غادرا » قد غادر كل واحد منها رجلا مصروعا ، كما يقال : كسانا الأمير حلة : أى كل واحد منا ، ومثله : (فاجلدوهم ثمانين جلدة) وفى هذه الطريقة قول الآخر :

وَهَل غَمَرَاتُ الْمَوْتِ إلاَّ نِزَالُكَ الْـ كَمِيَّ عَلَى لَحْمِ الْكَمِيِّ الْمُقَطَّرِ

وقال أبو هلال : جعل رجلين منهم على رجل واحد ، وهو وصف ردىء ،

٢٠٠ — وقال قَبيصَة بن النَّصْرانى الجَرْميُّ من طيء [1]

لَمْ أَرَ خيْلاً مِثْلَهَا يوْمَ أَدْرَكَتْ ... بَنِى شَمَجَى خلفَ اللُّهَيْمِ عَلَى ظَهْرِ [2]

لأن من عادتهم أن يجعلوا الرجل يقاوم جماعة ، وتجاوزوا ذلك إلى أن قال بعضهم :

* وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمُ يُسْتَهْزَمُ *

فجعل ذكر الرجل الواحد هازما للجيش

(١) يجوز أن يكون قبيصة اسما مرتجلا للعلم ، ويجوز أن يكون فعيلا فى معنى مفعول ؛ من قولك : قَبَصْتُ ؛ إذا أخذت الشىء بأطراف أصابعك كالتراب ونحوه ، فكأنه فى الأصل هذه تربة مقبوصة ثم صرفت إلى فعيلة فصارت اسما منه غير صفة ، كالذَّبيحة والضَّرِيبة ، فلحقتها الهاء على ذلك ، قال أبو الفتح : ويجوز أن يكون عندنا نحن صفة ، وإن لحقتها الهاء ، وذلك أن القياس عندنا أن يقال : هذه امرأة قتيلة ، وكف خَضيبة ، ومِلْحَفَةٌ جَدِيدة ، غيرأن التاء حذفت من نحو هذا ، فقالوا مِلْحَفَة جَدِيد ، وامرأة قتيل ، وعَيْن كَحيل ، تشبيها لفعيل بفعُول فى نحو قولك : هذه امرأة صَبُور وشَكُور وكَفُور ، فجديد وبابها مما اطرد فى الاستعمال وشذ فى القياس ، فاعرف ذلك مذهبا لأصحابنا ، والجَرْمُ : القطع

(٢) الأول من الطويل ، والقافية متواتر

أراد بالخيل الفرسان لا الأفراس ، كما روى « ياخَيْلَ الله اركبى » وقوله « على ظهر » فى موضع الصفة لقوله « خيلا » ولُهَيْمٌ : جبل ، وقوله « عَلَى ظهر » يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون المعنى لم أر خيلا على ظهر الأرض ، كما جاء فى التنزيل : (ماترك على ظهرها من دابة) والثانى : أن يكون المعنى لم أر خيلا على ظهور الدواب ، لكنه قصد الجنس فوَحَّدَ ، كما يقال : هو يرتبط كذا رأساً من

أَبَرَّ بِأَيْمَانٍ وَأَجْرَأَ مُقْدَماً ... وَأَنْقَضَ مِنَّا لِلَّذِى كَانَ مِنْ وِتْرِ (١)

عَشِيَّةَ قَطَّعْنَا قَرَائِنَ بَيْنِنَا ... بِأَسْيَافِنَا وَالشَّاهِدُونَ بَنُو بَدْرِ (٢)

الدواب ، وكذا ظهرا منها ، وذكر بعضهم أن ظهرا اسم ماء ، كأنه قال : خلف هذا الجبل على هذا الماء ، وهذا إذا ثبت يسلم للسماع ، وذكر بعض أصحاب المعانى أن قوله « على ظهر » يجوز أن يكون فى موضع الحال من المضمر فى « أدركت » أى : يوم أدركتهم قاهرة لهم ، وعلى قهر وغلبة فيهم ، من قولك : ظَهَرْتُ على فلان ظُهُوراً وظهرا ، وفى القرآن : (لِيُظْهِرَه على الدين كله) ولما أراد بالخيل أصحابها ساغ أن يقول « أبرّ بأيمان — الخ »

(١) ويشبه هذا مايجىء من صلة « الذى » فى مثل قوله :

* أَنَا الَّذِى سَمَّتْنِ أُمِّى حَيْدَرَهْ *

ونقض الوتر : حل عقده باشتفاء النفس من الواتر الذى يُبْرِمه ، وكان الأَنِفُ منهم إذا أصيب وَوُتِرَ ينذر أنه لا يشرب خمرا ولا يقرب امرأة ، وما أشبه ذلك ، حتى ينال الوتر ، ومنه قوله :

حَلَّتْ لِىَ الْخَمْرُ وكُنْتُ امْرَأً ... عَنْ شُرْبِهَا فِى شُغُلٍ شَاغِلِ

فَالْيَوْمَ أَشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحْقِبٍ ... إِثْماً مِنَ اللهِ وَلاَ وَاغِلِ

وَيجوز أن يكون معنى قوله « وأنقض منا للواتر » أنا إذا وترنا إنسانا نقضنا وتره لأنه لا يقدر على أن يطالبنا به لعزنا ومنعتنا

(٢) أضاف القرائن إلى « بيننا » لأنه جعله اسما ؛ ونقله من باب الظروف ، وعلى هذا قراءة من قرأ : (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكم) بالرفع ، والمعنى وَصْلُكم ، ولك أن تروى « قرائن بيننا » فى بابه ظرفا ، كما قد قرىء : (لقد تقطع بَيْنَكم) بالنصب ، ويعنى بالقرائن الأرحام والأواصر ، وانتصب « عشية » على أنه بدل

فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَّتْ يَمِينِى وَأَدْرَكَتْ
بَنُو ثُعَلٍ تَبْلِى وَرَاجَعَنِى شِعْرِى (١)

٢٠١ – وقال أدهم بن أبى الزعراء (٢)

قَدْ صَبَّحَتْ مَعْنٌ بِجَمْعٍ ذِى لَجَبْ قَيْسًا وَعِبْدَانَهُمُ بِالْمُنْتَهَبْ (٣)

من قوله « يوم أدركت بنى شمجى » فيقول : لم أر خيلا تماثلها عشية أرسلناها على أعدائنا فقطعنا باستعمال السيوف الوصل الجامعة لنا ، وبنو بدر شاهدون لبلائنا

(١) أى : أدرك بنو ثُعَل قومى بثأرى وشَفَوْا صدرى وراجعنى شعرى ، وكانوا لا يقولون الشعر إلا إذا غلبوا وقهروا وإذا قتل منهم حتى يدركوا بثأرهم ، ولهذا قال :

* دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغُمَيْرِ الْقَوَافِيَا *

فأراد أنه قال الشعر وافتخر بعد أن كان كالمفحم ، وقيل : يعنى بالشعر العلم من قولهم : شعرت أشعر ، وهو العلم الذى يوصل إليه من مسلك دقيق ، مأخوذ من الشَّعَرِ : أى رجع إلىّ علمى وعرفانى وعقلى

(٢) هذه صفة منقولة ، كقولك : فرس دَهْمَاءُ ، وأما الأدهم القيد فصفة أيضا ، غير أنها غلبت ، والزعراء : القليلة الشعر ، قال أبو هلال : هو سُوَيْدُ بن مسعود ابن جعفر بن عبد الله بن طريف بن حَبِىِّ بن عمرو بن سَلْسَلَةَ بن غَنْمِ بن ثَوْبِ ابن مَعْن الطائى

(٣) من مشطور الرجز ، والقافية متدارك

الجمع : المجتمعون ، وَالْجُمَّاع : المتفرقون ، ومعنى « صَبَّحَتْ » أى أتت قيساً صباحا بكتيبة لهـا جَلَبة وصوت لكثرتها ، وَعِبْدَان ـ بكسر أوله ويضم ـ جمع عبيد ، يقال : عَبْد وأَعْبُد وَعَبِيد وَعِبَادٌ وَعِبِدَّى وَمَعْبُودَاء وَعُبُد

وَأَسَدًا بِغَارَةٍ ذَاتِ حَدَبْ رَجْرَاجَةٍ لَمْ تَكُ مِمَّا يُؤْتَشَبْ (١)

إلاَّ صَمِيماً عَرَباً إِلَى عَرَبْ تَبْكِى عَوَالِيهِمْ إِذَا لَمْ تَخْتَضِبْ (٢)

مِنْ ثُغَرِ اللَّبَّاتِ يَوْمًا وَالْحُجُبْ (٣)

وَعِبْدان جمع عَبيد ، و « المنتهب » قيل : هو مكان . وهو الصحيح ، لأن الوقعة كانت فيه ، وقيل : المراد به الانتهاب ، أو موضع الانتهاب ، والمراد بالعبيد الرُّعاة وَالعُسَفاء الذين يكونون مع الابل ، كأنهم قصدوهم فى أَخْوِيتهم وأموالهم حاضرة غير غائبة

(١) « ذات حَدَبٍ » يجوز أن يكون مصدر الأحْدَب ، ويكون وصف الغارة بالْحَدَب كما قيل : آلة حَدْباء ، وَعِزَّةٌ قَعْساء ، كأنها ينبو ظهرها عمن يريد ركوبها واقتسارها ، ويجوز أن يريد به الارتفاع والكثرة ، وقال الخليل : الْحَدب : حُدور فى صَبَبٍ ، يعنى العقبة . والعرب تسمى الخيل غارةً لأن الغارة من قبلها تكون ، والغار بلا هاء تستعمل فى الجمع الكثير ، وفى الحديث « ماظنك برجل جمع بين هذين الغارين » وَرَجْرَاجة : تَضْطَرِب وتَمُوج من كثرتها ، والأصل فى الأشَب الالتفافُ ، يقال : غَيْضَة أَشِبَة ، وتوسعوا فيه فقالوا : عند فلانٍ أُشابة من المال : أى مما كسبه من الحرام ومما لاخير فيه

(٢) الصميم : الخالص ، ومنه قولهم : صميم الرأس والساق للعظم الذى فيه قوام العضو ، وتوسعوا فيه فقالوا : جاء فى صميم الصيف وغيره ، وانتصب « صميما » على أنه استثناء خارج ، وجعل قوله « عربا إلى عرب » بدلا منه ، وقوله « إذا لم تختضب » يقال : خَضَبَ الرجلُ شعره ، واختضب ، ولا يذكر الشعر معه ، وقد يكون اختضب فى مطاوعة خضب ؛ وبكاء العوالى : مثل ، جعلها باكية من الحزن إذا هى لم تختضب بالدماء على وجه التوسع

(٣) ثُغَر اللَّبَّات : هَزَمَات التَّرَاقى ، والْحُجُب : الأفئدة ، ويقال : لبب ولبة ،

ولذلك روى من ثغر اللبات والألباب ، والمعنى أنهم بصراء بالطعن فلا يصيبون إلا المقتل

قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن مَعْدَان بن عُبَيْد بن عَدِي بن عبد الله بن خَيْبَرِي بن أفات حَدَّثَ أنه تزوج امرأة من بنى بَدْر بن فَزَارة ، قال : فكان شباب من بنى بدر يزوروننا ، فأدرك الثمار ، فاجتمعوا على نبيذ لهم مع شباب منا ، فأسرع فيهم الشراب ، فوقع بينهم كلام ، فوثب غلام منا يقال له يعقوب بن سلامة فضرب شابا من بنى بدر فشجه فمات منها ، فقلت للبدريين: لكم دية صاحبكم ، فأبوا إلا أن يدفع الطائى إليهم ، وأبيت أن أفعل ، فأتوا صاحب المدينة فى ذلك ، وكنا قد منعنا الصدقة حين وقعت الفتنة ، فكتب أمية بن عبد الله عمرو بن عثمان بن عفان عامل صدقة الحليفين طيء وأسد إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة وقتلنا الرجُلَ ، فكتب إليه أن سَيِّر إليهم جيشا ، وكتب إلى أَنْ مَكِّن البدريين من صاحبهم وأدِّ الصدقة ، وإلا فقد أمرت رسولى أن يأتينى بك ، وإن أبيت أتانى برأسك ، ثم والله لَأُبِيلَنّ الخيلَ فى عَرَصَاتِك ، فأمرت بضرب عنق الرسول ، فقال الرسول : إن الرُّسُلَ لاتقتل ، وإنى لأسير فيكم يامعشر طيء اسْتِحْيَاءً ، فقلت : قد صدقت وخليت سبيله ، وقلت له : قل لمروان آلَيْتَ تُبِيلُ الخيلَ على عَرَصَاتِى ، وبينى وبينك رَمْلُ عالج ، وعديد طيء حولى ، والجبلان خلف ظهرى ، فاجْهَدْ جَهْدَك ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، وكتبت إليه :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوَانَ عَنِّى ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ نَأْىِ الْمَزَارِ
أَلَمْ تَرَ لِلْخِلَافَةِ كَيْفَ ضَاعَتْ ... إِذَا كَانَتْ بِأَبْنَاءِ السَّرَارِى
إِذَا كَانَتْ بِذِى حُمُقٍ تَرَاهُ ... إِذَا مَانَابَ أَمْرٌ كَالْحِمَارِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ بَلْقَيْن بْن جَسْرٍ ... تَوَلَّوْا فِى الضَّلَالَةِ وَالْخَسَارِ

وكتب إليه غالب بن الْحُرِّ بن ثعلبة المعنىُّ من طيء :

لَقَدْ قُلْتُ لِلرُّكْبَانِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَمِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَالْقَبَائِلُ تَسْمَعُ
قِفُوا أَيُّهَا الرُّكْبَانُ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... وَيَأْتِيكُمُ الْأَمْرُ الذى لَيْسَ يُدْفَعُ
وَحَتَّى تَرَوْا أَيْنَ الْإِمَامُ وَتَشْعَبُوا ... عَصَا الْمُلْكِ إذْ أَمْسَى وَبِالْمُلْكِ مَضْيَعُ
أَرَى ضَيْعَةً لِلْمَالِ أَنْ لاَ يَضُمَّهُ ... إِمَامٌ، وَلاَ فِى أَهْلِهِ الْمَالُ يُوضَعُ

فكتب إلى عبد الواحد بن منيع السعدى بن سعد بن بكر وإلى أُمَيَّةَ بن عبد الله بن عمرو بن عثمان : أن سِرْ بأهل الشأم وأهل المدينة والبوادى وقيس وغيرهم إلى مَعْدَان حتى تأخذوا منه الصدقة وتَقيِدُوا الْبَدْرِيين من صاحبهم ، وأَوْطِئُوا الخيـــل بلاد طيء ، وأْتُونى بمعدان ، فسار أمية فى ثلاثين ألفا من أهـل المدينة والشام والبوادى من قيس وأسـد وبعث إلى كل صاحب ذَحْل ودمنة يطلبها فى طيء ، وقدم على مقدمته رجلا يقال له الحريز ابن يزيد بن حَمَل من الضباب ، وثارت قيس تطلب الثأر من طيء ، قال مَعْدَان : وكنت فى اثنى عشر ألفا ، فلما انتهيت إلى عسكر أمية إذا جبال الحديد وعسكر لايُرَي طَرَفَاه ، فرفع طيء النار على أجأ ، فاجتمعوا فنحروا الْجُزُرَ ، وعملوا من جلودها حَجَفًا ، وطعموا من لحومها ، فقلت : يا بنى خَيْبَرى ويا معشر طيء ، هو والله يومكم لبقاء الدهر أو لهلاك ، فاذا وقع النبل عندكم فقبح الله أجزع الفريقين ؛ فصافقناهم ، فَرَمَوْا بالنبل ، ثم شددنا عليهم شَدَّةَ رَجُلٍ واحد ، فما كان إلا سيف أو سيفان حتى قتل الحريز وسرحان مولى قيس ، واسْتَحَرَّ القتل فى قيس لأنهم حَامَوْا عن الحريز ، وكان يلى المعادن ؛ فقتل من قيس ثلثمائة ، وانهزموا أقبح هزيمة واسوأها ، فما رأيت عسكرا أكثر رَنّة منه ، وأتيت بأمية أسيرا فخليت سبيله ، وأتيت بجارية له فألحقتها به إلى المدينة ، ونادى منادىّ أن لا تتبعوا مُدْبِرًا ، ولا تُجْهِزُوا

على جريح ، و إن الكتاب الذى كتب مروان لفى أيدينا ما نحسن أن (١) نقرأه وجدناه فى متاعه حتى قرأه بعض فتيانى ، و إذا فيه : أُقْتُلْ واسْبِ ، و بالله لو كنت علمت ما فى الكتاب ما أَفْلَتَ منهم صبى ، فكتب صاحب المدينة إلى مروان يخبره بما صنعت طيء من قتل الحريز وسرحان وأسر أمية وقتل ابنه وما نقيت قيس ، ومن أجاب دعوته ، فوجَّهَ مروان من عنده ابنَ رِياح الغَسَّانى فى عشرة آلاف ، فكتب ابن هبيرة إلى مروان بقتل ابن ضُبَارة وَفُصُول قَحْطَبَة متوجّهًا من الرى ، فقال : ما نصنع بشغل عشرة آلاف فى قتال أعراب طيء ؟ فصرفهم إلى ابن هبيرة ، قال معدان : وكتبت إلى قَحْطَبَة و بعثت رسولا ، فوافقه بهمذان والجيش بِنَهَاوَنْد ، فكتب إلىَّ يُسَدِّد رأيى ، و يصوب أمرى ، ويخبر أنه لو قدم الكوفة بعث إلىَّ جُنْدًا ، ثم كان من أمر قحطبة ما كان ، وقام أبو العباس السَّفّاح ، فقدمتُ عليه فى مائتى رجل من طيء ، فأمر لى بعشرين ألف درهم وخلعة ، وحملانى ، وأمر لأصحابى بثلثمائة ثلثمائة ، وخص قوما نحوا من ثلاثين رجلا بخمسمائه درهم لكل رجل ، والعشرة منهم بألف لكل رجل ، فوالله مارَزَأْنَا مروانُ ولا جنده ولا عُمَّاله شاةً ولا بعيرا ، وإنا لأَوَّلُ من نقم عليه ، ونصر آل محمد ، حتى انتهى إلينا صاحبنا قَحْطَبَة بن شبيب بن خالد بن معدان ولجأ إلى يومئذ فرارا من الحرب عبد العزيز ابن أبى دَهْبَل الْجَعْفَرِى . وكنا أخوا له ، فقال عَبْدُ العزيز يمدح مَعْدَانَ فى قطعه :

وَإِنَّ امْرَأً مَعْدَانُ فِى الْحَرْبِ خَالُهُ ⁂ إِذَا مَا احْتَبَى مِنْ دُونِهِ لَمَنِيعُ

وقيلت أشعار كثيرة فى وقعة المنتهب (٢) منها الأبيات البائية التى مضت ؛ وقال أبو العلاء : قوله فى الخبر

---

(١) لامانع من أن يكون لايحسن القراءة مع قوله فيما سبق وفيما سيأتى «فكتب إليه» لأن النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يقرأ ، وقد كان يكتب إلى الملوك ونحوهم : أى يأمر من يكتب له ما يمليه عليه (٢) انظر (ص ١٩١ من هذا الجزء)

أَلَمْ تَرَ لِلْخِلاَفَةِ كَيْفَ ضَاعَتْ ... إِذَا كَانَتْ بِأَبْنَاءِ السَّرَارِى

السَّرَارى : جمع سُرِّيَّة ، وحق الجمع أن يكون مشدد الياء ، فخففه للضرورة ، وقد اختلف فى اشتقاقها ؛ فقيل : هى من السّر الذى هو النكاح ، وقيل : إنما سمى سِرًّا لأنه يُسْتَسَرّ به عن العيون ، وقيل : سميت سُرِّيّة لأن مالكها يَسُرُّبها وهذا أقيس من القول المتقدم ؛ لأنهم يسمون السُّرور سُرًّا بضم السين ، قال طرفة :

فَفِدَاءٌ لِبَنِى قَيْسٍ عَلَى ... مَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ سُرٍّ وَضُرّْ

مَا أَقَلَّتْ قَدَمَاىَ إِنَّهُمْ ... نَعِمَ السَّاعُونَ فِي الأَمْرِ الْمُبِرّْ

فوزنه على هذا فُعْلِيَّة ، وقال قوم : إنما أخذت السُّرِّيَّة من السراة ، وهى أعلى الشىء ، فقيل : أراد أن مالكها يملك سراتها ، وقيل : بل ذلك من فعل السَّراة من الناس ، لأن السرارى إنما يتخذها أهل اليسار والسعة ، وقال قوم : سميت سرية لأن مالكها يطرقها ليلا ، فكأنه يسرى إليها ، ووزنها فى هذه الوجوه فُعُّولَة ، وذلك أقيس من أن تجعل فُعِّيلة لأن فُعِّيلا إنما حكى فى قولهم : كَوْكَبٌ دُرِّى ومُرِّيق للعصفر ، وفُعُّول و إن كان قليلا فهو أكثر فى الكلام ، قالوا : السُّبُّوحُ ، وَالْقُدُّوس ، والذرُّوح ، وحكى سُمُّور ، وقوله :

أَرَى ضَيْعَةَ الْأَمْوَالِ أَنْ لاَ يَضُمَّهُ ... إِمَامٌ ، وَلاَ فِى أَهْلِهِ الْمَالُ يُودَعُ

يجوز أن يكون يُودَع فى معنى يُتْرَك ، وتلك لغة قليلة ، وقد حكوا وَدَع فى معنى ترك ؛ فاذا بنى الفعل على مالم يسم فاعله وجب أن يقال : وُدِعَ يُودَع ، وقد روى أن بعضهم قرأ (ما وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى) وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنشدوا بيتا ينسب إلى أبى الأسود الدؤلى ، وهو :

لَيْتَ شِعْرِى عَنْ خَلِيلِى مَا الَّذِى ... غَالَهُ فِى الوُدِّ حَتَّى وَدَعَهْ

ويجوز أن يكون يُودَع فى البيت المتقدم محمولا على الوديعة ، كما قال :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلاَّ وَدِيعَةٌ ... وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنْ تُسْتَرَدَّ الْوَدَائِعُ

٢٠٢ — وقال الْبُرْج بن مُسْهِر الطائى :

إلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ خَلِيلٍ أَوَدُّهُ ثَلاثَ خِلالٍ كُلُّها لِى غَائِضُ (١)
فَمِنْهُنَّ أَنْ لاَ تَجْمَعَ الدَّهْرَ تَلْعَةٌ بُيُوتًا لَنَا يَا تَلْعَ سَيْلُكِ غَامِضُ (٢)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

غائض : من غاض الماء ، إذا نقص ، وغاضه غيره ، إذا نقصه : أى كلها يكسر من نشاطى

(٢) يجوز الرفع والنصب فى « تجمع » فالنصب بأن الناصبة للفعل ، والرفع بأن يكون أن مخففة من الثقيلة ، أراد أنه لاتجمع ، والهاء ضمير الأمر والشأن ، والتَّلْعَةُ : أرض مرتفعة يتردد فيها السيل إلى بطن الوادى ، و يقال فى المثل : فُلَان لايُوثَقُ بسَيْل تَلْعتِهِ ، إذا كان غير صدوق فى أخبـاره ، وباب التلع كله من الإشراف والارتفاع ، وقوله « ياتَلْعُ سيلك غامض » يُسَمِّى مثله نُقَّادُ الكلام التفاتا ، فهو مثل قول جرير فيما حكاه الأصمعى :

مَتَى كَانَ الْخِيامُ بِذِى طُلُوحٍ سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتُهَا الْخِيامُ

دعا عليها : أى لاسال واديك ؛ وصلح ترخيم تلعة وإن كان نكرة لأنه قصد بها فى النداء إلى واحدة بعينها ، وقال النمرى : التَّلْعَةُ مَسِيل الماء ، و يقال فى مثل : ما أخاف إلا من سيل تَلْعَتِى : أى من بنى أعمامى وقرائبى ، والكلام يتم عند قوله « بيوتا لنا » ؛ ثم قال « ياتلع سيلك غامض » أى : يأتى من حيث لايتَّقَى ، وكذلك عداوات الأقارب ، وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل : يانَعَام إنِّى رَجُلٌ ، يضرب فى الحمق ، وذكر قصة الأبيات ؛ ثم قال : إنما دعا على تلك التلعة التى لا تجمع بيته وبيت عمه فقال : سيلك غامض : أى لاسَالَ واديك ، وقال أبو العلاء : أى إن الذى بيننا من الضغن والبغضة خفى وكأنه سيل

وَمِنْهُنَّ أنْ لا أسْتَطِيعَ كَلامَهُ   وَلاَ وُدَّهُ حَتَّى يَزُولَ عُوَارِضُ (١)

وَمِنْهُنَّ أَنْ لاَ يَجْمَعَ الْغَزْوُ بَيْنَنَا
وَفِى الْغَزْوِ مَا يُلْقِى الْعَدُوُّ الْمُبَاغِضُ (٢)
وَيَتْرُكُ ذَا الْبَأْوِ الشَّدِيدِ كَأَنَّهُ
مِنَ الذُّلِّ وَالْبَغْضَاءِ شَهْبَاءُ مَاخِضُ (٣)

غامض الأمر لا يشعر به المقيم حتى يغشاه: فنحن يا تاعة نرهب أن يحل بك لذلك

(١) يجوز الرفع والنصب فى « لاأستطيع » على ماتقدمه؛ إن قيل: كيف قال « لا أستطيع وده » وقد قال فى البيت الأوّل « من خليل أوده » فأثبت الود؟ قلت: إنما أراد لا أستطيع مقتضى وُدِّهِ ومُوجَبَه، فحذف المضاف، وقوله « حتى يزول عوارض » عُوَارِض: جبل: أى حتى يكون ما لا يكون، ومعناه إنى لا أقدر على وده أن أجتلبه لنفسى؛ لأن الإنسان لا يحمل غيره على مودته، وإنما تكون المودة طَوْعاً، ومثله:

إذَا الْوَصْلُ لَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِ مَوَدَّةٌ   فَلاَ خَيْرَ فِى وُدٍّ يَكُونُ بِشَافِعِ

(٢) « ما » صلة، والمعنى وفى الغزو يحتاج إلى الصديق المخالص؛ إذ كان إنما يلقى فيه العدو المباغض، فهذا وجه، ويجوز أن يكون المعنى وفى الغزو قد يلقى العدو المباغض فكيف المِوادُّ، والأوّل أشبه، وقال أبو هلال: أى لا نتقارب فى غزو ولا سفر، والمتباغضان ربما اجتمعا فى سفر وضمهما الغزو كما قال بعض الأعراب:

وَقَالَتْ لَنَا لَمَّا أَنَخْنَا بِبَابِهَا   مِنَ أُيَّةِ أَرْضٍ أَمْ مَنِ الرَّجُلاَنِ
فَقُلْتُ لَهَا أَمَّا تَمِيمٌ فَأُسْرَتِى   هُدِيتِ وَأَمَّا صَاحِبِى فَيَمَانِ
غَرِيبَانِ ضَمَّ السَّفْرُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ   وَقَدْ يَلْتَقِى الشَّتَّى فَيَأْتَلِفَانِ

(٣) البأو: الكبر، يعنى أن الغزو يترك المتكبر مما يناله من الذل لبعض

فَسَائِلْ هَدَاكَ اللهُ أَيُّ بَنِي أَبٍ مِنَ النَّاسِ يَسْعَى سَعْيَنَا وَيُقَارِضُ (١)
نُقَارِضُكَ الْأَمْوَالَ وَالْوُدَّ بَيْنَنَا كَأَنَّ الْقُلُوبَ رَاضَهَا لَكَ رَائِضُ (٢)
كَفَى بِالْقُبُورِ صَارِمًا لَوْ رَعَيْتَهُ وَلَـكِنَّ مَا أَعْلَنْتَ بَادٍ وَخَافِضُ (٣)

الخلاف كالماخض،والمخاض : وجع الولادة ، ويستعمل فى أنواع الحيوان ، يقال : مَخِضَتْ وَمُخِضَتْ ، والطلق لايكون إلا فى النساء ، وإنما خص الشهباء بالذكر لأنها أنعم الإبل وأرقّها وأقلها صبرا وأضعفها ، وقيل : أراد بالشهباء خنزيرة ، لأن الشهبة من ألوان الخنازير ، أبو هلال : يقول : إنه يلين كل أحد ولايلين هذا العدو

(١) أى : سائل أرشدك الله أىُّ بنى أب يعمل مثل عملنا ، ويعطى القروض كما نعطى ، ثم قال « نقارضك »

(٢) أى : نعطيك أموالنا ومحبتنا كأن القلوب رِيضَتْ لَكَ

(٣) « بالقبور » فى موضع الرفع على أن يكون فاعل « كفى » وانتصب « صارما » على الحال أو التمييز ، ولما كان القصد بذكر القبور إلى ما يؤدى إليها — وهو الأجل المضروب — صلح أن يقول « صارما لو رعيته » يقال : رعيت النجوم وراعيتها ، إذا رقبتها ، وقوله « وخافض » أراد به ومنخفض ، لـكنه أخرجه مخرج النسبة ، كأنه قال : وذوخفض ، هكذا ذكره بعضهم ، والجيد ماذكره أبو العلاء ، وهوأنه لم يذكرخافضاً مقابلابه قوله «باد» ولـكنه خبرمعطوف على خبر ، كما يقال : إن فلانا مُـكْرِمٌ لك وكثيرالمال ، يريد أن هذا الذى بدا منك خافض لنا عند الناس : أى ناقص منزلتنا فى الشرف والعز ، يقول : لو انتظرت الموت وصبرت على المجاملة مدة العيش لـكان يكفيك عند حصوله ما تعجلته من الصرم

قال أبو رياش: كان سبب هذه الأبيات : أن الْبُرْجَ بن مُسْهِرٍ بن جُلَاس

٢٠٣ — وقال قَبيصَةُ بْنُ النصرانى الْجَرْمِىُّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْوَرْدَ عَرَّدَ صَدْرُهُ
وَحَادَ عَنِ الدَّعْوَى وَضَوْءِ الْبَوَارِقِ (١)

وَأَخْرَجَنِى مِنْ فِتْيَةٍ لَمْ أُرِدْ لَهُمْ
فِرَاقًا وَهُمْ فِى مَأْزِقٍ مُتَضَايِقِ (٢)

ابن الأَرَتّ الطائى ، واسم الأرت خالد ، كان هو وعمه أبو جابر قاعدَيْنِ يَشْرَبَانِ وكانت امرأة أبى جابر جالسة ، فانتشى الْبُرجُ فَقَبَّلها ، ثم رأى عمه وقد رآه ، فاستحيا وكف ، وقال : ياعمى غلبنى الشراب ، قال : أولم أرك حين رأيتنى كففت واستحييت ، ولو كان الشراب غلبك لم تَسْتَحْىِ ، اذهب فوالله لاتجمعنى وإياك محلة ولا غزوة ، ولا نجتمع فى بلد ، ولا أكلمك كلمة أبداً ، فقال هذه الأبيات

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قائل هذه الأبيات يعتذر من إحجامٍ اتَّفَقَ منه وتأَخُّرٍ عن الزحف ظهر للناس من فعله ، فأخذ يُوَرِّكُ بالذَّنب على فرسه وأن نفرته كانت السبب فى نكوصه ، فقال على سبيل التلهف : أما علمت أن فرسى الورد انحرف عن المقصد صدره وتولى إلى غير الجهة التى أريدها ، والبوارق : جمع بارقة السيوف وسائر الأسلحة ، والدعوى : قول الكماة : مَنْ يبارز ، وخذها وأنا فلان ، وأشباهه ، وقوله «عرد صدره» أى : عرد هو ، كما تقول : ولى وجهه ، والتعريد : العدو ، ومنه سميت الْعَرَّادة لأنها ترمى بالحجر الْمَرْمَى البعيد ، وروى « عَزَّ بِصَدْرِهِ » وهو أجود الروايتين .

(٢) الواو فى قوله « وهم » واو الحال ، والأزق : الضيق فى الحرب ، وقال «متضايق» لأن ضيق المكرّ فى المعارك يحصل شيئاً بعد شىء .

وَعَضَّ عَلَى فَاسِ اللِّجَامِ وَعَزَّنِى ... عَلَى أَمْرِهِ إِذْ رَدَّ أَهْلُ الْحَقَائِقِ (١)

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بلَوْتُ بَلاءَهُ ... وَأَنَّى بِمَتْعٍ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقِ (٢)

---

(١) أهل الحقائق : هم الذين يبلغون فيما يلونه مايحق ويجب : أى عَضَّ الفرس على الشكيمة ، وغلبنى على أمره ، ولم أقدر على الكر إذ رد أهل الحقائق خيلهم إلى التنا طائعة إذ عصانى .

(٢) يقال : مَتَعَ بكذا ، واستمتع به ، وَمَتَّعَهُ الله ، وأمتعه : أى من أين لى الاستمتاع من خليل فارقته ، وكيف أساعده وأتحمل عنه ثقلا وقد باعدت بينى وبينه ، « وأنى بمتع » فى موضع المفعول لقلت ، ومن روى « وَأُبْنَا تَمَتَّعْ » يدخل « وَأُبْنَا » فى جملة ما اتصل بلما ، ويكون المعنى ولما بلوت بلاءه وأكرهنى على مراده فانصرفنا من مقصدنا قلت له متوجعاً : الآن تمتع من أجل خليل بعدت بينى وبينه ، وجواب لما فى الوجهين قوله « فقلت » بما اتصل به ؛ وروى النمرى « وأنى بمَنْعٍ من خليل مفارق » يقول : أراد خليلك فراقك فمنعه من ذلك متعذر ؛ قال : وأما من روى « وأنى بمتع » فانما فر من لبس تلك الرواية ، وهى المعروفة المشهورة ، فاستراح وأراح ، وَأُرِيهَا السُّهَا وَتُرِينِى القمر ، كأنه قال لفرسه : تمتع منى فانى مفارقك ببيع أو هبة أو اطراح لسوء بلائك بى وإخراجك من الحرب لى ، ثم عاد إلى نفسه فقال : وأنى يكون ذلك وقد جربته قبل ، وشهدت به الحرب ، وأدركت عليه الثأر ، وَصِدْتُ عليه الوحشَ ، وسبقت به الخيل ، وعدد سوابقه عنده وصنائعه إليه ، فنفس به ، وغفر تلك الزلة له ، وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل

* ذَهَبَ ابْنُ فَسْوَةَ فِى بَنَاتِ طَمَارِ *

يضرب فى الأباطيل ، غلط فى تفسير هذه الأبيات من جهات : منها أنه

أُحَدِّثُ مَنْ لاَقَيْتُ يَوْمًا بِلاَءَهُ ... وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي غَيْرُ صَادِقِ (١)

٢٠٤ — وقال أيضا :

هَاجِرَتِي يَابِنْتَ آلِ سَعْدِ ... أَأَنْ حَلَبْتُ لِقْحَةً لِلْوِرْدِ (٢)

نسب الأبيات إلى قبيصة بن النصرانى ، وهى للأعرج المَعْنِىّ ، ومنها أنه صحف فى قوله « وأبى بمنع » وفى قوله « وأنى بمتع » أيضاً ، وفسرهما على التصحيف ، ومنها أنه لم يفسر قوله « وأخرجنى من فتية » والصواب ما أنشدناه أبو الندى

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا بَلَوْتُ بَلاَءَهُ ... وَأَبْنَا تَمَتَّعْ مِنْ خَلِيلٍ مُفَارِقِ

ولو عرف أبو عبد الله صحة متن البيت لكان المعنى ينادى على نفسه ، ولم يكن يحتاج إلى تسويد القراطيس بما لا فائدة فيه ولا طائل عنده ، وكان من قصة هذا الشعر أن الأعرج المعنى حاد به فرسه يوم قتلت بنو جديلة سبعة إخوة له يوم ناصفة وهو قوله « وأخرجنى من فتية ـ البيت »

(١) بلاءه : أى سوء بلائه ، يقول : إنى إذا حدثت بذلك لم أصدق لأنه من نسل كريم ، والظن به خلاف ما أتاه من الخلق الذميم ، وله وجه آخر ، وهو أنى إذا نحلته الذنب فى إحجامى لم يصدقنى الناس وظنوا أنى أحجمت وجبنت ونحلته الذنب مخافة العار

(٢) من سادس السريع ، والقافية من المتواتر

يروى « هَاجَرْتِنِي » على الخطاب ، و « هَاجِرَتِي » والمعنى أنت هاجرتى ، أو هاجرتى أنت ، وقوله « يا ابنة آل سعد » يجوز أن يريد به يا ابنة سعد ، فزاد الآل ، كما تزاد لفظة « حى » و « ذو » ، ومثله قول الآخر :

إِنَّ ابْنَ آلِ ضِرَارٍ حِينَ أَنْدُبُهُ ... زَيْدًا سَعَى لِيَ سَعْيًا غَيْرَ مَكْفُورِ

أراد ابن ضرار ، وأخرج قوله « أَأَنْ حَلَبْتُ » مخرج التقريع والتوبيخ وإن

جَهِلْتِ مِنْ عِنَانِهِ الْمُمْتَدِّ ... وَنَظَرِى فى عِطْفِهِ الأَلَدِّ (١)

إذا جِيادُ الْخَيْلِ جاءَتْ تَرْدِى ... مَمْلُوءَةً مِنْ غَضَبٍ وحَرْدِ (٢)

٢٠٥ — وقال أيضًا :

لَعَمْرُ أَبِيكَ لاَ يَنفَكُّ مِنا ... أُخُوثِقَةٍ يُعَاشُ بِهِ مَتِينُ (٣)

كان لفظه لفظ الاستفهام ، لأن المراد به أَلِأَن حلبت : أى ألهذا الشأن كان منك الهجرلى .

(١) يجوز أن يكون زاد « من » على مذهب الأخفش فى الواجب ، أراد جهلت عنانه ، ويكون قوله «ونظرى» فى موضع النصب عطفاً عليه ،وعلى مذهب سيبويه يكون فيه وجهان : أحدهما أن يكون الكلام محمولا على المعنى لأن الجهل نفى العلم فكأنه لما قال « جهلت » قال : ماعرفت وما علمت ، والثانى أن يكون حذف مفعول جهلت كأنه قال: جهلت من عنانه الطويل ما أعرفه من إكرامه ونجابته :أى جهلت امتداد عنانه فى الغارة ، وإنما يمتد عنانه لطول عنقه ونظرى فى عطفه الذى لايستقر من المرح ، وإنما ينظر فى عطفه لعجبه به ، والمعجَبُ بالشىء يديم النظر إليه ، وأصل الألد الشديد الخصومة ، ومعناه هنا شدة المرح حتى لايستقر ولا يستقيم كما لايستقر المخاصم ولا يستقيم

(٢) « إذا » ظرف لما دل عليه قوله «فى عطفه الألد » و «تردى» فى موضع الحال ، والعامل فيه « جاءت » ، و « مملوءة » حال ، والعامل فيه « تَرْدِى » ، والحرد : أصله القصد ، وإذا استعمل بمعنى الغضب فهو راجع إليه

(٣) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

إذا روى « لعمر أخيك » فانه يجوز أن يريد بأخيه نفسه ، كأنه قال لعمرى ، وجعل نفسه أخاه على طريق الاستعطاف ، ويجوز أن يكون المخاطب

مُفِيدٌ مُهْلِكٌ وَلِزَازُ خَصْمٍ عَلَى الْمِيزَانِ ذُو زِنَةٍ رَزِينُ(١)

يَزِيدُ نَبَالَةً عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَنَافِلَةً وَبَعْضُ الْقَوْمِ دُونُ(٢)

٢٠٦ — وقال خُفَافُ بن نَدْبَةَ (٣)

أَعَبَّاسُ إِنَّ الَّذِي بَيْنَنَا أَبَى أَنْ يُجَاوِزَهُ أَرْبَعُ (٤)

كان له أخ يعز عليه ويقسم بحياته ، ولعمر : مبتدأ ، وخبره محذوف ، كأنه قال : لعمر أخيك قسمى ، أو ما أقسم به ، ومعنى لاينفك مايزال ، والمتين : كل صلب شديد ، والمصدر المتانة ، ومَاتَنْتُ الرجل مماتنة إذا حاكيته ففعلت مثل مايفعله من الشدة

(١) قوله « لزاز خصم » كالسناد والعماد وما أشبههما ، واللز : أصله اللزوم والثبات ، على ذلك قولهم : لزاز الباب ، ثم توسعوا فقيل : هو مِلَزٌّ فى الخصومة ، ولزاز ، وهو مُلَزَّزُ الخلق : أى مجتمعه ، يقول : يفيد أولياءه الخير ويهلك أعداءه ثم يلزم خصمه فلا يفارقه أو يغلبه ، وإذا وزن بغيره رجح عليه

(٢) النبالة : مصدر نَبُلَ ، والنافلة : الفضل ، ودون حقيقته : القاصر عن الشىء ، هو دُونٌ فى الرجال ، وليس بدون ، فيجعل اسماً : أى يقوم بما يلزمه ومالا يلزمه

(٣) خُفَاف : أخو خفيف فى الوصف ، يقال : شىء خَفِيف وخُفَاف ، وله نظائر ، وَالنَّدْبَة : المرأة الماضية ، وجمع نَدْبٍ نُدَبَاء ، والنَّدْبَةُ : المرة الواحدة من قولك نَدَبْتُ الميت أندبه

(٤) ثالث المتقارب ، والقافية متدارك

المخاطب عباس بن مِرْدَاس ، ومراد الشاعر أن يقول : ياعباس إن الْحُرُمَات الأربع التى تجمعنى وإياك منعت أن يتخطاها مابيننا من الشر ، فهو يقف دونها ، وظاهر الـكلام فيه قلب ، لأنه جعل الفعل الذى هو المجاوز للأربع ، وهى الأبنية

عَلاَئِقُ مِنْ حَسَبٍ دَاخِلٍ مَعَ الْإِلِّ وَالنَّسَبُ الْأَرْفَعُ(١)
وَأَنَّ ثَنِيَّةَ رَأْسِ الْهِجَا ءِ بَيْنِى وَبَيْنَكَ لاَ تُطْلَعُ(٢)
وَأَبْغِضْ إِلَيَّ بِإِتْيَانِهَا إِذَا أَنَا لَمْ آتِهَا أُدْفَعُ(٣)

من أن يجاوزها ماحدث بينهما ، وصلح ذلك لأن المراد لا يلتبس ، وعلى هذا قول الآخر :

* كَمَا أَسْلَمَتْ وَحْشِيَّةٌ وَهَقًا *

لأن الْوَهَق يُسْلِم الوحشية ، ويمكن أن يقال : إذا تعدى أحد الشيئين صاحبه فقد صار الآخر تعداه أيضاً ، وإذا كان كذلك ساغ أن يجعل فى الإخبار لكل واحد منهما المجاوزة

(١) «علائق» تفسير الخصال الأربع التى أجملها ، والعلائق : جمع علاقة ، وقوله « من حسب داخل » أى : مختلط به ، و«النسب الأرفع» ، يجوز أن يكون يعنى به نسب الأب لأنه أقرب النسبين ، وأن يعنى به النسب الرفيع العلى ، والنسب : الرحم ، والإل : القرابة(١) ، والحسب : مايعد به من الخصال الكريمة

(٢) كأنهما كانا تعاقدا أن لا يهجو أحدهما صاحبه

(٣) قوله « وأبغض » أُستعير فيها بناء الأمر للخبر لأن معناه التعجب ، والتعجب خبر ، كما يستعار بناء الخبر للأمر ، كقوله تعالى : (والمطلقات يتربصن بأنفسهن) وموضع « باتيانها » رفع على أنه فاعل ، كأنه قال : بغض إتيانها إلى جداً ، يقول : ما أبغض إتيان عقبة الهجاء واطلاعها إلى ؛ لأنى أربأ بنفسى

---

(١) فى نسخة ب « والإل والقرابة » بزيادة واو ، وكأن الناشرين ظنوا أنهما جميعا من تتمة تفسير النسب ، وفى نسخة بن « والنسب الرحم والقرابة » وعلى هذا يسقط تفسير الال ، وما أثبتناه خير منهما جميعا ، فتنبه

٢٠٧ — وقال معبد بن علقمة : (١)

غُيِّبْتُ عَنْ قَتْلِ الْحُتَاتِ وَلَيْتَنِى   شَهِدْتُ حُتَاتًا حِينَ ضُرِّجَ بِالدَّمِ (٢)

عنه ، ولو لم أتركه تأثُّماً وتكرما لكان ما تعاقدنا عليه يدفعنى عنه ويمنعنى منه ، فاذا ظرف لقوله « أدفع » وقال أبو العلاء : يروى « أَدْفَع » بفتح الهمزة و « أُدْفع » بضمها ، يقول : بينى و بينك أسباب توجب الرعاية ، وتمنع من الهجاء ، و إنى لا أذكرك بغير الخير ، إلا أن تهجونى فأدفع عن نفسى ، هذا فى رأى من فتح الهمزة من « أَدْفَعُ » ومن ضمها فالمراد إذا أنا لم آتها وقد أُكْرِهْتُ على ذلك وأُلجئت إليه

(١) هو مَفْعَل من عَبَدْت الله ، كقولك : ضربت زيداً مَضْرَباً ، ودخلت الدار مَدْخَلاً

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الْحُتَات : من قولك : حَتَتُّ الشىء اليابسَ عن الثوب ونحوه ، إذا حككته بيدك أو بعود حتى يزول ، واستعمل الْحُتَات بالألف واللام ثم حذفهما منه ، وهم يفعلون ذلك فى الأسماء التى أصلها أن تكون صفاتٍ أو مصادرَ ، ولم يستمروا فى ذلك على قياس ، إلا أن الضرورة تطلق لهم أن يدخلوا الألف واللام على كل الأعلام ، وذلك أنهم إذا ثَنَّوْهَا أو جمعوها جاؤا بعلامة التعريف ؛ لأنها تصير نكرات ، فهم يقولون فى اسم الرجل : العباس وعباس ، والضحاك وضحاك ، قال الشاعر :

عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَان وَاقِفٌ   بِسَيْفِ رَسُولِ اللهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ

وإنما يقولون فى غير الشعر : قال الضحاك ، فيستعملونه بالألف واللام ، وكذلك يقولون : الْمُرَقَّش الشاعر ، وهذا البيت يروى له :

وَفِى الْكَفِّ مِنِّى صَارِمٌ ذُو حَقِيقَةٍ   مَتَى مَا يُقَدِّمْ فِى الضَّرِيبَةِ يُقْدِمِ (١)
فَيَعْلَمَ حَيًّا مَالِكٍ وَلَفِيفُهَا   بِأَنْ لَسْتُ عَنْ قَتْلِ الحُتَاتِ بِمُحْرِمِ (٢)
فَقُلْ لِزُهَيْرٍ إِنْ شَتَمْتَ سَرَاتَنَا   فَلَسْنَا بِشَتَّامِينَ لِلْمُتَشَتِّمِ (٣)
وَلَكِنَّنَا نَأْبَى الظِّلَامَ وَنَعْتَصِى   بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُصَمِّمِ (٤)

مَنْ مُبْلِغُ الْأَقْوَامِ أَنَّ مُرَقِّشاً   أَضْحَى عَلَى الْأَصْحَابِ عِبْئاً مُثْقِلاَ

فاذا جرت عادتهم بمنع الاسم من الألف واللام مثل محمد وعلى ومالك فلا يدخلونهما عليه إلا عند الضرورة ، وإذا كان أصل التسمية بالألف واللام كالحرث والقاسم هان عليهم أن يحذفوا علامة التعريف ، وقوله « حين ضرج بالدم » فهو من الضَّرْج ، وهو الحمرة ، والإِضريج : ضرب من الخز أحمر ، ويقال : ضَرَّجْتُ الثوب ، إذا صبغته بالحمرة خاصة ، وتَضَرَّجَ الخد عند الخجل

(١) الحقيقة : مايصير إليه حق الأمر ووجوبه

(٢) يقال : أحرم الرجل ، إذا دخل فى الحرم ، أو فى الشهر الحرام ، وفسر قول الراعى :

* قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمَا *

على أنه كان له حرمة الإمامة والبلد والشهر ؛ لأن قتله كان فى ذى الحجة ، وانتصب « فيعلم » على أنه جواب التمنى

(٣) المتشتم : المتحكك بالشتم والمتعرض له ، ويصلح أن يكون للجنس فيدخل فيه زهير وغيره ، ويصلح أن يراد به زهير خاصة

(٤) الظِّلَام وَالظُّلاَمة وَالْمَظْلِمة واحد ، وقوله « ونعتصى » يقال : عَصَيْتُ بالسيف واعتصيت ، وَعَصَوْتُ بالعصا ، ومَرَّ يَعْتَصِى على العصا : أى يتوكأ عليها ، والتصميم : المضى فى الأمر

وتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا ... وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لا بِالتَّكَلُّمِ (١)
وَإِنَّ التَّمادِي فِي الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا ... بِكَفَّيْكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهُ أَوْ تَقَدَّمِ (٢)

٢٠٨ — وقال بعض لصوص طيء :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ابْنَى شُمَيْطٍ ... بِسِكَّةِ طَيِّءٍ وَالْبَابُ دُونِي (٣)
تَجَلَّلْتُ الْعَصَا وَعَلِمْتُ أَنِّي ... رَهِينُ مُخَيِّسٍ إِنْ أَدْرَكُونِي (٤)

---

(١) أفعال جملة الإنسان تنسب إلى جوارحه على المجاز والسعة ، فلذلك نسب الجهل إلى الأيدى ، والمعنى إن مايذم من أفعال القلوب لانكتسبه بوجه ؛ بل فيه الرأى الثاقب

(٢) هذا توعد ، يقول : أمر اللجاج والاستمرار فيما يزيد مابيننا فساداً أنت قادر عليه ، فان شئت فتقدم عليه ، و إن شئت فتأخر عنه

(٣) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

هذا اللص كان أنهى حاله إلى علىّ عليه السلام ، قال أبو هلال : هو شَبيب ابن عَمْرو بن كُرَيْب ، وكان يصيب الطريق فى أيام على ، فوجّه فى طلبه ابنى شُمَيْطٍ فأحسّ بذلك وركب فرسه العصا فنجابه ، وذكر قصته فى هذه الأبيات وعنى بالباب المسالح أو باب البلد

(٤) تجللت : جواب « لما » ، وتجللته : أى ركبته فصرت فوق ظهره بمنزلة الْجُلّ ، ومُخَيِّسٌ : اسم سجن بناه على بالكوفة ، والتخييس : التذليل ، قال :

وَخَيِّسِ الْجِنَّ إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

وقال :

أَمَا تَرَانِي كَيِّساً مُكَيَّساً ... بَنَيْتُ بَعْدَ نَافِعٍ مُخَيَّساً

* سَوْطاً مَتِيناً وَأَمِيراً كَيِّساً *

ونافع : سجن بناه أيضاً

وَلَوْ أَنِّى لَبِثْتُ لَهُمْ قَلِيلاً   لَجَرُّونِى إِلَى شَيْخٍ بَطِينِ (١)
شَدِيدِ مَجَامِعِ الكَتِفَيْنِ بَاقٍ   عَلَى الحَدَثَانِ مُخْتَلِفِ الشُّؤُنِ (٢)

٢٠٩ — وقال حُرَيْث بن عَنَّاب بن مَطَر بن سِلْسِلَة بن كَعْب ابن عَوْف :

لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ نَبْهَانَ تَارِكِى   بِلَمَّاعَةٍ فِيهَا الحَوَادِثُ تَخْطِرُ (٣)
نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَبِابْنَىْ مُعَرِّضٍ   وَسَعْدٍ وَجَبَّارٍ بَلِ اللهُ يَنْصُرُ (٤)

---

(١) هذه صفة على عليه السلام ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فى عظم بطنه أنه قال : «هو لكثرة علمه» ، وقوله « قليلا » يجوز أن يكون ظرفا ، يريد زمانا قليلا ، وأن يكون صفة لمصدر محذوف ، يريد لبثاً قليلا

(٢) مختلف الشؤن : يعنى طرائقه فى زهده وعلمه وبأسه وإقدامه فى ذات الله ، فقال علىّ : والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو ظفرت به لصدقت ظنه

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

لما : علم للظرف ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره ، وأراد بنى نبهان فذكر الجد والمراد القوم ، وسماه العبد تهجينا له ورميا إياه باللؤم ، واللمّاعة : المفازة تلمع بالسراب ، وجعلها مَخُوفة لاتُؤمن فيها نوائب الدهر ، وتَخْطِرُ : تحدث وتعترض ، ولا يمتنع أن يكون جعل اللماعة كناية عن الأمر الشديد والداهية المنكرة ، ويكون قوله « تاركى بلماعة » كما يقال : تركته بحال سوء

(٤) أى : لما تركنى نَبْهَان بهذه المفازة نصرنى هؤلاء القوم ، بل الله ينصر : أى بتوفيقه أنصر

وَلِلّهِ أَعْطَانِى الْمَوَدَّةَ مِنْهُمُ ... وَثَبَّتَ سَاقِى بَعْدَمَا كِدْتُ أَعْثُرُ

إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ ... لَهُمْ قَائِدٌ أَعْمَى وَآخَرُ مُبْصِرُ (١)

لَهُمْ مَنْطِقَانِ يَفْرَقُ النَّاسُ مِنْهُمَا ... وَلِحْنَانِ مَعْرُوفٌ وَآخَرُ مُنْكَرُ (٢)

لِكُلِّ بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رِبَاعَةٌ ... وَخَيْرُهُمُ فِى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بُحْتُرُ (٣)

---

(١) يجوز أن يكون الضمير فى «لهم» لناصريه وهم الذين سماهم ، ويكون الكلام مَدْحاً ، ويجوز أن يكون لخاذليه ، ويكون الكلام ذمًّا ، ووجه المدح أن يكون المراد بقوله « إذا ركب الناس الطريق » أى : إذا انتوت نياتهم رأيت هؤلاء القوم لعزهم ومنعتهم يسيرهم الليل والنهار ؛ فالقائد الأعمى هو الليل ، والآخر المبصر هو النهار ، ووجه الذم أنهم لجهلهم وسوء تأتِّيهِمْ إذا أبصر الناس مراشدهم وجدت هؤلاء يستضيؤن برأى كل واحد ، فهم تَبَعٌ لكل من يشير عليهم صوابا كان أو خطأ

(٢) إذا جعل الكلام مدحا على ما تقدم فمعناه أنهم شعراء خطباء فالناس يرهبون نثرهم ونظمهم ، ومعنى قوله « لحنان معروف وآخر منكر » أى : أن لهم اصطناعاً لمواليهم فلحنهم فيه لحن معروف حسن مرجو واستئصالا لمعاديهم فلحنهم فيه منكر مخوف ، وإذا جعل ذمًّا يريد أنهم ذوو وجوه مختلفة وأفعال غير صادقة ولهم تعريضان أحدهما يعتادونه عند نكث العهود فقد عرفه الناس من أفعالهم والآخر يتعاطونه عند إعمال الحيل فهو خاف بعد منكور .

(٣) أى : لكل واحد منهم أمر مستقيم وتدبير مرضى ، وأفضلهم فى السراء والضراء بُحْتُر بن عَتُود ، ويقال : ما فى بنى فلان أحد يضبط رِبَاعَتَهُم غير فلان ، ورِبَاعتهم : أى أمرهم واستقامتهم ، ويقال : تركناهم على سكناتهم ورباعتهم أى على حالتهم الحسنة ، ولا يقال ذلك فى غير الحسن ، ويقال أيضاً : هو على رباعة

٢١٠ — وقال أبان بن عَبْدَة : (١)

إذَا الدِّينُ أَوْدَى بِالْفَسَادِ فَقُلْ لَهُ ... يَدَعْنَا وَرَأْسًا مِنْ مَعَدٍّ نُصَادِمُه (٢)

قومه ، وهو ذو رباعة قومه : أى سيدهم ، فعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لكلهم ذو رباعة فحذف المضاف ويؤيد هذا قوله «وخيرهم فى الخير والشر بحتر» وقال أبو هلال : الرباعة : ماينبغى حفظه ورعايته ، يقال : ما فى بنى فلان من يضبط رباعته غير فلان : أى شأنه وأمره ، وبنو فلان على رباعتهم : أى على مواضعهم فى الجاهلية ، قال الشاعر :

مَافِى مَعَدٍّ فَتًى يَحْمِى رِبَاعَتَهُ ... إِذَا يَهُمُّ بِأَمْرٍ صَالِحٍ فَعَلَا

وقال ابن الخياط : يقول : لكل هؤلاء أمر وشأن ، وخيرهم بحتر ، ولا يصلح للرياسة والسياسة لأنه لئيم دنىء

(١) أخرى (١) «عبيدة» أبو هلال : عَبْدَة بن عَيَّار بن مسعود بن جابر بن عمرو بن جَزْء

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

أودى : أى فسد حتى هلك ، والدين يجوز أن يريد به الطاعة والائتلاف ههنا ، ويجوز أن يراد به دين الإسلام ، وقوله «أودى بالفساد» : أى بما ظهر من ولاة الأمر حين جعلوا الخلافة ملكا ، وقيل : أراد بالفساد الحرب المعروفة بحرب الفساد ، والرأس : الجماعة الكثيرة ، ونصادمه : ندافعه ونصاكه ، و «نصادمه» فى موضع الحال : أى مصادمين له ، وقوله «يدعنا» إن شئت قلت : انجزم بلام الأمر وقد حذف ، كأنه قال : ليدعنا ، وإن شئت قلت : جزم على أنه جواب أمر محذوف كأنه قال : قل له دَعْهُم يَدَعْنَا ، وعلى هذا قوله (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا

(١) يريد فى نسخة أخرى ، وقد وقع فى نسخة بن « عبدة بن العيار » بزيادة الألف واللام

بِبِيضٍ خِفَافٍ مُرْهفَاتٍ قَوَاطِعٍ ... لِدَاوُدَ فِيهَا أَثْرُهُ وَخَوَاتِمُهُ (١)

وَزُرْقٍ كَسَتْهَا رِيشَهَا مَضْرَحِيَّةٌ ... أَثِيثٌ خَوَافِي رِيشِهَا وَقَوَادِمُهْ (٢)

بِجَيْشٍ تَضِلُّ الْبُلْقُ فِي حَجَرَاتِهِ ... بِيَثْرِبَ أُخْرَاهُ وَبِالشَّامِ قَادِمُهْ (٣)

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... تَحَرَّكَ يَقْظَانُ التُّرَابِ وَنَائِمُهْ (٤)

٢١١ — وَقَالَ أُنَيْفُ بن حكيم النَّبْهَانِيّ :

جَمَعْنَا لَكُمْ مِنْ حَيِّ عَوْفٍ وَمَالِكٍ ... كَتَائِبَ يُرْدِي الْمُقْرِفِينَ نَكَالُهَا (٥)

الصلاة) كأنه قال : قل لهم افعلوا يفعلوا ، وقوله « قل له » يعنى الخليفة ، وأصل الصَّدْمِ ضَرْبُكَ الشيءَ بشيء صلب

(١) الباء فى قوله « ببيض » تتعلق بنصادمه من البيت الأول . وجعل السيوف خفافا لسرعة الضار بين بها ، وقوله « لداود فيها » يعنى عتقها ، وداود إنما سَرَدَ الدروع لما ألَيَّنَ الله الحديد له معجزة ، لا السيوف ؛ ولكن القصد إلى العتق والقدم

(٢) عنى بالزُّرْق نِصَالاً مَجْلُوَّةً ، والمضرحى : الكريم من الصقور ، وقيل : هو ما طال جناحاه منها ، وتوسع فيه فقيل للسيد السرى : مضرحى ، والقوادم : كبار الريش ، والخوافى : صغاره : أى ألبسها الصانع فجعل الالباس لها لأن الريش فيها ، أعنى المضرحية ، وأثيث : رفع على الابتداء ، وكل ملتف من النبات وغيره أثيث

(٣) يثرب : مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، يريد أن هذا الجيش لكثرته يأخذ ما بين المدينة إلى الشام .

(٤) يقظان التراب : ما وطىء بالأرجل وسلك ، فكأن ترابه منتبه ، والنائم : الذى لم يوطأ ولم يسلك ، فكأن ترابه نائم ، يقول : نملأ الأرض مسلوكها ومتروكها من كثرتنا .

(٥) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

لَهُمْ عَجُزٌ بِالحَزْنِ فَالرَّمْلِ فَاللِّوَى وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيَّ جَدِيسَ رِعَالُهَا (١)

وَتَحْتَ نُحُورِ الْخَيْلِ حَرْشَفُ رَجْلَةٍ تُتَاحُ لِغِرَّاتِ الْقُلُوبِ نِبَالُهَا (٢)

أَبَى لَهُمُ أَنْ يَعْرِفُوا الضَّيْمَ أَنَّهُمْ بَنُو نَاتِقٍ كَانَتْ كَثِيراً عِيَالُهَا (٣)

٢١٢ — وقال الكروَّسُ بن زَيْدِ بن حِصْنِ بن مَصادِ بن مَعْقِلٍ (٤)

رَأَتْنِي وَمِنْ لُبْسِي الْمَشِيبُ فَأَمَّلَتْ غَنَائِي فَكُونِي آمِلاً خَيْرَ آمِلِ (٥)

أراد من حي عوف ومالك ، فاكتفى بالتوحيد عن التثنية ، والإقراف : هجنة تلحق من قبل الأب ، وخصهم بالذكر لأنهم عنده لا يأنفون من التقصير في الحرب فتهلكهم

(١) رتب النسق بالفاء لما يفيده من التعقيب بلا مهلة ، وفي الأمر العام يقطع الحزن ، وهو ماغلظ من الأرض ، إلى مايسهل من الرمل إلى مسترقه ، وهو اللوى ، وأراد حيي جديس وطسم ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، وأراد بلادَ حيي جديس وطسم ، فحذف المضاف

(٢) الحَرْشَف : الجماعة من الرجالة ، وتتاح : تقدر ، والرَّجْلة والرِّجْلة : الرَّجَالة . وقال قوم : الرَّجْلَة جمع رَجُل ، والمعنى متقارب يصدر عن شيء واحد

(٣) امرأة ناتق : كثيرة الولد

(٤) كروَّس : فعوَّل منقول ، وأصله الضخم الرأس ، قال أبو النجم :

* أَخْشَى عَلَيْكَ الأَسَدَ الْكَرَوَّسَا *

وقال عبد الله بن الزَّبير الأسدى :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَ الْكَرَوَّسُ كَاظِماً عَلَى نَبَإٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَجِيعِ (١)

والكروَّس : أول من جاء بخبر الحرة إلى الكوفة

(٥) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

---

(١) فى نسخة بن « لعمرى لقد جاء الكروس »

لَئِنْ فَرِحَتْ بِي مَعْقِلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي ... لَقَدْ فَرِحَتْ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ [١]
أَهَلَّ بِهِ لَمَّا اسْتَهَلَّ بِصَوْتِهِ ... حِسَانُ الْوُجُوهِ لَيِّنَاتُ الْأَنَامِلِ [٢]

٢١٣ — وَقال قوَّالٌ الطائى :

قُولَا لِهَذَا الْمَرْءِ ذُو جَاءَ سَاعِيًا ... هَلُمَّ فَإِنَّ الْمَشْرَفِيَّ الْفَرَائِضُ [٣]

أى : رأتنى هذه القبيلة فى هذه الحالة فعلقت رجاءها بغنائى وكفايتى ، فقالت لها : كونى آملا خير آمل ؛ وهذا الكلام يجوز أن يكون المراد به دومى على أملك وكونى خير آمل فسأصدق ظنك ، ويجوز أن يكون دعاء لها : أى جعلك الله خير آمل وخير الآملين أن يبلغه الله مأموله ، وإنما قال كونى آملا ولم يقل آملة لأن المراد كونى حيًّا آملا

(١) يقول : إن كانت هذه القبيلة سرت عند استكمال رأيى بتجربتى فحق لها ذلك ؛ فقد استبشرت بى عند ولادى ، واللام فى قوله «لئن» دخلت موطئة للقسم ، وجواب القسم المنوى « لقد فرحت »

(٢) نقل اللفظ إلى الغيبة بعد أن كان فى حديث نفسه على عادتهم فى تصاريفهم ، والإهلال والاستهلال : رفع الصوت ، أى : لما سقطتُ من بطن أمى فاستهلت أى صحت أَهْلَلنَ أى رفعن أصواتهن فَرَحًا بى لما رأين من علامات النجابة على ، وقال « لينات الأنامل » أى : هن منعمات مُتْرَفَات لا يخدمن فتتغلظ أناملهن

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

هذه قيلت فى مُصَدِّقٍ تقدم ذكره فى قصة مَعْدَان بن عبيد مع مَرْوَان [١] ، والفرائض : الأسنان التى تصلح أن تؤخذ فى الصدقات ، والساعى : الوالى على الصدقة ؛ سعى فلان إذا ولى الصدقة ، قال الشاعر :

---

(١) أنظر هذه القصة فى (ص ١٧٠) من هذا الجزء .

وَإِنَّ لَنَا حَمْضاً مِنَ الْمَوْتِ مُنْقِعاً ... وَإِنَّكَ مُخْتَلٌّ فَهَلْ أَنْتَ حامِضُ[1]

أَظُنُّكَ دُونَ المَالِ ذُو جِئْتَ تَبْتَغِى ... سَتَلْقَاكَ بِيضٌ لِلنُّفُوسِ قَوَابِضُ[2]

٢١٤ – وقال وَضَّاح بن إسمعيل بن عبد كُلَال بن داود بن أبى حَمْد[3]

صَبَا قَلْبِى وَمَالَ إِلَيْكِ مَيْلاً ... وَأَرَّقَنِى خَيَالُكِ يَا أُثَيْلاَ[4]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَداً ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ

والعقال: صدقة عام، وهذا مأخوذ من المثل السائر: خُذْ مِنْ جِذْعٍ مَا أَعْطَاكَ، وَجِذْعٌ: رجل أتاه مصدق فطاب منه فوق حقه فقتله جذع

(١) المنقع: الثابت، يقال: أَنْقِعْ له الشر حتى يسأم: أى أدمه، وَالْمُخْتَل: الراعى الخلة، وهذا مثل، يقول: ملت العافية والسلامة فهلم إلى الشر، والخلة مثل ضربه للحياة، والحمض مثل ضربه للموت، يقول: إن ضاق صدرك من الحياة فأتنى مصدقا فإنى أقتلك

(٢) قوله «دون المال» تعلق بأظنك، ولا يجوز أن يتعلق بقوله «جئت» ولا «بتبتغى» لأن «ذو» تطلب من الصلة مايطلبه الذى، وإذا كان كذلك فما فى صلته لايعمل فيما قبله، وقصد الشاعر إلى التهكم وقد خاط به التوعد والاستهانة، لذلك قال: أظنك، وقوله «ذو جئت» فى موضع المفعول الثانى[1] و «تبتغى» فى موضع الحال، ومفعوله محذوف، والمعنى أحسبك الذى جاء دون المال تبتغى صدقاته سترى ما أعدلك من سيوف تنتزع الأرواح

(٣) وهو المعروف بوضَّاح اليمن

(٤) الأول من الوافر، والقافية متواتر

---

(١) أحسن من هذا وأقرب أن يكون قوله «ذو جئت تبتغى» صفة للمال والعائد إلى الموصول محذوف، والمعنى أظنك دون المال الذى جئت تبتغيه

يَمَانِيَةٌ تُلِمُّ بِنَا فَتُبْدِى دَقِيقَ مَحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيْلاَ (١)
ذَرِينِى مَا أَمَمْتُ بَنَاتِ نَعْشٍ مِنَ الطَّيْفِ الَّذِى يَنْتَابُ لَيْلاَ (٢)
وَلٰكِنْ إِنْ أَرَدْتِ فَهَيِّجِينَا إِذَا رَمَقَتْ بِأَعْيُنِهَا سُهَيْلاَ (٣)
فَإِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ الْخَيْلَ تَعْدُو عَوَابِسَ يَتَّخِذْنَ النَّقْعَ ذَيْلاَ (٤)
رَأَيْتِ عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ جِنًّا تُفِيدُ مَغَانِمًا وَتُفِيتُ نَيْلاَ (٥)

الخيال : يذكر ويؤنث ، وَأُثَيْل : ترخيم أثيلة ، وهى اسم امرأة

(١) دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم ، و « تكن غيلا » أى : تستر ماجَلَّ منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ

(٢) ما أممن (١) نصب على الظرف أى مدة أمها ، لأن « ما » مع الفعل فى تقدير مصدر ، وبنات نعش : من الكواكب الشامية ، وكان غزوه نحو الروم يقول : ذرينى من طيفك حين أؤم بنات نعش : أى حين أقصد قصد الشام نحو الغزو ؛ و « ليلا » انتصب على الظرف ، ويروى « يأتاب ليلا » من الأوْب والأول أحسن

(٣) يقول : إذا قَضَيْتُ أَرَبى ورَمَقَت ركابى سهيلا متوجهةً بى إلى اليمن فهيجينى حينئذ إن أردت تهييجى

(٤) أى : لو رأيت الخيل كَوَالح مما أصابها من النصب وهى ترفع الْغُبَار وتَعْدُو فيه فكأنها اتخذته ذيلا

(٥) أى : تفيد المغانم من أعدائها ، وتُفِيتُهُم نَيْلَ شىء منها

---

(١) هكذا وقع فى الأصول كلها هنا ، والذى يتفق مع مافى البيت ومع مايجىء بعد ذلك أن يقال « ما أممت نصب على الظرف أى مدة أمى » ووقع فى نسخة ن « ما أممن » فى الصلب أيضا ، فالشرح فيها والصلب متفقان ولكن لايناسب ما يأتى

٢١٥ — وقال آخر :

لاَ قوّتى قُوّةُ الرّاعِى قَلاَئِصَهُ
يَاوِى فَيَأْوِى إلَيْهِ الْكَلْبُ وَالرُّبَعُ (١)

وَلاَ الْعَسِيفِ الّذِى يَشْتَدُّ عُقْبَتَهُ   حَتَّى يَبِيتَ وَبَاقِي نَعْلِهِ قِطَعُ (٢)

لاَ يَحْمِلُ الْعَبْدُ فِينَا فوْقَ طَاقَتِهِ   وَنَحْنُ نَحْمِلُ مَالاَ تَحْمِلُ الْقِلَعُ (٣)

---

(١) الأول من البسيط ، والقافية متراكب

يقول : ليس غنائى فى الأمور وكفايتى غناء الرعاء الذين سَعْيُهم مقصُورٌ على ضم الْقِلاَصِ وحِفْظِهَا فى مراعيها ، فاذا أوى إلى موضع أوى إليه كلبه الذى يحرس به ورُبَعُهُ وهو مانُتِج فى الربيع

(٢) العسيف : عَطْفٌ على الراعى ، وهو الأجير والعبد ، يقال : كم أعْسِفُ عليك : أى كم أعمل لك ، وقوله « يشتَدُّ عُقْبَتَه » نصب على الظرف : أى وقت عقبته ، كأنه يعاقب الركوب بينهما ، أو الأمر يركب : هذا عقبة ، وهذا عقبة ، والعقبة قيل : فرسخان ، وبعضهم يرويه « تشتدّ عُقْبَتُه » بالرفع ، ويجعل تشتد من الشدة : أى تشتد عقبته عليه ، والصواب ماتقدم ، وليس يريد أن له عقبة فيتركها ويعدو ، لكن المعنى إذا كان لغيره نَوبَة فى الركوب لمعاقبته صاحبه فنوبته الشد والخدمة حتى يأتى عليه المساء ، وقد تقطع مابقى من حذائه ، وقوله « وباقى نعله قطع » فى موضع خبر « يبيت » تقديره يبيت منقطع باقى النعل

(٣) أى : لانُكلّف الْعَبدَ إلا دون مايطيقه إبقاءً عليه ، ونحن نحتمل من مشاقّ الأمور مالا تطيقه الجبال ، وَالْقِلَع : الهضاب العظام ، وبها سمى الحصن المبنى فوق الجبل قلعة ، ويقال : أقلع فلان قَلْعَة إذا بناها ، وبها سميت السحاب العظام قلعاً أيضاً

مِنَّا الْأَنَاةُ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَحْسَبُنَا أَنَّا بِطَاءٌ وَفِي إِبْطَائِنَا سَرَعُ (١)

٢١٦ — وقال عَمْرو بن مِخْلاة الْكَلْبي ، وكان يقال لأبيه مخلاة الحمار

وَيَوْمٍ تَرَى الرَّايَاتِ فِيهِ كَأَنَّهَا حَوَائِمُ طَيْرٍ مُسْتَدِيرٌ وَوَاقِعُ (٢)

أَصَابَتْ رِمَاحُ الْقَوْمِ بِشْرًا وَثَابِتًا وَحَرْنَاءَ كُلٌّ لِلْعَشِيرَةِ فَاجِعُ (٣)

---

(١) الأناة : الرفق ، والسَّرَع والسُّرْعة واحد

(٢) الثاني من الطويل ، والقافية متدارك

الرايات : الأعلام ، والحوائم : جمع حائمة ، وهي العِطَاش من الطير تحوم على الماء ، وحَوَمانها : دورانها ، فكثر استعماله حتى صار كل عطشان حائما ، و « مستدير وواقع » بدل من « حوائم » وجعل الرايات بعضها جائل وبعضها ساقط لأن المنهزمين تسقط أعلامهم

(٣) أى : كل واحد من المذكورين رئيس عشيرته ، وقد فجعوا به ، والشاعر يذكر وقعة مَرْجِ رَاهِطٍ ، وراهط : رجل من قُضَاعة فى الجاهلية الأولى ، واجتمع به الْمَرْوَانية ، وهم الذين ادَّعوا إلى مروان بن الحكم ، وهم كَلْب وعَنْس وغيرهم من قبائل اليمن ، والزبيرية ، وهم الذين ادَّعوا إلى ابن الزبير وهم قَيْس ومن تبعهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فكانت الدَّبَرَة على قيس ، ورئيسهم زُفَرُ بن الحرث ، ومعهم الضحاك بن قيس ، وبشر هذا هو بِشْرُ بن يزيد الْمُرِّى ، وثابت هو ثابت بن خُوَيْلد الْبَجَلى ؛ وكان الضحاك قد بايع لابن الزبير بالشأم ومعه القيسية ، وأراد مروان أن يكون رسوله إلى ابن الزبير بالبيعة ، فقال له ابنه عبد الملك وعمرو بن سعيد : أنت شيخ قريش ، والمرجوُّ لهذا الأمر ، تصير رسولا لأخى فهر ، وما أنت من الأمر ببعيد ، فطمع فيها ، فجعل يَمْدَح بنى أمية ، ويغض من ابن الزبير ، ومالأه الضحاك ، وأظهر خلاف

طَعَنَّا زِيَاداً فِى اُسْتِهِ وَهْوَ مُدْبِرٌ
وَثَوْراً أَصَابَتْهُ السُّيُوفُ الْقَوَاطِعُ (١)

وَأَدْرَكَ هَمَّاماً بِأَبْيَضَ صَارِمٍ فَتًى مِنْ بَنِى عَمْرٍو طُوالٌ مُشَايِعُ (٢)

ابن الزبير ، وكتب إلى حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي وكان معاوية عهد إليه عند وفاته أن يقوم بالأمر بعده حتى يصطلح الناس على خليفة ، وكان حسانُ خالَ معاوية بن (١) يزيد كتب إليه بأن يترك الجابية ، ويقبل إليه ، ويستخلف رجلا من آل أبى سفيان ، فخرج وخرج الضحاك إليه ، حتى إذا تواجهت الرايات قالت القيسية والزبيرية من أهل اليمن منهم هَمَّام بن قَبِيصَةَ النميرى وقَيْس بن ثَوْر بن مَعْنٍ السُّلَمِى وزياد بن عَمْرو بن مُحْرِز الْأَشْجَعِى وعَمْرو بن معاوية الْعُقَيْلى وبشر بن يزيد الْمُرِّى وثابت بن خُوَيلد البجلى للضحاك : أدَعَوْتَنَا إلى بيعة ابن الزبير وقد عرفت فضله وسابقته وشرفه حتى إذا جئناك خرجت تريد هذا الأعرابى ، فصرف الضحاك الرايات إلى مرج راهط ، وأظهر بيعة ابن الزبير ، ثم قالت له القيسية : هلاّ دَعَوْت إلى نفسك فلست بدون حسان وابن الزبير ؟ فدعا إلى نفسه ، ولقيه مروان وبنو أمية وقد بايع حسان لمروان فقتل ألف من قيس ، وألف وثلثمائة من اليمن ، واستوى الأمر لمروان ، وذلك سنة أربع وستين

(١) هو زياد بن عَمْرو الْعُقَيْلى ، وقوله « وهو مدبر » أى : مُوَلٍّ منهزم ويجوز أن يكون من الإدبار لتركه الرأى حتى بلى بما بلى

(٢) عَمْرو بن مُحْرِز من أَشْجَعَ ، والْمُشَايِع : المقوى لأصحابه المتابع لهم ،

---

(١) ذلك بأن أم يزيد بن معاوية هى ميسون بنت مالك بن بحدل الكلبية ، وهى أخت حسان بن مالك بن بحدل الكلبى ، وسيأتى للشارح ذكر ذلك فى شرح القطعة التالية

وَقَدْ شَهِدَ الصَّفَّيْنِ عَمْرُو بنُ مُحْرِزٍ
فَضَاقَ عَلَيْهِ الْمَرْجُ وَالْمَرْجُ وَاسِعُ (١)

فَمَنْ يَكُ قَدْ لاَقَى مِنَ الْمَرْجِ غِبْطَةً فَكَانَ لِقَيْسٍ فِيهِ خَاصٍ وَجَادِعُ (٢)

٢١٧ — وقال زفر بن الحرث :

أَفِى اللهِ أَمَّا بَحْدَلٌ وَابْنُ بَحْدَلٍ فَيَحْيَا وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَيُقْتَلُ (٣)

وجعله طُوَالا لأنهم يستحبون تمام الخلق وامتداد القامة ، ووضع طُوَال مع مُشَايع ردىء فى صنعة الكلام ، لأن الطُّوال ليس من المشايعة بقريب

(١) الصفين : تثنية صف ، ويروى « الصِّفِّين » وهو تصحيف

(٢) أى : مُذِلٌّ

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

كان معاوية بن أبى سفيان لما جعل يَزِيدَ ابْنَهُ وَلِىَّ عهده بايعه الناس إلا الحى من قيس فانهم قالوا : والله لانبايع ابن الكلبية ، وذلك أن أمَّ يزيد مَيْسُون بنت مالك بن بَحْدل الكلبى ، فصار فى نفس يزيد ضِغْنٌ ، وابتدأ الشر بينهم وبين بنى أمية ، فلما هلك يزيد استخلف ابنه معاوية بن يزيد ، وأمه أيضا كلبية ، وصار حسان بن مالك بن بَحْدَل أخو ميسون كالمالك الأمر ، وكانت خلافة معاوية بن يزيد أيَّاماً قليلة ، وتحركت فتنة ابن الزبير ، فاضطرب حسان ابن مالك فى الأمر اضطرابا شديدا ، وصار يدعو الناس إلى نفسه تارةً وإلى من يختارونه من بنى أمية أخرى ، حتى قال الشاعر :

وَمَا النَّاسُ إِلاَّ بَحْدَلِىٌّ عَلَى الْهَوَى وَإِلاَّ زُبَيْرِىٌّ عَصَى فَتَزَبَّرَا

إلى أن وقع الاختيار على مروان بن الحكم ، فلما قام بالدعوة صارت البَحْدَلِيَّة معه ، فسموا مروانية ، فيقول زفر : « أفى الله » يريد أفى ذات الله

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ لاتَقْتُلُونَهُ وَلَمَّا يَكُنْ يَوْمٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ (١)
وَلَمَّا يَكُنْ لِلْمَشْرَفِيَّةِ فَوْقَكُمْ
شُعَاعٌ كَقَرْنِ الشَّمْسِ حِينَ تَرَجَّلُ (٢)

ومَرْضِىٌّ حكمه أن تطلب حياة ابن بحدل والمتعصبة لبنى أمية و يطلب قتل عبدالله ابن الزبير مع فضله وشرفه ، وهذا الكلام تقريع للناس ، وقوله « أمَّا بحدل » حكم أمَّا أن ينقطع عما قبله ، ولهذا عُدَّ من حروف الابتداء ، ولأنه يتضمن معنى الجزاء ، والجزاء له صدر الكلام ، وإذا كان كذلك فكأنه قال : أفى الله هذه القصة وهذا الشأن ، وقال « فيحيا » فأخبر عن أحد الاسمين لما علم أن صاحبه فى مثل حاله ، وفى القرآن (والله ورسوله أحق أن يُرْضُوهُ)

(١) إنما قال « كذبتم » لأن الذى أنكر منهم كان خبرا ، ويجوز أن يكون المعنى كذبتم أنفسكم حين حدثتم بما لايتم لكم ، وقوله « لاتقتلونه ولما يكن » أى : قبل أن يكون لنا عليكم يوم مشهور على قتله : أى كذبتم لن تقتلوه دون أن يكون عليكم يوم أغر مُحَجَّل : أى مشهور

(٢) قرن الشمس : أَوَّلُ مايظهر منها ، والترجل : هو أن تنبسط الشمس ولم يشتد حرها بعد ، ورَجَّلْتُ الشعر : مشطته فكثر ، و «ارتجل الكلام» مأخوذ من قولك « ارتجلت الدابة » إذا ركبتها عُرْياً ، وكان زفر بن الحرث بايع ابن الزبير ، دخل زفر وحاتم بن النعمان المسجدَ الحرام فلما قَضَيَا الطواف مشي إليهما ابن الزبير فسألهما أن يبايعاه ، فبايعه زفر ، وضمن له حاتم بن النعمان أن لايكون له ولا عليه ، وكان ابن الزبير قد ملك الحجاز واليمن والعراق وخُرَاسان والجبال كلها وبعض الشأم ، وهو بمكة ، فولى عبدُ الملك الحجاجَ الحجازَ فجعل يقاتله ، ثم حصره فى المسجد الحرام ووضع الْمَنْجَنِيقَ على أبى قُبَيْس ، فجعل

٢١٨ — وقال حسان بن الْجَعْد :

أَبْلِغْ بَنِى خَازِمٍ أَنِّى مُفَارِقُهُمْ ... وَقَائِلٌ لِجمالِى غُدْوَةً بِينِى
إِنِّى امْرُؤٌ غَرَضٌ مِنْ كلِّ مَنْزِلَةٍ ... لاَشِدَّتِى تُبْتَغَى فِيهَا وَلاَ لِينِى (١)

٢١٩ — وقال الْقَتَّال الكلابى

إذا هَمَّ هَمًّا لَمْ يَرَ اللَّيْلَ غُمَّةً ... عَلَيْهِ وَلَمْ تَصعُبْ عَلَيْهِ الْمَرَاكِبُ (٢)

يرمى البيت ويقول :

خَطَّارَةٌ كَالْجَمَلِ الْفَنِيقِ ... أَقْصِدُ بِهَا لِلْمَسْجِدِ الْعَتِيقِ

فقال ابن الزبير لأمه أسماء ابنة أبى بكر : إن الحجاج قد آمننى إذا خرجت إليه ، فقالت له : لَأَنْ تموت كَلْماً أَحبُّ إلىَّ من أن تموت سِلْماً ، قال : إنى أخاف أن يُمَثِّل بى ، قالت : إن الشاة إذا ذبحت لم تألم السالخ ، فقاتل حتى قتل وصلب بنى منكوسا ، وكان قد أكل مسكا كثيرا حين أيقن بالأسر لئلا يكون له ريح كريه إذا صلب ، فلما صلب علقت معه هرة ؛ فقال سليمان بن بشر ابن مروان :

غَدَاةَ سَمَا يَرْجُو الْخِلاَفَةَ جَاهِلاً ... وَكَيْفَ يَنَالُ الْمُلْكَ بِالْبُخْلِ وَالْخِبِّ
فَذَاقَ نَكَالاً دُونَ مَا كَانَ يَبْتَغِى ... وَصَلْباً وَشِيكاً إِذْ تَعَرَّضَ لِلصَّلْبِ

والمدح فيه قليل لأنه كان شديد البخل ، فممن مدحه عمرو بن زيد فى قوله :

أَلَمْ تَرَ أَوْلاَدَ الزُّبَيْرِ تَحَالَفُوا ... على الْمَجْدِ مَاصَامَتْ قُرَيْشٌ وَصَلَّتِ
قُرَيْشٌ غِيَاثٌ فِى السِّنِينَ وَأَنْتُمُ ... غِيَاثُ قُرَيْشٍ حَيْثُ سَارَتْ وَحَلَّتِ

(١) الثانى من البسيط ، والقافية متواتر

هذا الشاعر كان قد خرج إلى عبد الله بن خازم راغبا فى جواره والْكَوْن فى جملته ، فلم يحمده وانصرف عنه ، وقال هذا الشعر ، وَالْغَرض ههنا : السَّهْمُ

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قَرَى الْهمَّ إذْ ضَافَ الزَّمَاعُ فَأَصْبَحَتْ
مَنَازِلُهُ تَعْتَسُّ فِيهَا الثَّعَالِبُ (١)
جَلِيدٌ كَرِيمٌ خِيمُهُ وَطِبَاعُهُ عَلَى خيرِ مَا تُبْنَى عَلَيْهِ الضَّرَائِبُ (٢)
إِذَا جَاعَ لَمْ يَفْرَحْ بِأَكْلَةِ سَاعَةٍ
وَلَمْ يَبْتَئِسْ مِنْ فَقْدِهَا وَهْوَ سَاغِبُ (٣)
يَرَى أَنَّ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا وَلَا يَرَى
إِذَا كَانَ يُسْرٌ أَنَّهُ الدَّهْرَ لَازِبُ (٤)

يقال : هو فى غُمَّة من أمره : أى فى حَيْرَة وظلمة ، وأصل الْغم التغطية ، وصفه بالإقدام والتشمير فيما يَهُم به ، وأنه لا يمنعه عما يريده مانع

(١) أى : جعل قِرَى هَمِّهِ لما اعتراه النفاذ والعزيمة ، والاعتساس : الاختلاف وعَسَّ واعْتَسَّ بمعنى ، ومنه أخذ الْعَسَسُ ، ومن الأمثال : كلبٌ اعْتَسَّ خيرٌ من أسد رَبَضَ ، ومثله قول بَلْعَاءَ بن قَيْس :

وَإِنِّى لَأَقْرِى الْهَمَّ حِينَ يَضِيفنِى زَمَاعاً إِذَا مَا الْهَمُّ ضَاقَتْ مَصَادِرُهْ
وَأَنْفِى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ
وَقَدْ يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ مَافِيهِ رُشْدُهُ وَيُلْفَى عَلَى غَيْرِ الصَّوَابِ سَرَائِرُهْ

(٢) أى : جُبِلَ فى جميع أموره على أحسن ماتُجْبَلُ عليه النفوس والأخلاق ؛ والخِيم : الطبيعة ، قال أبو عبيدة : أصله فارسى معرب

(٣) هذا من قول حاتم :

غَنِينَا زَمَانًا بِالتَّصَعْلُكِ وَالْغِنَى فَكِلْتَاهُمَا يَسْقِى بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِى قَرَابَةٍ غِنَانَا وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ

(٤) « يرى » ههنا يجرى مجراه فى قوله تعالى (إنهم يَرَوْنَه بعيداً) لأنه

٢٢٠ — وقال أوْسُ بن حَبْناء :

إذَا الْمَرْءُ أوْلاَكَ الْهَوَانَ فَأَوْلِهِ هوَانًا وإنْ كانتْ قَرِيبًا أَوَاصِرُهْ (١)
فَإنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ علَى أنْ تُهِينَهُ فَذَرْهُ إلَى الْيَوْمِ الَّذِى أنتَ قَادِرُهْ (٢)
وَقَارِبْ إذَا مَا لَمْ تَكُنْ لكَ حِيلَةٌ وَصَمِّمْ إذَا أيْقَنْتَ أنَّكَ عَاقِرُهْ (٣)

بمعنى يظنونه (ونراه قريبا) لأنه بمعنى نعلمه ، وقد يستعمل العلم فى معنى الظن أيضا لذلك قال :

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بالظَّنِّ أنَّهُ إذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْءِ فَهْوَ ذَلِيلُ

ومثله لبشار :

خَلِيلَىَّ إنَّ الْعُسْرَ سَوفَ يُفِيقُ وَإنَّ يَسَارًا فِى غَدٍ لَخَلِيقُ
وَمَا أنَا إلاَّ كالزَّمَانِ إذَا صَحَا صَحَوْتُ وإنْ مَاقَ الزَّمَانُ أمُوقُ

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الأواصر : العواطف ، الواحد آصرة . « قريبا » خبر كان ، وقدمه على اسمه ولم يؤنثه لأنه أراد النسبة فلم يَبْنِهِ على الفعل ، ومثله (إن رحمة الله قريب من المحسنين)

(٢) أراد « قادر فيه » فقدر الظرف تقدير المفعول الصحيح : لأن الظرف إذا أضيف إليه يخرج من أن يكون ظرفا ، كما يخرج منه إذا دخل عليه حرف الجر ، على هذا قوله :

* ياسَارِقَ اللَّيْلَةِ أَهْلَ الدَّارِ *

وقوله :

* طَبَّاخُ سَاعَاتِ الْكَرَى زَادَ الْكَسِلْ *

(٣) الهاء فى « عاقره » ترجع إلى المرء ، والعاقر هنا بمعنى القاتل ، وأصل

٢٢١ — وقال آخر :

إنِّى إذَا مَاالْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهْ

وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَهْ (١)

وَشُدَّ فَوْقَ بَعْضِهِمْ بِالْأَرْوِيَهْ هُنَاكِ أَوْصِينِى وَلاَ تُوصِى بِيَهْ (٢)

الْعَقْرُ الْقَطْعُ ، يقال : عَقَرَ الشَّجَرَةَ ، إذا قطعها ، والعاقر من النساء : التى لا تلد ، كأنها تقطع النسل ، وَالْعُقْرُ : الذى يؤخذ على نكاح الشبهة ، وأصله فى البكر ؛ لأن البكر تُعْقَرُ عند الافتضاض ، فسمى بالعقر عقرا

(١) من مشطور الرجز ، والقافية متدارك

« ما » من قوله « ما القوم » زائدة ، وأنجية : جمع نَجِىٍّ ، والنجى يقع للواحد والجمع ، وفى القرآن (خَلَصُوا نَجِيًّا) والمعنى فى قوله « كانوا أنجية » أى : صاروا فِرَقًا لما حَزَبَهُمْ من الشر يتناجَوْنَ و يتشاورون ، واضطرب القوم : أى أخذهم القيام والقعود اضطراب الأرشية عند الاستقاء عليها من الآبار البعيدة القعر

(٢) الْأَرْوِية : جمع رِوَاء ، وهو الحبل : أى شد فوق بعضهم خوف السقوط لضعف الاستمساك عند غلبة النعاس، ويجوز أن يكون الاضطراب الذى ذكره لاتصال التساير وغلبة النوم ، والأول أحسن ، وقوله « أوصينى » خبر « إن » فى البيت الأول ، و « هناك أوصينى » يشار به إلى الزمان والمكان معا، وموضعه نصب على الظرف ، والكاف منه كاف الخطاب ، والعامل فيه « أوصينى » والمعنى إنى أهل لأن يُوصَى إلىّ ؛ وقيل : معنى « كانوا أنجية » يريد قوما ناموا على رواحلهم فرأوا فى منامهم كأنهم يتناجون ، والصواب ماتقدم

٢٢٢ – وقال الْمُتَلَمِّسُ ، واسمه جرير بن عبد المسيح بن عبد الله ابن زيد ، وقيل : عَبْدُ الْعُزَّى

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ رَهْنُ مَنِيَّةٍ
صَرِيعٌ لِعَافِي الطَّيْرِ أَوْ سَوْفَ يُرْمَسُ (١)

فَلاَ تَقْبَلَنْ ضَيْمًا مَخَافَةَ مِيتَةٍ وَمُوتَنْ بِهَا حُرًّا وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ (٢)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قال هذا فيما بين ضُبَيْعَة وبكر بن وائل ، ومعنى « ألم تر » ألم تعلم ، يقول : الإنسان مُرْتَهَن بأجل ؛ فاما أن يموت حَتْفَ أنفه فيُدْفن ، وإما أن يقتل فى معركة فيترك لعَوَافى الطير والسباع ، وجعل رهن منية وصريع لعافى الطير جميعا خبرين لأن ، ثم أتى بأو الإباحة ، ويجوز أن تنصب صريعاً على الحال ، وفى رفعه وجه آخر ، وهو أن يكون خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : هو صريع ، ويُرْمَس : يُدْفَن ، والرَّمْسُ : الدفن ، والرياح الروامس منه ، وتوسعوا فيه كما توسعوا فى الدفن فقالوا : ارْمِسْ هذا الحديث : أى أُدفنه

(٢) ويروى

* وَمُوتَنْ بِهَا وَاحْيَنْ وَجِلْدُكَ أَمْلَسُ *

واحْيَن : من الحياة زيد فيه نون التوكيد ، وأصله « واحْىَ » ويروى « وأَحْيِنْ بِهَا » من الحَيْن : وهو وقت الأجل ، وقوله « وجلدك أملس » أى : لم يصبك عار ، ولم يرد أنك لاتجرح ، يريد أن الموت نازل بك على كل حال فلا تحتمل العار خوفا منه

فَمِنْ طَلَبِ الْأَوْتَارِ مَاحَزَّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ (١)
نَعَامَةُ لَمَّا صَرَّعَ الْقَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِي أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ (٢)
وَمَا النَّاسُ إِلَّا مَارَأَوْا وَتَحَدَّثُوا وَمَاالْعَجْزُ إِلَّاأَنْ يُضَامُوافَيَجْلِسُوا (٣)

---

(١) قصير : صاحب جذيمة الأبرش ، وقصة جذيمة والزبّاء الرومية مشهورة ، وإن قصيرا توصَّل بأن جدع أنفه إلى أن استخدمته الزباء حتى تمكن فأدرك ثأره منها ، وبَيْهَس : هو الذى يلقب نعامة ، وهو رجل من بنى فزارة ، وكان يُحَمَّق ، فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل والسراويل مكان القميص ، فاذا سئل عن ذلك قال :

الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طاب بدماء إخوته ، وحديثه مشهور أيضا ، وكلام المتلمس بَعْثٌ وتحضيض على دفع الضيم وركوب الإباء من التزام العار ، فلذلك أخذيذكر بحال من لم يزل يحتال حتى أدرك مَبَاغِيَه من أعدائه ؛ وقوله « ماحز أنفه » مازائدة

(٢) ارتفع « نعامة » على أنه بدل من قوله « بيهس » وموضع « كيف يلبس » نصب كأنه قال لبسه

(٣) « ما رأوا » ما مع الفعل فى تقدير مصدر ، كأنه قال : ما الناس إلا رؤية وَتَحَدُّث : أى اعتبار بالمشاهدة أو بما يروى من أخبار الأمم ، فهو كقولك : ما زيد إلا أكل وشرب ، فيكون إما على حذف المضاف ، كأنه قال : مازيد إلا ذو أكل وشرب ، وإما على أن يكون لكثرتهما منه وولُوعه بهما كأنه نفس الأكل والشرب ، ويجوز أن يريد بقوله « وماالناس » وما حَزْمُ الناس ، فحذف

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْجَوْنَ أَصْبَحَ رَاسِياً تُطِيفُ بِهِ الْأَيَّامُ مَا يَتَأَيَّسُ (١)
عَصَى تُبَّعاً أَيَّامَ أَهْلَكَتِ الْقُرَى يُطَانُ عَلَيْهِ بِالصَّفِيحِ وَيُكْلَسُ (٢)

المضاف ، ويكون حينئذ « ما رأوا » فى موضع الظرف كأنه أراد ما حزمهم إلا مدة رؤيتهم وتحدثهم ، وما العجز إلا أن يضاموا أى يساموا الخسفَ فيَرْضَوْا به ويَنْطَوُوا عليه كاظمين وساكتين ، وقال أبو هلال : الرواية الجيدة مارواه أبو عمرو

وَمَا الْبَأْسُ إِلَّا حَمْلُ نَفْسٍ عَلَى السُّرَى وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا نَوْمَةٌ وَتَشَمُّسُ

فجعل البأس بازاء العجز ، والسرى بازاء القعود ، وفى الرواية الأولى كان الجيد أن يقول : ما الحزم إلا أن يفعلوا كذا ، وما العجز إلا أن يفعلوا كذا ، فأما قوله « وما الناس إلا كذا وما العجز إلا كذا » فغير جيد

(١) الْجَوْن : حصن اليمامة ، ويقال : إنه من مصانع طَسْم وجَديس ، فيقول : لاتوعدونا فإن حصننا حصين لا يوصل إليه ولا يستباح حماه ، وقوله «ما يتأيس» أى لايلين ، وموضع «تطيف به الأيام» نصب إن شئت على الصفة ، وإن شئت على أنه خبر بعد خبر ، وموضع « ما يتأيس » على الحال ، والعامل فيه تُطيف

(٢) ويروى : * يُطَانَ على صُمِّ الصَّفِيحِ وَيُكْلَسُ *

يقول : إن تُبَّعاً لما غزا القرى والمدن لم يصل إلى اليمامة للحصن ، وذكره العصيان كقول غيره : « تَمَرَّدَ مَارِدٌ وَعَزَّ الْأَبْلَقُ » (١)

وقوله « يطان عليه بالصفيح » أى يجعله بدل طينه فى الاصلاح والعمارة ، ويجوز أن يكون « بالصفيح » فى موضع الحال : أى يطان ويكلس بصفاحه : أى وهو مبنى بالحجارة ، ويُكْلَس : يصهرج ، والكلس : الصهروج ، والصفيح : الحجارة العراض ، ويروى

---

(١) هذا من أمثال العرب ، ومارد والأبلق : حصنان ، انظر مجمع الامثال (١ : ١١٠ بولاق)

هَلُمَّ إِلَيْهَا قَدْ أُثِيرَتْ زُرُوعُهَا وَعَادَتْ عَلَيْهَا الْمَنْجَنُونُ تَكَدَّسُ (١)
وَذَاكَ أَوَانُ الْعِرْضِ حَيٌّ ذُبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمُتَلَمِّسُ (٢)
يَكُونُ نَذِيرٌ مِنْ وَرَائِيَ جُنَّةً وَيَنْصُرُنِي مِنْهُمْ جُلَيٌّ وَأَحْمَسُ (٣)

يُطَانُ عَلَى مِثْلِ الصَّفِيحِ وَيُكْلَسُ *

ومعناه أنه يبنى على المياه التى هى الصفيح ، والصفيح : السيوف ، واحدها صفيحة ، ويشبه الماء إذا كان صافيا بالسيف ، وذكر الماء وأراد العمارة لأنها به تكون

(١) يخاطب النعمان ، و « إليها » إلى اليمامة ، وهذا الكلام تهكُّم وسخرية ، يقول : إن قدرت عليها فاقصدها فانها أخصب ما يكون : مُزْدَرَعُها مثار ، ودواليها تدور ، ومعنى تكدس يركب بعضها بعضا فى الدوران ، ويستعمل فى سير الدولاب وغيرها ، وأصل التكدس أن يحرك منكبيه إذا مشى ، وقال الأصمعى : هو من مشى القصار الغلاظ ، ويقال : كدس به الأرض ، إذا ضربها به ، ويروى « قد أبيثت زروعها » والإباثة : الإثارة ، والمنجنون : الدولاب

(٢) ويروى « جُنَّ ذُبَابُهُ » أى : كثر ونشط ، والْعِرْض : واد من أودية اليمامة ، ولك أن تجر العرض باضافة الأوان إليه وهو مرفوع ، ولك أن تنصب الأوان وترفع العرض بالابتداء ، واسم الزمان يضاف إلى الجمل من الابتداء والخبر والفعل والفاعل ، كأنه قال : وهذا الذى ذكرت هو فى ذاك الأوان ، وقوله « حى ذبابه » أى : عاش بالخصب فيه ، و « زنابيره » يرتفع على أنه بدل من الذباب ، وذُبَابُ الروض قد يسمى الزنابير ، وقوله « والأزرق المتلمس » إشارة إلى جنس آخر غير الأول ، وهو ما كان أخضر ضخما ، والمتلمس : الطالب ويقال : إنه سمى المتلمس بهذا البيت ، واسمه جرير بن عبد العزى .

(٣) هو نَذِير بن بُهْثَة بن وَهْب ، وقيل : أراد بالنذير المنذر ، والمعنى إنى

وَجَمْعَ بَنِى قُرَّانَ فاعْرِضْ عَلَيْهِمِ   فَإِنْ يَقْبَلُوهَا تَاالَّتِى نَحْنُ نُؤْبَسُ (١)

فَإِنْ يُقْبِلُوا بالْوُدِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِهِ   وَإلاَّ فَإِنَّا نَحْنُ آبَي وَأَشْمَسُ (٢)

لمرصد لهم من ينذرنى بهم فأتقى وأتحرَّز ، وجُلَيٌّ وأَحْمَس من ضُبَيْعَة بن ربيعة ، يقول : و إذا جاء وقت التحارب قام بنصرى هذان البطنان ، وقال أبو هلال : نذير وجُلَي أخوان ، وأحمس بن ضبيعة أبوهما ، يقول : هم ينصروننى ويكونون لى وِقاية من شر العدو

(١) « جمع بنى قُرَّان » النصبُ فيه على إضمار فعل ، كأنه قال : سَمِّ جمع بنى قران ، و يكون الفعل الظاهر تفسير المضمر . والرفع على الابتداء ، ومعنى البيت أجرونا مُجْرى نظائرنا ، فانا نرضى بهم قدوة وأُعرضوا ما تسوموننا على بنى قُرَّان فان التزموه وقبلوه فلنا بهم أسوة ، وإلا فالامتناع منه واجب ، وقوله « هاتا التى نحن نؤبس » أى : هذه الخطة التى نُكْرَهُ عليها ، والأبس : القهر ، وقال ابن الأعرابى : أبست الرجل ، إذا لقيته بما يكره ، وأبسته إذا وضعت منه باستخفاف وإهانة . وجواب الجزاء لم يجىء بعد

(٢) قوله « فان يقبلوا » عاد به الشرط ؛ ذاك أنه قال فى البيت الذى قبله « فان يقبلوا هاتا التى نحن نؤبس » ولم يأت للشرط بجواب ، ثم قال

* فَإِنْ يُقْبِلُوا بالْوُدِّ نُقْبِلْ بِمِثْلِهِ *

فاكتفى بجواب واحد لاشتماله على ما يكون جوابا لهما ، فكأنه قال : إن قَبِلُوا ما نؤبَسُ نقبل مثله ، وإن أقبلوا بعد ذلك وَادّيِنَ أقبلنا ، وإلا فنحن أشد إباء وأبلغ شِمَاساً ، والشِّمَاس : الامتناع ، ومنه شِمَاس الدابة ، وهو أن لا يمكن من الإسراج والإلجام ، وكان بنو ضبيعة حُلَفَاء لبنى ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكَابَة فوقع بينهم نزاع فعاتبهم المتلمس

وَإِنْ يَكُ عَنَّا فِى حُبَيْبٍ تَثَاقُلٌ ... فَقَدْ كَانَ مِنَّا مِقْنَبٌ مَا يُعَرِّسُ (١)

٢٢٣ — وقال سَعْدُ بن نَاشِب

تُفَنِّدُنِى فِيمَا تَرَى مِنْ شَرَاسَتِي ... وَشِدَّةِ نَفْسِي أُمُّ سَعْدٍ وَمَا تَدْرِى (٢)

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ حَلاَ ... لَيُلْفَى عَلَى حَالٍ أَمَرَّ مِنَ الصَّبْرِ

وَفِى اللِّينِ ضَعْفٌ وَالشَّرَاسَةِ هَيْبَةٌ ... وَمَنْ لَمْ يُهَبْ يُحْمَلْ عَلَى مَرْكَبٍ وَعْرِ (٣)

---

(١) أراد حُبَيِّب نخفف ، وهو حُبَيِّب بن كَعْب بن يَشْكر بن بَكْر بن وائل ، يقول : إن تكاسل بنو حُبَيِّب عن إدراك ثأرنا فقد كان منا من يَدْأَب ويسهر ، وَالْمِقْنَبُ : زُهَاء ثلثمائة من الخيل ، والتعريس : نزول فى آخر الليل روى أبو هلال « فى حَبِيبٍ » وقال أراد حبَيِّب بن كعب نخفف كما تقول فى تخفيف كُثَيِّر كَثِير فترده إلى أصله ، وقوله « ما يعرس » أى : ما يستقرون إذا وتروا ، ولكنهم يَغْزون ويُغيرون أبدا حتى يدركوا بثأرهم

(٢) الأول من الطويل ، والقافيه متواتر

تفنّدُنِى : أى تجهّلنى ، والفند : إنكار العقل من هرم ، يقال : شَيْخ مُفَنَّد ، وفى القرآن (لولا أن تُفَنِّدُون) أى : تجهلونى ، وفسر على تكذبونى ، « وماتدرى» فى موضع الحال

(٣) الشَّرَاسة : صُعوبة الخلُق ، يقول : تفنّدنى هذه المرأة على ما ترى من عسر الخلق و إباء النفس جاهلةً بأحوال الرجال والفصل بين أوقات الهزل والجد ، فأجبتها وقلت : إن الرجل الحليم و إن لاَنَ عِطْفُه وسَهُل خُلُقه فقد يوجد فى وقت الغلظة وعند حالة القسوة أمر من الصبر وأشد من الحجر ، ومثله :

وَإِنِّى لَحُلْوٌ إِنْ أُرِيدَتْ حَلاَوَتِى ... وَمُرٌّ إِذَا نَفْسُ الْعَزِيزِ اشْمَعَرَّتِ

وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ فَظَاظَةٍ ... وَلَكِنَّنِي فَظٌّ أَبِيٌّ عَلَى الْقَسْرِ (١)
أُقِيمُ صَغَا ذِي الْمَيْلِ حَتَّى أَرُدَّهُ ... وَأَخْطِمُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْقَدْرِ
فَإِنْ تَعْذُلِينِي تَعْذُلِي بِي مُرَزَّأً ... كَرِيمَ نَثَا الْإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ الْيُسْرِ (٢)
إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ
وَصَمَّمَ تَصْمِيمَ السُّرَيْجِيِّ ذِي الْأَثْرِ (٣)

والواو من قوله « والشراسة هَيْبَة » عاطفة لجملة على جملة ، ولا يجوز أن تجر الشراسة[1] على أن يكون معطوفا على «في اللين» ، لما فيه من العطف على عاملين بحرف واحد ، والمعنى إن من اسْتُلِين جانبه في كل حال استضعف واهتضم ، ومن استخشن جانبه وخلقه هِيبَ وتُحُومِي

(١) القسر : القهر على الكره ، يقال : قَسَرْته واقتسرته ، ومنه قيل للأسد قَسْوَرَة

(٢) أي : رجلا مرَزَّأً ، وذلك الرجل هو هو ، كما تقول : لقيت بزيد الأسَدَ والنَّثَا : الخبر ؛ ويستعمل في الخير والشر ، والثناء لا يستعمل إلا في الخير : أي لُمتِ رجلا إنْ نابه العسر حسن بلاؤه وكرمت أخباره فيه ، وإن ناله اليسر أشرك الأقارب والأجانب في نفعه ، وفي هذا المعنى قول الْمَرَّار :

إِنِ افْتَقَرَ الْمَرَّارُ لَمْ يُرَ فَقْرُهُ ... وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهْ

(٣) السُّرَيْجِي : منسوب ، ويجوز أن يكون وصف بذلك لكثرة مائه ورونقه ، حتى كأن فيه سراجا ، ومنه قيل : سَرِّج إليه أمرك : أي حَسِّنْه ونوره ، وتَصْمِيم السيف : مضاؤه في الضريبة من غير أن يسمع له صوت ، وهو من الصمم في الأذن ، ثم جعل ذلك مثلا للرجل يمضي على همته حتى يبلغ

---

(١) إذا كان أول العاملين حرف جر جاز ، وقد ضبطناه على ذلك

٢٢٤ – وقال أيضاً :

لاَ تُوعِدَنَّا يَابِلاَلُ ؛ فَإِنَّنَا
وَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَشْقُقْ عَصَا الدِّينِ أَحْرَارُ (١)

---

(١) الأول من الطويل ، والقافية متواتر

يخاطب بلاَلاً الخارجيَّ وَيُعيّره خروجه من طاعة السلطان وشَقَّه عصا الإسلام أى : اترك تَوعُّدَنا فان فينا كرماً و إباء ، و إن لم نخالف المسلمين خلافك ، فلا طريق لك إلى تماسكنا والتحكم فينا ، قال الخليل : قولهم « شَقَّ عَصَا المسلمين » العصا : الاجماع والائتلاف ، وذكر بعضهم أن الأجود أن يكون مثلا ، كما يقال للرفيق الحسن السياسة : هو لَيِّنُ الْعَصَا ، وفى ضده : هو صُلْبُ الْعَصَا ، وقولهم : قَشَرتُ له العصا ، إذا أبديت له ما فى نفسك ، وكما قيل : عَصَا الجبان أطوَلُ ، وقال بعضهم يعنى الخوارج :

رَجَوْا بالشِّقَاقِ الأَكْلَ خَضْماً فَقَدْ رَضُوا
أَخيراً مِنَ الأَكْلِ الْخَضْمِ أنْ يَأْكُلُوا قَضْماً

فأتى بالشِّقَاق ، وأصله من شق العصا ؛ وشق العصا هو الخروج عن الجماعة ، يقول : نحن و إن كنا نسمع ونطيع فاننا أحرار لا نقر بالضيم فلا تَسُمْنَاهُ ، وأصل الحر الخلوص ، ومنه قيل : الطين الحر ؛ لخلوصه من الرمل وغيره ، وقيل : حَرَّرْتُ الكتاب ، إذا خلصته ؛ وقيل للحر خلاف العبد : حر ؛ لأنه خالص لنفسه ، ويقال للطاهر الأخلاق المعوان : حر ، كأنه خالص الأخلاق لا شَوْبَ فيها ، وأصل الشقاق البعد ، ومنه قيل للمسافة بين الشيئين إذا بعدت : شُقَّةٌ ، وَشَقَّ على الشيء ، إذا بعد مَرَامُه عليك ، وشَاقَّه : عاداه وباعده

وَإِنَّ لَنَا إِمَّا خَشِينَاكَ مَذْهَبًا ... إِلَى حَيْثُ لَا نَخْشَاكَ وَالدَّهْرُ أَطْوَارُ

فَلَا تَحْمِلَنَّا بَعْدَ سَمْعٍ وَطَاعَةٍ ... عَلَى غَايَةٍ فِيهَا الشِّقَاقُ أَوِ الْعَارُ (١)

فَإِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا ... بِهَا حِينَ يَجْفُوهَا بَنُوهَا لَأَبْرَارُ (٢)

وَلَسْنَا بِمُحْتَلِّينَ دَارَ هَضِيمَةٍ ... مَخَافَةَ مَوْتٍ إِنْ بِنَا نَبَتِ الدَّارُ (٣)

٢٢٥ — وقال قُرَادُ بن عَبَّادٍ (٤)

---

(١) أى : لا تلجئنا بعد انقيادنا لك ودخولنا تحت هواك إلى غاية تمضى بنا الحال فيها إلى أحد شيئين : إما مشاقتك والخروج عليك . وإما الرضا بالدَّنية والدخول تحت العار ، فلا حظَّ لنا ولك فى واحدة منهما

(٢) إذا ظرف لخبر إن وهو أبرار ، وكذلك قوله « حين يجفوها » والتقدير إنا لأبرار بالحرب إذا ألقت قناعها ، يريد إذا اشتدت فتكشفت وزالت المساترة بين أبنائها . وبر أبنائها بها : صبرهم على حرها

(٣) أى : لا نحتل فى دار تنقص فيها حقوقنا وتنبو بنا : أى لا توافقنا ، بل نطلب ما هو أرفق منها بنا ، والدار التى ذكرها فى آخر البيت هى الدار المذكورة فى أوله ، كما تقول : مر رجل ، فاذا رجع قلت : رجع الرجل

(٤) قال أبوهلال : هكذا فى الأصل ، وهو خطأ ، وإنما هو قُرَاد بن الْعَيَّار ابن مُحْرِز بن خالد بن أرقم بن قَسِيم بن ناشرة بن سَيَّار بن رِزَام ، وأبوه الْعَيَّارُ أَحَدُ شياطين العرب ، وهو القائل :

وَلَا نَرْعَى الْهُدُونَ وَلَا الْهُوَيْنَى ... إِذَا خَارَتْ صَغَابِيسُ الرِّجَالِ

بِنَا يُسْتَعْطَفُ الْأَمْرُ الْمُوَلَّى ... وَيُحْسَمُ دَاءُ ذِى الدَّاءِ الْعُضَالِ

وَنَخْطِمُ أَنْفَ كُلِّ جُعَاظِرِيٍّ ... شَمُوخِ الْأَنْفِ يَنْظُرُ مِنْ مُعَالِ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ تَغْضَبْ لَهُ حِينَ يَغْضَبُ
فَوَارِسُ إِنْ قِيلَ ارْكَبُوا الْمَوْتَ يَرْكَبُوا (١)

وَلَمْ يَحْبُهُ بِالنَّصْرِ قَوْمٌ أَعِزَّةٌ مَقَاحِيمُ فِى الْأَمْرِ الَّذِى يُتَهَيَّبُ (٢)

تَهَضَّمَهُ أَدْنَى الْعَدُوِّ وَلَمْ يَزَلْ وَإِنْ كَانَ عِضًّا بِالظُّلَامَةِ يُضْرَبُ (٣)

فَآخِ لِحَالِ السِّلْمِ مَنْ شِئْتَ وَاعْلَمَنْ
بِأَنَّ سِوَى مَوْلَاكَ فِى الْحَرْبِ أَجْنَبُ (٤)

وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِى إِنْ دَعَوْتَهُ
أَجَابَكَ طَوْعًا وَالدِّمَاءُ تَصَبَّبُ (٥)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

يخبر بأنَّ عز الرجل بعشيرته ومن يسخط اسخطه

(٢) الْحِبَاء : عطاء بلا مَنٍّ ولا جزاء ، يقال : حَباه الله بكذا ، وحباه كذا ؛ والمقاحيم : جمع مِقْحَام ، وهو الذى يخوض قُحْمَةَ الشدائد : أى معظمها

(٣) « تَهَضَّمه » جواب قوله « إذا المرء » وهو العامل فيه ، ومعنى تَهَضَّمه كَسَره وأَذَلّه ، والعِض : الداهية ، وهو السيء الخلق ، ويقال : هو عِضُّ مَالٍ وعِضُّ سَفَرٍ وقتال ، إذا كان حسن الغناء فى جميعها ، وخبر لم يزل « يضرب » وفى الجملة جواب « وإن كان عِضًّا »

(٤) يحثه على استصلاح بنى الأعمام وإن مَنْ هو سوى مولاه فى الحرب غريب ، وَأَجْنَبُ : بمعنى جانب ، يقول : مولاك فى الحقيقة هو ابن عمك الذى إن استغثت به أبْعَدَما كان منك أغاثك

(٥) انتصب « طوعا » لأنه مصدر فى موضع الحال

فَلاَ تَخْذُلِ الْمَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا ... فَإِنَّ بِهِ تُثْأَي الْأُمُورُ وَتُرْأَبُ (١)

٢٢٦ — وقال زاهر أبو كِرَامٍ التميمىُّ، ويروى كِدَام:

لِلّٰهِ تَيْمٌ أَيُّ رُمْحِ طِرَادِ ... لاَقَى الْحِمَامَ بِهِ وَنَصْلِ جِلاَدِ (٢)

وَمِحَشِّ حَرْبٍ مُقْدِمٍ مُتَعَرِّضٍ ... لِلْمَوْتِ غَيْرِ مُعَرِّدٍ حَيَّادِ (٣)

---

(١) يجوز أن يكون المعنى لا تخذُله وإن كان ظالما لك، ويجوز أن يكون على منهاج ما جاء فى الخبر «انصر أخاك ظالماً أو مظلوما» وتُثْأَى: تفسد، وتُرْأَبُ: تُصْلَحُ، وأصله فى القدح ينشقّ فيُشْعَب فيقال: رَأَبْتُهُ

(٢) الثانى من الكامل، والقافية متواتر

تيم: رجل من بنى يشكر بارز أبا كرام فقتله، وكان أحد الفرسان، فأخذ أبو كرام يفخم أمره لأن ثناءه عليه وإكباره له كأنه راجع إليه إذ صار قتيله، واللام من «لله تيم» دخلت للتخصيص، والتعجب دخل فى الكلام أيضاً بقوله «أى رمح طراد» وعلى هذا قولهم «لله دره» وهذا التخصيص باللام يجرى مجرى الإضافة فى قولهم «بيت الله» و«كعبة الله» وإن كانت الأشياء كلها لله، والضمير فى «به» لتيم، والمعنى لاقى الموت بتيم أى رمح مطاردة وأى نصل مجالدة، كأنه كان رمحا ونصلا، ويجوز أن يكون لاقى الموت به أى سلاح وعدة: أى أىّ مقاتل بطل، ولك أن ترفع «الحمام» وتنصب «أى رمح» والمعنى لاقى الموت بتيم أى رمح وأى رامح وأى سيف وأى سائف، ودل على صاحب السيف والرمح

(٣) «وَمِحَشّ» جعله آلة فى حش نار الحرب، لأن المفعل للآلات، والتعريد: ترك القصد وسرعة الانهزام

كاللَّيْث لا يَثْنِيهِ عنْ إقْدامِهِ ... خَوْفُ الرَّدَى وَقَعاقِعُ الْإِيعَادِ (١)

مَذِلٌ بمُهْجَتِهِ إذَا مَا كَذَّبَتْ ... خَوْفَ المَنِيَّةِ نَجْدَةُ الْأَنْجَادِ (٢)

سَاقَيْتُهُ كَاسَ الرَّدَى بِأَسِنَّةٍ ... ذُلُقٍ مُؤَلَّلَةِ الشِّفَارِ حِدَادِ (٣)

فَطَعَنْتُهُ والْخَيْلُ فِي رَهَجِ الْوَغَى ... نَجْلاءَ تَنْضَحُ مِثْلَ لَوْنِ الْجَادِي (٤)

فَكَأَنَّمَا كَانَتْ يَدِي مِنْ حَتْفِهِ ... لَمَّا انْثَنَيْتُ لهُ عَلَى مِيعَادِ (٥)

---

(١) أصل القَعْقَعَةِ صوتُ شيء صلب على مثله ، والمراد به ههنا صوت السلاح على السلاح للإيعاد ، ويثنيه : يرده ، ويقال : هال فلانا قعقعة الوعيد ، وقالوا : تقعقعت مفاصله ، أيضاً

(٢) « مَذِلٌ » من قولهم : مَذِلَ بماله ، إذا بذله بسهولة ، ومذل بسره ، إذا باح به ، والمُهْجَةُ : خالصة النفس ، ومنه الأُمْهُجَان فى اللبن ، وانتصب «خوف المنية » على أنه مفعول له ، و « إذا ما كذبت نجدة الأنجاد » ظرف لقوله مذل ، والمعنى إذا خانت شدة الأشداء مَذِل بمهجته

(٣) المساقاة تكون من اثنين ، ثم قال « بأسنة ذلق » فجمع وإنما كان سنانان من رمحين ، ويجوز أن يكون جمع لأنه أراد الزج والسنان من كل واحد منهما ، والذلق من كل شيء : حده ، والشفار أصله أن يستعمل فى السكين العريض ، ثم استعمل فى غيره

(٤) الجادى : الزعفران . والواو فى قوله « والخيل » واو الحال ، والرهج : الغبار ، والنجلاء : الواسعة ، والنضح بالحاء غير منقوطة يستعمل فيما رق ، وبالخاء منقوطة فيما غلظ ، وأراد بلون الجادى دما كالزَّعْفَرَان

(٥) انثنيت له يريد أنه سقط لأول طعنة لأنها كانت جائفة نافذة إلى المقتل

فَهَوَى وَجَائِشُهَا يَفُورُ بِمُزْبِدٍ مِنْ جَوْفِهِ مُتَتَابِعِ الْإِزْبَادِ (١)

٢٢٧ — وَقَالَ عَمْرُو الْقَنَا :

الْقَائِلِينَ إِذَا هُمْ بِالْقَنَا خَرَجُوا
مِنْ غَمْرَةِ الْمَوْتِ فِي حَوْمَاتِهَا عُودُوا (٢)

عَادُوا فَعَادُوا كِرَاماً لَا تَنَابِلَةً عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا رُعْشٌ رَعَادِيدُ (٣)

لَا قَوْمَ أَكْرَمُ مِنْهُمْ يَوْمَ قَالَ لَهُمْ
مُحَرِّضُ الْمَوْتِ: عَنْ أَحْسَابِكُمْ ذُودُوا (٤)

٢٢٨ — وقَالَ الْفَرَزْدَقُ (٥) :

---

(١) هوى : أي سقط ، وما يجيش من نجيعه : أي يسيل ، وقد علاه الزبد لكثرته وقوته

(٢) الثاني من البسيط ، والقافية متواتر

الْحَوْمَات : جمع حَوْمَةٍ ، وهو فى الأصل أكثر موضع فى البحر ماء ، وكذلك فى الحوض ، فاستعارها لشدة الحرب ، وإنما يصف حرصهم على القتال ، وقوله « بالقنا خرجوا » أي : خرجوا ومعهم القنا ، و « عودوا » فى موضع المفعول من القائلين ، وهو حكاية ماقالوا

(٣) التنابلة : القصار ، واحدهم تِنْبَال ، والرعاديد : جمع رِعْدِيد ، وهو الذى لا يتماسك جبنا

(٤) دخل تحت قوله « أكرم منهم » كل خصلة محمودة ، لأنه إذا تناهى كرمهم إذا دعا الداعى وقت التحريض أن ادفعوا عن أحسابكم فقد حصلوا كل مَنْقَبَة شريفة ، وأراد بمحرّض الموت المحرّض على الحرب

(٥) الْفَرَزْدَق : جمع فَرَزْدَقَة وهى القطعة من العجين ، وقيل له ذلك لأنه

إنْ تُنْصِفُونَا يَالَمَرْوَانَ نَقْتَرِبْ ... إلَيْكُمْ وَإلاَّ فَأْذَنُوا بِبِعَادِ (١)

فَإنَّ لَنَا عَنْكُمْ مَزَاحاً وَمَذْهَباً ... بِعِيسٍ إلَى رِيحِ الفَلاَةِ صَوَادِى (٢)

مُخَيَّسَةٍ بُزْلٍ تَخَايَلُ فِى البُرَى ... سَوَارٍ عَلَى طُولِ الفَلاَةِ غَوَادِى (٣)

وَفِى الأَرْضِ عَنْ ذِى الجَوْرِ مَنْأًى وَمَذْهَبٌ ... وَكُلُّ بِلاَدٍ أُوطِنَتْ كَبِلاَدِى

وَمَاذَا عَسَى الحَجَّاجُ يَبْلُغُ جَهْدُهُ ... إذَا نَحْنُ خَلَّفْنَا حَفِيرَ زِيَادِ (٤)

فَبَاسْتِ أَبِى الحَجَّاجِ وَاسْتِ عَجُوزِهِ ... عُتَيِّدَ بَهْمٍ تَرْتَعِى بِوِهَادِ (٥)

كان جَهْمَ الوجه ، واسمه هَمّام بن غالب ، وَيكنى أبا فراس

(١) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر

فأذنوا : أى فاعلموا ، يقال : أَذِنْتُ الشىء علمته ، وآذنته : أعلمته ، يقول : إن حملتمونا فى مجاورتنا لكم على السواء وتركتم البغى علينا اختلطنا بكم ، وإلا فاعلموا أن البعاد منكم همنا لأنا لا نصبر على الاهتضام

(٢) مزاحا : هو من زاح يزيح إذا ذهب ، ومنه أَزَحْتُ العلة ، يقول : إن سُمْتُمُونا خَسْفاً فان لنا عنكم فى الأرض مَبْعَداً بإبل ألفت المفاوز ، والصوادى : جمع صادية ، وهى العطاش

(٣) تخايل : أى تختال فى سيرها وهى مبراة تطيق وصل السير بالسُّرى على امتداد الشقة ، وقوله « فى البرى » فى موضع النصب على الحال

(٤) حفير زياد ابن أبيه ، وهو نهر كان احتفره ، وهو حد عمله ، يقول : إذا تركنا بلاده وسرنا عنها فما يقدر أن يفعل بنا

(٥) قوله « فباست أبى الحجاج » قال أبو زيد : القصد بمثل هذا القول

فَلَوْلاَ بَنُو مَرْوَانَ كَانَ ٱبْنُ يُوسُفٍ
كَمَا كَانَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِ إِيَادِ
زَمَانَ هُوَ الْعَبْدُ الْمُقِرُّ بِذِلَّةٍ
يُرَاوِحُ صِبْيَانَ الْقُرَى وَيُغَادِي (١)

أن يبين أنه يتجاسر على ذكر السوأة منه ، والباء من قوله «باست» متعلقة بمضمر كأنه لحق باست والديه كل خزية وعار ، وانتصب «عَتِيدَ بَهْمٍ» على الاختصاص والشتم ، والعامل فيه مضمر كأنه قال : أعنى واذكر ، وجعله بهذا الاسم أشهر وأعرف منه بالعلم الذى له واسمه الذى يسمى به ؛ وهذا هو الغرض فى كل ماينصب على المدح أو الذم ، ولذلك كان أبلغ من الصفات التابعة لموصوفاتها فى المعنى إذا رأيت الصفة تجىء بشرح الاسم وإزالة اللبس عنه . وباب المدح والذم يجىء للتنويه والرفع أو التهجين والحطّ ، والعَتُود : مارعى وقوى من أولاد الغنم ، والبَهْم : صغار أولاد الغنم ، وموضع «ترتعى» جر على أنه صفة لقوله بهم ، وترتعى بوِهَادٍ لأن أصحابها أذلاء يستترون فى الوهاد ، والأعزاء يظهرون

(١) قال ذلك لأن الحجاج كان معلما بالطائف ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أَيَنْسَى كُلَيْبٌ زَمَانَ الْهُزَالِ وَتَعْلِيمَهُ سُورَةَ الْكَوْثَرِ
رَغِيفٌ لَهُ فَلْكَةٌ مَا تُرَى وَآخَرُ كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ

يقول : إن خبز المعلم مختلف فى الصغر والكبر والجودة والرداءة على قدر من يحمل الخبز له من الصبيان ، كما قال أبو الأخضر :

أَمَا رَأَيْتَ بَنِي بَدْرٍ وَقَدْ جُعِلُوا كَأَنَّهُمْ خُبْزُ بَقَّالٍ وَكُتَّابِ

وكان الحجاج فى صغره يسمى كُلَيْبًا ، وروى الجاحظ هذه الأبيات لمالك ابن الريب

٢٢٩ — وقال آخر :

قَدْ عَلِمَ الْمُسْتَأْخِرُونَ فِي الْوَهَلْ ... إذا السُّيُوفُ عُرِّيَتْ مِنَ الْخِلَلْ

أَنَّ الْفِرَارَ لاَ يَزِيدُ فِي الأَجَلْ (١)

٢٣٠ — وقال شُبَيْل الفَزَارى ، وحاربه بنو أخيه فقتلهم :

أَيَا لَهْفِي عَلَى مَنْ كُنْتُ أَدْعُو ... فَيَكْفِينِي وَسَاعِدُهُ الشَّدِيدُ (٢)

وَمَا مِنْ ذِلَّةٍ غُلِبُوا ، وَلٰكِنْ ... كَذَاكَ الأُسْدُ تَفْرِسُهَا الأُسُودُ (٣)

فَلَوْلاَ أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إِلَيْهِمْ ... سَوَابِقُ نَبْلِنَا وَهُمُ بَعِيدُ (٤)

---

(١) من مشطور الرجز ، والقافية متدارك

قوله « أن الفرار » سد مسد مفعولى علم ، والخلل : بطائن جفون السيوف ، الواحدة خِلّة ، والمراد به هنا الأغماد ، يقول : إنهم مع تأخرهم عن القتال وفرارهم عنه يعلمون أن ذلك لايزيد فى آجالهم ؛ يحضهم على الإقدام بذلك

(٢) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

الواو فى قوله « وساعده » للحال : أى يكفينى بقوة وشدة بأس ، ومَنْ : لفظه واحد وإن أريد به الكثرة ، ويروى « بساعده » أى يكفينى الشديد بساعده .

(٣) « الأسد» مرتفع بالابتداء ، و «تفرسها الأسود » خبره ، و « كذاك» فى موضع الحال : أى أمثالاً لمن قتلت ، ويجوز أن يكون أشار بذاك إلى الغلب لأن غلبوا يدل عليه ، ويجوز أن يكون « كذا » خبراً مقدماللأسد ، و «تفرسها» فى موضع الحال ، والتقدير ولكن كأمثالهم الأسد إذا فرستها الأسد

(٤) بعيد : مثل الصديق والرسول فى أنه يقع للواحد والجميع : أى رَمَيْنَاهم من بعيد فقتلناهم ، ولو أهملناهم فقربوا منا لنالوا مثل مانلنا منهم

لَحاسَوْنَا حِيَاضَ الَموْتِ حَتَّى   تَطَايَرَ مِنْ جَوَانِبِنَا شَرِيدُ (١)

٢٣١ — وقال قَطَرِىّ بن الْفُجَاءة :

أَلاَ أَيُّهَا الْبَاغِى الْبِرَازَ تَقَرَّبَنْ   أُسَاقِكَ بِالْموْتِ الذُّعَافَ الْمُقَشَّبَا

فَمَا فِى تَسَاقِى الْموْتِ فِى الحرْبِ سُبَّةٌ

عَلَى شَارِبِيهِ فَاسْقِنِى مِنْهُ وَاشْرَبَا (٢)

٢٣٢ — وقال دَرَّاج وكان قد طعن :

شُدِّى عَلَىَّ الْعَصْبَ أُمَّ كَهْمَسْ   وَلاَ تَهُلْكِ أَذْرُعٌ وَأَرْؤُسْ

مُقَطَّعَاتٌ وَرِقَابٌ خُنَّسْ   فَإِنَّمَا نَحْنُ غَدَاةَ الْأَنْحُسْ

هِيمٌ بِهِيمٍ طُلِيَتْ تَمَرَّسْ (٣)

---

(١) شريد : يراد به الكثرة وإن كان لفظه واحداً ، وقوله « لحاسونا حياض الموت » فيه توسع ؛ لأن المعنى مافى الحياض

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « أساقك بالموت » يجوز أن يكون معناه أساقك قشيب الموت ، ويجوز أن يكون على القلب ، أراد أساقك الموت بالذعاف ، والمعنى بأن أفعل بك مايقوم مقام سقى الذعاف ، ويدل على هذا الوجه قوله فى البيت الثانى « فما فى تساقى الموت » والذعاف : سم ساعة ، ويقال : طعام مَذْعُوف ، وموت ذعاف : أى وَحِىّ والمقشَّب : الذى قد خُلِط به أدوية تقوّيه ، وأصل الْقَشْبِ الخلط ، حتى قيل : رجل مُقَشَّب : أى مخلوط الحسب باللؤم ، والتساقى : أن يسقى بعضهم بعضا ، ولا يصح الأمر منه لواحد ، ولا يتعدى إليه ، ومن هذا الوجه يخالف تَفَاعَلَ فَاعَلَ ، وإن لم يكن فعلهما إلا من اثنين فصاعدا ، ألاترى أنك تقول : يازيد ضارب عمرا ، ولا تقول : تضاربه

(٣) السادس من السريع ، والقافية متواتر

٢٣٣ — وقال الأرْقَطُ بن رَعْبَل بن كُلَيْب العَنْبَرىّ :

إنِّى وَنَجْمًا يَوْمَ أَبْرَقِ مازِنٍ عَلَى كَثْرَةِ الأَيْدِى لَمُؤْتَسِيانِ (١)
يَلُوذُ أمامِى لَوْذَةً بِلِبانِهِ وتُرْهِبُ عَنَّا نَبْعَةٌ وَيَمانِى (٢)
ونَغْشَى فنُغْشَى ثُمَّ نُرْمَى فنَرْتَمِى ونَضْرِبُ ضَرْبًا ليْسَ فيهِ تَوانِ

٢٣٤ — وقال وَدَّاك بن ثُمَيْل :

نَفْسِى فِداءٌ لِبَنِى مازِنٍ مِنْ شُمُسٍ فِى الحَرْبِ أبْطالِ (٣)

الخُنَّس : جمع خانس ، كشاهد وشهد ، والخنوس : الانقباض والانخفاض ، والأنْحُس : جمع نحس ، وهو الغبرة ، والريح أيضا يقال لها نحس ، والبرد نحس ، والنحس خلاف السعد : أى نحن كذلك غداةَ هَيْجِ الغبار ، يعنى غداة الحرب والباء من قوله « بهيم » تتعلق بتمرس ، وتمرس : صفة للأول ، و « طليت » صفة الثانى والهيم : الابل العطاش ، وإذا كانت جَرْبى قد عطشت وطُليت كان حماها أزيد وتحككها أشد ، ومجازه هيم تمرس بهيم طُليت

(١) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر

لقى هذا الرجل وابنه قوماً لُصُوصًا فقاتلاهم وظفرا بهم ، فأخذ يقتص الحال ، ونجم : اسم ابنه ، وقوله « لمؤتسيان » أى : يواسى كل منا صاحبه على أمره ، و « على كثرة الأيدى » فى موضع الحال

(٢) الباء فى « بلبانه » تتعلق بيلوذ ، ولا يجوز أن تتعلق بلوذة ، لأن الفعل والمصدر إذا اجتمعا فالفعل بالعمل أولى ، والهاء ضمير الفرس ، وإن لم يجر ذكره ؛ لأن المراد مفهوم ، وكان الأرقط فارسا على مايدل عليه الكلام ، والابن راجلا ، ويعنى بالنَّبْعَة قوسا

(٣) ثالث السريع ، والقافية متواتر

هِيمٌ إِلَى الْمَوْتِ إِذَ خـــيِّرُوا ... بَيْنَ تِبَاعَاتٍ وَتَقْتَالِ (١)
حَمَوْا حِمَـــاهُمْ وَسَمَا بَيْتُهُمْ ... فِى بَاذِخَاتِ الشَّرَفِ العَالِى (٢)

٢٣٥ — وقال سَوّار :

أَجَنُوبُ إِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ فَوَارِسِى ... بِالسَّيْفِ حِينَ تَبَادَرُ الأَشْرَارُ (٣)
سَعَةَ الطَّرِيقِ مَخَافَةً أَنْ يُؤْسَرُوا ... وَالْخَيْلُ تَتْبَعُهُمْ وَهُمْ فُرَّارُ (٤)
يَدْعُونَ سَوَّاراً إِذَا احْمَرَّ القَنَا ... وَلِكُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ سَوَّارُ (٥)

---

(١) الهيم : العطاش ، وَالتِّبَاعَةُ وَالتَّبِعَةُ بمعنى ، يقول : إذا خُيِّرَ بنو مازن فيما يُزَاولونه بين الصبر على القتال وبين الرضا بما يلحقهم معه تِبَاعات العار آثروا فَوْتَ الروح على التزام التهضم

(٢) الباذخ : الجبل الكبير ، ومنه البَذْخُ الكبر ، يقال : بَذَخَ يَبْذَخُ وَيَبْذُخُ ، والبَيْذَخُ : نخلة معروفة بهذا الاسم ، الياء زائدة

(٣) ثانى الكامل ، والقافية متواتر

يقول : لو شاهدت فوارسى ياجنوب بالسِّيف ، وهو شاطىء البحر ، حين سابق شرار النـاس وجبناؤهم إلى متسع الطريق خوفاً من الإسار لرأيت أمرا منكرا ، وجواب لو محذوف ، وإبهام الحال فى مثل هـذا الكلام أبلغ من بيانهـا

(٤) سعة الطريق : مفعول تبادر ، ومخافة : مفعول له ، وأن يؤسروا : مفعول من المخافة

(٥) يقول : هم يستغيثون بى عند احمرار البأس ، وقوله « ولـكل يوم كريهة سوار » أراد أن يبين أن ذلك دأبهم عند الكريهة فى دعائى ودأبى فى إجابتهم ، واحمرار القنا إنما يكون من الدم السائل عليه لكثرة الطعن به ، ويقال : أحمر

٢٣٦ — وقال أخو خُزَابَةَ ، أو ابن خُزَابة

مَنْ كَانَ أَقْحَمَ أَوْ خَامَتْ حَقِيقَتُهُ عِنْدَ الحِفَاظِ فَلَمْ يُقْدِمْ عَلَى القُحَمِ (١)

فَعُقْبَةُ بنُ زُهَيْرٍ يَوْمَ نَازَلَهُ
جَمْعٌ مِنَ التُّرْكِ لَمْ يُحْجِمْ وَلَمْ يَخِمِ (٢)

مُشَمِّرٌ لِلْمَنَايَا عَنْ شَوَاهُ إِذَا مَا الوَغْدُ أَسْبَلَ ثَوْبَيْهِ عَلَى القَدَمِ (٣)

خَاضَ الرَّدَى وَالعِدَا قُدْمًا بِمُنْصُلِهِ
وَالْخَيلُ تَعْلُكُ ثِنْيَ الْمَوْتِ بِاللُّجُمِ (٤)

البأس ، إذا اشتد ، وقالوا : الحسن أحمر : أى تتجشَّم الشدائد فى طلب الجمال

(١) أول البسيط ، والقافية متراكب

« نامت حقيقته » (١) أى نام عن الحقيقة ، وخامت : جبنت ، يقول : من لم يحفظ حقيقته ونام عنها وقعد عن شدائد الأمور

(٢) عقبة : مبتدأ ، وخبره « لم يحجم » والإحجام : ضد الإقدام ، وخام : إذا نكل عن الشيء

(٣) الشَّوَى : الأطراف ، والوَغْد : من قولك : وغَدْتُ القوم ، إذا خدمتهم ، و « إذا » ظرف لما دل عليه « مشمر » ، وهو جوابه ، وتشمير الثوب مثل للجد فى الأمور ، وإسباله مثل للتوانى فيها ، لأن المُتَوَانى يُرْسل ثوبه ، والجد يُشَمِّره

(٤) الْعَلْكُ : المضغ ، يقال : فى لسانه عِلْكٌ (٢) يمضغه ، فعلى هذا يكون

---

(١) هذه رواية أخرى كما يظهر بأدنى تأمل ، وقد فسر ما فى الأصل بعد ذلك

(٢) العلك — بكسر العين وسكون اللام — صمغ الصنوبر والأرزة والفستق

وَهُمْ مِئُونَ أُلُوفًا وَهْوَ فِى نَفَرٍ   ثُمَّ الْعَرَانِينَ ضَرًّا بَيْنَ لِلْبُهَمِ [1]

٢٣٧ — وقال أَوْسُ بن ثَعْلَبَة :

جَذَّامُ حَبْلِ الْهَوَى مَاضٍ إذا جَعَلَتْ
هَوَاجِسُ الْهَمِّ بَعْدَ النَّوْمِ تَعْتَكِرُ [2]

« ثِنْىَ الموت » ظرفا ، كما يقال : جعلته ثِنْيَ كذا ، ويجوز أن يكون مفعولا من « تعلك » وثِنْيُ الشيء : مايثنى منه ، وهو ههنا مثل واستعارة ، أراد خيل الكمين ، جعلها تعلك الموت لأن وقوفها فى ذلك الموضع عالكةً للجمها يؤدى إلى الموت ، ويكون « باللجم » فى موضع الحال ، كأنه قال : والخيل تمضغ مثنى الموت أى مضاعفه ملجمة ، وروى بعضهم « والخيل تعلك ثِنَّ الموت » والثِّنُّ : حطام اليبيس ، والذى تقدم هو الوجه

(١) مائة : من الأسماء المنقوصة ، بدلالة قولهم : أَمْأَيْتُ ، ولذلك جمع على السلامة ، وإنما أشار إلى جنس الترك كله فعدهم أعداءه ، لأنه حارب مئين ألوفا ، والْبُهَم : جمع بُهْمَة ، وهم الشجعان الذين لايُدْرَى كيف يؤتون لاستبهام أحوالهم .

(٢) أول البسيط ، والقافية متراكب

جَذَّام : فَعَّالٌ من الْجَذْمِ ، وهو القطع ، وحبل الهوى : الوصلة التى بينه وبين النفس ، وعَكَرَ وَاعْتَكَر : عطف ، والهاجس : ماوقع فى خلدك

والسرو واليَنبوت والبطم . قاله فى القاموس . ووقع فى نسخة بن وفى نسخة ب جميعا «يقال فى لسانه عولك بمضغه» وهو تصحيف بزيادة الواو لأن العولك عرق فى الخيل والأتن والغنم غامض فى البظارة ، وهو أيضا الجلجلة فى اللسان»

وَمَا تَجَهَّمَنِي لَيْلٌ وَلاَ بَلَدٌ   وَلاَ تَكَاءدَنِي عَنْ حَاجَتِي سَفَرُ (١)

٢٣٨ — وقال آخر ، وقد أوقعت مازنٌ بقوم من عِجْل فقتلوا منهم، فعَدَتْ بنو عجل على جارٍ لبنى مازن فقتلوه :

أَقُولُ وَسَيْفِي فِي مَفَارِقِ أَغْلَبِ
وَقَدْ خَرَّ كَالْجِذْعِ السَّحُوقِ الْمُشَذَّبِ (٢)
بِكَ الْوَجْبَةُ الْعُظْمَى أَنَاخَتْ وَلَمْ تُنِخْ
بِشُعْبَةَ فَابْعَدْ مِنْ صَرِيعٍ مُلَحَّبِ (٣)

---

(١) فيه قلب ، لأن المعنى ماتَجَهَّمْتُ ليلا . ويقال : تجهمت فلانا ، ولفلان ، إذا استقبلته بوجه كريه ، وَأَسَدٌ جَهْمُ الوجه ، ويقال: تكاءدنى كذا ، إذا شق عليك ، وقال « عن حاجتى » حملا على المعنى ، لأن المراد ولا منعنى سفر شاق عن حاجتى ، وقيل فى تكاءدنى : إنه من المقلوب أيضا ، معناه ما تكاءدته : أى ما استصعبته ، وأصله من الكَأْدَاء والْكَؤُد ، يقول : ما كرهت ركوب الليل فى حوائجى ولا شق علىّ السفر فأتركه فتفوتنى حاجتى

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

السحوق من الحمر والنخل : الطويلُ ، يقال : أَتَانٌ سَحُوق ، ونخلةسحوق ، وجعل الجذع مُشَذَّبا ليكون طوله أظهر ، وخر : بمعنى سقط ، [ومَقُولُ] (١) أقول قوله « بك الوجبة — الخ »

(٣) الوجبة أراد بها المنية: أى نزل بك المكروه الأعظم لا بشعبة ، كأن هذا المصروع كان يتوعد شعبة بالقتل أو يريده له ، وقوله : فابعد : دعاء عليه ،

---

(١) هذه زيادة يقتضيها السياق ، ولا يتم الكلام إلا بها .

سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أَوْمَضَتْ
إِلَيْهِ ثَنَايَا الْمَوْتِ مِنْ كُلِّ مَرْقَبِ (١)
فَيَاعِجْلُ عِجْلَ الْقَاتِلِينَ بِذَحْلِهِمْ غَرِيباً لَدَيْنَا مِنْ قَبَائِلِ يَحْصِبِ (٢)
جَنَيْتُمْ وَجُرْتُمْ إِذْ أَخَذْتُمْ بِحَقِّكُمْ غَرِيباً زَعَمْتُمْ مُرْمِلاً غَيْرَ مُذْنِبِ (٣)

والملحَّبُ : المذلل ، ومنه طريق لاحِبٌ : أى واضح ، و يجوز أن يكون معنى مُلَحَّب : مجروح مقطع ، يقال : لَحَبْتُ اللحم : إذا قطعته طولا

(١) أومضت : أشارت ، ومنه «أومض البرق» إذا لمع من بعيد ، كأنه يشير ، يقول : إذا سل هذا السيف قتل به القوم ، وليس ثَمَّ إيماض ولا مَرْقَب ، إنما هو مثل

(٢) « عجل القاتلين » هو من إضافة البعض إلى الكل ، وكرره توكيدا ، وقال أبو هلال : أضاف عجلا إلى القاتلين وهى هم كما قال الله تعالى : (حبل الوريد) والحبل هو الوريد فأضيف إلى نفسه ، ونحوه (حق اليقين) وقيل : حق اليقين مثل قولك : عين اليقين ، ومَحْض اليقين ، ولك أن تضم « عجل » الأول وتنصب الثانى على البدل أو عطف البيان ، و بنو عجل موتورون بما ارتكب منهم بنو مازن فلم يطلبوا ذَحْلَهم من وجهه ، لكنهم أخذوا غريبا كان جاور بنى مازن فقتلوه ، فقال هذا الشاعر فى مخاطبتهم معيرا أو هازئا: ياعجل عجل القاتلين بوترهم غريبا كان عندنا من بنى يحصب

(٣) إن قيل : أين مفعولا « زعمتم » وكيف ساغ حذفهما ؟ قلت : الحذف هنا كالحذف فى قوله تعالى : (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) وكالحذف فى قول الكميت :

بِأَىِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيْكَ وَتَحْسَبُ (١)

---

(١) المعروف والثابت فى الهاشميات « ترى حبهم عارا على وتحسب »
(حما : ١٥-٢)

وَمَا قَتْلُ جَارٍ غَائِبٍ عَنْ نَصِيرِهِ لِطَالِبِ أَوْتَارٍ بِمَسْلَكِ مَطْلَبِ
فَلَمْ تُدْرِكُوا ذَحْلاً وَلَمْ تَذْهَبُوا بِمَا فَعَلْتُمْ بَنِى عِجْلٍ إِلَى وَجْهِ مَذْهَبِ (١)
وَلٰكِنَّكُمْ خِفْتُمْ أَسِنَّةَ مَازِنٍ فَنَكَّبْتُمُ عَنْهَا إِلَى غَيْرِ مَنْكَبِ (٢)
وَقَدْ ذُقْتُمُونَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَعِلْمُ بَيَانِ الْمَرْءِ عِنْدَ الْمُجَرَّبِ (٣)

فكما حذف مفعولا «تحسب» فى بيت الكميت، ومفعولا «تزعمون» فى الآية، كذلك حذف مفعولا «زعمتم» من هذا البيت، ويكون التقدير إذ أخذتم بحقكم [رجلا هذه صفته] زعمتموه مأخوذا، فحذف ذكر الحق لما تقدم ذكره، ولما حذف المفعول الأوّل ساغ حذف الثانى، وهذا كما يحذف المبتدأ والخبر من مسألة الكتاب، وهى «متى ظننت أو قلت زيدا منطلقاً» إذا أعملت الفعل الأول، وساغ ذلك لأن الفعل الأوّل يقتضيهما، وقد حصل فى الكلام ذكرهما، والْمُرْمِلُ: الفقير

(١) يقول: لم تدركوا بثأركم؛ لأنكم قتلتم غير من قتل منكم، ولم تذهبوا فى فعلكم هذا إلى مايذهب إليه الناس فى طلب الأوتار.

(٢) يقال: نَكَّبَ بمعنى تنكب: أى انحرف؛ ويقال: رجل أَنْكَب عن الحق؛ ومنكاب عنه، إذا جانبه فصار منه فى شق، يقول: هبتم أعداءكم عندما دهمتم به من طلب وتركم واستشعرتم منه فحذرتموهم ثم عدلتم عنهم إلى غير مَعْدِل، يعنى أن مازنا تطلب بثأر جارها منكم فتصيبكم ولا ينفعكم تنكبكم عنها إلى غيرها في طلب ثأركم.

(٣) أى: عند التجربة: أى جربتمونا، يقال: ذُقْتُ هذا السيف فحمدته أوذممته: أى جربته، وبالبحث يوقف على خبء الأمور.

٢٣٩ — وقال بَغْثَرُ بن لَقِيط الأسدى:

أَمَّا حَكِيمٌ فَالْتَمَسْتُ دِمَاغَهُ ... وَمَقِيلَ هَامَتِهِ بِحَدِّ الْمُنْصُلِ (١)

وَإِذَا حُمِلْتُ عَلَى الْكَرِيهَةِ لَمْ أَقُلْ ... بَعْدَ الْعَزِيمَةِ لَيْتَنِى لَمْ أَفْعَلِ (٢)

٢٤٠ — وقال رجل من بنى نُمَيْر:

أَنَا ابنُ الرَّابِعِينَ مِنَ آلِ عَمْرٍو ... وَفُرْسَانِ الْمَنَابِرِ مِنْ جَنَابِ (٣)

---

(١) الأوّل من الكامل ، والقافية متدارك

أمَّا : يتضمن معنى الجزاء ، وأكثر ما يجىء مكررا ، وقد جاء ههنا غير مكرر ، يقول : مهما كان من شىء فقد طلبت دماغ هذا الرجل بسيفى فأصبته غير متندم على ما فعلت

(٢) العزيمة : توطين النفس على المراد

(٣) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

الرابع : الرئيس الذى كان يأخذ ربع الغنيمة فى الغزو ، ويقال : رَبَعَ فُلاَنٌ فى الجاهلية ، وخمس فى الإسلام ، أى : أنا ابن السادة والجارّين للجيوش فى الجاهلية وفرسان المنابر فى الإسلام ، يعنى الأمراء الخطباء ، وَجَنَاب : حى ، واستعار هذا الفروسةَ على المنبر كما استعار ثابت بن قطنة الخطبة بالسيف ، وصعد منبرا بخراسان فحصر ، فنزل وقال :

فإِلاَّ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنَّنِى ... بِسَيْفِى إِذَا جَدَّ الْوَغَى لَخَطِيبُ

فإنما حسن ذلك لأنه جاء به فى مقابلة خطيب ، وأكثر كلامهم الاستعارات ، وجيدها أحسن من الحقيقة ، فهو يقدم عليها فى الاستحسان ، فأما فى الأحكام فتقدم الحقيقة على المجاز

نُعرِّضُ للطِّعانِ إذا الْتَقَيْنا ... وُجوهًا لا تُعرَّضُ للسِّبابِ
فآبائى سَراةُ بنى نُمَيْرٍ ... وأخوالى سَراةُ بنى كِلابِ (١)

٢٤١ – وقال الْهُذْلُول بن كَعْبٍ العَنْبَرى : (٢)

تقولُ وصَكَّتْ نَحْرَها بيمينِها : ... أَبَعْلِىَ هٰذا بالرَّحا المُتَقاعِسُ (٣)

---

(١) قال الخليل : السرو : السَّخاء فى المروءة ، وفَعَلَة فى جمع المعتل نادر ، إنما يختص بالصحيح ، نحو الْكَفَرَة والفَجَرَة ، وبازائه من المعتل فُعَلة نحو قُضاة وغُزاة ، واشتقاق السَّرِى يجوز أن يكون من استريت الشىء إذا اخترته ، والسَّرِيَّة : الخيار ، ويجوز أن يكون من السَّراة التى هى أعلى الشىء ؛ لأن سادة الأقوام أعاليهم ، يقول : أنا كريم الطرفين ، ويجوز أن يكون السَّراة جمع سَرِىّ ، وهو الجيد من كل شىء

(٢) الهذلول : الخفيف السريع ، وكان قد تزوّج امرأة من بنى بَهْدَلة فرأته يوما يطحن للأضياف فضربت صدرها ، وقالت : أهذا زوجى ؟ فبلغه ذلك فقال ، والمبرد ذكر هذه الأبيات لأعرابى سَعْدِى ، وكان مُمْلَكاً فنزل به ضيف فقام إلى الرَّحا يطحن ، فمرّت به زوجه فى نسوة فقالت : أهذا بعلى ؟ إعظاما لذلك ، فأخبر بما قالت ، فقال « تقول – الأبيات »

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

القَعَس : دخول الظهر وخروج الصدر ، وقوله «أبعلى» موضعه رفع بالابتداء والألف لفظه لفظ استفهام ومعناه الإنكار والتقريع ، وقوله « هذا » يكون فى موضع الخبر ، والمتقاعس يتبعه على أنه عطف البيان ، وإن شئت جعلت هذا صفة لبعل ، والمتقاعس خبرا ، وقوله « بالرحا » لا يجوز أن يتعلق بالمتقاعس ؛ لأنه فى تعلقه به يصير من صلة الألف واللام ، وما فى الصلة لا يتقدم على الموصول ، ولكن تجعله تبيينا ، وتتصور المتقاعس اسما تاماً ، ويصير موضع « بالرحا » بعده

فَقُلْتُ لَهَا : لاَ تَعْجَلِي وَ تَبَيَّنِي فَمَالِي إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيَّ الْفَوَارِسُ
أَلَسْتُ أَرُدُّ الْقِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَفِيهِ سِنَانٌ ذُو غِرَارَيْنِ نَائِسُ [1]

موقع « بك » بعد « مرحبا » و « لك » بعد « سَقْياً » و « حمدا » و إذا كان كذلك جاز تقديمه عليه ، كما جاز أن تقول : بك مرحباً ، ولك سقيا ، وللمازنى فى هذا طريقة أخرى ، وهو أن تجعل الألف واللام من المتقاعس للتعريف فقط ولا يؤدّى معنى الذى كما تقول : نعم القائم زيد ، و بئس الرجل عمرو ، و إذا كان كذلك لم يحتج إلى الصلة ، فجاز وقوع « بالرحا » مقدماً عليه . ومؤخراً بعده ، و موقع الجملة التى حكاها من قول المرأة نصب على أنه مفعول لتقول ، فأما مايعمل فى لفظه «قال» ومتصرفاته فهوما يكون قولا ووضعا للجمل [1] ، كقولك : قلت حقاً أم باطلا ، أوقلت صدقاً أو كذباً ، وماأشبهه ، والبعل : يقال للرجل والمرأة ، وقيل: بعلة أيضاً ، والفعل منه بَعُلَ بَعَالَةً وَبُعُولَةً ، والبِعَال : ملاعبة الرجل أهله . ويقال : بنو فلان لا يباعلون : أى لا يتزوّج إليهم ولا يزوّجون

(١) ألف الاستفهام إذا اتصل بحرف النفى يقرر به ما كان منفياً ، يقول القائل مقررا : أفعلت كذا ؟ إذا لم يكن فعله فأنكره ، وألم أفعل كذا إذا كان قد فعله ، وموضع « يركب ردعه » نصب على الحال ، والرَّدْعُ : الكف والدفع ، وتحقيق الكلام أدفع القرن وقد ركب ردعى إياه فسقط ، وقال الخليل : ركب ردعه : أى خرصريعاً لوجهه ، وذكر الركوب مثل ، ويجوز أن يكون المراد بالردع ماتلطخ به من الدم ، وذكر بعض أصحاب المعانى أن معنى « ركب ردعه » أى إذا كف لم يرتدع ويمضى لوجهه ، كأنه يتلقى الردع بالركوب ، وقال المبرد : هو من « ارتدع السهم » إذا رجع النصل فى سنخه . ويقال : ركب البعير ردعه ، إذا سقط فدخل عنقه فى جوفه ، ومنه « ارتدع فلان عن دينه » وقوله « وفيه سنان »

كذا فى الأصول كلها ، ولعله « ووصفا للجمل »

وَأَحْتَمِلُ الْأَوْقَ الثَّقِيلَ وَأَمْتَرِي خُلُوفَ المَنَايَا حِينَ فَرَّ المُغَامِسُ (١)

وَأَقْرِي الهُمُومَ الطَّارِقَاتِ حَزَاءَةً
إِذَا كَثُرَتْ لِلطَّارِقَاتِ الوَسَاوِسُ (٢)

إِذَا خَامَ أَقْوَامٌ تَقَحَّمْتُ غَمْرَةً
يَهَابُ حُمَيَّاهَا الْأَلَدُّ المُدَاعِسُ (٣)

أى هو مطعون بسنان صلب ذى حدين . وموضع «وفيه» موضع الحال ، والعامل فيه « يركب » كما أن « يركب » فى موضع الحال والعامل فيه «أردّ» ويقولون : حديدٌ يابس ، و بارد ، يعنون الصلب ، والنائس : المضطرب

(١) أحتمل : عطف على خبر ليس ، وهو أرد ، والأَوْقُ : الثقل ، والمُغَامس — بالغين منقوطة — هو الذى يدخل فى الشدائد و يدخل غيره فيها ، مثل المغامر ، وَالْمُعَامس — بعين غير منقوطة — من قولهم : رجل عَمُوس ، يتعسف الأشياء بجهله ، فيكون المعنى يركب رأسه ولا يبالى أصيب أو أصاب . والعَمَاس : يوم شديد ، والتعامس : التجاهل ، والمعنى أنه يثبت إذا فرَّ مَنْ هذه صفته من الحرب .

(٢) أى : أحزم عندها إذا اشتدت و كثرت أحاديث النفس بها ، وخص الوساوس بالذكر لأنه اسم لما يقع فى النفس من الشر و مالا خير فيه ، كما أن الإلهام اسم لما يقع فيها من عمل الخير ، والإيجاس اسم لما يقع فيها من الخوف ، والأمل اسم لما يقع فيها مما لا عليها ولا لها ، بل ينبه به الغائب عنه

(٣) خام : جبن و كف ، وحُمَيَّا الشىء : صَدْمَتُه ، يقال : فلان حامى الحميا ، إذا كان يحمى ما عليه ، وحُمَيَّا مصغر لا مكبر له ، وقياس مكبره حَمْيَا أو حُمْيَا ، فان كان مفتوح الحاء فينبغى أن تنقلب ياؤها واواً فيقال : حَمْوَى ؛ لأن فَعْلَى إذا كان اسما مما لامه ياء قلبت واواً ، وذلك نحو الثَّنْوَى والتروى ، والدعس : الطعن

لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرِ إنِّي لَخَادِمٌ لِضَيْفِي وَإنِّي إنْ رَكِبْتُ لَفَارِسُ(١)

وَإنِّي لَأَشْرِى الحَمْدَ أَبْغِى رَبَاحَهُ وَأَتْرُكُ قِرْنِي وَهْوَ خَزْيَانُ نَاعِسُ(٢)

٢٤٢ — وقالت كَنْزَةُ أم شَمْلَةَ بن بُرْد المِنْقَرِيّ ، من ولد قيس ، وكانت أمَةً لبنى مِنْقَر اشتراها بُرْد :

إنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وهْوَ صَادِقِي بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبِسًا أَزْلَا(٣)

والدفع ، ويقال : طريق مدعاس : أى مذلل

(١) ويروى « لخادم صحابى » وأضاف الأب إلى الخير ، كما يقال : هو فَتًى صدقٍ ، وفتى كرم .

(٢) أى : أهينه فأكسره حتى يبقى مطرقاً متندماً كمن غلبه النعاس ، وقيل فى « ناعس » إن المراد به أنه مشرف على الموت ، ويقال : طعنت صاحبى فأنمته : أى قتلته ، والرَّبَاح : مصدر كالربح

(٣) الأول من الطويل ، والقافية متواتر

قولها « وهو صادقى » يجوز أن يكون للظن ، والمعنى إن ظنى بشملة يصدقنى لامحالة بأنه يفعل كذا ، والباء من قوله « بشملة » يجوز أن يكون متعلقا بصادقى : أى وهو يصدقنى بسبب شمله ، وإن شئت يتعلق بظنى ، ويجوز أن يكون هو ضمير شملة ، والمعنى وهو فيما أتفرس فيه وأعتقد من غنائه يصدقنى ، ويكون « بشملة » تبيينا لاصلة ، كما يكون « بك » بعد « مرحبا » تبيينا . والأزل : مصدر وصف به ، وهو الضيق : أى محبسا ضيقا

فَيَاشَمْلُ شَمِّرْ وَاطْلُبِ الْقَوْمَ بِالَّذِى
أُصِبْتَ وَلاَ تَقْبَلْ قِصَاصًا وَلاَ عَقْلاً (١)

٢٤٣ — وقالت كَنْزَةُ أَيْضًا : (٢)

لَهْفِى عَلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا
بِذِى السَّيِّدِ لَمْ يَلْقَوْا عَلِيًّا وَلاَ عَمْرَا (٣)
فَإِنْ يَكُ ظَنِّى صَادِقًا وَهُوَ صَادِقِى بِشَمْلَةَ يَحْبِسْهُمْ بِهَا مَحْبِسًا وَعْرَا (٤)

٢٤٤ — وقال شَبْرُمَةُ بن الطُّفَيْل :

لَعَمْرِى لَرِيمٌ عِنْدَ بَابِ ابْنِ مُحْرِزٍ أَغَنُّ عَلَيْهِ الْيَارَقَانِ مَشُوفُ (٥)

---

(١) قولها « فياشمل » يدل على أن هو ضمير شملة ، والقصاص : أخذ الشيء بالشيء ، وأصله من القصّ القطع : أى لا تأخذ قصاصا بحقك ، بل طالب بالفضل .

(٢) من الطويل الأول

(٣) موضع « لم يلقوا » نصب على الحال والعامل فيه « تجمعوا »

(٤) الْوَعْرُ ـ باسكان العين ـ خلاف السهل ، ولا يقال وَعِر ، قال الأصمعى : ولا تلتفت إلى قول طرفة « فى وَعْثٍ وعِرْ (١) » وكان الأصمعى مُولَعاً بأجود اللغات ، والهاء فى « بها » راجعة إلى المعركة

(٥) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر

الريم : الظبى الخالص البياض ، وأَغَنُّ : فى صوته غنة ، والغنة : صوت يخرج

---

(١) هذه قطعة من بيت لطرفة بن العبد البكرى ، وهو مع بيت سابق

وَلِىَ الْأَصْلُ الَّذِى فِى مِثْلِهِ يُصْلِحُ الْآبِرُ زَرْعَ الْمُؤْتَبِرْ
طَيِّبُو الْبَاءَةِ سَهْلٌ وَلَهُمْ سُبُلٌ إِنْ شِئْتَ فِى وَعْثٍ وَعِرْ

أَحَبُّ إِلَيْـكُمْ مِنْ بُيُوتٍ عِمَادُهَا سُيُوفٌ وَأَرْمَاحٌ لَهُنَّ حَفِيفُ (١)
أَقُولُ لِفِتْيَانٍ ضِرَارٌ أَبُوهُمُ وَنَحْنُ بِصَحْرَاءِ الطِّعَانِ وُقُوفُ (٢)
أَقِيمُوا صُدُورَ الْخَيْلِ إِنَّ نُفُوسَكُمْ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَالَهُنَّ خُلُوفُ (٣)

من الأنف ، وهو صفـة للريم ، لا المرأة ، شبه المرأة به ، ثم نعته ، والْمَشُوفُ : الْمَجْلُوُّ ، وهو من صفات الريم أيضا ، وكان الأجود أن يكون من صفات البارق ، وهو فارسى معرب ، أصله باره ، وهو السوار

(١) يعرض هذا الشاعر برجل سكن إلى الخفض والدَّعَةِ وتوانى عن تماء الحرب ، وفى مثل هذا المعنى :

وَاللهِ لَلنَّوْمُ عَلَى الدِّيبَاجِ عَلَى الْحَشَايَا وَسَرِيرِ الْعَاجِ
مَعَ الْفَتَاةِ الطَّفْلَةِ الْمِغْنَاجِ أَهْوَنُ يَا عَمْرُو مِنَ الْإِدْلَاجِ

* وَزَفَرَاتِ الْبَازِلِ الْعَجْعَاجِ *

وقوله « عمادها سيوف » يعنى ماتستظل به الصعاليك فى المفاوز إذا حميت عليهم الشمس يركزون الرماح والسيوف و يطرحون عليها ثيابهم يستظلون بها ، والحفيف : الدوىّ إذا ضربتها الريح كان لها دوى ، يقول : ليس الغزو من شأنكم ولـكنكم أصحاب نساء

(٢) قوله « ونحن » الواو واو الحال ، أراد أن يقول أقول لبنى ضرار الفتيان ، فقال : أقول لفتيان ضرار أبو هم ، فخرج اللفظ متكلفاً ، قال أبو هلال : ولو كان هذا جيداً لم يكن بين اللـكنة والفصاحة فرق

(٣) « أقيموا صدور الخيل » فى موضع المفعول لأقول فى البيت الذى قبله ، ويقال : أقمته فقام ، بمعنى قومته فتقوم ، فيتعدى ، وأقمت بالمـكان إذا ثبتّ فيه إقامة ، وأقمت من المـكان إذا ارتحلت عنه ، قال امرؤ القيس :

٢٤٥ — وقال قبيصة بن جابر :

بُنَيَّ هَيْضَمٍ هَوجَدَّتْمَانِى   بَطِيئاً بالْمُحَاوَلَةِ احْتِيَالِى (١)
وَعَاجَمْتُ الْأُمُورَ وَعَاجَمَتْنِى   كأنِّى كُنْتُ فِى الْأُمَمِ الْخَوَالِى (٢)
فَلَسْنَا مِنْ بَنِى جَدَّاءَ بِكْرٍ   وَلَكِنَّا بَنُو جَدٍّ النِّقَالِ (٣)

---

* وَفِيمَنْ أَقَامَ مِنَ الْحَىِّ هِرٌّ *

فأما قوله :

أَقُولُ لِأُمِّ زِنْبَاعٍ : أَقِيمِى   صُدُورَ الْعِيسِ نَحْوَ بَنِى تَمِيمٍ

فمعناه اقصدى وتوجَّهى بعيسك نحوهم ، و «مالهن خلوف» أى : ليس للنفوس تخلف عن الميقات ، والميقات : يستعمل فى الزمان والمكان لأن الوقت الحد ، ألا ترى أنهم يقولون : ميقات أهل المشرق كذا ، يريدون الموضع الذى يقبل له الحج إذا ابتدئ بالمسير إليه منه ، يقول : امضوا على همكم وأبرزوا لقتال عدوكم فان لكم أجلاً لا تجاوزونه ولا يجاوزكم

(١) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

ويروى « بِثِنْيَ هِضْيَمٍ جَدٌّ نَمَانِى » أى : سمابى جدٌّ عالٍ بثنى هذا المكان ، والثِّنْىُ : ماانثنى منه : أى انعطف ، و بطيئا انتصب على الحال ، والعامل فيه « نمانى » و « احتيالى » فى موضع الرفع على أنه فاعل بطيئا ، وقد أضاف المصدر إلى المفعول ؛ لأن المعنى يبطؤ احتيال الناس على إذا حاولوه : أى يتعذر وقوع ذلك منهم لفرط حزامتى ، ومثل هذه الإضافة قوله تعالى (ولَمَنِ انتصر بعد ظلمه) لأن المعنى بعد ظلم الظالم له ، وهِضْيَم : فِعْيَل من الْهَضْم مثل حِذْيَم وهو اسم لمكان ، وفرس أَهْضَم : ضيق الجوف

(٢) أصل الْعَجْمِ العض للتجربة ، يقول : كأنى أحد المعمرين لكثرة تجاربى

(٣) الْجَدَّاء : المقطوعة الثدى ، والبكر : الناقة على حالتها الأولى ، وَرَحِمٌ

تَفَرَّى بِيضُهَا عَنَّا فَكُنَّا ... بَنِى الأَجْلَادِ مِنْهَا وَالرِّمَالِ (١)

لَنَا الحِصْنَانِ مِنْ أَجَإٍ وَسَلْمَى ... وَشَرْقِيَّاهُمَا غَيْرَ انْتِحَالِ (٢)

وَتَيْمَاءُ الَّتِى مِنْ عَهْدِ عَادٍ ... حَمَيْنَاهَا بِأَطْرَافِ الْعَوَالِى (٣)

جَدَّاء إذا كانت غير موصولة ، والشاعر جعل الْجَدَّاء البكر كناية عن الحرب الضعيفة ، يقول : لسنا أبناء الحرب اليسيرة الأذى والشر التى لم يتكثر فيها موقدوها ، ولكنا بنو الْمُلاَقاة التى يتكرر القتال فيها حالا بعد حال ، ويجوز أن يكون المعنى لسنا أصحاب حرب بكر ولكنا بنو حرب عوانٍ ، كأنه جعل النِّقَال فى الولاد ، وقال أبو هلال : أصل الجدّاء فى قلة اللبن ، وهى هنا فى قلة الغناء وقلة العدد : أى كثر عددنا فلسنا من نسل امرأةٍ نَزُورٍ ، والنِّقال : الجدال ، ورجل نَقِلٌ : جَدِلٌ ، وَالنَّقَلُ : المجادلة ، والنَّقَل أيضا : مايبقى من الحجارة والجص من هدم البيت

(١) تفرّى : تشقق ، والضمير فى «بيضها» للأرض ، وساغ ذلك وإن لم يجر لها ذكر لما لم يلتبس لدلالة الكلام عليه ، والمعنى تشقق بيض الأرض عنا فنحن بنو حُزُونها وسُهُولها ، وإنما يعنى كثرة عددهم واتساع ديارهم . والأجلاد : جمع جَلْد ، وهو الصلب من الأرض ، وذكر البيض مثلا . وقال أبو هلال : أراد بيض الأم وهو مثل : أى كثر عددنا فملأنا الأرض كلها .

(٢) انتصب « غير » على أنه مصدر أكد به ما قاله ، كأنه قال : وشرقياهما دعوى صحيحة .

(٣) أى : ولنا تَيْمَاء ، وجعل « من » بدل « مذ » لأن مذ فى الأزمنة بمنزلة من فى الأمكنة ، وهو فى موضع الظرف ، والعامل فيه «حميناها» .

٢٤٦ — وَقال سَالِم بن وَابِصَة :

عَلَيْكَ بِالْقَصْدِ فِيما أَنْتَ فَاعِلُهُ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِى دُونَهُ الْخُلُقُ (١)
وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ قُمْتُ بِهِ
أَحْمِى الذِّمَارَ وَتَرْمِينِى بِهِ الْحَدَقُ (٢)
فَمَا زَلِقْتُ وَلاَ أَبْدَيْتُ فَاحِشَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهَا زَلِقُوا (٣)

---

(١) الأول من البسيط ، والقافية متراكب

« عليك » مما أغرى به فصار بذلك من أسماء الأفعال ، ويقال : عليك بكذا : أى عليك [١] كذا : أى الزمه وخذ نفسك به ، ومعناه عليك باستقامة الطريقة وترك ما ليس من شيمتك فإنك إن تكلفت ما ليس من شيمتك صعب إلى خلقك الأول .

(٢) أى تعجبا من ثباتى ، جعل الفعل على التوسع للحدق ، وإنما هو للناظرين بها ، وموضع « أحمى الذمار » نصب على الحال .

(٣) أى : إذا زلق الرجال فى أمثاله من المقامات ثبتّ أنا ، وجواب إذا فيما تقدم ، وقال آخر :

إِنْ أَكُ قَصْداً فِى الرِّجَالِ فَإِنَّنِى إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِى لَجَسِيمُ

ومثله :

إِذَا كُنْتُ فِى الْقَوْمِ الطِّوَالِ وَصَلْتُهُمْ بِعَارِفَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ

---

(١) كذا فى عامة الأصول ، ويترجح عندنا أن الأصل « ويقال : عليك بكذا أو عليك كذا : أى الزمه ـ الخ »

٢٤٧ — وقال عامر بن الطُّفَيْل :

قَضَى اللهُ فى بَعْضِ الْمَكارِهِ لِلْفَتَى بِرُشْدٍ وَفى بَعْضِ الْهَوَى مَا يُحاذِرُ

أَلَمْ تَعْلَمِى أَنِّى إذَا الْإِلْفُ قادَنِى

إلَى الْجَوْرِ لاأَنْقادُ وَالْإِلْفُ جائِرُ (١)

٢٤٨ — وغزا مُجَمِّع بن هِلَال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحْرث بن هلال ابن تيم الله بن ثعلبة بن سعد بن زيد مناة [فقال فى ذلك] (٢)

إنْ أكُ ما شَيْخاً كَبِيرًا فَطالَمَا

عَمِرْتُ وَلَكِنْ لاَ أَرَى الْعُمْرَ يَنْفَعُ (٣)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

كان يجب أن يقول « لا أنقاد وهو جائر » ، فوضع الظاهر موضع المضمر ، والإِلْفُ : الذى تألفه .

(٢) قال أبو هلال : وغير أبى تمام يقول : ابن ثعلبة بن عُكَابة بن بكر ابن وائل ، وكان قد عاش مائة وتسع سنين ، فلم يغنم ، ورجع من غزاته تلك ، فمر بماء لبنى تميم عليه ناس من بنى مجاشع ، فقتل منهم وأسر وسبى ، فقال فى ذلك « إن أك ما شيخا ـ الأبيات »

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

« ما شيخا » ما زائدة للتوكيد ، « فطالما عمرت » يجوز أن يكون ما مع الفعل فى تقدير المصدر ، ويكون حينئذ حرفا عند سيبويه ، والتقدير فقد طال عمرى ، وعلى هذا يكتب طال منفصلا من ما ، ويجوز أن تكون « ما » كافة للفعل عن العمل ومخرجة له من بابه ؛ ولذلك جاز وقوع الفعل بعده ، وإن كان

مَضَتْ مِائَةٌ مِنْ مَوْلِدِى فَنَضَوْتُهَا
وَخَمْسٌ تِبَاعٌ بَعْدَ ذَاكَ وَأَرْبَعُ (١)
وَخَيْلٍ كَأَسْرَابِ القَطَا قَدْ وَزَعْتُهَا لَهَا سَبَلٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلْمَعُ (٢)

الفعل لا يدخل على الفعل ، وعلى ذلك يكتب طالما متصلا لأن « ما »منه ومن تمامه ، وقوله « لا أرى العمر » أى : اتصال العمر وطوله ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، يقول : طول العمر لا يجدى إذا كان قصاراه الموت

(١) ويروى «فنضيتها» من قولهم : نَضَا ثيابه ، إذا نزعها ، ويقال : نضا ثوبه يَنْضُو ويَنْضِى ، لغتان ، وقوله « بعد ذاك » إن قيل : لم لم يقل بعد تلك والإشارة به إلى قوله « مائة » ؟ قلت : لم يراع تأنيث المذكر وتذكيره ، بل أراد بعد ما ذكرت ، على ذلك قول ذى الرمة :

وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا وسَالِفَةً وَأَحْسَنُهُ قَذَالاَ (١)

ولم يقل «وأحسنهما » وقوله «خمس تباع » يقال : تَبِعَ تِبَاعًا ، فهو مصدر وصف به ، ويقال أيضا : رميت بسهمين تِبَاعًا

(٢) السَّبَل : المطر ، وروى بعضهم « لهاأَسَلٌ » وهى الرماح ، وأراد بالسبل هنا تتابع الخيل فى الغارة ، شبهها بتتابع المطر ، و « وزعتها » كَفَفْتُهَا لتجتمع ثم تندفع فى الغارة ، ويجوز أن يكون معناه كففتها عن التعجل ، ويجوز أن يكون قسمتها للتعبية لأنه يقال : وزَعْتُ الشىء ووَزَّعْتُه جميعا ، وعنده أَوْزَاع من الناس : أى فِرَق ، و « قد وزعتها » من صفة الخيل ؛ لأن جواب رُبَّ فيما بعده ، و « لها سبل » فى موضع الحال ، وقوله « فيه المنية » من صفة السبل ،

---

(١) ويروى :

* وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيدًا *

شَهِدْتُ ، وَغُنْمٍ قَدْحَوَيْتُ ، وَلَذَّةٍ
أَتَيْتُ ، وَمَاذَا الْعَيْشُ إِلاَّ التَّمَتُّعُ (١)

وَعَاثِرَةٍ يَوْمَ الْهُيَيْمَى رَأَيْتُهَا
وَقَدْ ضَمَّهَا مِنْ دَاخِلِ الْقَلْبِ مَجْزَعُ (٢)

لَهَا غَلَلٌ فِى الصَّدْرِ لَيْسَ بِبَارِحٍ
شَجًى نَشِبٌ وَالْعَيْنُ بِالْمَاءِ تَدْمَعُ (٣)

و « تلمع » فى موضع الحال للمنية ؛ والعامل ما يدل عليه الظرف ، وجواب رب قوله « شهدت » فى البيت الذى بعده

(١) « شهدت » جواب رُبَّ ، ثم أقبل بعد ذكر هذه الأشياء كالملتفت إلى غيره ، فقال : وما العيش إلا التمتع بهذه الأشياء ، وارتفع العيش على أنه عطف البيان لذا ؛ لأنه جعل العيش كالحاضر ، فأشار به إليه ، وإن كان القصد إلى الجنس ، والتمتع : الانتفاع بالشىء زمانا طويلا ، ومنه مَتَعَ النهار ارتفع ، ويقال : تَمَتَّعْتُ واسْتَمْتَعْتُ وامْتَتَعْتُ بمعنى

(٢) يوم الْهُيَيْمَى هو اليوم الذى كانت فيه هذه الوقعة ، وقوله « من داخل (١) الْخِلْبِ » بين به منشأ الجزع ومقره ، والْخِلْب : غشاء القلب ، وقالوا : خَلَبَتْ فلاناً المرأة : أى أصابت خِلْبه

(٣) « لها غلل » يجوز أن يكون فى موضع الجر على أن يكون صفة لعاثرة ، ويجوز أن يكون فى موضع المفعول الثانى لقوله « رأيتها » وأصل الغلل هو الماء يجرى بين الشجر ، واستعاره لماتداخلها من الشجى ، و« ليس ببارح » أى زائل ، وموضع « شَجًى نَشِبٌ » رفع على البدل من غلل ، والنَّشِب : الْعَلِق ، ومنه

---

(١) هذه ليست رواية الأصل كما هو ظاهر

تَقُولُ وَقَدْ أَفْرَدْتُهَا مِنْ حَلِيلِهَا : تَعِسْتَ كَمَا أَتْعَسْتَنِى يا مُجَمِّعُ [1]

فَقُلْتُ لَهَا بَلْ تَعْسَ أُمِّ مُجَاشِعٍ

وَقَوْمِكِ حَتَّى خَدُّكِ الْيَوْمَ أَضْرَعُ [2]

قولهم : نَشِبَ فلانٌ مَنْشَبَ سَوْءٍ : أى وقع فيما لا يتخلص منه ، وقوله « والعين بالماء تدمع » فى موضع الحال ، ولا بد من الواو فيه لتتعلق بذى الحال ، والعامل فيه قوله « شجى نشب » ولو كان فى الجملة ضمير لـكنت فى دخول الواو وسقوطها بالخيار ؛ إذ كان الضمير يعلق من الحال مايعلقه الواو ، ورواية أبى هلال « لها غُلَل » أى حُرَق فى القلب من عطش أو حزن أو عشق ، و« ليس ببارح » أى : بارحة فذكر لأن المؤنث غير حقيقى ، وروى بفتح الغين أيضا

(١) « تقول وقد أفردتها » جواب رُبّ ، والمراد رب عاثرة هذه صفتها قالت لى بعد أن سبيتها : سَقَطْتَ لوجهك يامجمع ، وسمى الزوج حليلا والمرأة حليلة لأن كل واحد منهما يحل مع صاحبه

(٢) أَضْرَعُ : بمعنى ضارع ، وَالضَّرَاعَة : الانسفال فى خضوع ، وأجرى [1] تَعْساً فى الإضافة مُجْرَى وَيْل ، وذلك أن المصادر التى قد اشتق الأفعال منها إذا دعى بها تستعمل باللام لاغير ، وتقول : تَبٌّ لِزَيْدٍ وخُسْرٌ لِعَمْرٍو ، ومالم يشتق الفعل منه ، وهو وَيْل وَوَيْح وَوَيْس ، إذا كان معها اللام رفعت وصارت باللام جملا ، و إذا أفردت عن اللام أضيفت ونصبت ، تقول : وَيْلٌ لِزَيْدٍ وَوَيْح لعمرو ، فترفع ، وَوَيْلَ عَمْرٍو وَوَيْحَ زَيْدٍ ، فتنصب ، وهـذا

---

(١) كذا فى نسخة ب ، وهو الصواب ، وورد فى نسخة بن ذكر هذا الكلام فى شرح البيت السابق .

عَبَأْتُ لَهُ رُمْحًا طَوِيلاً وَأَلَّةً   كَأَنْ قَبَسٌ يُعْلَى بِهَا حِينَ تُشْرَعُ (١)

وَكَائِنْ تَرَكْتُ مِنْ كَرِيمَةِ مَعْشَرٍ   عَلَيْهَا الْخُمُوشُ ذَاتَ حُزْنٍ تَفَجَّعُ (٢)

٢٤٩ — وقال الأخنس (٣)

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى فِي بِلَادٍ مُقَامَةٍ   يُسَائِلُ أَطْلَالاً بِهَا لَا تُجَاوِبُ (٤)

الشاعر قال « بَلْ تَعْسَ أُخْتِ مُجَاشِعِ » ومجاشع : قبيلة ، وهذا كما يقال : يا أخا بكر

(١) قَبَسٌ : يجوز فيه النصب والرفع والجر ؛ فاذا رفعت فعلى الضمير ، تريد كأنها قبس ، وَالْقَبَس : النار ، ومن نصب أعمل كَأَنْ مخففة إعمالها مثقلة ، يريد كَأَنَّ قَبَساً ، ومن جر جعل « أنْ » زائدة وأعمل الكاف كما زِيدَ فى قوله : والله أن لو جئتنى لأكرمتك ، يريد والله لو جئتنى

(٢) الْخَمْش فى البدن والوجه مثل الخدش ، ومعنى «عليها» رَكبها وعلاها ، كما يقال : على فلان دَيْنٌ : أى ركبه

(٣) ابن شهاب بن شَريق بن ثُمَامة بن أرقم بن عَدِىّ بن معاوية بن تغلب ، وهو من الْخَنَس ، وهو تأخر أرنبة الأنف

(٤) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

ويروى « فمن يك أمسى فى بلادٍ مُقَامُهُ » مقامه : اسم أمسى ، وخبره « فى بلاد » أى : بلاد مستصلحة للإقامة ، و « يسائل » فى الروايتين فى موضع الحال ، وكما يقال : هو [فى] بلد مقامة ، يقال فى ضده : هو [فى] بلد قُلْعَة ، والبلد : القطعة من الأرض الواسعة اختط منها أو لم يختط ، يشهد لهذا قول الآخر :

* قَدْ تَرَكَ الْبَرْنِيُّ فَاهُ بَلَدَا *

فَلاِبْنَةِ حِطَّانَ بْنِ قَيْسٍ مَنَازِلٌ ... كَمَا نَمَّقَ الْعُنْوَانَ فِي الرَّقِّ كَاتِبُ (١)

تَمَشِّي بِهَا حُولُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا ... إِمَاءٌ تُزَجَّى بِالْعَشِيِّ حَوَاطِبُ (٢)

وَقَفْتُ بِهَا أَبْكِي وَأُشْعِرُ سُخْنَةً ... كَمَا اعْتَادَ مَحْمُومًا بِخَيْبَرَ صَالِبُ (٣)

أى : لا أسنان فيه

(١) « فلابنة حطان » جواب الجزاء ، يقول : من كان الوقوف على ديار الأحبة من همه فأمسى مقامه فى بلاد مسائلا أطلالا فيها لاتجاوبه فلى فى الوقوف على ديار ابنة حطان مايزيد على كل مذهب ويعفى على كل عادة ، و « كما نمق العنوان » من صفة المنازل ، ويروى « العنيان » « والعلوان » فأما العلوان فهو فُعْوَال من عَلَنَ الأمر : أى ظهر ، وعنوان : فعْوَال أيضا من عَنَّ له كذا : أى عرض ، وأما عُنْيَان ففُعْلاَن من عَنَاه كذا يَعْنيه ، وكأنه يريد كَعُنْوَانٍ نَمَّقَه كاتب

(٢) الْحُول : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل ، وأزجيت المطية وَزَجَّيْتُهَا : سُقتها : أى صارت هذه المنازل خالية من الأهل ليس فيها من يُرَوِّع النعام فهى تمشى على تؤدة كمشى الإماء الحواطب الْمُعْيِيَات ، وتُزَجَّى : تساق ، وليس لهن سائق غيرهن ، كأنهن يسقن أنفسهن ، وهو عبارة عن شدة تعبهن ، كما تقول : جاء فلان يجر نفسه ، إذا جاء تَعِباً

(٣) يروى سُخْنَة وسِخْنة ـ بكسر السين وضمها ـ فالكسر نحو الجِلْسة تعنى الحالة ، ومعنى أشعر : أى يُجْعَلُ شِعَارِى ، والشعار : مايلى الجسد من الثياب ، وتوسع فيه فقيل : أشعرقلبى هَمًّا ، والصالب : الحمى التى معها صُدَاع ، وَخَيْبَرُ مَحَمَّةٌ وَحُمَّاهَا موصوفة بالشدة ، يقول : وقفت بهذه المنازل فحممت وأرعدت لما أصابنى من الغم والتذكر فيها .

خَلِيلَيَّ عُوجا مِنْ نَجَاءِ شِمِلَّةٍ
عَلَيْهَا فَتًى كَالسَّيْفِ أَرْوَعُ شاحِبُ (١)

خَلِيلَاىَ هَوْجَاءُ النَّجَاءِ شِمِلَّةٌ
وَذُو شُطَبٍ لاَ يَجْتَوِيهِ الْمُصَاحِبُ (٢)

وَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَالْغُوَاةُ صَحَابَتِى
أُولٰئِكَ خُلْصَانِى الّذِينَ أُصَاحِبُ (٣)

---

(١) النَّجَاء : السرعة ، والشِّمِلَّة : السريعة ، والأروع : الجميل ، والشاحب : المهزول ، وقيل : المتغير اللون ، والاسم الشُّحُوب .

(٢) « لا يجتويه » لا يكرهه ، موضع قوله « خليلاى » نصب على الحال من قوله « وقفت بها » واستغنى بالضمير فيه عن إدخال الواو العاطفة لأنه يعلق من الحال بالأول ماتعلقه الواو ، وَهَوْجَاء النجاء : ناقة فى نجائها وسرعة مَرّهاهَوَجٌ واضطراب ، والشملة : الخفيفة ، وقل ما يقولون للذكر « شِمِلّ » إلا أن منظوراً الأسدى قال :

* وَتَحْتَ رَحْلِي بَازِلٌ شِمِلٌّ *

وهـذا الـكلام إشارة إلى أن أصحابه خذلوه ولم يروا مساعدته فى الوقوف على الديار .

(٣) الصحابة : مصدر فى الأصل وصف به ، والخُلْصَان أيضاً : مصدر كالـكُفْرَان والشُّـكْرَان فى الأصل ، ولذلك صلح أن يقع الواحد والجميع ، يقال : فلان خالصتى وَخُلْصَانى ، إذا خلصت مودته لك ، وقوله « الذين أصاحب » أى : أصاحبهم ، وقد حذف الضمير استطالة للاسم بصلته

قَرِينَةَ مَنْ أَسْفَى وَقُلِّدَ حَبْلَهُ
وَحَاذَرَ جَرَّاهُ الصَّدِيقُ الْاَقَارِبُ [١]

فَأَدَّيْتُ عَنِّي مَا اسْتَعَرْتُ مِنَ الصِّبَا
وَلِلْمَالِ عِنْدِي الْيَوْمَ رَاعٍ وَكَاسِبُ [٢]

تَرَى رَائِدَاتِ الْخَيْلِ حَوْلَ بُيُوتِنَا
كَمِعْزَى الْحِجَازِ أَعْوَزَتْهَا الزَّرَائِبُ [٣]

---

(١) أى : عشت قرينة من أسفى ، والقرينة ألحقت الهاء بها لأنه جعل اسماً كالذبيحة ، وأسْفَى : دخل فى السفاء ، والسفاء ممدود : السفه ، والرجل سَفِيٌّ ؛ ومعنى « قلّد حَبْلَه » خلى سبيله ، وأصله فى البعير إذا أرسل فى المرعى جعل زمامه على عنقه ليتصرف كيف شاء ، ثم نقل إلى من وعظ كثيرا حتى أُهمل أمره تبرّماً به « وحاذر جراه الصديق الأقارب » أى : تبرؤا منه خوفا من جرائره التى يَجْنيها عليهم ، والصديق هنا جمع

(٢) حقق بدخول « عن » أن المؤدى وجب عليه ، ألا ترى أنه لو قال : أديت كذا من دون عن لجاز أن يكون لنفسه أدى ماأدى ، وجاز أن يكون لغيره ، لأن معنى «أديت عنى» نحيت عن نفسى ، وقوله « فللمال عندى اليوم راع وكاسب » نبه على أنه جامع له وحافظ ، ولم يشر بقوله « اليوم » إلى وقت معين لأنه أراد حاضر الأزمان ومؤتنفها .

(٣) الرائدات : المختلفات ، والمراد أن الذى يرتبطونه من المال هو الخيل لا الإبل والغنم ، وأنها تختلف فيما بين بيوتهم لكثرتها وهم أصحاب غارات ، وقوله « كمعزى الحجاز أعوزتها » الأجود أن يضمر قد معها : أى قد

لِكلّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَؤُونَ وَجَانِبُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا حِجَازَ بِأَرْضِنا
مَعَ الْغَيْثِ مَا نُلْفَى وَمَنْ هُوَ غَالِبُ (١)
فَيُغْبَقْنَ أَحْلاَبًا وَيُصْبَحْنَ مِثْلَهَا فَهُنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قُبٌّ شَوَازِبُ (٢)

أعوزتها الزرائب ، ليقرب بناء الماضى من الحال ، والتقدير تراها مشابهة لمعزى الحجاز وقد عدمت محابسها فهى ترود ، ومثله لِسَلَمة بن خَرْشب :

يَسُدُّونَ أَبْوَابَ الْقِبَابِ بِضُمَّرٍ إلى عُنَنٍ مُسْتَوْثِقَاتِ الأَوَاصِرِ

والزرب والزريبة واحد ، ويقال : أعوزهُ الدهر : أفقره ، وأعوز الرجل ، إذا ساءت حاله

(١) العمارة : دون القبيلة ، وهو بدل من أناس ، وأصل الْعَرُوض الطريق ، يقال : أخذ فى أعاريضَ مختلفة : أى طرق مختلفة ، والمراد ههنا الظهر الذى يستندون إليه ويعولون فى الخطوب عليه ، ولجئت إلى كذا : فزعت إليه

(٢) الْغبُوق والصَّبُوح : ما يشرب بالعشى والغداة ، كالفطور والسحور ، وهو يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد أنها تسقى اللبن غدواً وعشيا ، كما قال :

* نُطْعِمُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرْ (١) *

يريد باللحم اللبن ، وكما قال :

---

(١) ورد هذا البيت فى اللسان (ل ح م) وذكر بعده :

* والْخَيْلُ فِى إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَرْ *

قال : أراد نطعمها اللبن فسمى اللبن لحما لأنها تسمن على اللبن ، وقال ابن الأعرابى : كانوا إذا أجدبوا وقل اللبن يبسوا اللحم وحملوه فى أسفارهم وأطعموه الخيل . اهـ

فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ حُمَاةٌ كُمَاةٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَشَائِبُ (١)

* يُعْطَى دَوَاءَ قَفِيِّ السَّكْنِ مَرْبُوب (١) *

ويكون الأحلاب جمع حَلَب، مصدر حلبت ، والمراد المحلوب، فجمعه لاختلافها ، ويكون قوله « فهن من التعداء » كلاما مستأنفاً ، والمعنى أنها تصنع وتضمر ، والوجه الآخر أن يريد أنها تعدى غدواً وعشيا ، ويكون أحلاب بمعنى أشواط، يقال : أحلب فرسك قرنا أو قرنين ، ويشهد لهذا قوله « فهن من التعداء قب شوازب » وتحقيق الكلام أنه جعل صَبوحهن وغَبوقهن الإعداء فى أول النهار وآخره لتضمر ، كما قال أبو تمام :

* تَعْلِيقُهَا الإِسْرَاجُ وَالإِلْجَامُ (٢) *

وكما قال غيره :

* فإن الْمُنَدَّى رِحْلَةٌ فَرُكُوبُ (٣) *

التندية : أن تترك فى الورد بعد السقى شيئا ليعرض عليها الماء ثانية

(١) فوارسها : مبتدأ ، ومن تغلب ابنة وائل : خبره ، وحماة : خبر ثان ،

---

(١) هذا عجز بيت لسلامة بن جندل ، وصدره قوله :

* لَيْسَ بِأَسْفَى وَلاَ أَقْنَى وَلاَ سَغِلٍ *

والأسفى : الذى فيه شعرة تخالف لونه ، والقنا : حدة فى الأنف ، وهو مذموم ، والسغل : المهزول ، والقفى : الذى يسقى اللبن ويؤثر به ، والسكن : أهل الدار

(٢) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها المأمون ، وصدره قوله :

* بِسَوَاهِمٍ لُحُقِ الأَيَاطِلِ شُزَّبٍ *

(٣) هذا عجز بيت لعلقمة بن عبدة ، وصدره قوله :

* تُرَادُ عَلَى دِمْنِ الحِيَاضِ فَإِنْ تَعَفْ *

هُمُ يَضْرِبُونَ الْكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ
عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاءِ سَبَائِبُ (١)

ويجوز أن يكون «من تغلب ابنة وائل» فى موضع الحال ، وحماة الخبر ، والتقدير فوارسها وهم من بنى تغلب حماة ، وأشائب : أخلاط ، واحدها أُشَابة ، أخبر أنهم لم يتكثروا بغيرهم فليس فيهم خلطاء ، وهذا كما قال سَلَمة بن خَرْشب :

وَأَمْسَوْا حِلاَلاً مَا يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ عَلَى كُلِّ مَاءٍ بَيْنَ فَيْدَ وَسَاجِرِ (١)

فأما قول الآخر فى الهجو :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنِي جُوَيْنٍ جُلُوساً لَيْسَ بَيْنَهُمُ جَلِيسُ
إِذَا مَا قُلْتُ إِنَّهُمُ لِأَيٍّ تَشَابَهَتِ الْمَنَاكِبُ وَالرُّؤُوسُ

فانه يصف أهل بيت بأنهم لا يرى فيهم نديم ولا معاشر : أى اكتفى كل منهم بصاحبه

(١) «يبرق بيضه» فى موضع الحال من الكبش ، والعامل فيه «يضربون» و «على وجهه من الدماء سبائب» فى موضع الحال أيضا من قوله «يبرق» والسبائب : الطرق ، الواحدة سبيبة ، والمراد به هنا طرائق الدم

وتراد : يجاء بها ، والدمن : المتغير ، والمندى : أن تأتى بالابل الماء لتشرب فيقل شربها فترد إلى المرعى ساعة ثم تعاد إلى الماء

(١) هكذا فى أصول الكتاب ، ووقع فى معجم ياقوت :

* وَأَمْسَوْا خَلاَءً مايفرق بينهم *

ونعتقد أن مافى الأصول صحيح ، وأن مافى المعجم مصحف عنه

وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا ... خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ

فَلِلّٰهِ قَوْمٌ مِثْلَ قَوْمِى عِصَابَةً

إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْمُلُوكِ الْعَصَائِبُ (١)

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ ... وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهْوَ سَارِبُ (٢)

٢٥٠ — وقال الْعُدَيْل بن الْفَرْخ العِجْلى (٣) :

---

(١) فلله قوم : تعجب ، وانتصب «عصابة» على أنه تمييز ، ويجوز أن يكون حالا أيضا ، ويروى « إذا حفلت » أى : اجتمعت ، وإذا ظرف لما دل عليه قوله « لله قوم مثل قومى » أى : ناهيك بهم من قوم فى ذلك الوقت ، والمعنى أنه يظهر من عزهم ونخرهم فى مجالس الملوك مايستحق به التعجب منهم

(٢) السارب : الذاهب فى الأرض ، يعنى فحل الإبل ، وخص الفحل لأن سائر الإبل تابعة للفحل : أى كل أناس ترتع إبلهم حَوْلهم لا تبعد عنهم خَوْفَ الغارة ، ونحن لعزنا نخلى سِرْبَ إبلنا ترعى كيف شاءت ، ويجوز أن يعنى بالفحل الرئيس ، والمعنى أن كل قوم لا يبعدون من الرئيس خوفاً من الأعداء ، ونحن إذا فارقناه لا نخاف الأعداء لأنه لا يجسر علينا لعزتنا ، وقال أبو العلاء : شبه السيد بقرم الإبل : أى أنا نطيع سيدنا ونحارب من حارب فكأنه فحل مخلوع القيد

(٣) الْفَرْخ : أصله فى ولد الطائر ، ثم استعير للإنسان ، وقالوا : فرخ الشجرة للغصن منها ، وقال قوم : فرخها ما فى وسطها من الأغصان ، وكان هجا الحجاج وهرب إلى قيصر ، فظفر به الحجاج ، فمدحه بقوله :

بَنَى قُبَّةَ الإِسْلاَمِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... هَدَى النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلاَلِ رَسُولُ

فخلى سبيله ، ولقب العديل الْعَيَّاب

أَلاَ يَا اُسْلَمِي ذَاتَ الدَّمَالِيجِ وَالْعِقْدِ
وَذَاتَ الثَّنَايَا الْغُرِّ وَالْفَاحِمِ الْجَعْدِ (١)

---

(١) الأول من الطويل ، والقافية متواتر

قال أبو رياش : ليست هذه الأبيات للعديل ، وهى قصيدة طويلة لأبى الأخيل العجلى ، قالها فى آخر أيام بنى أمية ، ووفد على عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِى ، فقيل له : إن أبا الأخيل العجلى بالباب يستأذن ، فقال : إذن والله لا يأذن له غيرى ، فقام من مجلسه حتى أتاه على الباب ، فأخذ بيده وأقعده معه على بساطه ، ثم قال : أنشدنى مُنْصِفَتَكَ ، فأنشده إياها ، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفا

قوله « ألا يا سلمى » يراد به يا هذه أسلمى ، فحذف المنادى ، ومعنى اسلمى دومى سالمة ، وانتصب « ذات الدماليج » على أنه نداء ثان ، ويجوز أن يكون انتصابه على إضمار فعل ، كأنه قال : اذكر ذات الدماليج ، وهذا يجرى مجرى الكناية لما كره التنبيه على اسمها ، والدماليج : جمع دُمْلُوج ، وهو المعضد ، وقال الخليل : يقال : دَمْلَجْتُ الشيء ، إذا سويت صيغته كما يصاغ الدملج ، وكان وجه الكلام أن يقول : والثنايا الغر ، لكنه أعاد لفظ ذات ليكون الخطاب به أفخم ، ويجرى هذا المجرى قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون . . . والذين هم . . . والذين هم) وقول الشاعر (١) :

أَمَا وَالَّذِى أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالَّذِى أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالَّذِى أَمْرُهُ الْأَمْرُ

والعقد : الْقِلاَدة ، يقال : عقدت عَقْداً ، ثم يسمى المعقود عِقْداً ، والفاحم : الشعر الأسود ، يقال : فَحَمَ فُحُوما

---

(١) هو أبو صخر الهذلى

وَذَاتَ اللِّثَاتِ الْحُمِّ وَالْعَارِضِ الَّذِى
بِهِ أَبْرَقَتْ عَمْدًا بِأَبْيَضَ كَالشُّهْدِ (١)
كَأَنَّ ثَنَايَاهَا اغْتَبَقْنَ مُدَامَةً
ثَوَتْ حِجَجًا فِى رَأْسِ ذِى قُنَّةٍ فَرْدِ (٢)
لَعَمْرِى لَقَدْ مَرَّتْ بِىَ الطَّيْرُ آنِفًا
بِمَا لَمْ يَكُنْ إِذْ مَرَّتِ الطَّيْرُ مِنْ بُدِّ (٣)

---

(١) اللِّثَات : مغارز الأسنان ، ومعنى « أبرقت به » أطلعت البرق ، والبرق : وميض السحاب أصله ، ويقال : بَرَقَ السحاب بَرْقاً وبَرِيقا ، وأبرق أيضا كذلك ، وقوله « عمدا » مصدر فى موضع الحال : أى أبرقت عامدة ويريد بالأبيض رُضَاب الفم ، قال أبو العلاء : أصح ماقيل فى العارض أنه الناب والضِّرْس الذى يليه ، ويقال : بل أصل ذلك مَنْبِتُ الأسنان ، فأما قول من يقول العارض الثَّنِيَّة والناب فهو توسع فى العبارة وليس بخطأ

(٢) الاغتباق : شرب العشى ، وإنما خصه بالذكر لأن القصد إلى أنها تطيب عند السحر نكهتها ، فإذا تغيرت الأفواه وخلفت كانت هذه كأنها مُغْتَبِقة خَمْراً عتيقة

(٣) خبر « لعمرى » محذوف ، كأنه قال : لعمرى قسمى ، و « لقد » جواب القسم مع مابعده ، والقسم كما يقع بالمفرد يقع بالجملة ، وأنث الطير لأنه أراد الجماعة ، وآنفاً : انتصب على الظرف ، والمعنى فيما ائتنف من الوقت ، ويقال : كان كذا وكذا آنفاً : أى فى أول هذا الوقت الذى نحن فيه ، ومنه الآية (ماذا قال آنفاً) وهو مأخوذ من أنف الشىء : أى أوله ، و « من بد » موضعه اسم لم يكن ، وخبره محذوف ؛ لأن التقدير بما لم يكن بد من وقوعه إذ مرت الطير ،

ظَلِلتُ أُسَاقِي المَوْتَ إخوَتِي الأُلَى أَبُوهُمْ أَبِي عِنْدَ الْمُزَاحَةِ وَالجِدِّ (١)

كِلاَنَا يُنَادِي يَا نِزَارُ وَبَيْنَنَا قَنًامِنْ قَنَا الْخَطِّيِّ أَوْمِنْ قَنَا الْهِنْدِ (٢)

وكأنه أرادمن بدمنه ، كقولك : لابد من كذا ، والبد : السعة ، من قولهم « أبدّ » وهو الواسع مابين القوائم

(١) يقال : ظل يفعل كذا ، إذا فعله نهارا ، ثم يتوسعون فيه ، ويجرى مجرى صار يفعل كذا ، يدل على ذلك قوله تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) ألا ترى البشارة بالأنثى تتفق فى كل وقت من ليل ونهار ، وقوله « أساقى الهم [1] » يجوز أن يكون المراد به الغم ، كأنه كان يباثّ إخوته لما كان يدور عليه من خلاف عشيرته ، والألى : فى معنى الذين ، والجملة التى بعده من صلته ، وقولهم « أبوهم أبى عند المزاح وفى الجد [1] » يجرى يجرى التأكيد للاخوة ووضع المزاح موضع الهزل ، ومثل هذا فى معنى التأكيد وإن كان لفظه البدل قولهم : جاءنى بنو تميم صغيرهم وكبيرهم ، ويجوز أن يريد بالهم مصدر « هَمَمْت بالشيء » ، كأنه اجتمع مع إخوته ليوافقهم على رأى ، والمزاح بضم الميم الاسم والمِزاح : المصدر

(٢) الواو فى « وبيننا » واو الحال ، والمراد وبيننا اختلاف قنا خطية بالطعن ، وقوله « من قنا الخطى » أراد من قنا المكان أو الموضع الخطى ، فأقام الصفة مقام الموصوف ، يدل على هذا أنه قال بعده : « أو من قنا الهند » وهما شيء واحد ، وذلك أن القنا لاينبت إلا بالهند ، ومنها كان يجلب إلى الخط

---

(١) هذا رواية أخرى غير المذكورة فى صلب الكتاب

قُرُومٌ تَسَامى مِنْ نِزَارٍ عَلَيْهِمِ
مُضَاعَفَةٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ وَالسُّغْدِ (١)

إِذَا مَا حَمَلْنَا حَمْلَةً مَثَلوا لَنَـــا
بِمُرْهَفَةٍ تُذْرِى السَّوَاعِدَ مِنْ صُعْدِ (٢)

وَإِنْ نَحْنُ نَازَلْنَـــاهُمُ بِصَوَارِمٍ
رَدَوْا فِى سَرَابِيلِ الحَدِيدِ كَمَا نَرْدِى (٣)

---

(١) القُرُوم فى الأصل : الفحول المصاعيب التى أعفيت من الحمل عليها وتركت للفِحْلَة ، ويقال : أقرمت البعير فاسْتَقْرم ، وقوله « من نزار » فى موضع الصفة لقروم ، و «عليهم » فى موضع الحال ، والعامل فيه «تسامى» ومعنى المضاعفة التى نسجت حلقين حلقين ، و « من نسج داود » فى موضع الصفة للمضاعفة ، أراد مضاعة داودية وسُغْدِية ، وارتفع مضاعفة بالظرف فى المذهبين جميعاً لوقوع الظرف فى موضع الصفة ، ومثله مررت برجل معه صقر صائداً به غدا

(٢) المُرْهَفَة : السيوف المرققة الحد ، وسيف رَهيف ، وقد رَهُف رَهَافة ، ومعنى تُذْرى تسقط ، وهو فى موضع الصفة لمرهفة ، ومعنى « من صُعْد » أى : من أعلى ، وهذا كما قال غيره :

تُذْرِى بِإِرْعَاشِ يَمِينَ الْمُؤْتَلِى خُضُمَّةُ الذِّرَاعِ هَذَّ الْمُخْتَلِى

(٣) السرابيل : الدروع ، وهى فى الأصل القمصان ، وقوله « وإن نحن نازلناهم » النزول يأتون به ويركبونه فى المضايق وحيث لايتسع لمجال الخيل ، وإذا كان كذلك فالبيت الأول من صفة الفرسان ، والثانى من نعت الرَّجَّالة .

كَفَى حَزَنًا أن لا أَزالَ أرَى الْقَنَا
تَمُجُّ نَجِيعًا مِنْ ذِرَاعِي وَمِنْ عَضُدِي (١)
لَعَمْرِي لَئِنْ رُمْتُ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمُ
بِقَيْسٍ عَلَى قَيْسٍ وَعَوْفٍ عَلَى سَعْدِ (٢)
وَضَيَّعْتُ عَمْرًا وَالرِّبَابَ وَدَارِمًا
وَعَمْرَو بْنَ أُدٍّ كَيْفَ أَصْبِرُ عَنْ أُدِّ (٣)
لَكُنْتُ كَمُهْرِيقِ الَّذِي فِي سِقَائِهِ لِرَقْرَاقِ آلٍ فَوْقَ رَابِيَةٍ صَلْدِ (٤)

---

(١) لك أن ترفع « أزال » على أن تكون أنْ مخففةً من الثقيلة ، والمراد أنى لا أزال ؛ ولك أن تنصبه على أن تكون هى الناصبة للفعل . وموضع « أن لا أزال » على الوجهين جميعاً رفع بكفى ، و« حَزَنًا » انتصب على التمييز ، والمعنى كفى من حزن أنى لا أزال أرى الرماح تصب دما من ذراعى ومن عضدى : أى من قوم بهم أبطش ؛ استعاره لمن يقوى به .

(٢) نبه بهذا الكلام على قرب القرابة بينهم وأنه إن أخذ فى النكاية فيهم احتاج أن يخرج بقيس على قيس وسعد على سعد ، لأن عوفا هو ابن سعد ، واحتاج أن يراغم عمرا والرباب ودارما كما ذكره فى قوله « وضيعت عمرا » .

(٣) قوله « كيف أصبر عن أد » يسمى التفاتاً

(٤) « لكنت كمهريق الذى » جواب القسم ، ومن روى « فكنت » كان الجواب محذوفا قد حمل الكلام على المعنى لظهور المراد منه دون اللفظ ، والأوّل أظهر

كَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ
بَنِي بَطْنِهَا ، هَذَا الضَّلَالُ عَنِ الْقَصْدِ (١)
فَأُوصِيكُمَا يَا ابْنَيْ نِزَارٍ فَتَابِعَا
وَصِيَّةَ مُفْضِي النُّصْحِ وَالصِّدْقِ وَالْوُدِّ (٢)
فَلَا تَعْلَمَنَّ الْحَرْبَ فِي الْهَامِ هَامَتِي
وَلَا تَرْمِيَا بِالنَّبْلِ وَيْحَكُمَا بَعْدِي (٣)

---

(١) يجوز أن تكون المرضعة امرأة فعلت ذلك فضرب المثل بها ، يشهد لذلك قول الآخر :

كَمُرْضِعَةٍ أَوْلَادَ أُخْرَى وَضَيَّعَتْ بَنِيهَا فَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرْقَعَا

ويقال : النعامة تفعل كذا لسوء هدايتها ، فتترك الواحدة منها بيض نفسها وتسوم في المرعى ؛ فاذا أرادت العود إليها لم تهتد فتجثم على بيض غيرها ، قال ابن هَرْمَة :

فَإِنِّي وَتَرْكِي نَدَى الْأَكْرَمِينَ وَقَدْحِي بِكَفَّيَّ زَنْدًا شَحَاحَا
كَتَارِكَةٍ بَيْضَهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَنَاحَا

وقوله « هذا الضلال عن القصد » يجرى مجرى قوله « كيف أصبر عن أد » في أنه من باب الالتفات

(٢) ويروى « مصفى النصح » و « مفضى النصح » أى واصلٌ نصحه إليكم وصائر في فضاء وسعة ، والمعنى انكشافه وخلوصه

(٣) ويروى « فلا تُعْلِمُنَّ الْحَرْبَ » هذا صريح الوصية التي دعا إليها ، جعل النهى لهامته والمخاطبون هم المنهيون ، فهو كقولك : لا أرينك ههنا ، والمراد لا تكن ههنا فأراك ، وتحقيقه لا تتحاربوا بعدى فتعلم هامتى بين الهام

أَمَا تَرْهَبَانِ النَّارَ فِي ابْنَيْ أَبِيكُمَا ... وَلَا تَرْجُوَانِ اللهَ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
فَمَا تُرْبُ أَثْرَى لَوْ جَمَعْتَ تُرَابَهَا ... بِأَكْثَرَ مِنْ إِبْنَيْ نِزَارٍ عَلَى الْعَدِّ (١)
هُمَا كَنَفَا الْأَرْضِ اللَّذَا لَوْ تَزَعْزَعَا
تَزَعْزَعَ مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ إِلَى السُّدِّ (٢)

الحرب بينكم : أى عليكم بالتواصل ، وقوله « لاترميا بالنبل » يقول : دعوا التفاخر والتنافر فإن ذلك من أسباب التقالى والتهاجر ، وهامتى على هذا الوجه هى الفاعلة لتعلمن ، وإذا رفعت الحرب كانت هى الفاعلة ، وإذا رويت « فلا تعلمُنَّ الحربَ » كان الضمير الفاعل

(١) أثرى والثرى يجعلان اسماً للأرض ، ألا ترى أن «أثرى» جعل كالعلم لها ولذلك لم يصرف ، والمعنى بأكثر من ابنى نزار على العد : أى بأكثر منهما معدودين ، فموضع « على العد » موضع الحال ، وقطع همزة ابنى نزار ضرورة كما قال الآخر :

إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرٌّ فَإِنَّهُ ... بِنَثٍّ وَتَكْثِيرِ الْوُشَاةِ قَمِينُ

وأكثر ما يرتكبون هذه الضرورة فى الأعم الأكثر إذا كانت الألف فى اسم ، وذلك أن ألفات الوصل بابها الأفعال دون الأسماء حتى يمكن حصرها إذا لم تكن فى مصدر ، وإذا كانت كذلك فالمعتاد فى ألفات الأسماء القطع ، فعلى ذلك يستحسن قطعها فيها وإن كانت للوصل فى الضرورة

(٢) قوله « اللذا » حذف النون استطالةً للاسم بصلته ، وعلى هذا قوله (١) :

أَبَنِي كُلَيْبٍ إِنَّ عَمَّيَّ اللَّذَا ... قَتَلَا الْمُلُوكَ وَفَكَّكَا الْأَغْلَالَا

والسد : سد يأجوج ، وهو فى الشمال ، ويقال سُدٌّ وسَدٌّ : لغتان ، وقيل : السَّد مايفعله الآدميون ، والسُّد بالضم مالا صنع للآدمى فيه

---

(١) ينسب إلى الفرزدق من كلمة يفخر بها على جرير

وَإِنِّى وَإِنْ عَادَيْتُهُمْ وَجَفَوْتُهُمْ ... لَتَأْلَمُ مِمَّا عَضَّ أَكْبَادَهُمْ كَبِدِى
فَإِنَّ أَبِى عِنْدَ الْحِفَاظِ أَبُوهُمُ ... وَخَالُهُمُ خَالِى وَجَدُّهُمُ جَدِّى
رِمَاحُهُمُ فِى الطُّولِ مِثْلُ رِمَاحِنَا
وَهُمْ مِثْلُنَا قَدَّ السُّيُورِ مِنَ الْجِلْدِ (١)

٢٥١ — وقالت عاتكة بنت عبد المطلب فى ذلك (٢)

سَائِلْ بِنَا فِى قَوْمِنَا ... وَلْيَكْفِ مِنْ شَرٍّ سَمَاعُهْ (٣)

---

(١) قال أبو هلال : لما قتل الْبَرَّاض بن قَيْس عُرْوَةَ بن عُتْبَة الْجَعْفَرِى كانت قريش بعكاظ ، فاحتملوا نحو مكة ، وأتى هوازنَ قتلُ البراضِ عروةَ فأتبعوهم فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرم ، وجَنَّ عليهم الليل ، فكفت عنهم هوازن ، فقال خداش بن زهير :

يَاشِدَّةً مَاشَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ ... عَلَى سَخِينَةَ لَوْلاَ اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

وللنبى فى ذلك الوقت عشرون سنة ، ولأبى طالب ستون سنة ، فقال البراض فى ذلك :

نَقَمْتُ عَلَى الْمَرْءِ الْكِلاَبِيِّ فَخْرَهُ ... وَكُنْتُ قَدِيماً لَاأُقِرُّ فَخَارَا
عَلَوْتُ بِنَصْلِ السَّيْفِ قُلَّةَ رَأْسِهِ ... فَأَسْمَعَ أَهْلَ الْوَادِيَيْنِ جُؤَارَا

(٢) عاتكة : القوس إذا عتقت واحمرت ، يقال : قوس عاتكة ، وعاتك بغير هاء ، ويشبه أن تكون الهاء إنما حذفت من عاتك حيث كان الوصف مضارعاً للتحقير ، ألا ترى أن قولك : «هذا رُجَيْلٌ» فى المعنى كقولك : هذا رجل صغير ، وقد قالوا فى تحقير قَوْس: قُوَيْس ، بغيرهاء ، فعلى هذا قالوا : عاتك ، ومن قال قويسة كان هو الذى يقول عاتكة

(٣) من مرفل الكامل ، والقافية متواتر

«سائل بنا» أى عنا ، « وليكف من شرسماعه » مثل ، تقول : يكفى من

قَيْسًا وَمَا جَمَعُوا لَنَا ... فِى مَجْمَعٍ بَاقٍ شَنَاعُهْ (١)
فيهِ السَّنَوَّرُ وَالْقَنَا ... والْكَبْشُ مُلْتَمِعٌ قِنَاعُهْ (٢)
بِعُكاظَ يُعْشِى النَّاظِرِ ... ينَ إِذَا هُمُ لَمَحُوا شُعَاعُهْ (٣)
فيهِ قَتَلْنَا مَالِكًا ... قَسْرًا وَأَسْلَمَهُ رَعَاعُهْ (٤)
وَمُجَــدَّلاً غَادَرْنَهُ ... بِالْقَاعِ تَنْهَسُهُ ضِبَاعُهْ (٥)

الشر أن يُتَحَدَّث به وإن لم يكن له حقيقة ، فكيف إذا كان حتما

(١) انتصب قيساً بفعل ، كأنه [قال] سائل قيساً عنا والجيش الذى جمعوه لنا تخبرك ببلائنا يوم الفخار ، وشناعه : قبحه وعيبه . والشناع : الشناعة

(٢) من نصب «ملتمعاً» نصبه على الحال ، ومن رفعه جعله خبرا عن الكبش ، وموضع الجملة نصب ، وملتمع : من لمع إذا برق ، وقد سميت البيضة يَلْمع ، وفى المثل السائر : أكذب من يلمع ، وهو البرق الذى لا يمطر سحابه ، وقيل : هو السراب . والسَّنَوَّرُ : الدروع ، وقيل : الدرع ، وقيل : جملة السلاح

(٣) الباء فى « بعكاظ » متعلقة بقولها « فى مجمع » ويجوز أن يتعلق بملتمعا و « شعاعه » يرتفع بيعشى ، والضمير منه يجوز أن يعود إلى عكاظ لكون الشعاع به ، ويجوز أن يعود إلى القناع لأن اللمعان له

(٤) الضمير من «فيه» يعود إلى المجمع ، ويجوز أن يعود إلى عكاظ ، والرَّعَاعُ : سِفْلَةُ الناس وسُقَّاطهم . وقال الخليل : الرعاعة الرجل الذى لا فؤاد له ، ومنه رعاع الناس ، وقيل : لا واحد له من لفظه ، تقول : لم يكن جنده صميما فأسلموه ، يعنى أن المحافظة والصبر إنما يكون للصَّمِيم الصُّرَحاء فأما الموالى والأخلاط فلا حفاظ لهم

(٥) «مُجَدَّلا» انتصب بفعل بعده يفسره ، كأنه قال : وغادرن مجدلا

٢٥٢ — وقال عَبْد القَيْس بن خُفَاف الْبُرْجُمِىُّ : (١)

صَحَوْتُ وزَايَلَنِى بَاطِلِى لَعَمْرُ أَبِيكَ زِيَالاً طَوِيلاً (٢)
فَأَصْبَحْتُ لاَ نَزِقًا لِلِّحَاء وَلاَ لِلْحُومِ صَدِيقِى أَكُولاَ (٣)
وَلاَ سَابِقِى كَاشِحٌ نَازِحٌ بِذَحْلٍ إِذَا مَاطَلَبْتُ الذُّحُولاَ (٤)
وَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا تِ عِرْضًا بَرِيئًا وَعَضْبًا صَقِيلاَ
وَوَقْعَ لِسَانٍ كَحَدِّ السِّنَانِ وَرُمْحًا طَوِيلَ الْقَنَاةِ عَسُولاَ (٥)

غادرنه ، والضمير للخيل، والنَّهْش : انتزاع اللحم عند العض ، وموضع «تنهسه» نصب على الحال ، والعامل فيه « غادرن » والضمير فى «ضباعه» يعود إلى القاع

(١) الْبُرْجُم : واحدة البراجم ، وهو مانشز من أصابعك إذا قبضت يدك

(٢) أول المتقارب ، والقافية متواتر

إن قيل : كيف وصف الزيال بالطول ؟ قلت : الطول فى الحقيقة لوقت الزيال ، لاله ، لكنه وصفه به على طريق التوسع ، ويقال : زايلت بمعنى بارحت ، ومنه « مازال يفعل كذا » بمعنى مابرح ؛ ويقال : زَالَ الشىء من الشىء يَزِيله زَيْلاً ، إذا مازه منه ، وزَالَ الشىء يزول زَوَالاً ، إذا فارق ، وجواب القسم قدم عليه

(٣) أجرى « أصبحت » مجرى صِرْتُ ، يقول : استبدلت من الخفة وقارًا ، ومن العجلة أناةً ؛ وأراد بالصديق الكثرة لاالواحد

(٤) الكاشح : العدو الباطن العداوة ، والنازح : البعيد الدار : أى لاتمنعنى المسافة عن الطلب و إن شقت وثقلت

(٥) جعله طويل الخشبة لأن مستعمله طويل ، والعسول : الشديد الاهتزار ، ومنه عَسَلاَن الذئب وعسل الدليل فى الطريق

وَسَابِغَةً مِنْ جِيَادِ الدُّرُو ع تَسْمَعُ لِلسَّيْفِ فِيهَا صَلِيلاً (١)

كَمَتْنِ الْغَدِيرِ زَهَتْهُ الدَّبُورُ يَجُرُّ الْمُدَجَّجُ مِنْهَا فُضُولاَ (٢)

٢٥٣ — وقالت امرأة من بنى عامر : (٣)

---

(١) أى : وأعددت لها درعا واسعة من خير أجناسها ينبو عنها السيف فلا يعمل فيها لاستحكامها ، والسبوغ : التمام فى كل شىء ، ومنه أسبغ الله عليك نعمته ، والصَّليل : صوت وَقْع الحديد بعضه على بعض ، وجياد الدروع : السهلة السلسة منها ، وقطع ما كان منها كذلك أشد على السيف ، وإنما يسرع السيف [فى] قطع اليابسة منها

(٢) يقول : إذا لبسها المدجَّج فَضَل عنه منها فواضل يجررها ، وهـذا كقول الآخر :

* تُغَشِّى بَنَانَ الْمَرْءِ وَالْكَفَّ وَالْقَدَمْ *

والقصد فى هـذا إلى صفة الدرع وجودتها ، ولو قصد مدح لابسها لكان يجعلها صِدَارا وبدنة ، على أن كثيرا لما أنشد عبد الملك قوله فيه :

عَلَى ابْنِ أَبِى الْعَاصِى دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمُسَدِّى نَسْجَهَا وَأَذَالَهَا

قال له : قول الأعشى لقيس بن معد يكرب أحسن من قولك :

وَإِذَا تَجِىءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرْسَاءُ يَخْشَى الذَّائِدُونَ نِهَالَهَا

كُنْتَ الْمُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلَمًا أَبْطَالَهَا

فقال كثير : يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم ، ووصف الأعشى صاحبه بالخرق ، ولقائل أن يقول : إن المبالغة فى الشعر أحسن من الاقتصاد ، والأعشى أعطى المبالغة حقها فهو أعذر وطريقته أسلم

(٣) وقال أبو رياش : هى من بنى قشَيْر

وَحَرْبٍ يَضِجُّ الْقَوْمُ مِنْ نَفَيَانِهَا ضَجِيجَ الْجِمَالِ الْجِلَّةِ الدَّبِرَاتِ (١)

سَيَتْرُكُهَا قَوْمٌ وَيَصْلَى بِحَرِّهَا بَنُو نِسْوَةٍ لِلثُّكْلِ مُصْطَبِرَاتِ (٢)

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقًا وَهْوَ صَادِقِي بِكُمْ وَبِأَحْلَامٍ لَكُمْ صَفِرَاتِ (٣)

تُعِدْ فِيكُمُ جَزْرَ الْجَزُورِ رِمَاحُنَا

وَيُمْسِكْنَ بِالْأَكْبَادِ مُنْكَسِرَاتِ (٤)

---

(١) ثالث الطويل ، والقافية متواتر

(٢) انعطف قولها « وحرب » على مجرور تقدمه ، وليس على إضمار رب بدلالة قولها « سيتركها قوم » والنَّفَيَان : يستعمل فيما تطاير من القطر عند سيلان الماء من أعلى إلى أسفل فى جوانب المصب ، فشبه ماينتشب من أذى الحرب فى جوانب القوم به . والجِلَّة : المسانّ من الإبل ، ويعنى التى مع السن أضَرَّ بها الكد ، يقول : يترك هذه الحروب قوم لاعادة لهم بمثلها ، ويصلى بها قوم عادتهم أن يقتل منهم وتصبر أمهاتهم على ذلك لكرمهن ولأن القتل يكثر فى رجالهن ، والشيء إذا كثر واعْتِيدَ هان

(٣) هذا يجرى مجرى التحذير والوعيد ، يقول : فان صدق ظنى فيكم وفى أحلامكم التى لاخير فيهاعدتم لما نكره فعادت رماحنا فيكم بالقتل سريعة ، والصَّفِر : الخالى من كل شيء . يقال : صَفِر يَصْفَرُ صَفَراً وهو صَفِر وَصِفْر ، وقال الخليل : هو صِفْر صِحْر على الاتباع ، قال أبو هلال : لم يسمع بحلم صَفِر إلا فى هذا البيت ، وإنما المسموع : عزَب حلمه ، وخَفَّ حلمه

(٤) كأنها أذكرتهم حالة منكرة تقدمت لهم ، وقولها « ويمسكن » يروى بفتح السين : أى يُضْبَطن ، ويروى بكسر السين تعنى أن الرماح تنكسر فيهم فتتعلق عواليها بأكبادهم ، والمعنى أنهم يجرون الرماح عندالطعن ويصيبون

٢٥٤ — وقال أمية بن أبى الصَّلْت (١)

غَذَوْتُكَ مَوْلُوداً وعُلْتُكَ يافِعاً ... تُعَلُّ بِمَا أُدْنِى إِلَيْكَ وتَنْهَلُ (٢)
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَبِتْ ... لِشَكْوَاكَ إِلاَّ سَاهِراً أَتَمَلْمَلُ (٣)
كَأَنِّى أَنَا المَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِى ... طُرِقْتَ بِهِ دُونِي وَعَيْنِى تَهْمُلُ (٤)
فَلَمَّا بَلَغْتَ السِّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِى ... إِلَيْهَا مَدَى ما كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ

المقاتل ، وانتصب « منكسرات » على الحال ، وجعلت « جَزْرَ الجزور » مثلا فى السرعة ، ويجوز أن يكون المعنى أنها تفعل بكم كما يفعل بالجزور

(١) وتروى لابن عبد الأعلى ، وقيل : هى لأبى العباس الأعمى ، قال أبو هلال : أوردها أبو عبيدة فى أخبار الْعَقَقَة والْبَرَرَة

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

علتك : أى قمت بمؤنتك ، وغـلام يافع ويَفَاع ويَفَع ويَفَعَة : أى مرتفع ، والجمع والواحد فى الْيَفَعَة سواء ، وقد يجمع فيقال : أَيْفَاع ، وقوله « تُعَلّ بما أدنى إليك » يجوز أن يكون موضع تعـل وتنهل صفة لقوله يافعاً : أى معلولا ، ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : أنت تعل وتنهل بما أدنيه ، ومن روى « أجنى » أراد أكسب ، ويجوز أن يكون من جنيت الثمرة جنياً وجناية

(٣) الشَّكْو والشَّكَاة والشَّكْوى واحد ، وأتململ : أقلق ، واشـتقاقه من الْمَلَّةِ : أى كأنى من القلق نائم على الملة فلا أستقر عليها ، ويروى « آبَتْكَ بالشكو »

(٤) يقول : كأنى المختص بما نابك من الشكو

جَعَلْتَ جَزَائِي مِنْكَ جَبْهًا وَغِلْظَةً
كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ (١)

فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِي
فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلُ (٢)

وَسَمَّيْتَنِي بِاسْمِ الْمُفَنَّدِ رَأْيُهُ
وَفِي رَأْيِكَ التَّفْنِيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

تَرَاهُ مُعِدًّا لِلْخِلَافِ كَأَنَّهُ بِرَدٍّ عَلَى أَهْلِ الصَّوَابِ مُوَكَّلُ

٣٥٥ — وقالت امرأة من بنى هِزَّانَ يقال لها أمُّ ثواب فى ابن لها عقَّها (٣)

رَبَّيْتُهُ وَهْوَ مِثْلُ الْفَرْخِ أَعْظَمُهُ أُمُّ الطَّعَامِ تَرَى فِي جِلْدِهِ زَغَبَا (٤)

---

(١) الْجَبْهُ : مقابلة الإنسان بما يكرهه ، وأصله الضرب على الجبهة

(٢) يقول : ليتك إذلم ترع منى حقوق الولاد سرت معى بسيرة المجاور لجاره

(٣) هِزَّان : علم مرتجل ، ومثاله فِعْلَان من هَزَزْتُ الشيء ، ولا يحسن أن تحمله على فِعَّال من لفظ هَوَازن لقلة فِعَّال وكثرة فِعْلَان ، ولأنه غير مصروف ، وقال أبو العلاء : قولهم فى النسب هِزَّان هو من الْهَزّ كهزّ السيف والقضيب ، وليس فى كلامهم الْهَزْن إلا مماتا ، إلا أنهم قالوا : بنو هَوْزَن ، و بنو هَوَازِن ، والْهَوْزَنُ طائر ، وجمعه هوازن ، ولا ريب أن الواو زائدة ، فهو مأخوذ من الهزن ، إلا أنه غير مستعمل

(٤) الأول من البسيط ، والقافية متراكب

رَبَّيْتُه وربَّبْتُه بمعنى ، وأم الطعام : المعدة ، أى أعظم مافيه بطنه

حَتَّى إِذَا آضَ كَالْفُحَّالِ شَذَّبَهُ ... أَبَّارُهُ وَنَفَى عَنْ مَتْنِهِ الْكَرَبَا (١)
أَنْشَا يُمَزِّقُ أَثْوَابِى يُؤَدِّبُنِى ... أَبَعْدَ شَيْبِى عِنْدِى يَبْتَغِى الْأَدَبَا (٢)
إِنِّى لَأُبْصِرُ فِى تَرْجِيلِ لِمَّتِهِ ... وَخَطِّ لِحْيَتِهِ فِى خَدِّهِ عَجَبَا (٣)

---

(١) « حتى » وضع للغاية ، وأضيف إلى « إذا » وما بعده من الجملة التى انشرح بها إذا ، والمعنى إلى هـذا الوقت ، وموضع « كالفحال » نصب على الحال ، والفُحَّال : فحل النخل ، ولا يقال فى غيرها ، والأَبَّار والمُؤَبِّر : الملقح للنخل ، والفحال لايؤبر ، ولـكن لما كان يُؤْبَرُ به النخل أضاف الأبار إلى ضميره ، على عادتهم فى إضافة الشىء إلى غيره لأدنى تعلق بينهما ألا ترى إلى قوله تعالى (فان أجل الله) ومعنى آض ههنا صار ، قال الخليـل : الأَيْضُ صيرورة الشىء شيئا غيره ، وتحوله عن حاله ، وشَذَّبَهُ : ألقى عنه كَرَبَه ؛ وَالْكَرَبُ : أصول السعف التى يرتقى بها فى النخلة

(٢) أنشأ : جواب قوله حتى إذا آض ، وأنشأ هو العامل فى إذا ، تقول : لما بلغ هذا المبلغ ابتدأ يضربنى ويخرق ثيابى ، وأنشا أصله الهمز وهو الابتداء ، والمعنى إنى ربيته وهو ضعيف مثل الفرخ حتى إذا استد وقوى ابتدأ يؤدبنى ، وتأديب المسن لايجدى ، ويروى « أبعد ستين » وهو كقوله :

* وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرِمِ *

(٣) يقال : أبصرت الشىء ، وبَصُرْت به ، والبصر : العين ونفـاذ القلب ، وحكى أن معاوية قال لابن عباس وقد كف بصره : مالكم يابنى هاشم تصابون بأبصاركم إذا أسننتم ؟ فقال : هذا كما تصابون ببصائركم ، والترجيل : غسل الشعر ومشطه ، تقول : أتعجب كيف تحول عن تلك الحالة إلى ما أجده عليه الساعة

قالَتْ لَهُ عِرْسُهُ يَوْماً لِتُسْمِعَنِى مَهْلاً فَإِنَّ لَنَا فِى أُمِّنَا أَرَبَا
وَلَوْ رَأَتْنِى فِى نَارٍ مُسَعَّرَةٍ
ثُمَّ اسْتَطَاعَتْ لَزَادَتْ فَوْقَهَا حَطَبَا (١)

٢٥٦ — وقال ابن السُّلَيْمَانى :

لَعَمْرُكَ إِنِّى يَوْمَ سَلْعٍ لَلَائِمٌ لِنَفْسِى وَلَكِنْ مَا يَرُدُّ التَّلَوُّمُ (٢)
أَأَمْكَنْتُ مِنْ نَفْسِى عَدُوِّى ضَلَّةً أَلَهْفِى عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ (٣)

---

(١) تقول : تنهاه عِرْسه عن ذلك شماتةً وهى تودُّ هلاكى

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

سَلْع : موضع ، أضاف اليوم إليه تعريفا ، وحكى أن السَّلْع شق فى الجبل ، ومنه قيل : تَسَلَّعَتْ رِجْلُهُ ، إذا تشققت ، وكأن قولهم : « هاد مِسْلَع » من هذا : أى يشق أجواز الفلاة شقا ، واللام من لَعَمْرك لام الابتداء ، والخبر محذوف ، والتلوم : تكلف اللوم ، وقوله « ما يرد » يجوز أن يراد به ما يَرْجِع ، ويجوز أن يكون بمعنى ما ينفع ، يقال : هذا أَرَدُّ عليك : أى أنفع ، وموضع « ما » يجوز أن يكون مفعولا ، ويجوز أن يكون مبتدأ .

(٣) « أأمكنت » لفظه لفظ الاستفهام ومعناه التقريع والتوبيخ ، وهذا الكلام هو صريح لومه لنفسه ، ويجوز أن يكون استأنف عذل نفسه من بعد أيضا . وضلةً : مصدر فى موضع الحال ، ويجوز أن يكون مفعولا له : أى فعلت ذلك ضلالا ، أو لضلال ، وأصل الضلال الذهاب عن القصد ، يقال : ضَلِلْتُ مكانى — بكسر اللام وفتحها — إذا لم تهتد إليه ، وأضللت بعيرى إذا شرد وذهب عنك ، وقوله « ألهفى على ما فات » تحسر وتلهف ، وهو كلام مستقل بنفسه ،

لَوَ اُنَّ صُدُورَ الأَمْرِ يَبْدُونَ لِلفَتَى كَأَعْقَابِهِ لَمْ تُلْفِهِ يَتَنَدَّمُ (١)

لَعَمْرِى لَقَدْ كَانَتْ فِجَاجٌ عَرِيضَةٌ وَلَيْلٌ سُخَامِىُّ الْجَنَاحَيْنِ أَدْهَمُ (٢)

إِذَا الأَرْضُ لَمْ تَجْهَلْ عَلَىَّ فُرُوجُهَا وَإِذْ لِى عَنْ دَارِ الْهَوَانِ مُرَاغَمُ (٣)

و « أعلم » مفعوله محذوف ، وهو بمعنى أعرف ، فيكتفى بمفعول واحد ، كأنه أراد لو كنت أعلم مَغَبَّتَه ، وجواب « لو » محذوف : أى لو علمت ما تندمت .

(١) « لو أن صدور الأمر » على حذف المضاف ، والمراد لو أن مؤديات صدور الأمر ومسبباته تظهر للفتى كما تظهر له عند أعجازه لم تره نادماً على فائت ولا جازعاً أثر هالك

(٢) « سُخَامى الجناحين » أى : أسود الطرفين مظلم يسترنى إذا ركبته ، و « كان » من قوله « لقد كانت فجاج » هى كان التامة المستغنية عن الخبر ، وكأنه يريد بالسخامى سِرَار الشهر ، ومثل السخامى المنسوب قوله :

* وَالدَّهْرُ بِالإِنْسَانِ دَوَّارِىٌّ *

ويجوز أن يريد بالسُّخَامى الجناحين اللين وقلة الآفات فى جوانبه ؛ لأن السخام الريش اللين تحت الجناح ، ولأن قوله « أدهم » قد دل على الظلمة

(٣) « فروجها » ثغورها ، ومُرَاغَم : مباعَد ، وهو فى البيت سناد ، وإذا روى « مُرَغَّم » فهو أجود ، والأصل فى المراغم الهجران ، يقال : فلان يُرَاغِم أهله أياما ثم يرجع ، ومنه قوله تعالى : (يَجِدْ فى الأرض مُرَاغَماً كثيرا وَسَعَةً) وقوله « لم تجهل علىّ فروجها » أى : لم أجهلها أنا ؛ كما قال : (فَعُمِّيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاء) أى : هم عَمُوا عنها ، والفروج هنا : الطرق

فَلَوْ شِئْتُ إذْ بِالأمْرِ يُسْرٌ لَقَلَّصَتْ
بِرَحْلِي فَتْلَاءُ الذِّرَاعَيْنِ عَيْهَمُ (١)
عَلَيْهَا دَلِيلٌ بِالْفَلَاةِ نَهَارَهُ
وَبِاللَّيْلِ لَا يُخْطِي لَهَا الْقَصْدَ مَنْسِمِ (٢)

٢٥٧ — وقال آخر :

أَعْدَدْتُ بَيْضَاءَ لِلْحُرُوبِ وَمَصْـــقُولَ الْغِرَارَيْنِ يَفْصِمُ الْحَلَقَا (٣)
وَفَارِجًا نَبْعَةً وَمِلْءَ جَفِيـــرٍ مِنْ نِصَالٍ تَخَالُهَا وَرَقَا (٤)

---

(١) الفتل : تباعد المرفقين عن الزور لئلا يصير حازا ولا ناكتا ولا ضاغطا : وَالْعَيْهَمُ والْعَيْهَمَة والْعَيْهَامة : الناقة الماضية ، وقيل : هى الطويلة العنق الضخمة الرأس ، وقلصت : أسرعت .

(٢) « بالفلاة » يريد فى الفلاة ، ويجوز أن يكون أجرى قوله « دليل » مجرى عارف وعالم فلذلك أتى بالباء ، وقوله « بالليل لايخطى لها القصد منسم » يقول : لبصره لايخطىء منسم بعيره فيزيغ عن القصد ، وهذا وإن جعله من وَصْف البعير فالمراد أنه هادٍ ، والدليل أصله فاعل الدلالة ، فهو كالدال ، وتوسع فيه ، ومعنى هذه الأبيات أنه يلوم نفسه على تمكينه الأعداء منها ، وكانت أسباب النجاة معرضة له : من ناقة فَتْلَاء الذراعين ينجو بها ، وليل أسود يستره ، ومعرفة بالطرق ترشده ، وفجاج عريضة لاتضيق به ؛ فضيع الحزم مع هذه الأمور حتى ضيق عليه

(٣) أوّل المنسرح ، والقافية متراكب
الْفَصْم : الكسر بلا بينونة ، وَالْقَصْم : الكسر مع بينونة

(٤) والفارج وَالْفُرُج : القوس المتباعدة الوتر عن الكبد ، وقوله « نَبْعَة »

وَأَرْيَحِيًّا عَضْبًا وَذَا خُصَلٍ   مُخْلَوْلِقَ الْمَتْنِ سَابِقًا تَئِقَا (١)
يَمْلَأُ عَيْنَيْكَ بِالْفِنَاءِ وَيُرْ   ضِيكَ عِقَابًا إِنْ شِئْتَ أَوْ نَزَقَا (٢)

أى : هى قضيب وليست بشقة ، والنَّبْع أجود شجر تتخذمنه القِسِىّ العربية ، وجعله صفة لأنه ضمنه معنى الصفات ، وعلى هذا أسماء الأجناس ، كقوله : هذا خاتم حديد ، متى وصفت بها تضمن معنى فعل ، والْجُنْبِر : كنانة النبـل إذا كانت واسعة من خشب ، والجنبر فى البئر منه ، والْوَرَق يريد وَرَق الْحَوّاء ، وهو يشبه النصال الْمَشَاقِص ، وهى العراض التى فى وسط كل نصل منها عَيْر ، وقوله « من نصال » أراد نصالا

(١) قال أبو العلاء : يجوز أن يكون وصف السيف بأريحى لأنه يُهَزّ فكأنه يرتاح للضرب ، وقد جاء فى شعر صَخْر الْغَىّ مايدل على أنهم نسبوا السيوف إلى أريح ، وذلك قوله :

وَصَارِمٍ أُخْلِصَتْ خَشِيبَتُه   أَبْيَضُ مَهْوٌ فِى مَتْنِهِ رُبَدُ
فَلَوْتُ عَنْهُ سُيُوفَ أَرْيَحَ إِذْ   بَاءَ بِكَفِّى وَلَمْ أَكَدْ أَجِدُ

قوله « باء بكفى » صارت كفى له مباءة : أى مأوًى ، و «ولم أكد أجد» لعزته ، وخشبيته : طبيعته ، وهورقيق ، وأريح : قرية بالشأم ، وقوله «وذاخُصَل» يعنى فرساله خصل من الشعر ، والمخلولق : الشـديد الملاسة ، لأن مُفْعَوعِلاً من أبنية المبالغة ، والتئق : المتلىء نشاطا

(٢) هذا كقول الآخر :

يَزِينُ الْبَيْتَ مَرْبُوطًا   وَيَشْفِى قَرَمَ الرَّكْبِ

والعِقَاب : جمع عَقْب ، وهو الجرى بعد الجرى ، وقال الخليل : إذا كان للفرس جِمَامٍ بعد انقطاع الجرى قيل له عقاب

٢٥٨ — وقال قَتَادَةُ بن مَسْلَمَة الْحَنَفِى (١) :

بَكَرَتْ عَلَىَّ مِنَ السَّفَاهِ تَلُومُنِى ... سَفَهاً تُعَجِّزُ بَعْلَهَا وَتَلُومُ (٢)

لَمَّا رَأَتْنِي قَدْ رُزِئْتُ فَوَارِسِى ... وَبَدَتْ بِجِسْمِى نَهْكَةٌ وكُلُومُ (٣)

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَصَابَ بِنَكْبَةٍ ... دَهْرٌ وَحَىٌّ بَاسِلُونَ صَمِيمُ (٤)

---

(١) قتادة : ضرب من الْعِضَاه ، ومَسْلَمة : مَفْعَلَة من سَلِمْتُ ، كأنه مصدر بمنزلة الْمَشْأَمَة والْمَشْتَمَة ، وحَنيفة : منقول من قولك : هذا رَجُل حَنِيف ، وامرأة حنيفة ، والحنيف : المائل عن دين إلى دين آخر ، وأصله من الْحَنَف فى الرجل ، ومنه الحنيفية للاسلام ؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى

(٢) الثانى من الكامل ، والقافية متواتر

قوله « بكرت على من السفاه » البيت على كلامين ، وذلك أن المصراع الأول إخبار عن زوجته بسوء عشرتها ، والثانى رجوع منه عليها فيما أنكرت ، ورد العتب إليها لما تجرّمت . وقال « تلومنى » فى الصدر وفى العجز « تعجز بعلها » وهما واحد على عادتهم فى تصريفهم الكلام عند الأمن من الإلباس ، و« سَفَهاً » مفعول له ، والسَّفَه والسَّفَاهة : الخِفَّة والاضطراب ، يقال : سفّهت الريح الغصون ، إذا حركتها ، والبكور : أصله الابتداء ، ولذلك قيل لأول النهار بكرة ، والبعل أصله النكاح ، ولذلك قيل للمرأة : بَعْلة ، وقد ابْتَعَلَت المرأة وتَبَعَّلَتْ

(٣) جواب « لما » قد تقدم ، وهو قوله « بكرت على » والنَّهْكة : التأثير

(٤) « من أصاب » نكرة تفيد الكثرة ، والمراد أول إنسان أصابه بنكبة دهر ، فأما تنكيره للدهر فقد حكى عن أبى زيد وأبى عبيدة ويونس أن الدهر والزمان والزمن والحين يقع على محدود وغير محدود ، وعلى عمر الدنيا من أوله إلى آخره ، وقال الخليل : الدهر : الأبد الممدود ، يجعل أسما للنازلة ، ويقال : دَهْر

قَاتَلْتُهُمْ حَتَّى تَكَافأ جَمْعُهُمْ ... وَالْخَيْلُ فى سَبَلِ الدِّمَاءِ تَعُومُ(١)

إِذْ تَتَّقِى بِسَرَاةِ آلِ مُقَاعِسٍ ... حَدَّ الْأَسِنَّةِ وَالسُّيُوفِ تَمِيمُ(٢)

لَمْ أَلْقَ قَبْلَهُمُ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ ... أَحْمَى وَهُنَّ هَوَازِمٌ وَهَزِيمُ(٣)

من الدهر لبعضه ، كما يقال : حِينٌ من الدهر ، والصميم : خالصة الشىء وما به قِوَامُه ، ومنه قيل : صميم الصيف والشتاء ، ويوصف بالصميم الواحد والجميع ، و« حَىٌّ باسلون » يعنى أنهم قاتلوه فغلبوه ، ومدحهم بقوله « باسلون صميم » وهم أعداؤه لأن عدو الرجل ينبغى أن يكون مثله فاذا مدحهم فقد مدح نفسه وإذا أصابوه أيضاً بمكروه وهم كرام كان أهون عليه من أن يصيبه لئام

(١) أى : انكفؤا وانهزموا ، وهذا من الْكَفء قَلْبكَ الشىءَ لوجهه ، ومنه « كَفَأْت الإناء » إذا قلبته ، ويجوز أن يكون من الْكُفْء النظير والمثل ، ويكون المعنى تكافؤا فى مُدَافعتى : أى تساووا حتى لم يفضل أحد منهم على الآخر فى ذلك ، وعلى هذا ماروى من الخبر «المسلمون تتكافأ دماؤهم » ؛ ويروى « تكأكأ جمعهم » يقال : تكأكأ القوم ، إذا اجتمعوا على الشىء ، وَالسَّبَل : ماسال من المطر والدم ؛ ومنه أسبل الستر والإزار

(٢) «إذ تتقى» ظرف لقوله «تعوم» والاتقاء أن تجعل بينك وبينه شيئاً يقيك

(٣) يجوز أن يكون عنى بالفوارس أصحابه الذين فجع بهم ، وأن يكون المراد بهم فرسان الأعداء ، وقوله « أحمى » أراد أحمى منهم ، فحذف ، وهذا الحذف من أفعل الذى يتم بمن يجوز إذا وقع خبرا لا صفة ، وقد تقدم القول فيه : أى لم ألق فُرْسَانا مثلهم قبلهم هم أحمى منهم هازمين ومنهزمين ؛ والواو فى قوله « وهُنَّ هوازم » واو الحال ، والضمير منه لفرق الخيل وطوائفها ، ولهذا قال « هوازم » لما كان فواعل يختص بجمع المؤنث إلا فى الأحرف المعدودة ، نحو : فوارس ، ومثل

لَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ وَاخْتَلَفَ الْقَنَا ... وَالْخَيْلُ فِى نَقْعِ الْعَجَاجِ أُزُومُ (١)
فِى النَّقْعِ سَاهِمَةُ الْوُجُوهِ عَوَابِسٌ ... وَبِهِنَّ مِنْ دَعْسِ الرِّمَاحِ كُلُومُ (٢)
يَمَّمْتُ كَبْشَهُمُ بِطَعْنَةِ فَيْصَلٍ ... فَهَوَى لِحُرِّ الْوَجْهِ وَهْوَ دَمِيمُ (٣)

هوازم قولهم الخوارج ، لأن المراد به الفرق ، وما أنشده أبو على للقُطَامى

فَوَارِسُ بِالرِّمَاحِ كَأَنَّ فِيهَا ... شَوَاطِنَ يَنْتَزِعْنَ بِهَا انْتِزَاعَا

قال : وقد جاء فى شعره أيضاً « ما ينام سوافره » ثم قال : لا يمتنع أن يكون سوافر جمع سافر الذى هو المصدر ، كما قال الآخر

* فَقَدْ رَأَى الرَّاؤُنَ غَيْرَ الْبُطُلْ *

فجمع الْبَاطِل على البُطُل ، والباطل مصدر ، تقول : قد قُلْتَ باطلا ، كما تقول : قد قلت حَقًّا ، وَهزِيم : فعيل فى معنى مفعول ، والمراد به الكثرة لا الواحد ، كأنه قال : وهم من بين هازمة ومهزومة

(١) « لما » هذه علم للظرف ، وهو لوقوع الشىء لوقوع غيره ، وجوابه يجىء من بعد ، وهو قوله « يممت كبشهم » ، وأزوم : جمع أزم ، والأزم : الإمساك والعض ، وكنى به عن الْحِمْيَةِ فقيل : نعم الدواء الأزم ، وَالنَّقْعُ الأجود أن يكون مصدر نَقَعَ الشر والصوت والموت إذا كثر وارتفع ، وإن عدل به عن الغبار ، ومعنى رَهَج الغبار ما أثير منه ، قال أبو هلال : النَّقْع والْعَجَاج واحد ، فأضاف لاختلاف اللفظين ، وأجود من هذا أن يقال : النقع ما كثف من الغبار وثبت ، مأخوذ من قولهم : ماء ناقع ، وسم ناقع : أى ثابت ، والْعَجَاج : ما يستطير منه ، فأضاف أحدهما إلى الآخر لاختلاف المعنى

(٢) السهوم : تغير اللون مع هزال ويبوس ، والدَّعْس : الطعن وشدة الوطء ، طريق مِدْعَاس : مُذَلَّل

(٣) الْحُرُّ من كل شىء : أعتقه : أى وقع على وجهه من غير أن يكون له

وَمعِى أُسُودٌ مِنْ حَنِيفَةَ فِى الْوَغَى ... لِلْبَيْضِ فَوقَ رُؤُسِهِمْ تَسْوِيمُ (١)

قَوْمٌ إِذَا لَبِسُوا الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ ... فِى الْبِيضِ وَالْحَلَقِ الدِّلاَصِ نُجُومُ (٢)

فَلَئِنْ بَقِيتُ لَأَرْحَلَنَّ بِغَزْوَةٍ ... تَحْوِى الْغَنَائِمَ أَوْ يَمُوتَ كَرِيمُ (٣)

٢٥٩ — وقال رجل من بنى يشكر فيما كان بينهم وبين ذُهْلٍ :

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِى ذُهْلٍ رَسُولاً ... وَخُصَّ إِلَى سَرَاةِ بَنِى الْبُطَاحِ (٤)

وقاء • والْفَيْصَل : فَيْعَل من الْفَصْل : أى ينفصل به ما بين القرينين

(١) « من حنيفة » فى موضع الصفة لأسود ، و « فى الوغى » ظرف لما دل عليه أسود ، وتقديره معى رجال يشبهون الأسود شجاعة وإقداما ، والتَّسْوِيم : العلامة والتأثير : أى لطول لبسهم البيضَ وممارستهم للحرب قد أحسر الشعر عن جوانب رءوسهم

(٢) ارتفع « قوم » على أنه بدل من قوله « أُسُود » ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هم قوم ، وجعل الحديد كناية عن أنواع الأسلحة ، والدِّلاص : اللينة الْمَلْسَاء ، يقال : دِرْع دِلاَصٌ ودَلِيص ، ودُرُوعٌ دُلُص ، وقد جاء دِلاَصٌ فى صفة الجمع

(٣) اللام فى «لئن» موطئة للقسم ، و«لأرحلَنَّ» جوابه ، و« نحو الغنائم» ظرف لأرحلن ، ومن روى « تحوى » جعله صفة لغزوة : أى حاوية للغنائم ، وقوله « أو يموت كريم » أو بدل من «إلا أن » ويموت : ينتصب بأن مضمرة ، كأنه قال : إلا أن يموت كريم ، يعنى نفسه

(٤) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

البطاح : مالك بن عامر بن ذُهْل بن ثَعْلَبة ، وقوله « رسولا » أراد رسالة

بِأَنَا قَدْ قَتَلْنَا بِالْمُثَنَّى عَبِيدَةَ مِنْكُمُ وَأَبَا الْجُلَاحِ (١)
فَإِنْ تَرْضَوْا فَإِنَّا قَدْ رَضِينَا وَإِنْ تَأْبَوْا فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ (٢)
مُقَوَّمَةٌ وَبِيضٌ مُرْهَفَاتٌ تُتِرُّ جَمَاجِمًا وَبَنَانَ رَاحِ (٣)

٢٦٠ — وقال جُرَيْبَةُ بن الأَشْيَمِ الْفَقْعَسِيُّ (٤) :

وقوله « وخص إلى سراة » أى : توسل إلى أن تخصهم بأدائها ، ويروى :

* وخص به سراة بنى البطاح *

(١) موضع «بأنا» نصب على أنه بدل من «رسولا» والباء زائدة للتأكيد ، يقول : أبلغ خيار هؤلاء القوم أنا قد قتلنا بدل الواحد الذى قتلتموه منا اثنين منكم

(٢) يقول : إن رضيتم فرضانا مع رضاكم ، وإن أبيتم حاكمنا[كم] إلى ظبا السيوف وأطراف الرماح

(٣) « تتر » فى موضع الصفة للبيض ، ومعناه تسقط

(٤) جُرَيْبة : يجوز أن يكون تحقير جَرِبة ، من قولك : هذا رجل جرب وامرأة جَرِبة ، ويجوز أن يكون تحقير جِرْبَة ، وهو القراح من الأرض ، والأشيم : الذى به شام ، والأنثى شَيْماء ، والجمع شِيمٌ ، والمصدر الشَّيَم ، والشِّيمَة : الخلق ، وحكاها أيضا أبو زيد شِئْمة بالهمز ، وقال أبو هلال : هو جُرَيْبة بن الأشيم بن عَمْرو بن وَهْب بن دِثَار بن فَقْعَس بن طَرِيف ، وهو أخو مُطَيْر بن الأشيم أحد شياطين بنى أسد ، ورواها غير أبى تمام لسَبْرَةَ بن عَمْرو ، قال : ومن حديثه أن بنى فَقْعَس غَزَوا بنى عجل فقتلوا رئيسهم أبا سَلْهَب ، فقال أخو بنى عجل :

وَلَمَّا رَأَيْتُ بَنِي فَقْعَسٍ تَذَكَّرْتُ إِحْدَى الْهَنَاتِ الْقُدُمْ
فَلَاقَتْ بِنَا الْخَيْلُ أَكْفَاءَنَا وَقَالُوا : نَزَالِ ، فَقُلْنَا : نَعَمْ
فَآبُوا بِشَجْوٍ إِلَى أَهْلِهِمْ وَأُبْنَا بِكَبْشٍ نَطِيحٍ أَجَمّْ

فقال سبرة بن عمرو ، وفى رواية أخرى : غزا النعمان بن بُجَيْر بن عابد العِجْلى ،

فِدًى لِفَوَارِسِ الْمُعْلَمِيـــنَ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ خَالِى وَعَمّْ (١)

هُمُ كَشَفُوا غَيْبَةَ الْغَائِبِينَ مِنَ الْعَارِ أَوْجُهُهُمْ كَالْحُمَمْ (٢)

ويكنى أباسَلْهَب، فلقى قَقْعَس بن طريف، ورئيسهم أُهْبَانُ بن عُرْفُطَة، فلما بصر بنو فقعس بالخيل قالوا : هذه عِيرٌ عليها تمر، فابتدرتها خيلهم، فلحق بهم جُرَيْبَة بن الأَشْيم، ويكنى أبا سعد، فلما رآهم رجع، واقتتل القوم، فقتـل أُهْبَان، قتله الحُصْفُ بن مَعْبَد بن عبد الحرث بن هلال بن ربيعة بن عجـل، فقال جُرَيْبَة :

قَالُوا أَبَا سَعْدٍ أَلَمْ تَعْرِفْهُمُ ثَكِلَتْ جُرَيْبَةَ أُمُّهُ مَنْ يَعْرِفُ

وَاللهِ مَا مَنُّوا عَلَيَّ وَإِنَّمَا مَنَّتْ عَلَيَّ شَرَافِ إِذْ تَتَحَرَّفُ

شَرَافِ : اسم فرسه، وقال الحُصْف وهو الذى أنشده أبو تمام ونسبه إلى جريبة، والصحيح أن الحُصْف قال ذلك

(١) الثالث من المتقارب، والقافية متدارك

قوله « خالى » فى موضع الرفع لأنه خبر المبتدأ

(٢) ويروى « عيبة العائبين » والعيبة : شبه الخريطة من الأدم، وهذا مثل : أى أظهروا من عيب من كان يطلب عيبهم ما كان خافيا، وكذّبوهم فيما كانوا يختلقونه، فكأنهم كشفوا عيابهم المنطوية على عيوبهم، ويقال: فلان عَيْبَة العيوب، ومذنب الذنوب، وعَابَ المتاعُ وغيره، إذا صار ذا عيب، وعِبْتُه أنا : جعلت فيه عيبا، والحُمَم : الفحم، وجارية حَمِمَة : أى سوداء، ومن روى « غيبة الغائبين » أراد أن من قتل منهم فى عار تسودُّ منه وجوههم أدرك هؤلاء القوم ثأرهم فغسلوا ذلك العار عنهم فكأنهم بذلك الفعل حفظوا عهد من غاب عنهم، قال أبو هلال : والوجه الأول أجود؛ لقوله « كشفوا » ولم يقل حفظوا

إذَا الخَيْلُ صَاحَتْ صِيَاحَ النُّسُورِ   حَزَزْنا شَرَاسِيفَهَا بِالْجِذَمْ (١)
إذَا الدَّهْرُ عَضَّتْكَ أنْيَابُهُ   لَدَى الشَّرِّ فَأْزِمْ بِهِ مَاأَزَمْ (٢)
وَلاَ تُلْفَ فِى شَرِّهِ هَائِباً   كَأَنَّكَ فِيهِ مُسِرُّ السَّقَمْ (٣)

---

(١) يقول : إذا ضجت الخيل من الطعن الواقع فى نحورها وهَمَّت بالاُزورار أكرهناها على الصبر والتقدم ، ومثله قول خِدَاش بن زُهَيْر :

يَصِيحُونَ مِثْلَ صِيَاحِ النُّسُو   رِ مِنْ أَسَلٍ وَارِدٍ صَادِرِ

وصياح النسور : أى أصواتا قصيرة ، والحز : القطع ، والشراسيف : مقاطّ الأضلاع ، وإذا : ظرف لقوله « حززنا » والجِذْم : بقايا السياط ، وقال أبو هلال : يقول : إنها قد عُوِّدَتْ ترك الصهيل فى الغزو فإذا صاحت صياح النسور لأمر يعرض لها ، وهو صوت واحد ، ضربناها بالسياط لتذكر العادة

(٢) أراد بالأنياب نُوَبَ الدهر وأحداثه ، والأزْم : العض ، وقوله « فأزم به » أى : اعْضَضْ به ، والمعنى صابره ، و « ماأزم » مامع الفعل فى تقدير المصدر ، واسم الزمان محذوف معه ، وهو فى موضع الظرف ، والمعنى اعْضَضْ به مدةَ عضه بك ، وروى بعضهم « فَارْزِمْ به مارزم » أى : اثبت به ماثبت لك ، من قولهم : أسد رُزَّم ، ورزام ، إذا جثم على الفريسة وهمهم عليها ، وإنما قال « فأزم به ما أزم » طلبا للموافقة والمطابقة ، وعلى هذا قوله : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه) والثانى ليس باعتداء ، بل هو جزاؤه ، وجواب « إذا » قوله « فأزم به » وهو العامل فيه .

(٣) أى : لاتهب الدهر ولا تنكسر له كأنك بمنزلة من به داء عُضَال لزمه فأعياه مداواته حتى يئس من إقلاعه فجعل يكتمه ويخفى أثره وهو خائف مما يتعقبه ، ورواه بعضهم « مُشِرُّ السقم » أى : مظهره

عَرَضْنَا نَزَالِ فَلَمْ يَنْزِلُوا ... وَكَانَتْ نَزَالِ عَلَيْهِمْ أَطَمّ (١)

وَقَدْ شَبَّهُوا الْعِيرَ أَفْرَاسَنَا ... فَقَدْ وَجَدُوا مِيرَهَا ذَا شَبَمْ (٢)

---

(١) « وأطَمّ » من قولهم : طَمّ البحر ، إذا غلب سائر البحور ، والطَّامَّة : الخصلة التى تطم على ماسواها

(٢) العير : الإبل عليها الميرة ، وقال بعضهم : هو من قولهم : عَارَ الشىءُ يَعِير ، إذا ذهب : ووزنه فُعْل جمع عائر كعائذ وعُوذ ، إلا أن العين قد كسرت لتدل على الياء ، وَالْبَشَم : الثقل ، يقال : بَشِمْتُ من الطعام ، وبَغِرْتُ من الماء ، هذا إذا رويته « بشم » ويكون معناه أنهم عَدُّونا غنيمة ، فاسْتَوْبَلوا عاقبة غنيمتهم ، فأما من رواه « ذا شبم » فالشبم : البرد ، ويكون معناه التهكم : أى قد صادفوا منا خلاف ما اعتقدوه فينا ، وقال أبو رياش : الشبم : البرد ، ومعناه صادفوا الموت ، والموت بارد والسم بارد ، ومنه قول خِدَاش بن زهير :

بَيْنَ الْأُمَيْلِحِ والطَّرْفَاء تَشْدَخُهُمْ ... زُرْقُ الْأَسِنَّةِ فِى أَطْرَافِهَا شَبَمُ

الشدخ : فَضْخُكَ الشىء بيدك أو بحجر وغيره ، ومعنى هذه الأبيات أنهم لما رأوا خيلنا استخفُّوا بها وشبهوها بعير يسوقها أصحابها لايعتاص عليهم أخذها ، قال أبو محمد الأعرابى : كان من قصة هذا الشعر أن سَلْهَباً وأبا سهاب من بنى ضبيعة ابن عجل سارا فى جمع من بكر بن وائل يطلبان ، وخرجت بنو فقعس فى غَزِىٍّ لهم أيضا يطلبون الغنائم ؛ فالتقى الجمعان ، ولا يريد واحد منهم صاحبه ، فلما التقوا صاح بنو فقعس : نزال ، نزال ، فلم ينزلوا ، وقاتلوا على الخيل ، فشد فَرْوَة ابن مَرْثَد بن نَوْفَل بن نَضْلة بن الأشتر بن جَحْوَان على أبى سلهب ، فاختلفا ضربتين ، فكلاهما قتل صاحبه ، وهزمتهم بنو فقعس ، وقتلوا منهم ، وقد ضرب رجل منهم رجلا من بنى فقعس يقال له أهْبَان على رأسه ، ثم أفلت والدم يقطر

٢٦١ — وقال شَقِيق بن سُلَيْكٍ الأَسَدِى :

أَتَانِى عَنْ أَبِى أَنَسٍ وَعِيدٌ ... فَسَلَّ تَغَيُّضُ الضَّحَّاكِ جِسْمِى (١)

وَلَمْ أَعْصِ الْأَمِيرَ وَلَمْ أَرِبْهُ ... وَلَمْ أَسْبِقْ أَبَا أَنَسٍ بِوَغْمِ (٢)

وَلَـكِنَّ الْبُعُوثَ جَنَتْ عَلَيْنَا ... فَصِرْنَا بَيْنَ تَطْوِيحٍ وَغُرْمِ (٣)

وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ السُّغْدِ نَفْسِى ... وَخَافَتْ مِنْ جِبَالِ خُوَارِ رَزْمِ (٤)

عليه ، فقال فى ذلك جُرَيْبَـة بن الأشيم الأبيات التى تقدمت

(١) أوّل الوافر ، والقافية متواتر

ضَحَّاك : اسم أبى أنس ، ويروى « فَسُلَّ لِغَيْظَةَ الضحاك جسمى » ومعنى سُلَّ ذاب كجسم من به السُّلال وهو السِّلّ

(٢) قوله « لم أربه » يجوز ضم الهمزة وفتحها ، يقال : رابه يَرِيبه ، إذا أتاه بريبة ، وأرابه يُرِيبه ، إذا أوهمه الريبة ، وقد بين المعنيين قول الشاعر :

أَخُوكَ الَّذِى إِنْ رِبْتَهُ قَالَ إِنَّمَا ... أَرَبْتَ وَإِنْ عَاتَبْتَهُ لَانَ جَانِبُهُ

وبيت الحماسة يحتمل المعنيين جميعاً ، والْوَغْم : الترة ، والأمير : هو الضحاك ابن قيس الفِهْرِى صاحب المرج

(٣) يقال : ضُرِبَ البعثُ على الجند ، وأجرى البعث عليهم : أى بُعِثوا على العدو ، وجَمَعَه فقال « الْبُعُوث » لاختلافه وتـكرره ، كما يجمع الضرب على الضروب ، والتطويح : التبعيد فى الأرض : أى جرى علينا الخروج فى البعث فصرنا بين بعد عن الأهل وبين غرم نلتزمه

(٤) ويروى « خُوَاءِ رَزْمٍ » أى : خافت نفسى من هذه الجبال فـكرهت الخروج .

فَقَارَعْتُ الْبُعُوثَ وَقَارَعَتْنِى فَفَازَ بِضَجْعَةٍ فِى الْحَىِّ سَهْمِى (١)
وَأَعْطَيْتُ الْجِعَالَةَ مُسْتَمِيتًا خَفِيفَ الْحَاذِ مِنْ فِتْيَانِ جَرْمِ (٢)

---

(١) أراد أصحاب البعوث ، يريد ساهمتهم ، والقُرْعَةُ : الاسم ، يقال : هو قَرِيعى : أى مقارعى ، كما يقال : هو خصيمى ، ويجوز أن يكون سمى المبعوث بعثاً ثم جمعه ، وهذا على عادتهم فى الوصف باسم الحدث . وقوله « ففاز بضجعة » أى : خرج قدحى باضطجاعى وراحتى ، ويقال : رجل ضِجَعِىٌّ وضَجَعِىٌّ . وضُجَعَة ، للعاجز الملازم منزله ، ومنه قيل للنجوم الثوابت : ضواجع

(٢) يعنى بالجِعَالة العطاء الذى يقتضيه من السلطان، والمستميت : الذى كأنه من شجاعته يطلب الموت ، يقال : استمات يستميت ، كما يقال : استعان . إذا طلب العون ، واستمال الرجلَ ، إذا طلب مَيْلَه إليه ، وأصل الْحَاذِ ظاهرُ الفخذ ، وقيل : أسفلها، وقيل : باطنها ، يريد أنه قليل اللحم لأن البدن يؤدى إلى العجز ، ثم استعيرت خِفَّة الحاذ فى كل مَنْ أمره ناجز ليس ببطىء . وجاء فى الحديث « أفضل الناس فى ذلك الزمان الخفيف الحاذ » قيل : وما الخفيف الحاذ ؟ قال : « الذى لا أهل له ولا مال » والمعنىُّ بالمستميت حِطَّانُ بن خُفَاف بن زُهَير بن عبد الله بن رُمْح بن عَرْعَرَة بن نَهّار ، وحطان هو أبو الجويرية ، وفى معنى هذه الأبيات قول الآخر وإن كان غرضه الهزل :

إِنِّى أَعُوذُ بِرَوْحٍ أَنْ يُقَرِّبَنِى إِلَى الْقِتَالِ فَيَشْقَى بِى بَنُو أَسَدِ
إِنَّ الْمُهَلَّبَ حُبَّ الْمَوتِ أَوْرَثَكُمْ وَلَمْ أَرِثْ نَجْدَةً فِى الْحَرْبِ عَنْ أَحَدِ
إِنَّ الدُّنُوَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ نَعْلَمُهُ مِمَّا يُفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ

وقول الآخر :

بَاتَتْ تُشَجِّعُنِى هِنْدٌ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَبُ

. . . . . .

لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ ... إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى أَهْوَالِهَا وَثَبُوا

وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلاَ أَرْضَى فَعَالَهُمُ ... مَا الْقَتْلُ يُعْجِبُنِى مِنْهُمْ وَلاَ السَّلَبُ

وأبلغ من هذه الأبيات فى هذا المعنى قول الآخر :

اثْنَانِ مِنَّا يَغْلِبَانِ وَاحِدا ... إِذَا تَعَاوَنَا وَكَانَ رَاقِدَا

تم الباب الأوّل

باب المراثی

١ — وقال أبو خِرَاشٍ الْهُذَلِىُّ (١) :

حَمِدْتُ إِلٰهِى بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا
خِرَاشٌ ، وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ (٢)

---

(١) خِرَاش : مصدر تَخارشت الـكلابُ والسنانير تَخَارُشًا وَخِرَاشاً ، مثل تهارشت ، والخِرَاش أيضاً : سِمَة مستطيلة كاللَّذْعَةِ الخفيفة ، وثلاثة أَخْرِشَة ، ويقال : اخْتَرَشت الـكلابُ والجِرَاء ، قال الراجز :

إِنّ الجِرَاءَ تَخْتَرِشْ فِى بَطْنِ أُمِّ الْهَمَّرِشْ

واسم أبى خراش خُوَيْلِدُ بن مُرّة ، أحدبنى قِرْد ، واسم قِرْد عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل ، مات زمن عمر بن الخطاب ، نَهَشَتْه حَيَّة

(٢) أوّل الطويل ، والقافية متواتر

مضى الـكلام فى خِراش وأنه مصدر خَارَشْته ، ويحتمل أن يكون جمع خرش ، وهو الأثر كالخدش ، وبعير مخروش : به الخِرَاش : أى السمة المعروفة ، وَالمِخْرَش : اسم لما يخرش به ، خشبةً كان أو غيرها ، فأما أبو خُرَاشة من بيت الـكتاب :

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِىَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

فقد روى بضم الخاء وكسرها ، فخراشة يجوز أن يكون من « خَرَشَ لعياله » إذا كسب ، ويكون من باب عُمَالة وعُجَالة وصُبَابة ، وأما أبو خِرَاش هذا فكان من حديثه أن عُرْوَة بن مُرَّة أخا أبى خِرَاش وخراشَ بن أبى خراش اصطحبا فى متصَرَّف لهما ، فأسرهما بطنان من ثمالة : بنو رزام ، وبنو بلال ، وكانوا موتورين ، فاختلفوا فى الإبقاء عليهما وقتلهما ، فمال بنو بلال إلى

قتلهما ، وتفاقم الأمر بينهما فى ذلك ، إلى أن صار يؤدى إلى المقاتلة . فتفرد أولئك بعُرْوة فقتلوه ، وتفرد هؤلاء بخراش ، فخلا به واحد منهم منتهزا للفرصة فى الإسداء ، فقال له : كيف دليلاك ؟ فقال : قطاة ، فألقى عليه رداءه وقال : انْجُهْ ، فمر لطيَّته فلما انحرفوا للنظر فى أمره قال لهم ممسكه : إنه أفلت . فطردوه فأعياهم ، فلما وافى خِراش إلى أبيه وخبره بما جرى على عُرْوَة و بما اتفق من صاحبه فى بابه اقتص قصته فى هذه الأبيات ، وقد روى فيما حكى عن الأصمعى وأبى عبيدة أنهما قالا : لا نعرف من مدح من لا يعرفه غير أبى خراش ، وقد سلك من شعراء الإسلام مسالكه أبو نواس فى أبيات أوّلها :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوهَا وَأَدْلَجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ ودَارِسُ
مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزِّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رَيْحَانٍ جَنِيٌّ وَيَابِسُ
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَاشَهِدَتْ بِهِمْ بِشَرْقِيِّ سَابَاطَ الدِّيَارُ الْبَسَابِسُ

وذكر المبرد أن خراشا كان فى القِدّ مأسورا ، وأن آسره نزل به ضيف ، فقام يحتشد له ، فنظر ذلك الضيف إلى خراش ، وكان مُلْقًى وراء البيت ، فسأله عن حاله ونسبه ، فشرح له قِصَّتَهُ ، فقطع إساره وخلاه . فلما رجع رب البيت قال : أسيرى ، أسيرى ، وأراد السعى فى أثره ، فوتر قَوْسَهُ وخاف أنه إن اتبعه رماه ؛ وذكر أن ملقى الرداء كان مجتازا بعُرْوَة فرآه بادىَ العورة مصروعا ، ففعل ذلك به .

ويروى «حمدت الإله» وقلما يقع فى الاستعمال الإله معرفا باللام ، ومعنى اللفظة الذى يحق له العبادة ، والحمد : يجرى مجرى الشكر ، إلا أنه يستعمل فى مُسْدى الاحسان ، وفيمن رُضِيت أفعاله وإن لم يكن منه إحسان ، فيقال : حمدت فلانا على اصطناعه لى ، وحمدته على فضله ، والشكر لا يستعمل إلا فيمن يكون منه إسداء معروف ، والمعنى أشكر الله بعد ما اتفق من قتل عروة على تخلص خراش ، و بعض

فَوَاللّٰهِ مَا أَنْسَى قَتِيلاً رُزِئْتُهُ
بِجَانِبِ قُوسَى مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ (١)

الشر أخف من البعض ، كأنه تَصَوَّر قتلهما جميعا لو اتفق فرأى قتل أحدهما أهون ، فإن قيل : ليس فى الشرهين ، وأفعل هذا يستعمل فى مشتركين فى صفة زاد أحدهما على الآخر ، لاتقول : زيد أفضل من عمرو ، إلا وقد اشتركا فى الفضل ، فكيف جاز أن يقول : وبعض الشر أهون من بعض ، ولا هين فى الشعر ؟ قلت : إن للشر مراتبَ ودرجاتٍ ، فإذا جئت إلى آحادها وقد تصورت جملها ورُتَبَ الآحاد فيها وجدت كل نوع منها بمضامته للغير له حال فى الخفة والثقل ، وإذا كان كذلك فلا يمنع أن يوصف منه شىء بأنه أهون من غيره ، ولا يشبه هذا قوله عز وجل : (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) لأنك إذا تصورت حال أهل الجنة مع أهل النار لم تجد ثَمَّ مشاركة البتة فى وجه من الوجوه ، والصواب أن يقال فى الآية : إن المعنى أصحاب الجنة يومئذ أحسن حالا وأفضل مقيلا من أن يشبه بشىء أو يحد بوصف ، فحذف منه ما حذف ، وعلى هذا يحمل قول المسلمين : الله أكبر ، وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما سمع الكفار يقولون « اُعْلُ هُبَلُ » قال « الله أكبر وأجل »

(١) تعلق الباء من قوله « بجانب » بقتيلا ، كأنه قال : ما أنسى قتيلا بجانب قوسى رزئته ، ورزئته وبجانب جميعاً صفة للقتيل ، وقد دخله بعض الاختصاص بذكرها ، وقوله « مامشيت على الأرض » ما مع الفعل فى تقدير مصدر ، وحذف اسم الزمان معه ، كأنه قال : مدة مشيى على الأرض ، وفى الكلام نية الشرط والجزاء ، كأنه قال : لا أنسى قتيلا رزئته إن مَشَيْتُ على الأرض ، ومعناه إن

عَلَى أَنَّهَا تَعفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا
نُوَكَّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي (١)
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ
عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَاجِدٍ مَحْضِ (٢)

بقيت حيا ، فلذلك وقع الماضى فيه فى موضع المستقبل ؛ لأن «ما مشيت على الأرض» فى موضع ما أمشى على الأرض ، و إن أمش على الأرض

(١) هذا يجرى مجرى الاعتذار منه والاستدراك على نفسه فيما أطلقه من قوله « لا أنسى قتيلا رزئته مدة حياتى » يكشف هذا أن موضع « على أنها تعفو الكلوم » من الإعراب نصب على الحال ، والعامل فيه « ما أنسى قتيلا » وهذا كما تقول : ما أترك حق فلان على ظلع بى ، كأن التقدير أوديه ظالعاً ، فعلى المثال الذى ذكرته يجىء ما أنسى قتيلا رزئته على عفاء الكلوم : أى أذكره عافياً كلمى ، كسائر الكلام ، و يعنى بالكلم الحزة عند ابتداء الفجعة ، وإنما قال هذا لأن الإنسان يُوَكَّلُ بالجزع للمصيبة القريبة العهد ، فأما المتقادم من الأرزاء فان مُضِيَّ الزمن يعفيه ، وقوله « على أنها » الضمير للقصة ، وخبر أنَّ الجملة بعدها ، ولو قال « على أنه » لجاز وكان الضمير للشأن أيضاً ، وعفته الريح وعفا إذا درس عَفَاء وعفُوًّا و تَعَفَّى ، وعَفَوْتُ صوف الشاة إذا أخذته ، فهو من الأضداد عن أبى زيد

(٢) يجوز أن يكون « من » استفهاما مبتدأ و« ألقى عليه » فى موضع الخبر ، وتكون الجملة فى موضع المفعول بـ « لم أدر » وموضع « على أنه » نصب فى موضع الحال ، كأنه قال : لا أدريه مسلولا عن ماجد محض ، ويروى « سوى أنه قد سُلَّ » و يكون موضع سوى من الاعراب نصباً على أنه استثناء خارج ، ألا ترى أنه يتأتى أن يجعل مكانه لكن ، والتقدير لا أعرف اسمه ونسبه إلا أنه ولد كريم

وَلَمْ يكُ مَثْلُوجَ الْفُؤَادِ مُهَبَّجًا
أَضَاعَ الشَّبَابَ فِى الرَّبِيلَةِ وَالْخَفْضِ (١)
وَلَـكِنَّهُ قَدْ نَازَعَتْهُ مَجَاوِعٌ عَلَى أَنَّهُ ذُو مِرَّةٍ صَادِقُ النَّهْضِ (٢)

بما ظهر من فعله ، فالمستثنى قد انقطع عن الأوّل ؛ ألا ترى أنه قد عرفه بدلالته وإن لم يعرف نفسه وذاته ، ومعنى البيت لا أعلم الذى اهتدى لهـذه المـكرمة فى باب ابنى خراش ، لـكنه كريم الأصل ماجد ، وأصل المجد الـكثرة ، يقال : أمْجَـدت الدابة العلف ، إذا أكثرت لها (١) ، وأراد بالمحض صفاء النسب

(١) حذف النون من « يك » لـكثرة الاستعمال لهذه اللفظة ، ومضارعة النون لحروف المد واللين ، وقوله «مثلوج الفؤاد » كأنه أصاب فؤاده ثلج فبردت حرارته ، والمهبج : المرهل اللحم المتغير اللون ، والربيلة : أصله الرطوبة والسمن ، يقال : رجل رَبِلٌ ، وبئر ذات ربالة ، إذا كانت ناجعة الماء فى الشاربة تسمن عليه ، والرَّبْل : ماتقطر من الورق فى آخر الصيف ببرد الليل ، يقال : هم يَتَرَبَّلُون ، والرِّيبال : من أسماء الأسد ، إذا لم يهمز يجوز أن يكون فيعالا من هذا لترببله وعظمه ، ومعنى الشعر أنه رجع إلى صفة عروة فقال : كان ذكى الفؤاد شهما ، لم يكن ممن ضيع شبابه فى التودع وصلاح البدن ، وهذا أولى لشيئين : أحدهما قوله « ولم يك » لأنه يدل ظاهره على أنه نعت فائت ، والآخر وصفه بأوصاف لا يوصف بها من لا يعرف ، فلا يعدل عن هذا الوجه ، وإن كان قد ذكر أنه من صفة الذى أنجى خراشاً

(٢) ويروى « ولـكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخَامِصٌ » ولَوَّحَتْهُ : غيرته ، والمخامص : جمع مَخْمَصَة ، وهى خلاء البطن من الطعام جوعا ، والمجاوع : مثل المخامص ؛ وإنما أثرت فيـه المجاوع لأنه إذا سافر آثر صَحْبه على نفسـه بزاده فيشبعهم

---

(١) فى نسخة بن « إذا أكثرت له »

٢ — وقال عبْدَة بن الطَّبِيب [1]

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عَاصِمٍ ... وَرَحْمَتُهُ ماشاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا [2]

تَحِيَّةَ مَنْ غَادَرْتَهُ غَرَضَ الرَّدَى ... إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلادَكَ سَلَّمَا [3]

ويجوع ، وقوله « صادق النهض » يعنى النهوض للمكارم والمعالى لا يكذب فيها إذا نهض لها .

(١) عَبْدَة : واحد العبد ، وهو نبت ، وهو من بنى عبد شمس [1] بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

حَيَّاه بقوله « عليك سلام الله » وهكذا تحية الموتى ، بتقديم « عليك » ، وقوله « ماشاء أن يترحما » استدام له التحية بقوله « ماشاء أن يترحم » لأن الرحمة من الله دائمة لاتصال رحمته فى خلقه ، و« ما » مع الفعل فى تقدير مصدر ، وهو فى موضع الظرف ، والمصادر يحذف معها أسماء الزمان كثيرا ، والتقدير مُدَّةَ مشيئته للرحمة ، والسلام : من أسماء الله وهو مصدر فى الأصل ، والمراد به ذو السلام ، وليس فى أسماء الله تعالى ماهو مصدر إلا هذا ، وقولهم إله ، والباقى كله صفات ، وقوله « قَيْسَ ابن عاصم » هو على لغة من لاينون فى غير النداء ، ومن ينون يقول قَيْسُ فيبنيه على الضم ، وقيل فى قوله « ماشاء أن يترحما » معناه عليك سلام الله ورحمته كثيراً ، كما يقال : أصابنا من الخير ماشاء الله أن يصيبنا ، ورأينا من الخير ماشاء الله أن يرى ، يريد الكثرة والمبالغة ، وقيل : معنى « ماشاء أن يترحما » أى : أبدا كما تقدم

(٣) انتصب « تحية » على المصدر بما دل عليه قوله « عليك سلام الله » كأنه قال : أحييك تحية من غادرته ، و« مَنْ » يجوز أن يكون معرفة فى موضع الذى ،

---

(١) فى نسخة بن « عبشمس »

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ وَاحِدٍ ... وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا (١)

وغادرته من صلته ، ويجوز أن يكون مَنْ نكرة فى موضع إنسان ، كأنه قال تحية إنسان هكذا ، فيكون غادرته صفة له ، وانتصب « غرض الردى » على الحال ، وهو فى موضع النكرة وإن كان مضافا إلى مافيه الألف واللام ؛ ولأن غرض يتضمن معنى الصفة ، كأنه قال : غادرته منصوبا للردى وهَدَفاً له ، وقوله « إذا زار عن شحط بلادك سلما » يجوز أن يكون فى موضع الصفة لغرض الردى ، أو حالا له ، ويجوز أن يكون فى موضع صفة لمن إذا كانت نكرة ، ويجوز أن يكون فى موضع الحال إذا جعلت من معرفة ، وقوله « عن شحط » أراد بعد شحط ، وقوله « سلما » جواب إذا ، وقال أبو هلال : غرض الردى بالغين معجمة : أى هَدَفَ الردى صباح مساء ، وهذه صفة لجميع الناس وليس فيه تخصيص لأحد ، والجيد « عَرَضَ الردى » بالعين غير معجمة ، من قولهم : فلان بعرض الأمر : أى بحيث يناله ولا يخطئه ، وإذا كان كذلك عاش عيشة نكدة لتوقعه له لأنه بصدده : أى جعله هذا الميت معرضا للأعداء ينالونه كيف يريدون ، وقال النمرى : يروى بالعين والغين ، فقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل :

أَعْيَتْكَ حُمْرُ الْوَحْشِ أَنْ تَصْطَادَهَا ... فَعَبَأْتَ رُمْحَكَ لِلْحِمَارِ الْآهِلِ

ذكر نبذا من الحروف ، وأعرض عن تفسير قوله :

* إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَّمَا *

ومعنى ذلك أن قيس بن عاصم كان كثير الإفضال على عَبْدَة بن الطبيب فآلى عبدة أن لايخرج فى سفر إلا بدأ بتوديعه ، وإذا قدم منه بدأ بزيارته والتسليم عليه ، فكان ذلك دأبه فى حياته وفى زيارة قبره بعدوفاته

(١) يجوز أن يروى « هُلْكَ » بالنصب والرفع ، فاذا نصبته كان هلكه فى

٣ — وقال هشام بن عقبة الْعَدَوِى أخو ذِى الرُّمَّة يرثى أوْفَى بن دَلْهَمٍ وذا الرمة غَيْلاَنَ(١)

تَعَزَّيْتُ عَنْ أوْفَى بِغَيْلاَنَ بَعْدَهُ   عَزَاءً وَجَفْنُ الْعَيْنِ مَلْآنُ مُتْرَعُ(٢)

موضع البـدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خـبر كان ، كأنه قال : فما كان هلك قيس هلك واحد من الناس ، بل مات لموته خلق كثير ، وإذا رفعته كان هلكه فى موضع المبتدأ وهلك واحد فى موضع الخبر ، والجملة فى موضع النصب على أنه خبر كان ، ويشبه هذا البيت قول امرىء القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً   وَلٰكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسَا

إذا رويت تساقط بضم التاء ، ومثلهما وإن كان أغمض قول الهذلى :

مُطَأْطَأَةٌ لَمْ يُنْبِطُوهَا وَإِنَّهَا   لَيَرْضَى بِهَا فُرَّاطُهَا أُمَّ وَاحِدِ

لأن الْفُرّاط لما حفروا القبر رَضُوا بأن يضعوا فيه واحـدا ، فاذا هم يدفنون بدفنه خلقا ، وصلح قوله « بنيان قوم تهدم » فى مقابلة « فما كان قيس » لمعناه الموافق له ، وذلك أن البنيان وتهدُّمَهُ لم يكن إلا لموت أربابه

(١) وقال أبو هلال : كان لذى الرمة ثلاثة إخوة : أوفى ، وهشام ، وخِرْفَاس ، وكانوا يقولون الشعر . فتغلب ذو الرمة على شعرهم

(٢) ثانى الطويل ، والقافية متدارك

نصب « عزاء » على المصدر ، وهو موضوع موضع التعزى ، والفعـل من العزاء عَزِىَ وعَزِى جميعا : أى صبر ، ويقال : هو حسن الْعِزْوَة : أى العزاء ، والواو من قوله « وجفن العين » واو الحال ، والعامل فى موضع الجملة تعزيت ، وقوله «مترع» أفاد الامتلاء وزيادة ، وهو الانصباب ، يقال : أَتْرَعْتُ الإناءَ ، إذا ملأته ملأ يضيق عما يحويه حتى ينصبّ منه ، وأصل الجفن الحبس ، لذلك

نَعَى الرَّكْبُ أَوْفَى حِينَ آبَتْ رِكَابُهُمْ
لَعَمْرِى لَقَدْ جاؤُا بِشَرٍّ فَأَوْجَعُوا
نَعَوْا بَاسِقَ الأَفْعَالِ لاَ يَخْلُفُونَهُ تَكَادُ الجِبَالُ الصُّمُّ مِنْهُ تَصَدَّعُ (١)
خَوَى الْمَسْجِدُ الْمعْمُورُ بَعْدَ ابْنِ دَلْهَمٍ
وَأَمْسَى بِأَوْفَى قَوْمُهُ قَدْ تَضَعْضَعُوا (٢)
فَلَم تُنْسِنِى أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَهُ
وَلَـكِنَّ نَكْءَ الْقَرْحِ بِالْقَرْحِ أَوْجَعُ (٣)

قيل لقراب السيف : جَفْن ، وذو الرمة وأوفى وهشـام ومسعود إخوة ، فمات أوفى ثم ذو الرمة ، ويقال : إن هذا الشعر لمسعود

(١) يقال : نَعَى نَعْياً وَنَعِيًّا وَنُعْيَاناً ، و « باسق الأخلاق » شريفها ، وقوله « لا يخلفونه » أى : لايقومون مقامه ولا يكونون خلفاءمنه ، وقوله « تكادالجبال الصم منه » الهاء فى « منه » راجعة إلى النعى

(٢) دَلْهَمٌ : مشتق من ادْلَهَمّ إذا أظلم ، وهذه الـكلمة منحوتة من أصلين الأدلم ، والأدهم ، فجمع بينهما للمبالغة ، كما قالوا للسارق « قِرْضَاب » من القضب والقرض ، وهما القطع ، وابن دلهم كان السبب فى عمارة المسجد الذى أشار إليه ، فلما مضى لسبيله كان المسجد خاليا إذ كان هو المراعى له والمتفقد لصلاح أمره كأنه يريد أن أوفى كان قِوَامَ عشيرته ، فلما مات اضطربت أحوالهم فصـاروا بعده كالمسجد المعطل بموت ابن دلهم ، فلم يأت بلفظ التشبيه ؛ إذ كان معناه من الكلام مفهوما ، والضعضعة : الخضوع والتذلل

(٣) « أوجع » موضوع موضع أشد إيجاعا ، فإن قيل : كيف صلح ذلك

وأفعل الذى للمبالغة والتفضيل يتبع ما أفعله ، وكذلك أفْعِلْ به ، وفِعْلُ التعجب يجب أن يكون من الثلاثى لا غير فَعَلَ وَفَعِلَ وفَعُلَ ، وأوجعنى ليس منها ؟ قلت : ذلك سائغ على مذهب سيبويه إذ كان عنده أن فعل التعجب يكون من الثلاثى ومما كان على أفْعَلَ خاصة ، حكى على ذلك قولهم : ما أعطاه للمال ، وما آتاه للخير ، وإنما هما من الإيتاء والإعطاء ، لا من الأتى والعطاء ، وكذلك قولهم : ما أسْدَاه المعروف ، وذلك لكثرة وجوه الشبه بين فَعَلَ وأفعل ، ألا ترى أنهما يتفقان فى معنى ، وأنه يقال فى مفعولهما مفعول وفى فاعلهما فاعل ، وأن كل واحد منهما يقع فى مطاوعة الآخر ، وكان أبو العباس المبرد يقول : ذلك جائز على حذف الزوائد ، يعنى بناء التعجب من أفْعَلَ ، ويشبهه بقول الشاعر :

* تَكَشِفُ عَنْ جُمَّاتِهِ دَلْوُ الدَّالْ *

وبقوله :

* وَمَهْمَهٍ هَالِكِ مَنْ تَعَرَّجَا *

وبقول الله تعالى : (وأرسلنا الرياح لواقح) ويجوز مثل هذا فيما كان أصله ثلاثياً على أى بناء كان ، وكان يتبع مذهب الأخفش فى ذلك ، وقال النمرى : أوْفَى وغيلان أخواه ، فيقول : لما مات أوفى تعزيت بحياة غيلان ، وهذا شبيه بقول أبى خراش :

حَمِدْتُ إِلٰهِى بَعْدَ عُرْوَةَ إذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

قال : وقال الديمرتى وجماعة معه : يقول مات أوفى وطال الزمان ثم مات ذو الرمة فجاءنى حزن شديد فتعزيت عن أوفى وصرفت همى إلى الحزن الجديد ، ولست أدرى فى البيتين ما يدل على ما قاله ، ولا فى الأبيات التى لم تذكر ، وأظنه ظن هذا كقول أبى خراش :

* نُوَكَّلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِى *

٤ — وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ :

لَقَدْ لاَمَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَا رَفِيقِي لِتَذْرَافِ الدُّمُوعِ السَّوَافِكِ (١)

فَقَالَ : أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرٍ ثَوَى بَيْنَ اللِّوَى فَالدَّكَادِكِ (٢)

وقال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل « سُلِّى هٰذَا من أَسْتِكَ أَوَّلاً » الشيخان كلاهما على خطأ فى تفسير هذا البيت ، ومعنى قوله « تعزيت عن أوفى » أى تعزيت فى الحال التى كان جفن عينى مُتْرَعاً بالبكاء على أوفى : أى لم أتعز ، بل ازددت جزعا على أوفى وحزناً له واحتراقا عليه بموت غيلان بعده ، والدليل على ذلك قوله فى هذه القصيدة :

* وَلَمْ تُنْسِنِي أَوْفَى الْمُصِيبَاتُ بَعْدَه * البيت

(١) ثانى الطويل ، والقافية متدارك

التَّذْرَاف : تَفْعَال من ذَرَفَتْ عَيْنُهُ إذا دمعت ، والسوافك : الوجه أن يقال مسفوكة لأنه يقال : سَفَكْتُ الدمعَ ، ويحتمل أن يكون مثل سَفَحْتُ الدمعَ ، وَسَفَحَ هو ، والسَّفْكُ : صب الدمع ، فوصف الدموع بها لأنها جمع سافكة ، والمراد ذوات السفك

(٢) اللوى : قيل إنه ههنا موضع بعينه ، وفى اللغة هو مُسْتَرَقُّ الرمل ومنقطعه ، وذكر بعضهم أن اللوى ههنا يقع على أماكن مختلفة ، ولأجل ذلك جاز أن يترتب عليه « فالدكادك (١) » وإذا روى فالدوانك لايتصور وقوع اللوى على أماكن

---

(١) يريد أن « بين » كلمة لاتضاف إلا إلى متعدد أو معطوف عليه بالواو ، تقول : جلست بين العلماء ، وتقول : جلست بين علي وأبي بكر ، ولا تقول : جلست بين علي فأبي بكر ، ومثل هذا الذى قاله قد قيل فى قول امرىء القيس :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَقُلْتُ لَهُ: إنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الشَّجَا ... فَدَعْنِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مالكِ (١)

مختلفة ، والدوانك : علم لموضع ، ودونك مهمل

(١) أشار بهذا إلى الجنس كما هو ، كأنه أراد جنس القبور ، يدل عليه إتباعه إياه بما يفيد العموم ، وهو قوله « كله » كأنه يريد أن مالكا من عظم شأنه كأنه قد ملأ الأرض ، فكأن الأرض كلها مكانه ، وكأن كل قبر قبره ، وهذا على حسب ما قال : هلا جعلتم قبره ميلاً فى ميل ، كأنه من عُظْم شأنه لا يسعه إلا قبر ميل فى ميل

خبر هذه الأبيات : قال أبو رياش : كان مالك بن نويرة قد أسلم قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، وتصدق ، وكان عَرِيفَ ثعلبة بْنِ يَرْبُوع ، فقُبِض النبى صلى الله عليه وسلم وإبل الصدقة بِرَحْرَحَان ، وهو ماء دُوَيْنَ بطن نخل يكون مُكلِئاً ، فجمع مالك جمعاً نحوا من ثلاثين ، فأغار عليها ، فاقتطع منها ثلثمائة ، فلما قدم بلاد بنى تميم لامه الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان ابن مجاشع بن دارم وضِرَارُ بن القعقاع بن معبد بن زرارة بن عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وليس فى العرب عُدُس بضم الدال غير هذا ، والباقى عُدَس بالفتح ، وبلغ مالكا أنهما يَمْشِيَان به فى بنى تميم ، فقال مالك يَعْنِيهما ويدعو على مابقى من إبل الصدقة :

أرَانِى اللهُ بِالنَّعَمِ الْمُنَدَّى ... بِبُرْقَةِ رَحْرَحَانَ وَقَدْ أَرَانِى

المندّى : من التَّنْدِية ، وهى أن تشرب الماشية ثم تُنَاخ ناحيةً حتى تريح ثم ترد الماء

أأنْ قَرَّتْ عُيُونٌ وَاسْتُفِيئَتْ ... غنَائِمُ قَدْ تَجُودُ بِهَا بَنَانِى

حَوَيْتُ جَمِيعَهَا بالسَّيْفِ صَلْتاً ... وَلَمْ تُرْعَدْ يَدَاىَ وَلاَ جنَانِي

تَمَشَّى يَا ابْنَ عُوذَةَ فِي تَمِيمٍ وَصَاحِبُكَ الْأُقَيْرِعُ تَلْحَيَانِي
أَلَمْ أَكُ نَارَ رَابِيَةٍ تَلَظَّى فَتَتَّقِيَا أَذَايَ وَتَرْهَبَانِي
فَقُلْ لِابْنِ الْمَذَبِّ يَغُضُّ طَرْفاً عَلَى قَطْعِ الْمَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ

مع غيرها ، عُوذَة : أم ضرار بن القعقاع ، وهى مُعَاذة بنت ضرار بن عمرو الضبى ، وَالْمَذَبة : أم الأقرع بن حابس

فلما قام أبو بكر وَبَلَغَه قول مالك بعث إليه خالد بن الوليد ، وأمره أن لا يأتى الناس إلا عند صلاة الغداة ، فمن سمع فيهم مؤذنا كفَّ عنهم ، ومن لم يسمع فيهم مؤذنا استحلهم ، وعزم عليه ليقتلن مالكا إن أخذه ، فأقبل خالد حتى هبط الجو جَوَّ الْبَعُوضة ، وبه بنو يربوع ، فبات عندهم ولا يخافونه ، فمر على بنى رياح فوجد شيخا منهم يقال له مسعود بن وَضَّاحٍ يقول :

وَحَجَّةٍ أَتْبَعْتُهَا بِحَجَّةٍ وَهَدْيَةٍ أَهْدَيْتُهَا لِلْأَبْطَحِ

فمضى عن رياح حتى مر ببنى غُدَانَةَ وبنى ثعلبة فلم يسمع فيهم مؤذنا ، فحمل عليهم ، فثار الناس ولا يدرون ما بَيَّتَهُمْ ، فلما رأوا الفرسان والجيش قالوا : ما أنتم؟ قالوا : نحن المسلمون ، قال مالك : ونحن المسلمون ، فلم ينته المسلمون لذلك ووضعوا فيهم السيف ، وقتلت غُدَانَةُ أشد القتل ، وقتلت ثعلبة ، وأُعْجِلَ مالك عن لبس السلاح ، وإن امرأته لَيْلَى بنت سنان بن ربيعة بن حنظلة قامت دونه عُرْيَانَة ودخل القبة ، وقامت دونه حتى أنفذها الرماح فى ساقها ، ونخذها ، ولبس مالك أداته ثم خرج عليهم ، فنادى : يا آل عُبَيْد ، فلم يجبه أحد غير بنى بهان ، فإنهم صدقوا معه يومئذ ، وطلعوا من جو البعوضة ، وبلغوا ذات المداق ، وهى أَكَمَة بينها وبين الجوميلان أو قدر ميل ونصف كقصر الحجاج إلى البصرة ، ففرغوا من القوم غير مالك وغير بقية من ولد حُبْشِيّ بن عُبَيْد بن ثعلبة ، وكان عدة من أصيب مع مالك خمسة وأربعين رجلا من بنى بهان ؛ ثم إن خالد بن الوليد قال :

يابن نويرة، هلم إلى الإسلام ، قال : مالك وتعطيني ماذا ؟ قال : أعطيك ذِمَّة الله وذمة رسوله وذمة أبي بكر وذمة خالد بن الوليد أن لا أحاوز إليك وأن أقبل منك ، فأقبل مالك وأعطاه بيده ، وعلى خالد تلك العَرْضة من أبي بكر، قال : يامالك، إني قاتلك ، قال : لا تقتلني ، قال : لا أستطيع إلا ذاك ، قال : فأت مالا تستطيع إلا إياه ، فقدمه إلى الناس فتهيَّبوا قتله ، وقال المهاجرون : أتقتل رجلا مسلما ؟ غير ضرار بن الأزور الأسدي من بني كوز فانه قام فقتله ، فقال متمم بن نويرة يذكر غدْره بمالك :

نِعْمَ الْقَتِيلُ إِذَا الرِّيَاحُ تَحَدَّبَتْ … فَوْقَ الْكَنِيفِ قَتِيلُكَ ابْنَ الأَزْوَرِ

أَدَعَوْتَهُ بِاللهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ … لَوْ هُوَ دَعَاكَ بِذِمَّةٍ لَمْ يَغْدِرِ

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ يَوْمَ لِقَائِهِ … وَلَنِعْمَ مَأْوَى الطَّارِقِ الْمُتَنَوِّرِ

لاَ يَلْبَسُ الْفَحْشَاءَ تَحْتَ ثِيَابِهِ … صَعْبٌ مَقَادَتُهُ عَفِيفُ الْمِئْزَرِ

ومما قال متمم ، وفيه إقواء :

وَمِنْ أَيَّامِنَا يَوْمٌ عَجِيبٌ … وَلاَ يَوْمٌ كَيَوْمِ بَنِي بَهَانِ

بِنَاصِفَةِ الْبَعُوضَةِ حَيْثُ سَالَتْ … عَلَى بَطْحَائِهَا شُعَبُ الرِّعَانِ (١)

دَعَاهُمْ مَالِكٌ حَتَّى اسْتَجَابُوا … وَلَمْ يَكُ فِي إِجَابَتِهِمْ تَوَانِ

مُحَافَظَةً عَلَيْهِ وَلَمْ يُرِيدُوا … صُدُوداً عَنْ مُخَالَسَةِ الطِّعَانِ

فَلاَ يَبْعَدْ بَنُو عَمٍّ وَآلٍ … وَدُعْمِيٌّ فَقَدْ وَأَبِيكَ كَانُوا

فَوَارِسَ غَارَةٍ وَحُمَاةَ ثَغْرٍ … إِذَا مَا شُبَّتِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ

نَعَضُّ عَلَيْهِمُ أَسَفاً إِذَا مَا … ذَكَرْنَاهُمْ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ

وَتُسْعِدُنَا الأَرَامِلُ وَالْيَتَامَى … فَمَا لِلْعَيْشِ بَعْدَهُمُ لَبَانُ

فلما فرغ خالد منهم أقبل المِنْهَالُ بن عِصْمَة الرِّيَاحي في ناس من بني رياح

---

(١) في نسخة ب * على بطائحها شعب الرعان * وهو تصحيف يختل معه وزن البيت

يدفنون قتلى بنى ثعلبة وبنى غُذَابة ، ومع المنهال بردان من يمنه ، فكانوا إذا مروا على رجل يعرفونه قالوا : كفن هذايامنهال فيهما ، فيقول : لا ، حتى أكفن فيهما الجُفُولَ مالكا ، وهو الكثير الشعر ، وكان يلقب بذلك لكثرة شعره ، وذلك فى يوم شديد الريح ، فجعلوا لايقدرون على ذلك ، ثم رفعت الريح شعره من أقصى القوم ، فعرفه فجاءه فكفنه ، فذلك قول متمم :

لَعَمْرِى وَمَادَهْرِى بِتَأْبِينِ هَالِكٍ   وَلاَ جَزَعٌ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا

لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ   فَتًى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

أَلَمْ يَأْتِ أَخْبَارُ الْمُحِلِّ سَرَاتَنَا   فَيَغْضَبَ مِنْهَا كُلُّ مَنْ كَانَ مُوجَعَا

المحل : رجل من بنى ثعلبة مر بمالك مقتولا فنعاه كأنه شامت ، فذمه متمم ، و هذا المحل كان بنوه يداوون من الكلب ، وهو قول الشاعر :

أَبْلِغْ لَدَيْكَ بَنِى مَالِكٍ   وَرَهْطَ الْمُحِلِّ شُفَاةَ الْكَلَبْ

وأخذ خالد بن الوليد ليلى بنت سنان امرأة مالك وابنها جراد بن مالك فأقدمهم المدينة و دخلها و قد غرز سهمين فى عمامته ، فكأن عمر غضب حين رأى السهمين فقام فأتى على بن أبى طالب عليه السلام ، فقال : إن فى حق الله أن يقاد هـذا بمالك ، قتل رجلا مسلما ثم نزا على امرأته كما ينزو الحمار ، ثم قاما فأتيا طلحة بن عُبَيْد الله وسعد بن أبى وَقَّاص فتتابعوا على ذلك ، فقال أبو بكر : سَيْفٌ سَلَّه الله لاأكون أول من أغمده ، أَكِلُهُ إلى الله وأمره ، فسئل سليط : هل كان خالد تزوج ليلى ؟ فقال : لاأدرى ، فلما قام عمر قدم عليه متمم بن نويرة فاستعداه على خالد ، فقال : لا أرد شيئا صنعه أبو بكر ، فقال متمم : قد كنت تزعم أن لو كنت مكان أبى بكر أقدته ، قال عمر : إنى لو كنت ذلك اليوم بمكانى اليوم لفعلت ، ولكننى لا أرد شيئا أمضاه أبو بكر ، ورد عليه ليلى وابنها جَرَادًا ، وقال أبو محمد الأعرابى راداً على النمرى : هذا موضع المثل « الْكَمَرُ أَشْبَاهٌ » توهم أبو عبد الله

٥ — وقال أبو عطاء السِّنْدِى (١)

أَلاَ إِنَّ عَيْناً لَمْ تَجُدْ يَوْمَ وَاسِطٍ ... عَلَيْكَ بِجَارِى دَمْعِهَا لَجَمُودُ (٢)

أنه ليس فى العرب سوى متمم ومالك ابنى نويرة ممن أبَّنَ أخاه ورثاه ، وليس هذا الشعر لمتمم بن نويرة ، بل هو لابن جِذْلِ الطِّعَان الفراسى من بنى كنانة يرثى أخاه مالكا ، وأول الأبيات :

ثَنَى الْحُزْنَ أَرْمَامٌ غَشِينَ بِمَنْشَدٍ ... وَرَمْلَةِ قُرَّى عَنْ يَمِينِ الشَّنَابِكِ

فَأَسْعَدْتُ أَبْكِي مَالِكاً وَكَأَنَّهُ ... بِجُثْوَتِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّوَابِكِ

وَلاَصَاحِبِي لَمْ يَبْكِ وَالنَّاسُ ضَاحِكٌ ... سَلِيٌّ وَبَاكٍ شَجْوَهُ غَيْرُ ضَاحِكِ

يعنى ولا صاحبي بكى لم يبكه غيرى

وَقَالَ أَتَبْكِي كُلَّ رَمْسٍ رَأَيْتَهُ ... لِرَمْسٍ مُقِيمٍ بِالْمَلاَ وَالدَّوَانِكِ

فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الشَّجَا يَبْعَثُ الْبُكَا ... فَدَعْنِي فَهٰذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكِ

أَلَمْ تَرَهُ فِينَا يُقَسِّمُ مَالَهُ ... وَتَأْوِى إِلَيْهِ مُرْمِلاَتُ الضَّرَائِكِ

فَآخِرُ آيَاتٍ مُنَاخُ مَطِيَّةٍ ... وَرَحْلٌ عِلاَ فِيٍّ عَلَى مَتْنِ حَارِكِ

فَلَمَّا اسْتَوَى كَالْبَدْرِ بَيْنَ شُعُوبِهِ ... وَأَمَّتْ بِهَادِيهَا فِجَاجَ الْمَهَالِكِ

بِعَيْنَيْ قَطَامِيٍّ تَأَوَّبَ مَرْقَباً ... فَبَاتَ بِهِ كَأَنَّهُ عَيْنُ فَارِكِ

أَطَفْنَا بِهِ نَسْتَحْفِظُ اللهَ نَفْسَهُ ... نَقُولُ لَهُ مُصَاحِباً غَيْرَ هَالِكِ

(١) فى ابن هبيرة ، وقتله المنصور بواسط ، بعد أن آمنه .

(٢) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر .

كان أبو جعفر قتله غدراً ، فلما حمل رأسه إليه قال لِلْحَرَسِيّ : أترى إلى طينة رأسه ما أعظمها ، فقال الحرسى : طينة إيمانه أعظم من طينة رأسه .

عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشُقِّقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِى مَأْتَمٍ وَخُدُودُ (١)
فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرُبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وُفُودُ (٢)

---

(١) عَشِيَّةَ : بدل من قوله « يوم واسط » وأسماء الزمان تضاف إلى الأفعال ، وهو تحديد وتوقيت ، ومعنى قيام النائحات تهيؤها للنوح ، وعلى هـذا قولهم : قامت السوق ، وقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة) وأصل التناوح التقابل ، والمأتم : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأصله من الأتم ، وهو التقاء المسلكين ، ومنـه الأتوم فى صفة النساء .

(٢) الرواية المختارة « وربما » بالواو ، وذلك أن جواب الشرط من قوله « فان تمس مهجور الفناء » فانك لم تبعد على متعهد ، ويصير « ربما أقام » بيان الحال فيما تقدم من رياسته ، وَقْتَ توفُّر الناس على قصده وزيارته ، وإذا رويت « فربما أقام » وجعلته جزاء الشرط يصير « فانك لم تبعد » استئناف كلام ، وتكون الفاء رابطة لجملة على جملة ، فان قيل : إن الشرط والجزاء لا يصحان إلا فيما كان مستقبلا ، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقول القائل : إن خرجت أمس أعطيتك فيـه درهما ، وقد انقضى ، فلا يصح تعلق الشرط والجزاء به ، وإنما يعلقان أبدا بما يستأنف من الزمان حتى يصح من الفاعل إيقاع فعله فيه واستحقاقه الجزاء عليـه ، قلت : الأمر فى الشرط على ما ذكرت ، إلا فى لفظ « كان » ، كأنهم جوزوا أن يقول القائل : إن كنت خرجت أمس إلى موضع كذا أعطيتك اليوم كذا ، والمعنى إن يثبت فى علمى وقوع الخروج منك أمس ، وجوزوا هذا فى لفظة « كان » لقوته فى العبارة عن الأحداث ، وأما الجزاء فلا يجوز فيه مثل هذا لا بلفظة « كان » ولا بغيرها ، يمتنع أن يقال : إن تجئنى اليوم أعطيتك أمس ، على أن تكون العطية سلفا فى جزائه على فعله ، فان قيل : فكيف جاز أن تقول : « فربما أقام » وأقام بناء ماض ،

فَإِنَّكَ لَمْ تَبعُدْ عَلَى مُتَعَهِّدٍ
بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ (١)

٦ — وقال آخر :

لَوْ كَانَ حَوْضَ حِمَارٍ مَاشَرِبْتَ بِهِ إِلاَّ بِإِذْنِ حِمَارٍ آخِرَ الأَبَدِ (٢)

قلت : إن الجواب فى قوله « فربما » ليس بالفعل وإنما هو جملة من مبتدأ وخبر ، لا فعلا وفاعلا ، وإذا كان كذلك فقد سلم اللفظ ، وصار المعنى إن أمسى فناؤك مهجوراً الساعة فيما كان مألوفا من قبل ، والعرب تقول : هذا بذاك : أى عوض من ذاك .

(١) أى : على متعهد يتعهدك بالذكر والبكاء ، أو على من يتعهد قبرك ، يزوره ، ثم قال : بلى أنت بعيد إذ ليس لمن يتعهدك بهذه الأشياء منك شىء .

(٢) الأول من البسيط ، والقافية متراكب .

هذه الأبيات قالها صَنَّان بن عبَّاد اليَشكُرِى فى أنّ شَمَطَ بن عبد الله اليشكرى أتاه وقد أورد إبله وأترع حَوْضَه فأخذ فوق يده وقدم إبله فأوردها فى مائه الذى استقى فكان له الحفرة والعدد ، فقال صَنَّانٌ :

يَاهَلْ بِصَوْبِ وَ بِالْغَبْرَاءِ مِنْ أَحَدِ وَهَلْ بَكَى بَلَدٌ أَعْمَى إِلَى بَلَدِ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ اللَّيْلِ مُرْتَفِقاً عَلَى الْفِرَاشِ وَمَا بِالْعَيْنِ مِنْ رَمَدِ
إِلاَّ تَذَكُّرَ أَقْوَامٍ فُجِعْتُ بِهِمْ كَانُوا يَسُدُّونَ عَنِّى الأَمْرَ ذَا السَّدَدِ
لَمَّا رَأَى شَمَطٌ حَوْضِى لَهُ تَرَعٌ عَلَى الحِيَاضِ أَتَانِى غَيْرَ ذِى لَدَدِ

* لو كان حوض حمار * الأبيات

قال أبو رياش : حِمَار هو علقمة بن النعمان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة ، وأما شَمَط فهو حطَّان بن قيس بن عمرو بن ثعلبة بن عدى بن جشم بن حبيب ابن كعب بن يشكر ، وقال المرزوقى : حمار أخوه ، وكان فى حياته يتعزز به ، فلا

لَـكِنَّهُ حَوْضُ مَنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ
رَيْبُ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ (١)

يعترض عليه أحد فيما يفعله ولا يطمع إنسان فى اهتضام جانبه ، فلما أصيب به استُلِين جانبه حتى غُلِبَ على مائه ، وقوله « آخِرَ الأبد » ظرف يتعلق بقوله « ماشربت به » فأما تكرير لفظة حمار فانهم يفعلون ذلك فى الأعلام وما يجرى مجراها ، وفى أسماء الأجناس ، ويكون القصد إلى التعظيم ، وقيل : إن حمارا المذكور اسم رجل كان يضرب به المثـل فى الذل ، فلذلك ذكره ، ولا يجوز أن يراد به واحد من الحمر لأنه لو كان كذلك لوجب أن يقول فى الثانى إلا باذن الحمـار لأن المنكر إذا أعيد ذكره يجب تعريفه بالألف واللام إشارة إليه . على هذا كتب فى أواخر الكتب وقد قدم فى أوائلها « سلامٌ عليك » : والسلام عليك (١)

(١) قيل فى « بيضة البلد » : إنه بيض النعام لأنها سيئة الهداية ؛ فتضع بيضها فى موضع ثم تتركه ضلالاً عنها فيضيع ، وربما ذهبت فحضنت بيض غيرها وتظن أنه بيضها ، وقيل : إن « بيضة البلد » هى الكمأة البيضاء تنشق عنها الأرض ، وهى الفقع ، فتطؤه الماشية ، وتنقره العافية ، ولذلك قيل : أذل من فَقْع بقاع ، وكما ضرب المثل ببيضة البلد فى الذل ضرب بها المثل فى العز أيضا ، قالت أخت عمرو بن عبدود ترثى أخاها وكان على قتله :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ   بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِى جَسَدِى
لَـكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ   وَكَانَ يُدْعَى قَدِيماً بَيْضَةَ الْبَلَدِ

والمراد إذا مدح أنه لا نظير لها ولا أخت معها فالنعامة تطيف بها إشفاقا عليها ، ومن الذم قول الآخر :

---

(١) يعنى كتبوا « السلام عليك » فى آخر الكتب التى يبعثون بها لكونهم قالوا فى أولها « سلام عليك »

لَوْ كَانَ يُشْكَى إِلَى الْأَمْوَاتِ مَا لَقِيَ الْ
أَحْيَاءُ بَعْدَهُمُ مِنْ شِدَّةِ الْكَمَدِ
ثُمَّ اشْتَكَيْتُ لَأَشْكَانِى وَسَاكِنُهُ
قَبْرٌ بِسِنْجَارَ أَوْ قَبْرٌ عَلَى قَهَدِ (١)

٧ — وقال رجل من خَثْعَمٍ (٢) :

إِنَّ أَبَا نَضْلَةَ لَيْسَ مِنْ أَحَدْ ضَلَّ أَبَاهُ فَهْوَ بَيْضَةُ الْبَلَدْ

وبيضة الإسلام : جماعتهم ، ويقال : تَفَرَّى بيضة الأرض عن بنى فلان ، إذا تناسلوا وكثروا

(١) يقال : شكوته فأشكانى، كما يقال :طلبت منه كذا فأطلبنى ، والكَمَد: هم وحزن لا يستطاع إمضاؤه ، وقال ابن دريد : هو مرض القلب من الحزن ، يقال: كَمِدَ يكْمَدُ كَمَداً ، ورأيته كامد الوجه ، إذا بان به أثر الكمد ، وأكمده الحزن إكمادا ، ويروى « لأشكانى بآملة » والآملة : البكاء والعويل ، ومن روى « وساكنه قبر بسنجار » فانه قدم المعطوف — وهو « وساكنه » — على المعطوف عليه — وهو « قبر بسنجار » — ومثله :

أَلَا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللهِ السَّلَامُ

وإنما يحسن هذا إذا كان العامل مقدما ، وهو فى الفعل والفاعل أكثر منه فى المفعول ، فأما المجرور فلا يجوز ذلك فيه ، لا يجوز أن تقول : مررت وعمرٍو بزيد، إذ كان فيه تقدم المعطوف عليه وعلى العامل فيه

(٢) خثعم : اسم قبيلة غير مصروف ، وهو فى الأصل اسم بعير ، والخَثْعَمَة : تلطخ الجسد بالدم ، ويقال : إنما سميت بذلك لأنهم نحروا بعيرا فتلطخوا بدمه وتحالفوا ، فخثعم على هذا فى الأصل فعل ماض كَدَحْرَج ، نقل فسميت القبيلة به

نَهِلَ الزَّمَانُ وَعَلَّ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مِنْ آلِ عَتَّابٍ وَآلِ الْأَسْوَدِ (١)

مِنْ كُلِّ فَيَّاضِ الْيَدَيْنِ إِذَا غَدَتْ نَكْبَاءُ تُلْوِى بِالْكَنِيفِ الْمُؤْصَدِ (٢)

ويجوز أن يكون مَصْدراً ، حذفت منه الهاء عند النقل ، وأصله خثعمة ، ومن أبيات الكتاب :

وَمَاهِيَ إِلاَّ فِي إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مُغَارَ بْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَيِّ خَثْعَمَا

(١) أول الكامل ، والقافية متدارك

النَّهَل : الشرب الأول ، والعَلَلُ : الشرب الثانى ، والتصريد : تقليل الشرب ، يقال : إناء مُصَرَّد ، إذا كان ما يحويه دون الرى

(٢) « من كل فياض » بدل من قوله « من آل عتاب » وقد أعاد العامل فيه ، وهذا يكثر فى المجرور ، على هذا قول الله تعالى : (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم) ألا ترى أنه أعاد اللام كما أعاد هذا الشاعر من ، وهذا التكرار تأكيد الإبدال وتنبيه على أن الثانى من الأول ، والفَيَّاض : الكثير السَّيَلان ، وهو بناء المبالغة ، وَالنَّكْبَاء : كل ريح تنكَّبَتْ عن مَهَابِّ الرياح الأربع ، وإذا كثرت النكباوات واشتد هبوبها شَمِلَ القحط والأنكب : البعير وغيره ، كأنه يمشى فى شق ، ومعنى « تلوى » تذهب به ؛ والكنيف : الحظيرة من الشجر ، والمؤصد : الذى جعل له إصاد إحكاما له ؛ والإصاد : عتبة الباب ، والجمع الْأُصُد ، وفسر قوله تعالى : (إنَّهَا عليهم مُؤْصَدة) أى : مُطْبَقَة ، وقيل : الوصيد الْفِنَاء ، والمعنى إن الزمان أَلَحَّ عليهم وتناول منهم الأفضل فالأفضل تناولا لا تقليل فيه ، فذهب منهم بكل رجل سخى واسع المعروف إذا اشتد الزمان ، وقول الجَعْدِى :

فَالْيَوْمَ أَضْحَوْا لِلْمَنُونِ وَسِيقَةً   مِنْ رَائِحٍ عَجِلٍ وآخَرَ مُغْتَدِى (١)

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدٍ

وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِى بِالسُّودَدِ (٢)

٨ — وقال محمد بن بَشِير الْخَارِجِى ٤ (٣)

سَأَلَتْنِي عَنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا   شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

ليس مما قاله فى شىء ، وإنما يريد مر عليهم دهر مديد فشرب الناس بعدهم وأكلوا ونسوا أولئك

(١) أشار باليوم إلى الزمان الحاضر المتصل بما بعده . وهذا كما يقال : فلان بالأمس كان يفعل كذا ، وهو اليوم رئيس بلد ، فذكر اليوم لاتصال الوقتين وتقريب الْمَدَى بين الماضى منهما والحاضر ، والوسيقة : الطريدة ، ونبه بهذا الكلام على أن الدهر بعدُ جارٍ على عادته المستأنفة معهم فى الأخذ منهم والذهاب بهم

(٢) ويروى « فسدت غير مدافع » ويكون حالا ، كأنه سادهم ولا منازع له فيهم ، وإذا رويت «غير مسود» جاز أن يكون مفعولا من « سدت » ويكون مثل قول الآخر :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ   فَأَرَاهُ لَمْ يُغَادِرْ غَيْرَ قُلّْ

فيكون المعنى سُدْتُ مَنْ لا يصلح أن ينسب إلى السيادة فى حال ؛ لأن من استصلح لها أو ذكر فى عداد الرؤساء إذا عُدُّوا ماتوا ، وجاز أن يكون حالا ، ويكون المعنى سدت قبل أوان سيادتى : أى سدت ولم أسوَّد بعد

(٣) فى نسخة « يسير الخارجى » وفيها يسير فَعِيل من اليسر ، و بشير هو الوجه ، والخارجى : منسوب إلى خارجة

نِعْمَ الْفَتى فَجَعَتْ بهِ إِخْوَانَهُ ... يَوْمَ الْبَقِيعِ حَوَادِثُ الْأَيَّامِ (١)

سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ ... طَلْقُ الْيَدَيْنِ مُؤَدَّبُ الْخُدَّامِ (٢)

وَإِذَا رَأَيْتَ صَدِيقَهُ وَشَقِيقَهُ ... لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا ذَوُو الْأَرْحَامِ (٣)

٩ — وقال أيضاً :

طَلَبْتُ فَلَمْ أدْرِكْ بِوَجْهِى وَلَيْتَنِى
قَعَدْتُ فَلَمْ أَبْغِ النَّدَى بَعْدَسَائِبِ (٤)

---

(١) ثانى الكامل ، والقافية متواتر

المحمود الذى يطلبه « نعم » بالاختصاص من جنسه محذوف ، كأنه قال : نعم الفتى فتى فجعت به إخوانه ، والضمير من قوله « به » عائد إلى المحذوف ، والجملة من الفعل والفاعل قد خصصته حتى صار كالمعرفة ، ومنه قوله تعالى : (نعم العبد إنه أواب) كأنه قال : نعم العبد أيوب ، والحذف فى هذا المكان يصلح إذا كان المحمود مشهور الشأن معلوماً ، وارتفع « الحوادث » بفعلها ، وفعلها فَجَعَتْ.

(٢) ارتفع « سهل الفناء » على أنه خبر مبتدأ مضمر

(٣) الشقيق : إشارة إلى إخوان الولادة ومن جرى مجراهم ممن شاركه فى نسبه ، حتى كأنه شق منه ، والصديق : إشارة إلى إخوان المودة ، وأشار بقوله « صديقه وشقيقه » إلى الجنسين ، وفائدتهما الكثرة لا الواحد ، ألا ترى أنه قال : « لم تدر أيهما ذوو الأرحام » وفى معناه قول الآخر :

فَمَا زَالَ بِى إِكْرَامُهُمْ وَاقْتِفَاؤُهُمْ ... وَإِلْطَافُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمُ أَهْلِى

(٤) ثانى الطويل ، والقافية متدارك

يتعلق الباء من قوله « بوجهى » بطلبت ، والمعنى بذلت وجهى ، كأنه تولى

وَلَوْ لَجَأَ الْعَافِى إِلَى رَحْلِ سَائِبٍ ثَوَى غَيْرَ قَالٍ أَوْ غَدَا غَيْرَ خَائِبِ (١)

أَقُولُ وَمَا يَدْرِى أُنَاسٌ غَدَوْا بِهِ إِلَى اللَّحْدِ : مَاذَا أَدْرَجُوا فِى السَّبَائِبِ (٢)

الطلب بنفسه وابتذل وجهه وجاهه فيه فلم يدرك المطلوب فى مفعول طلبت ، ومفعول طلبت محذوف يدل عليه قوله « فلم أبغ الندى » والتقدير طلبت بعد سائب الندى ببذل وجهى فلم أنله ، وليتنى قعدت فلم أبغه ، ولا يمتنع أن تعلق الباء من قوله « بوجهى » بأدرك ، وهو المختار عند أصحابنا البصريين ، ويكون التقدير طلبت الندى فلم أدركه بوجهى ؛ وقوله « بعد سائب » يجوز أن يكون العامل فيه طلبت ، وكل واحد من الأفعال المجتمعة — وهى : طلبت ، وأدرك ، وقعدت ، ولم أبغ — والمعنى بعد موت سائب

(١) انتصب « غير » على الحال ، وأشار بالعافى إلى الجنس ؛ يقال : عَفَاه ، واعتفاه ، إذا طلب معروفه ، فأعفاه : أى أعطاه ، ومعنى « غير قال » أى غير مُبْغِض لعيشه عندهم ولهم ، و« أوغدا » قالوا : يريد «وغدا» وأو بمعنى الواو كثير ، والخائب الذى يطلب ولا يجد : أى يرتحل وهو غانم

(٢) موضع « ماذا أدرجوا » نصب على أنه مفعول لأقول ، ويجوز أن يكون « ما » مع « ذا » بمنزلة اسم ، و« أدرجوا » من تمامه ، والمعنى أقول متلهفا فعل من أعياه الأمر فأيقن باليأس : أىُّ رجل أدرج فى الكفن والغادون به إلى اللحد لا يعلمون ، وقوله «أناس» الألف فيه زائدة ، بدليل قولهم : إنس ، وأناسى ، وأَنَس ، وإذا كان كذلك فقولهم « ناس » منه أيضا ، والألف زائدة وفاء الفعل محذوف ، ومن ذهب إلى أن لفظة الناس ليست من أناس فى شىء وأن الألف فيه منقلبة عن حرف أصلى فقد أخطأ ، والسبيبة : أصلها الشقة البيضاء

وكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيَرْكَبُ كَارِهًا
عَلَى النَّعْشِ أَعْنَاقَ الْعِدَا والْأَقَارِبِ [١]

١٠ — وقالَ دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ [٢]

نَصَحْتُ لِعَارِضٍ وأَصْحَابِ عَارِضٍ
وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ والْقَوْمُ شُهَّدِي [٣]

---

(١) العدا هنا : الغرباء ، وانتصب « كارها » على الحال من سيركب ، وموضع «على النعش» منصوب على الحال مما فى قوله «كارها» ، ويجوز أن يكون صفة لكاره كأنه قال : يركب كارها حاصلا على النعش أعناق العدا يوما ما ، وقال الخليل : قوم عِدًا بُعَدَاء عنك وغُرَبَاء وأعداء أيضا ، والْعِدَا : البعد نفسه

(٢) ابن الحرث بن بكر بن عَلْقَمَة بن جُدَاعة بن غَزِية بن جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هَوَازن ، واسم الصِّمَّة معاوية ؛ قال أبو الفتح : يجوز أن يكون دُرَيْد تحقير أَدْرَد على الترخيم ؛ يقال : رجل أَدْرَدُ وامرأة دَرْدَاء ، وهو الذى كبر حتى سقطت أسنانه فصار يعض على درده ، ومنه أبو الدَّرْدَاء ، غير أن دريدا تحقير أدرد على الترخيم ، ويقال : إن عجوزا رأت فتى يُقَبِّل صبيا فشاقها ذلك فعمدت إلى حجر فهتَمت فاها وأرته ذلك تقربا به منه ، فقال لها الفتى : أعييتنى بأشَر فكيف بدردر ، هكذا رواية الكوفيين ، والبصريون يقولون بدَرْدُور : أى رغبت عنك ولك أسنان فكيف وأنت بلا سن ، والصمة : الشجاع ، والجمع صِمَم

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك .

عارض : هو أخو دريد ، وكانت له ثلاثة أسماء : عارض ، وعبد الله ، وخالد ، وثلاث كنى : كان يكنى أبا أوفى ، وأبا ذُفَافَة ، وأبا فُرْعَان أو فَرْغَان ، وعبد الله كان أسود إخوته ؛ فغزا بنى جشم و بنى نصر ابنى معاوية بن بكر بن

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ　　سَرَاتُهُمُ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ (١)

هوازن ، وغنم مالا عظيما ، ونزل بمنعرج اللوى ، فنهاه دريد عن اللبث ، وقال : إن غطفان ليست بغافلة عنا ، فخالف أنه لا يَرِيمُ حتى يقسم . فلحقت بهم عبس وفزارة وأشجع وجاؤا وأوقعوا بعبد الله وأصحابه ، وقتل عبد الله . وجعل دُرَيْد يَذُبُّ عنه وهو جريح ، وهو قوله :

* فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ *

ويقال: نصحته ونصحت له نُصْحاً وَنَصِيحَةً وَنَصَاحة وَنَصَاحِيَة ، وهو ناصح الجَيْب : أى ناصح الصدر . « والقوم شُهَّدِي » يعنى شهودى على نصحى لهم ، و« رهط بنى السوداء» يعنى أصحاب عبدالله .

(١) ظنوا : أى أيقنوا . وقيل : معناه ما ظنكم بألفى مدجج ، والمدجَّج : التام السلاح ، من الدُّجَّة ، وهى شدة الظلمة ، لأن الظلمة تستر كل شىء . فلما ستر نفسه بالسلاح قيل مدجج ، وقيل : إنه من الدَّجِّ ، وهو المشى الرويد ، والتام السلاح لا يسرع فى مشيه ، وَسَرَاتهم : خيارهم ، وعنى بالفارسى المسرد الدروع ، وَالسَّرْد : تتابع الشىء ، كأنه أراد فى الدرع تتابع الحلق فى النسج . ولذلك قيل فى الأشهر الحرم : ثلاثة سَرْدٌ ، وواحد فَرْد ، وقال الخليل : السَّرْد اسم جامع للدروع وما أشبهها من عمل الحلق لأنه يسرد فيثقب طرفا كل حلقة بالمسمار ، وفى القرآن : (وقَدِّرْ فى السَّرْد) أى : اجعل المسامير على قدر خروق الحلق لا يغلظ المسمار فينخرق أو يدق فيقلق . والمعنى إنى نصحت لهم وهم لى حاضرون يسمعون نصيحتى وقلت لهم : إن الأعداء لكم مترصدون فأسيؤا الظن بهم إذا تمكنوا منكم أو أيقنوا لأن الظن يستعمل فى مواضع اليقين ، وعلى ذلك قول الله تعالى : (الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم)

فَلَمَّا عَصَوْنِى كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِى غَيْرُ مُهْتَدِى (١)

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِى بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إِلاَّ ضُحَى الْغَدِ (٢)

وَهَلْ أَنَا إِلاَّ مِنْ غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ
غَوَيْتُ وَإِنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ (٣)

تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرْدَتِ الْخَيْلُ فَارِسًا فَقُلْتُ أَعَبْدُ اللهِ ذَلِكُمُ الرَّدِى (٤)

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ
كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فِى النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ (٥)

---

(١) « كنت منهم » من تفيدهنا تبيين الوفاق وترك الخلاف وأن الشأنين واحد ، وهم يقولون فى النفى أيضا : لست منه : أى انقطع مابيننا فلا خلاط ولا اشتراك ، وعلى هذا قول الشاعر :

* فإِنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّى *

(٢) « أمرى » يجوز أن يريد به المأمور ، ويكون الأصل أمرتهم بأمرى ، فحذف الجار ووصل الفعل بنفسه . ويجوز أن يكون مصدر « أمرت » وجاء به لتأكيد الفعل ، وقوله « بمنعرج اللوى » تحديد وتوقيت ، ويقال : رَشِدَ يَرْشَدُ رَشَادًا وَرُشْدًا ، وَرَشَدَ يَرْشُدُ

(٣) « هل » فى مذهب النفى ، ولذلك تبعه « إلا » كأنه قال : ما أنا إلا من غزية فى حالتى الغى والرشاد ، وغَزِيَّة : رهطه

(٤) أى : أعبد الله ذلكم الهالك ، وإنما دعاه إلى هذا القول أمران : أحدهما سوء ظن الشفيق ، والثانى أنه علم إقدامه فى الحرب

(٥) التناوش : التناول ، ويروى « والرماح يَنُشْنَهُ » ويروى « يَشِقْنَه »

وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبَوِّ رِيعَتْ فَأَقْبَلَتْ
إِلَى جِلَدٍ مِنْ مَسْكِ سَقْبٍ مُقَدَّدِ (١)
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنَفَّسَتْ
وحَتَّى عَلاَنِى حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْوَدِى (٢)
قِتَالَ امْرِئٍ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ (٣)

من قولك : وشَقَّتُ اللحمَ أَشِقُه وَوَشَّقْتُهُ توشيقا ، قطعته ، والصيصية : شوكة يمرها الحائك على الثوب حين ينسجه ، يقول : أتيت عبد الله والرماح تتناوله ولها خشخشة ووقع كوقع صياصى الحاكة فى ثوب ينسج

(١) ذات البو : ناقة يذبح ولدها أو يموت فيُحْشَى لها جلده فترأمه : أى كنت من الوله عليه مثل ذلك ، كأنه انتهى إلى أخيه وقد فرغ من قتله ومزق كل ممزق ، والجَلَدُ : ما جلد من المسلوخ وألبس غيره لتشمه أم المسلوخ فتدر عليه ، وَالْمَسْك الجلد لأنه يمسك ما وراءه من اللحم والعظم

(٢) ويروى « أسْوَدُ » على الإقواء ، و « أسودى » يريد أسودى ، كما قيل فى الأحمر : أحْمَرِى ، وفى الدَّوَّار : دوارى (١) ، ثم خففت ياء النسب بحذف إحداها ، وهو الأول ، وجعل الثانى صلة ، ويروى « حتى تبددت »

(٣) « قتال امرىء » انتصابه على المصدر ، إلا أنه من غير اللفظ الأول ، واستجازه لأن المطاعنة قتال : أى قاتلت عنه قتال امرىء يستقتل فى نصرة أخيه لعلمه بأن المرء ميت لامحالة

---

(١) ذلك فى قول الراجز :

* وَالدَّهْرُ بِالْإِنْسَانِ دَوَّارِىٌّ *

فَإنْ يَكُ عَبْدُ اللهِ خَلَّى مَكَانَهُ فَما كَانَ وَقَّافاً وَلا طَائِشَ اليَدِ (١)

كَمِيشُ الإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ بَعِيدٌ مِنَ الآفَاتِ طَلَّاعُ أَنْجُدِ (٢)

قَلِيلُ التَّشَكِّي لِلْمُصِيبَاتِ حَافِظٌ

مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الأَحَادِيثِ فِي غَدِ (٣)

تَرَاهُ خَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرٌ

عَتِيدٌ وَيَغْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمُقَدَّدِ (٤)

---

(١) « خلى مكانه » مضى لسبيله ، ووقاف : هَيَّابة يقف ولا يُقْدِم ، والطائش : الذى لا يصيب إذا رمى ، يقول : فان كان عبد الله خلى مكانه من الرياسة فما كان وقافا فى الحروب ولا ضعيف اليد جاهلا بالرمى

(٢) « كميش الإزار » مثل فى الجد والتشمير ، والكمش والكميش : الخفيف السريع الحركة ، يقال : انكمش : أى تخفف وأسرع ، وأضاف الكميش إلى الإزار على المجاز ، كما يقال : عفيف الحجزة ، ونقى الجيب ، وقوله « خارج نصف ساقه » يصفه بالتشمير ، و « بعيد من الآفات » يريد أنه لاداء به وهو سليم الأعضاء

(٣) يريد بقوله « قليل التشكى » نفى أنواع التشكى كلها عنه ، وعلى هذا قوله تعالى : (فقليلا مايؤمنون) وقلّ رجل يقول ذاك ، وأقل رجل يقول ذاك ، والمعنى أنه لايتألم للنوائب تنزل بساحته وأنه يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده

(٤) مثله قول الآخر

* يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ *

يصفه بقلة الطعم مع اتساع الحال وطاعة الزاد لأنه يؤثر به [غيره] على نفسه ،

وإنْ مَسَّهُ الإقْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ سَمَاحًا وَإتْلَافًا لِمَا كَانَ فِي الْيَدِ [١]

صَبَا مَا صَبَا حَتَّى عَلَا الشَّيْبُ رَأْسَهُ فَلَمَّا عَلَاهُ قَالَ لِلْبَاطِلِ ابْعَدِ [٢]

وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنَّنِي لَمْ أَقُلْ لَهُ

كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي [٣]

١١ — وقال أيضا :

تَقُولُ : أَلَا تَبْكِي أَخَاكَ ؟ وَقَدْ أَرَى

مَكَانَ الْبُكَا لَكِنْ بُنِيتُ عَلَى الصَّبْرِ [٤]

والعَتيد : المُعَدّ يقال : عَتَدَ فهو عَتيد عَتَاداً وأَعْتَدته أنا ؛ ومنه سميت العتيدة التي يكون فيها الطيب ، والعَتِدُ بكسر التاء وفتحها : الفرس المُعَدّ للمهمات والذكر والأنثى فيه سواء

(١) أي : وإن افتقر زاده سماحا ثقةً بنفسه أنه سيخلف مايسمح به ، أو يريد أنه يزداد سماحة في الإقتار لتدل على شدة كرمه

(٢) يجوز أن يكون « صبا » الأول من الصِّبى ، و « صبا » الثاني من الصَّباء بمعنى الفتاء ، فيكون المعنى تعاطى اللهو والصبى مادام صبيا ، فلما اكتهل وظهر في رأسه الشيب نحَّى[١] الباطل عن نفسه ، ويجوز أن يكون المعنى تعاطى الصبى ماتعاطاه إلى أن علاه المشيب ، و « ماصبا » في موضع الظرف على الوجهين جميعا : أي مدة الأمرين ، وحتى للغاية ، وقوله « ابعد » من بَعِدَ يَبْعَدُ إذا هلك

(٣) « أنني » في موضع الفاعل لطَيَّب ، وليس القصد إلى أنه لم يقل له كذبت فقط ، وإنما المراد أنه لم يجفُه بأدْوَن جفاء

(٤) أول الطويل ، والقافية متواتر

---

(١) في أكثر الأصول « لحى » باللام ، وبالنون أوفق لقوله « وقال للباطل ابعد »

فَقُلْتُ أعَبْدَ اللهِ أبْكِي أَمِ الَّذِي
لهُ الْجَدَثُ الْأعْلَى قَتِيلَ أَبِي بَكْرِ (١)

وَعَبْدَ يَغُوثَ تَحْجِلُ الطَّيْرُ حَوْلَهُ وعَزَّ الْمُصَابُ حَثْوُ قبْرٍ عَلَى قبْرِ (٢)

قوله « مكان البكا » بيان استحقاق أخيه البكاء عليه ، وقد قصر البكا ، وهو يمد ويقصر ، ومثله :

وَلَوْ شِئْتُ أنْ أبْكِي دَمًا لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ (١)

(١) كأنه قال : إلى من أصرف البكاء ومن أخص به أعبد الله أم المدفون فى القبر الأعلى قتيل أبى بكر بن كلاب ، والأعلى يريد الأشرف ؛ ويجوز أن يريد الأعلى فى مكانه وموضعه ، وانتصب عبد الله بأبكى وقتيل على البدل من الذى

(٢) قوله : « وعبد يغوث » إن استأنف الكلام به فهو فى المعنى معطوف على ماقبله ، كأنه قال : أيهم أبكى وقد كثروا ، وقوله : « وعز المصاب » يروى برفع المصاب ، والمصاب : المصيبة ، ويرفع « حثو » على أنه بدل منه ، ويكون مفعول عَزَّ محذوفاً ، كأنه قال : وعز الشاعر المصيبةُ حثو قبر على قبر : أى حصول الواحد فى أثر الواحد ، ويروى « جثو قبر » واستعمال الجثو ههنا مجاز لأن القبر لا يجثو ، والجثوة من التراب وغيره : ما جمع ، وبه سمى القبر جثوة ، وروى بعضهم « وعَزَّى المصابَ حثوُ قبر » جعل الحثو للقبر ، والمعنى سلَّى المصاب أو نفسه عن البكاء توالى المصيبات عليه ، ويكون كقول الآخر :

فَقَدْ جَعَلَتْ نَفْسِي عَلَى النَّأْىِ تَنْطَوِى وَعَيْنِى عَلَى فَقْدِ الصَّدِيقِ تَنَامُ

---

(١) من العجب أن هذا البيت لم يرد فيه البكا لا مقصوراً ولا ممدوداً ، ولعله يريد مثله فى المعنى

أَبَى الْقَتْلُ إِلاَّ آلَ صِمَّةَ إِنَّهُمْ
أَبَوْا غَيْرَهُ وَالْقَدْرُ يَجْرِى إِلَى الْقَدْرِ (١)

---

(١) هذا كقول الآخر (١)

* أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ *

وقوله : « إنهم أبوا غيره » يشبه قول الآخر : (٢)

* وَمَا مَاتَ مِنَّا مَيِّتٌ حَتْفَ أَنْفِهِ *

وقوله « والقدر يجرى إلى القدر » يريد كما قدروا للقتل قدر القتل لهم

وفى العرب ثلاثة يسمون الصمة : الصِّمَّة الأكبر ، وهو مالك بن الحرث ابن معاوية بن بكر بن هوازن القائل :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثَ حَتَّى ... أَصَبْنَا أَهْلَ صَارَاتٍ فَرَقْدِ
وَلَمْ نَجْبُنْ وَلَمْ نَنْكُلْ وَلَكِنْ ... نَجَعْنَاهُمْ بِكُلِّ أَشَمَّ جَعْدِ
أَلاَ أَبْلِغْ بَنِى جُشَمِ بْنِ بَكْرٍ ... فَإِنَّ بَيَانَ مَا تَبْغُونَ عِنْدِى

والصمة الأصغر ، وهو معاوية بن الحرث أخو الصمة الأكبر ، وهو أبو دريد وهو القائل :

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ خَيْفَانَةً ... وَرُمْحاً طَوِيلاً وَسَيْفاً صَقِيلاً

---

(١) هذا من كلام طرفة بن العبد البكرى من معلقته ، والبيت بتمامه :

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ ، وَيَصْطَفِى ... عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

(٢) هذا من كلام السموءل بن عادياء ، وقدمر ذكره فى صلب الديوان ، والذى ذكره الشارح صدر بيت عجزه قوله :

* وَلاَ طُلَّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ *

فَإِمَّا تَرَيْنَا لَا تَزَالُ دِمَاؤُنَا   لَدى واترٍ يَسْعَى بِهَا آخِرَ الدَّهْرِ (١)
فَإِنَّا لَلَحْمُ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ   ونُلْحِمُهُ حِيناً وَلَيْسَ بِذِى نُكْرِ (٢)

والصمة بن عبد الله بن طُفَيْل بن قُرَّة بن هُبَيْرَة بن عامر بن سَلَمَة الْخَيْر بن قُشَيْر القائل :

فَلَمَّا رَأَيْنَا قُلَّةَ الْبِشْرِ أَعْرَضَتْ   لَنَا وَطِوَالُ الرَّمْلِ غَيَّرَهَا الْبُعْدُ
وَأَعْرَضَ رُكْنٌ مِنْ سُوَاجَ كَأَنَّهُ   لِعَيْنَيْكَ فِى آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرْدُ

(١) الفاء من « فإما » رابطة ما بعدها بما قبلها ، و« لا تزال دماؤنا » إلى آخر البيت فى موضع المفعول لترينا ، و « لدى واتر » لفظه واحد والمراد به الكثرة ، و « آخر الدهر » ظرف ، والعامل فيه « لاتزال دماؤنا » لأن المعنى إما ترينا لاتزال دماؤنا أبد الدهر لدى واترين يسعون بها ، ولايجوز أن يكون العامل فيه يسعى بها لأن فيه إيهاماً أنهم لاينالون الوتر من الواترين سريعا ، ولكنهم يسعون بدمائهم أبد الدهر : أى لدى واترين ، يقول : إن ترينا أبدا دماؤنا عند من قتلنا له قتيلا يطلبنا بدمه ويسعى بما يطلبه من دمائنا

(٢) « غيرَ نَكِيرة » انتصب على المصدر ، وأكثر مايستعمل نكير بغيرهاء ، وَالنُّكْر وَالنَّكِير كالْعُذْر والعذير ، ومثل هذا المصدر يؤكد به الكلام الذى قبله ويجرى مَجْرَى « حقًّا » وما أشبهه ، ويجوز أن تكون الهاء من النكيرة للمبالغة ، وَالْحِين : اسم للزمان المتصل ، فكأنه قال : ونلحمه فيما يتصل من الأوقات ، وليس يريد حينا من الأحيان ، وإن روى « غير نكيره » على أن يكون الضمير منه يعود إلى السيف فكأنه قال : غير منكور له ، فيجعله حالا للحم ، فليس بجيد ؛ لأن القصد إلى تأكيد الكلام بهذا المصدر ، فكما أن فى آخر البيت قوله « وليس بذى نكر » تأكيد لما قبله كذلك يجب أن يكون « غير

يُغَارُ عَلَيْنَا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى ... بِنَا إِنْ أُصِبْنَا أَوْ نُغِيرُ عَلَى وِتْرِ (١)
قَسَمْنَا بِذَاكَ الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ بَيْنَنَا ... فَمَا يَنْقَضِى إِلَّا وَنَحْنُ عَلَى شَطْرِ (٢)

١٢ — وقالَ تأبَّطَ شرًّا (٣)

نكيرة » هكذا ليتقابل الصدر والعجز على حد واحد من التأكيد ، وحصول تاء التأنيث فى « غير نكيرة » لا يجب أن ينكر كما لا ينكر فى قولهم معرفة ونكرة ، وكما لا تنكر الألف فى آخر « ذكرى ، وعُذْرَى » يقول : إنا نخاطر بأنفسنا فنَقْتُل وَنُقْتَل ، وليس ذلك فينا ومنا بمنكر

(١) انتصب « واترين » على الحال من الضمير فى « علينا » وقوله « أو نغير على وتر » أى : على وترلنا عندهم

(٢) انتصب « شطرين » على المصدر ، كأنه قال قسمنا الدهر قسمين ، ويجوز أن يكون حالا ، على معنى قسمناه مختلفا ، فوقع الاسم موقع الصفة لما تضمن معناه ، كما تقول : طرحت مَتاعى بَعْضَه على بعض ، كأنك قلت : متفرقا ، والمراد جعلنا أوقات الدهر بيننا و بين أعدائنا مقسومة قسمين فلا ينقضى شىء منها إلا ونحن فيه على أحد الحدين إما علينا و إما لنا

(٣) وذكر أنه لخلف الأحمر ، وهو الصحيح ، وقيل : قال ابن أخت تأبَّطَ شرا ، قال النمرى : ومما يدل على أنها لخلف الأحمر قوله فيها « جَلَّ حتى دق فيه الأجل » فإن الأعرابى لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا ، قال أبو محمد الأعرابى : هذا موضع المثل « لَيْسَ بعُشِّكِ فَادْرُجِى » ليس هذا كما ذكره ، بل الأعرابى قد يتغلغل إلى أدق من هذا لفظاً ومعنى ، وليس من هذه الجهة عرف أن الشعر مصنوع ، لكن من الوجه الذى ذكره لنا أبو الندى ، قال : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سَلْعاً ، وهو بالمدينة ، وأين تأبط شراً من سلع . و إنما

إنَّ بالشِّعْبِ الَّذِى دُونَ سَلْعٍ   لَقَتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلّ (١)

خَلَّفَ الْعِبْءَ عَلَىَّ وَوَلَّى   أَنَا بِالْعِبْءِ لَهُ مُسْتَقِلّ (٢)

وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنِّى ابْنُ أُخْتٍ   مَصِعٌ عُقْدَتُهُ مَا تُحَلّ (٣)

مُطْرِقٌ يَرْشَحُ سَمًّا كَمَا أَطْـ   ـرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلّ (٤)

خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمَئِلٌّ   جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلّ (٥)

قتل فى بلاد هُذَيْل ورمى به فى غار يقال له رَخْمَانُ ، وفيه تقول أخته ترثيه :

نِعْمَ الْفَتَى غَادَرْتُمْ بِرَخْمَانْ   بِثَابِتِ بْنِ جَابِرِ بْنِ سُفْيَانْ

* مَنْ يَقْتُلُ الْقِرْنَ وَيُرْوِى النَّدْمَانْ *

(١) أول المديد ، والقافية متواتر

سَلَعْتُ رأسه : أى شققته ، وقوله « دمه مايطل » من صفة القتيل ، والمعنى إنك ممن طاب ثأره فدمه لايذهب هدرا ، وَالطَّلُّ : مَطْل الدم والدية وإبطالها

(٢) العبء : الثقل ، والمراد به ههنا طلب دمه ، وإنما سمى الثقل عبئا لأنه من عَبَأْتُ المتاع عَبْأً فهو كالنَّقْض وَالنِّقْض

(٣) الْمَصِع : الشديد المقاتلة الثابت ههنا ، وعُقْدَتُه مرتفع بالابتداء ، و« ماتحل » خبره ، وهذه الجملة صفة لابن أخت . وقدم عليها المصع لأنه مفرد ، والجملة إذا وقعت صفة تقع موقع المفرد ، ويعنى بوراء هنا الخلف ، وإن كان يصلح للقدام

(٤) الرشح كالعرق ، والنفث كالقذف ، والصل من صفة الأفعى ، وكل خبيث يقال : هو صِلُّ أَصْلاَلٍ

(٥) يعنى بالخبر نعى المتوفى ، ومُصْمَئِل : شديد ، والأجلُّ : تأنيثه الجُلَّى ،

بَزَّنِى ٱلدَّهْرُ وَكَانَ غَشُوماً ... بِأَبِىٍّ جَارُهُ مَايَذِلُّ (١)

شَامِسٌ فِى الْقُرِّ حَتَّى إِذَا مَا ... ذَكَتِ الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وظِلُّ (٢)

يَابِسُ الْجَنْبَيْنِ مِنْ غَيْرِ بُؤْسٍ ... وَنَدِى ٱلْكَفَّيْنِ شَهْمٌ مُدِلُّ (٣)

ظَاعِنٌ بِالْحَزْمِ حَتَّى إِذَا مَا ... حَلَّ حَلَّ الْحَزْمُ حَيْثُ يَحِلُّ

غَيْثُ مُزْنٍ غَامِرٌ حَيْثُ يُجْدِى ... وَإِذَا يَسْطُو فَلَيْثٌ أَبَلُّ (٤)

والألف واللام بدل من الإضافة النائبة عن « مِنْ » فى قولهم : هو أجـل من كذا ، ومعناه الجليل

(١) قوله « بأبى » الباء دخلت للتـأكيد زائدة ، كأنه قال : بزنى الدهر أبيا ، ويجوز أن يكون عَدَّى « بَزَّنى » بالباء لما كان معناه فجعنى ، ويكون من باب ماعدى بالمعنى دون اللفظ ، كقوله :

إِذَا تَغَنَّى الْحَمَامُ الْوُرْقُ هَيَّجَنِي ... وَلَوْ تَعَزَّيْتُ عَنْهَا أُمَّ عَمَّارِ (١)

و« جاره مايذل » من صفة الأبىّ ، وقوله « وكان غشوما » يعنى به الدهر وهو اعتراض بين الفاعل والمفعول

(٢) أى : هو كريم ، وشامس : أى ذو شمس ، يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفىء المقرور ، ومن لجأ إليه فى القيظ وجد لديه بَرْدًا وظلا

(٣) يريد أنه يؤثر بالزاد غيره على نفسه ، وعادتهم التمدح بالهزال ، والشهم : الذكى الحديد ، والْمُدِلُّ : هو الواثق بنفسه وبآلاته وعدته

(٤) الأَبَلُّ : المصمم الماضى على وجهه لا يبالى ما لقى ، والسطوة والبسط على الإنسان تقهره من فوق ، ويقال : سَطَا عليه ، وسَطَا به ، وقال الخليل : يسمى الفرس سَاطِياً لأنه يسطو على سائر الخيل فيقوم على رجليه ويرفع يديه

---

(١) عدى « هيجنى » إلى « أم عمار » لأنه بمعنى أذكرنى

مُسْبِلٌ فى الحَىِّ أَحْوَى رِفَلٌّ ۝ وَإِذَا يَغْزُو فَسِمْعٌ أَزَلٌّ (١)
وَلَهُ طَعْمَانِ أَرْىٌ وَشَرْىٌ ۝ وَكِلاَ الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلٌّ (٢)
يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَحِيداً ولاَ يَصْـــحَبُهُ إِلاَّ الْيَمَانِى الْأَفَلُّ (٣)
وَفُتُوٍّ هَجَّرُوا ثُمَّ أَسْرَوْا ۝ لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا انْجَابَ حَلُّوا (٤)

---

(١) مفعول « مسبل » محذوف ، و الزَّلَل : خفة العجز ، وذلك خلقته ، «مسبل» يحتمل وجهين : أحدهما من إسبال الإزار والبرد ، لأنهم يصفون ذا النعمة بذلك ، و إنما يجدون ذلك في حال الدعة والأمن ، فأما فى الشدائد وعند الحرب فانهم يمدحون الرجل بالتشمير ، و إذا كان «مسبل» على هذا الوجه كان أحوى مرفوعا ، والوجه الآخر فى « مسبل » أن يكون عاملا فى أحوى ، ويراد أنه مسبل شعراً أحوى : أى أسود ، لأنهم كانوا يُوَفرون لممهم و يصفون الشاب بحسن اللمة

(٢) الأَرْىُ : يراد به العسل ، وإن كان فى الأصل عمل النحل ، ومفعول « ذاق » محذوف إذا جعلت كلا مبتدأ ، كأنه قال : قد ذاقه كل ، والأجود أن يجعل كلا مفعول « ذاق » ولا تجعله مبتدأ ، ومثله « زيداً ضربت » ألا ترى أنه يختار على « زيدٌ ضربت»

(٣) انتصب « وحيدا » على الحال ، و « لا يصحبه » انعطف عليه ، وهو صفة للوحيد وتأكيد للوحدة

(٤) فُتُوٌّ : جمع فتى ، ولام فتى ياء ، بدلالة قولهم : فتيان ، لكنه بناه على مصدره ، وهو الفتوة ، وهذا المصدر إنما جاء على هذا عوضاً من حمل بنات الواو على الياء كثيراً فكأنهم أرادوا أن يحملوا ما هو على الياء على الواو أيضا ، وهو شاذ ، ومعنى «هجروا» ساروا فى الهاجرة ، يريد أنهم وصلوا السير بالسرى ، وقد

كُلُّ ماضٍ قدْ تَرَدَّى بِماضٍ ... كَسَنَى البَرْقِ إذَا مايُسَلُّ (١)

فَادَّرَكْنا الثَّأرَ مِنْهُمْ ولَمَّا ... يَنْجُ مِلْحَيَّيْنِ إلاَّ الأَقَلُّ

فَاحْتَسَوْا أَنْفَاسَ نَوْمٍ فلمّا ... هَوَّمُوا رُعْتَهُمُ فَاشْمَعَلُّوا (٢)

فَلَئِنْ فَلَّتْ هُذَيْلٌ شَباهُ ... لَبِما كَانَ هُذَيْلاً يَفُلُّ (٣)

وَ بِمَا أبْرَكَهَا فِي مُنَاخٍ ... جَعْجَعٍ يَنْقَبُ فيهِ الأَظَلُّ (٤)

اشتمل هذا الكلام على جواب « رب » لأن قوله « حلوا » وهو جواب « إذا انجاب » صار جوابا لرب أيضا

(١) يقال : ارتدى بسيفه ، وَتَرَدَّى ، واعتطف به ، ويسمى السيف الرداء والعطاف .

(٢) «رعتهم» جواب لما ، واشمعلوا : جَدُّوا فى المضى ، يقال : رجل مُشْمَعِلٌّ أى جاد خفيف

(٣) يقول : إن كانت هذيل تمكنت منه فكسرت حده فهو بما كان يؤثر من قبل فى هذيل ، والشَّبَاة : حدُّ الشيء ، ويقال : أشْبَى الرجلُ ، إذا أتى بأولاد نجباء يصير له بهم حدٌّ حَدِيد كَشَبَا الأسنة ؛ ويقال أيضا: أَشْبَيْتُ الرجل ، إذا وجدت له شَبَاة ، ويجوز أن يكون شَبْوَة ، وهو اسم العقرب ، من الشبا لإبرتها .

(٤) « وبما أبركها » معطوف على «لبما كان» والجعجع : مناخ سوء ، وهو الأرض الغليظة ، وباطن الخف يقال له الأظل ، ومعنى «يَنْقَب» يحفى ، والمراد فبما كان ينال منهم ويحملهم على المراكب الصعبة .

وَبِمَا صَبَّحَهَا فِى ذَرَاهَا ... مِنْهُ بَعْدَ الْقَتْلِ نَهْبٌ وَشَلُّ

صَلِيَتْ مِنِّى هُذَيْلٌ بِخِرْقٍ ... لاَ يَمَلُّ الشَّرَّ حَتَّى يَمَلُّوا

يُنْهِلُ الصَّعْدَةَ حَتَّى إِذَا مَا ... نَهِلَتْ كَانَ لَهَا مِنْهُ عَلُّ (١)

حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَاماً ... وَبِلأْىٍ مَا أَلَمَّتْ تَحِلُّ (٢)

فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بْنَ عَمْرٍو ... إِنَّ جِسْمِى بَعْدَ خَالِى لَخَلُّ (٣)

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذَيْلٍ ... وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ (٤)

وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَغْدُو بِطَاناً ... تَتَخَطَّاهُمْ فَمَا تَسْتَقِلُّ (٥)

---

(١) الصَّعْدَة : القناة تنبت مستوية ، وجمعها صَعَدَات بفتح العين ، لأنها اسم ، ثم قيل فى المرأة المستوية القامة والأتان الطويلة صَعْدَة ، وهى وصف لهما ، ويجمع حينئذ على صَعْدَات بسكون العين لكونها صفة .

(٢) قوله «ماألمت» يجوز أن تكون «ما» صلة ويجوز أن تكون مع الفعل بعده فى تقدير المصدرية ، يريد بلأى : أى ببطء ، ألمت حلالا أو إلمامها حلالا ، والإلمام : الزيارة الخفيفة ، وتوسع فيه فأجرى مجرى حصلت عندى

(٣) الْخَلّ : المهزول ، وقوله : « ياسواد بن عمرو » جعل سواد وقد رخمه عن سوادة بمنزلة ماجاء تاما ولم يحذف منه شىء ، فجعل سواد وابن بمنزلة شىء واحد وبناه على الفتح ، فالفتحة فى سواد للبناء ، ولك أن ترويه « يَاسَوَادُ بْنَ عمرو » والضمة فيه ضمة المنادى المفرد ، فيكون كقولك : يا زيدَ بْنَ عمرو وَيازيدُ بْنَ عمرو

(٤) استعار الضحك للضبع ، والاستهلال للذئب ، وأصل التهلل والاستهلال فى الفرح والصياح وليس قول من قال تضحك بمعنى تحيض بشى

(٥) ويروى « تهفو بطاناً » يعنى بعتاق الطير أكلة اللحمان وعافية الجيف ،

وَهَفَتْ تَهْفُو بمعنى تطير ، يقال : هَفَتِ الصوفة فى الهواء ، إذا ارتفعت

وقال أبو العلاء فى شرح هذه القطعة : قوله «مطرق يرشح موتاً» زعم سيبويه أن أكثر مايستعمل أفعى اسما فيجب على هذا أن تنون أفْعًى فى هـذا البيت ، والناس ينشدونه بغير تنوين . وكلا الوجهين حسن ، ويدل على أنه عندهم كالاسم لاالوصف قولهم فى الجمع : الأفاعى ، ولو كان الوصف غالبا عليـه لقالوا فُعْو فى الجمع كما قالوا : أقْنَى وَقُنْو ، وإنما هو مقلوب ، كأنه أفْوَع من فوْعَة السم ، وهو حدَّته وسورته ، فقلب ، كما قالوا : عَاثَ وَعَثَا . وَتَفَعَّى الرجـلُ إذا تنـكر للقوم كأنه صار كالأفعى . قال :

رَأَتْهُ عَلَى فَوْتِ الشَّبَابِ وَأَنَّهُ تَفَعَّى لِهَا إِخْوَانُهـا وَنَصِيرُهَا

وقوله « شامس فى القر » أى : ذو شَمْسٍ . وإنما يصفه بالـكرم . وهـذا نحو قول الآخر : —

سُخْنَةٌ فِى الشِّتَاءِ بَارِدَةُ الصَّيـ ـفِ سِرَاجٌ فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ

وقوله « مسبل » يحتمل وجهين : أحدهما من إسبال الإزار والبرد ، لأنهم يصفون ذا النعمة بذلك ، وإنما يحمدون ذلك فى حال الدَّعَة والأمن ، فأما فى الشدائد وعند الحرب فانهم يمدحون الرجل بالتشمير ، وإذا كان « مُسْبِل » على هـذا الوجه كان « أحوى » مرفوعا ، والأحوى : الذى به حُوَّة وهو سواد فى الشفتين محمود ، والرِّفَلُّ: الطويل الذيل من الناس ، ومن الخيل الطويل الذنب ، والوجه الآخر فى « مسبل » أن يكون عاملا فى أحوى ويراد به مسبلٌ شَعْرًا أحْوَى : أى أسْوَد ، لأنهم كانوا يوفِّرون لممهم ويصفون الشاب بحسن اللمة ، قال الراجز:

إذْ لِمَّتِى سَوْدَاءُ كَالعِنْقَادِ كَلِمَّةٍ كَانَتْ عَلَى مَصَادِ

ويدل على توفيرهم الشعور أنهم كانوا إذَا أَسَرُوا الفارس من المـذكورين جَزُّوا ناصيته ليفتخروا بذلك ، قال الشاعر : —

وَمَا زَالَ مَعْرُوفاً لَنَا فِى قَدِيمِنَا قِتَالُ مُلُوكٍ وَاجْتِزَارُ نَوَاصِ

١٣ — وقال سويد المراثد الحارثى : (١)

لَعَمْرِى لَقَدْ نَادَى بِأَرْفَعِ صَوْتِهِ نَعِىَّ سُوَيْدٍ أَنَّ فَارِسَكُمْ هَوَى (٢)

أَجَلْ صَادِقًا وَالْقَائِلَ الْفَاعِلَ الَّذِى إِذَا قَالَ قَوْلاً أَنْبَطَ الْمَاءَ فِى الثَّرَى (٣)

والسِّمْعُ : ولد الضبع من الذئب ، والأزلّ : الأرسح ، وهو الممسوح العجز ، وهم يصفون الرجل بذلك ، ويكرهونه المرأة ، قال نصيب :

إِذَا مَا الزُّلُّ ضَاعَفْنَ الْحَشَايَا كَفَاهَا أَنْ يُلَاثَ بِهَا الْإِزَارُ

و« ما » فى قوله « ماألمت » يجوز أن تكون زائدة ، وأن تجعل مع الفعل الذى بعدها فى معنى المصدر ، وألمت : أى قاربت ، قال الشاعر :

فَإِنَّكَ مَيِّتٌ كَمَدَ الْحُبَارَى إِذَا زَارَتْ لَطِيفَةُ أَوْ مُلِمُّ

أى : مقارب ، ومنه قيل : غلام مُلِم ، إذا قارب الْحُلُم

(١) أبو هلال : ويقال : سويد المراثى ، سويد : تصغير أسود على الترخيم ، والمراثد : جمع مَرْثَد ، وهو فى الأصل مصدر رَثَدْتُ الْمَتَاع بعضَه فوق بعض : أى نضدته ، ولما سمى بالمصدر كُسِّر بعد التسمية ، فأما المصدر نفسه فقد ذكر امتناع العرب من تحقيره كامتناعهم من تكسيره

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

ويروى « أن صاحبكم هوى » أى : رئيسكم وفارسكم : أى أفرسكم ، ولهذا أقسم وعظم الحال فى نعى الناعى ، حتى جعله ينادى بأرفع صوته ، ثم صدقه فى ثنائه فقال « أجل صادقا ــ الخ »

(٣) أى : قلت صادقا ، وَأَجَلْ : هو لتحقيق الإخبار ، كأنه لما قال « أن صاحبكم هوى » قال : أجل أنت مصدق ، ثم زاده ثناء فقال « والقائل الفاعل »

فَتًى قَبَلٌ لَمْ تَعْنَسِ السِّنُّ وَجْهَهُ
سِوَى خُلْسَةٍ فِي الرَّأْسِ كَالْبَرْقِ فِي الدُّجَى (١)

أَشَارَتْ لَهُ الْحَرْبُ الْعَوَانُ فَجَاءَهَا يُقَعْقِعُ بِالْأَقْرَابِ أَوَّلَ مَنْ أَتَى (٢)

وقوله « أن صاحبكم » أراد بأن صاحبكم ، فحذف الباء ووصل الفعل ، وانتصب « صادقاً » على الحال ، والعامل فيه مادل عليه الكلام من معنى قلت ، و « القائل الفاعل » عطفه على « صاحبكم » ويجوز أن يرفعه ، كأنه قال : وهو القائل الفاعل ، والنصب أحسن وأجود ، ومعنى « أنبط الماء فى الثرى » أخرجه ، ويقال : نبط أيضا ، ومعناه أنه إذا قال فعل ، وإذا وعد أعطى ، ويجوز أن يكون معناه أنه لا ينزع عن الأمر حتى يبلغ آخره كالحافر الذى لا يكف حتى ينبط الماء

(١) « لم تعنس » أى : لم تَنْقُصْ رونق شبابه ، وقوله « سوى خُلْسَة » استثناء منقطع ، وَالْخُلْسَة : بياض فى سواد ، وقد أخلس رأسه ، وشعر خليس ، ومنه قيل المولود بين الأسود والبيضاء : خِلاَسى ، والقَبَل : المقتبل الشباب

(٢) قوله « أشارت » كأنه لم يصبر إلى أن يُدْعَى ، ولكن حين اهتاجت الحرب جاءها فكأن الحرب أشارت إليه ، والفعل من العوان عوَّنَتْ وَعَانَتْ ، وقوله « يقعقع بالأقراب » يجوز أن يريد بالقعقعة صوت شدة صدره (١) وقد يسمع من صدر العادى النهيم ، ويجوز أن يكون المراد به قعقعة السلاح الذى كان عليه ، وقوله « أول من أتى » يجوز أن تكون مَنْ نكرة ، كأنه قال أول فارس طالع ، فيكون « أتى » صفة له ، ويجوز أن يكون معرفة و « أتى » صلة كأنه قال : أول الآتين ، وتكون مَنْ موحَّد اللفظ مجموع المعنى ، وانتصب « أول » على الحال فى الوجهين جميعا ، والعامل فيها جاءها أو يقعقع

(١) فى نسخة بن « صوت شدة عدوه » ولعلها أحسن

وَلَمْ يَجْنِهَا لَكِنْ جَنَاهَا وَلِيُّهُ   فَآسَى وَآدَاهُ فَكَانَ كَمَنْ جَنَى (١)

١٤ وقال رجل من بنى نَصْر بن قُعَيْن : (٢)

أَبْلِغْ قَبَائِلَ جَعْفَرٍ إِنْ جِئْتَهَا   مَا إِنْ أُحَاوِلُ جَعْفَرَ بْنَ كِلَابِ (٣)

---

(١) آداه : أصله أَأْدَاه (١) ، والألف الثانية همزة أبدلت من العين فى الأصل والمعنى أعانه ، ويجوز أن يكون من الأداة : أى جعل له أداة الحرب وعدتها ، وقال أبو العلاء فى قوله « نَعِيُّ سُوَيد » يقولون : جاء نعىُّ فلان ، إذا جاء خبر موته ، فإما أن يكون فَعِيلا فى معنى فاعل ، وإما أن يكون كالمصدر ، كأنهم يريدون صاحب نعيه

(٢) يجوز أن يكون قُعَيْن تحقير أقعن من القَعَن ، وهو قصر فى الأنف فاحش ، رجل أقعن امرأة قَعْنَاء

(٣) الثانى من الكامل ، والقافية متواتر

هذا الشعر لرُبَيِّعَة بن عُبَيْد بن سعد بن جَذِيمَةَ بن مالك بن نصر بن قُعَين قال أبو محمد الأعرابى : ليس فى العرب رُبَيِّعَةُ غيره ، وهو أبو ذُؤاب الأسدى ، وكان ذُؤاب قتل عُتَيْبَةَ بن الحرث بن شِهَاب اليَرْبُوعِي يوم خَوٍّ ، وأسرت بنو يربوع فى ذلك اليوم ذُؤاباً ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحرث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، ورده إلى الحى ، فأتاه ربيعة أبو ذؤاب فافتداه بشىء معلوم ووعده أن يأتى به سوق عكاظ ، فلما دخلت الأشهر الحرم وافى ربيعة أبو ذؤاب بالإبل الموسم ، وتخلَّفَ الربيع بن عتيبة لشغل عرض له ، فلم يُوَافِ بالأسير ، فلما لم ير رُبَيِّعَةُ ربيعا قَدَّرَ أنه علم بقتل أبيه فقتله فرثاه بهذه الأبيات ، وسارت عنه وبلغت يربوعا ، فعلموا أن ذؤابا قاتل عتيبة ، فأقادوه به ، وقوله « قبائل جعفر » يعنى جعفر بن ثعلبة بن يربوع رهط عتيبة ، و « أحاول » أطلب ، وقوله « ما إن

---

(١) فى نسخة بن « آداه أصله أعداه » وهو الأصل الأصيل كما يظهر من كلام المؤلف

أَنَّ الْهَوَادَةَ وَالْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ... خَلَقٌ كَسَحْقِ الْيُمْنَةِ الْمُنْجَابِ (١)
أَذُؤَابَ إِنِّى لَمْ أَهَبْكَ وَلَمْ أَقُمْ ... لِلْبَيْعِ عِنْدَ تَحَضُّرِ الْأَجْلَابِ (٢)
إِنْ يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ ... بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ شِهَابِ (٣)
بِأَشَدِّهِمْ كَلَبًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ ... وَأَعَزِّهِمْ فَقْدًا عَلَى الْأَصْحَابِ (٤)

أحاول جعفر بن كلاب » يجرى مجرى الصفة فى شرح الاسم الذى أراده

(١) الهَوَادة : اللين ، والثوب السَّحْق وصف بالمصدر كأن البلى سحقه ، والْيُمْنَة : نوع من برود اليمن ، والمنجاب : المنشق ، والمراد أبلغهم أنه لا صلح بيننا ولا هوادة ، وقوله « أن الهوادة » فى موضع نصب على أنه مفعول لأبلغ

(٢) جمع جَلَب : وهى النعم تُجْلَب من موضع إلى موضع . ويروى « لم أَهَبْكَ ولم أُهِنْكَ » : أى لم أتغافل عن طالب معك استهانة بك ، وما وهبتك للقوم ، ولا قمت للشراء والبيع بعدك ؛ وقيل : قوله للبيع يريد أنى لم آخذ الدية فكنت بائعا لدمك كما تباع الْجَلَبُ من الأموال إذا سيقت إلى الحضر . ولم يرد بقوله « لم أقم » القيام الذى هو ضد الجلوس ، إنما المراد لم أترشح ولم أتهيأ ؛ على ذلك قوله تعالى : (إذا قمتم إلى الصلاة)

(٣) أى : إن يتبجَّحُوا بقتلك وصاروا يفرحون به فقد هدمت عزهم بقتل عتيبة

(٤) قوله « بأشدهم كلبا » جعله بدلا من قوله « بعتيبة » وقد أعاد حرف الجر فيه ، والكَلَب : الشدة ، ومن كلام الحسن : إن الدنيا لمَّا فتحت على أهلها كَلِبُوا عليها أشد الكَلَب : أى حرصوا أشد الحرص ، ويقال : دهر كَلِب : أى مُلِح على أهله ، « وأعزهم فقدا » أى : أشدهم . ومنه استعزَّ اللحم ، صَلُبَ ، وانتصب « فقدا » و« كلباً » جميعاً على التمييز ، ويقال : عَزَّ علىَّ كذا : أى حق

١٥ — وقال الُحرَيْث بن زيد الخيل :

أَلاَ بَكَرَ النَّاعِى بِأَوْسِ بْنِ خَالِدٍ
أَخِى الشَّتْوَةِ الْغَبْرَاءِ وَالزَّمَنِ الْمَحْلِ (١)

فَإِنْ يَقْتُلُوا بِالْغَدْرِ أَوْسًا فَإِنَّنِى
تَرَكْتُ أَبَا سُفْيَانَ مُلْتَزِمَ الرَّحْلِ (٢)

فَلاَ تَجْزَعِى يا أُمَّ أَوْسٍ فَإِنَّهُ
تُصِيبُ الْمَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِى نَعْلِ (٣)

قَتَلْنَا بِقَتْلاَنَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةً
كِرَامًا وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النَّخْلِ (٤)

واشتد ، و يقولون : أتحبنى ؟ فيقال : لَعَزَّمَا : أى لحق ما

(١) أول الطويل ، والقافية متواتر

بَكَرَ : يجوز أن يكون معناه ابتدأ ، لأن البكور أصله ذلك ، ويجوز أن يكون بمعنى جاء بُكْرة ، والشَّتْوة الغبراء : التى تهب فيها الرياح والأرض يابسة فيهيج الغبار ، وصاحب الشتوة : الذى يفزع إليه فيها

(٢) أبو هلال : أى ملتزم السرج ، والمعنى أنه كانَ على ظهر فرسه فطعنه فانكب على السرج والتزمه من الألم ثم مات

(٣) كان يجب أن يقول : كل ذى حَفاً وذى نعل : أى كل حاف وناعل ، لكنه لما وحّد اسم الفاعل لم يُبَال أن يكون أحدهما بذى ، وهذا يبين أن قولهم طالق وحائض على طريق النسبة فى معنى ذات طلاق وذات حيض

(٤) العصبة : العشرة من الرجال ، وقيل : ما بين العشرة إلى الأربعين ،

وَلَوْلاَ الْأُسَى مَاعِشْتُ فِى النَّاسِ سَاعَةً
وَلَـكِنْ إذا مَاشِئْتُ جاوَبَنِى مِثْلِى (١)

١٦ — وقال أبو حِبَالٍ الْبَرَاءِ بن رِبْعِىٍّ الْفَقْعَسِىُّ (٢) :

وكذلك العصابة من الناس والطير والخيل ، وذكر الحشف إزراء به : أى لم نقبل الدية تمراً ، وقيل : لم نقبلها إبلا فنتمجع بألبانها التمر ، قال أبو هلال : هذا أصح لأن طيئا أموالهم النخل والدية من الإبل

(١) جواب لولا « ما عشت فى الناس » بعده ، ونائب عن خبر المبتدأ ، وهو الأسى ، كأنه قال : لولا الأسى مانع لى لما عشت فى الناس بعده

قال أبو رياش : كان سبب هذه الأبيات أن عمر بن الخطاب بعث رجلا يكنى أبا سفيان ليس بالهاشمى ولا الأموى إلى البادية يستقرئهم ، فمن لم يقرأ شيئا ضربه ، فانتهى إلى بنى نَبْهَان فاستقرأ أوس بن خالد بن عمرو ابن عم لزيد الخيل فلم يقرأ شيئا فضربه فمات من ضربه ، فقامت ابنته وأم أوس تَنْدُبَانِهِ ، فأقبل حُرَيث بن زيد الخيل حتى دخل على أبى سفيان فقتله وأصحابه ، وقال هذه الأبيات

(٢) البراء فى اسم الرجل يجوز أن يكون مأخوذا من قولهم : أنا بَرَاء منك : أى برىء . أو من قولهم لآخر ليلة فى الشهر : ليلة الْبَرَاء ، قال :

يَا عَيْنُ بَكِّى عَامِرًا وَعَبْسَا ... يَوْماً إذَا كَانَ الْبَرَاءُ نَحْسَا

والرِّبْعِى : مانتج فى أيام الربيع ، ويكنى به عن ولد الرجل فى شبابه ، والصَّيْفِى : مانتج فى الصيف فجاء ضعيفا ، وهما الرُّبَعُ والْهُبَعُ الغزاة [الربعية] فى أيام الربيع ، قال أبو هلال : أبو حبال هكذا رويناه فى الأصل ، وهو تصحيف ، وإنما هو أبو الْحِنَاك بالنون والكاف

أَبْعَدَ بَنِى أُمِّى الَّذِينَ تتـــابعُوا
أَرَجِّى الحيَاةَ أَمْ مِنَ المَوْتِ أَجْزَعُ (١)

ثمانيةٌ كانوا ذُؤَابَةَ قَوْمِهِمْ بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِى ماأشاءُوأَمْنَعُ (٢)

أُولَئكَ إِخْوَانُ الصفاء رُزِئْتُهُمْ
ومَا الْكفُ إِلاَّ إِصْبَعٌ ثُمَّ إِصْبَعُ (٣)

لعمْركَ إنى بالْخليلِ الَّذِى لهُ عَلَيَّ دلَالٌ واجبٌ لمفَجَّعُ (٤)

وإنِّى بالْمولى الّذى ليْسَ نافعى وَلاَ ضائرى فِقْدَانُهُ لَمُمَتَّعُ (٥)

١٧ — وقال مُطيع **بن** إياس فى يَحْيَى بن زياد ، وكان يرمى بالزندقة والداء (٦)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

« أبعد » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى معني التوجع ، والاستفهام يطلب الفعل . فيقول : أأرجى الحياة أم أجزع من الموت بعد إخوانى الذين انقرضوا

(٢) فى قوله « بهم كنت أعطى ما أشاء » حذف ، ولو أتى به على حده لكان يقول : كنت أعطى ما أشاء إعطاءه وأمنع ما أشاء منعه ، والمفعولات تحذف كثيرا ، لأن القرائن تدل عليها

(٣) يريد أن الكف بالأصابع تبطش ، فاذا ذهبت الأصابع بطل الكف فلا يمكن أن يبطش بها . أى ذللت بعد موتك وصرت ككفّ ذهبت أصابعها

(٤) « على دلال واجب » أى له أن يدل على وأن أحتمل

(٥) أى : مُبَقّى ، يقال : أمتع الله فلانا بفلان : أى أبقاه ليستمتع به ، وأصله من المد والزيادة ، ومنه « مَتَعَ النهار » وذلك قبل الزوال

(٦) وهو من أهل الكوفة ، وكان نديم يحيى بن زياد لا يكاد ان يفترقان

يَا أَهْلِ بَكُّوا لِقَلْبِيَ الْقَرِحِ ... وَلِلدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ السُّفُحِ (١)

رَاحُوا بِيَحْيَى وَلَوْ تُطَاوِعُنِي الْـ ... أَقْدَارُ لَمْ تَبْتَكِرْ وَلَمْ تَرُحِ (٢)

يَا خَيْرَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءُ لَهُ الْـ ... يَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسِ لِلْمِدَحِ (٣)

قَدْ ظَفِرَ الْحُزْنُ بِالسُّرُورِ وَقَدْ ... أُدِيلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الْفَرَحِ (٤)

١٨ — وقال أيضاً :

قُلْتُ لِحَنَّانَةٍ دَلُوحٍ ... تَسُحُّ مِنْ وَابِلٍ سَحُوحِ (٥)

---

(١) الأول من المنسرح ، والقافية متراكب

إنما قال « بَكُّوا لقلبي » لأن التشارك أدل على تجليل الفجيعة ، كما أن التأسي أجاب للتخفيف مما به ، قال الله تعالى : (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون) ويقال : قَرِحَ الشيءُ يَقْرَحُ ، وأقرحه غيره ، وهو قَرِح وقريح ، والقَرْح : قيل هو البثر يترامى بالفساد

(٢) « لم تبتكر ولم ترح » يعني الأقدار : أي لتركته فلم يفارقني غدواً ولا عشيا

(٣) قوله « يحسن البكاء له اليوم » صفة له ، فيقول : يا خير إنسان كان المدح فيما مضى من الزمان أولى به لحسن فعله ، والبكاء عليه في الحال والمستقبل أحق له لعزة فقده

(٤) قوله « من الفرح » يريد من المفروح به ، وهو المحبوب

(٥) السادس من البسيط ، والقافية متواتر

يقول : قلت لِسَحَابَةٍ فيها رَعْدٌ فكأنها كانت تحنُّ برعدها إلى شيء كحنين الناقة إلى وطنها ، ودلوح : ثقيلة ، يقال : مَرَّ البعيرُ يَدْلَح بحمله : أي يمشي متثاقلا ، والسحابة تدلح من كثرة مائها ، وقوله « تسح من وابل سحوح » سَحُوح : كثير الانصباب ، فان قيل : كيف جعل السَّحَّ مرة للحنَّانة ومرةً

أُمِّى الضَّرِيحَ الَّذِى أُسَمِّى ثُمَّ اسْتَهِلِّى عَلَى الضَّرِيحِ (١)
لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ تَشِحِّى عَلَى فَتًى لَيْسَ بِالشَّحِيحِ (٢)

١٩ – وقال أَشْجَعُ بن عَمْرٍو السُّلَمِىُّ (٣)

للوابل ، والوابل يكون مَصْبُوبا لاصابا ؟ وما فائدة «من وابل» ؟ قلت : إن فائدة «من» الابتداء كأنه جعل أول السُّقْيا وَبْلاً ، وهم يجعلون إذا قصدوا إلى المبالغة الفعل الواقع بالشىء له ، ألا ترى أنهم يقولون : شعر شاعر ، وكما قالوا : سَيْل مُفْعَم ، والسيل لا يُمْلأ به الشىء ، وإذا كان كذلك فالسَّح من الحنانة حقيقة ، والسح من الوابل مجاز، والمراد به ما ذكرنا ، على أنه لا يمتنع أن يكون سَحَّ من باب فَعَلْته فَفَعَل، فقد حكى الخليل سَحَّ المطرُ والدمعُ

(١) كان بيان الكلام أُسَمِّى صاحبه ، فحذف المضاف وهو صاحب ، ثم أقام المضاف إليه مقامه ، فجاء أسميه ، ثم حذف المفعول من الصلة لطولها ، فبقى أسمى، ومعنى اسْتَهِلِّى صُبِّى ، يقال : أَهَلَّ السحابُ بالمطر ، واستهل ، وانهل المطر انهلالا ، والأهاليل : الأمطار الشديدة الانصباب ، والضريح : مايحفر فى وسط القبر ، واللحد فى جانبه ، وهو فعيل بمعنى مفعول ؛ لأنه يقال : ضَرَحُوا له ضريحا ، وقيل : سمى ضريحا لأنه انضرح عن جانبى القبر : أى اندفع فصار فى وسطه

(٢) أى : ليس من الإنصاف أن تبخلى على فتى لم يكن بخيلا

(٣) ويكنى أبا الوليد ، مدح الرشيد والبرامكة وأجاد ، قال أبو هلال : كان البحترى يقول : إنه يُخْلِى ، ومعنى الإخلاء أن يأتى بألفاظ حسنة ليس تحتها كبير معنى ، وأنا لست أرى فى شعره شيئا من هذا الجنس

الأشجع : واحد الأشاجع ، وهو عَصَب ظاهر الكف ومفاصل الأصابع ، وقيل : الأشاجع عظام ظاهر الكف ، ويجوز أن يكون أشجع من قولهم : هذا

مَضَى ٱبْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ
وَلاَ مَغْرِبٌ إِلاَّ لَهُ فِيهِ مَادِحُ (١)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِى مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ
عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ (٢)

أشجع منك ، وقد استعمل جرير الأشجع فى معنى الشجاع من الحياة ، قال :

أَيفَايِشُونَ وَقَدْ رَأَوْا حُفَّاثَهُمْ قَدْ عَضَّهُ فَقَضَى عَلَيْهِ الْأَشْجَعُ

ورجل أشجع وامرأة شجعاء للطويلين ، وشجاع شَجْعَم ، زيدت الميم فيه توكيدا لمعناه ، ومن أبيات الكتاب :

قَدْ سَالَمَ الْحَيَّاتُ مِنْهُ الْقَدَمَا الْأُفْعُوَانَ وَالشُّجَاعَ الشَّجْعَمَا

ورواه البغداديون

* قَدْ سَالَمَ الْحَيَّاتِ مِنْهُ الْقَدَمَا *

وقالوا : أراد القدمان ، وحذف النون ، وأنشدوا نحوه

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَتَا أَوْ قَلَمَا مُحَرَّفَا

وقالوا : أراد قادمتان أو قلمان محرفان ، وصحة إنشاد هذا عندنا :

تَخَالُ أُذْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَماً مُحَرَّفَا

أراد تخال كلّ واحدة من أذنيه ، كما قال الآخر

* يَا ابْنَ الَّتِى حُذُنَّتَاهَا بَاعُ *

وَالْحُذُنَّتَانِ : الأذنان

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

(٢) « مافواضل كفه » استفهام ، وموضع الجملة من الإعراب نصب على أنه مفعول « أدرى » ، والفواضل : جمع فاضلة ، وهو اسم لما يفضل من ندى كفه فيتجاوزها إلى الناس ، ويجوز أن يكون فاضلة مصدراً بمعنى فَضْل أو

فَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا
وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ (١)

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغِضْ
فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ (٢)

إفضال : فيكون كالعافية والقائم من قولك : « قم قائما » وبالية من قولهم : « ما أباليه بالية » ثم لاختلافه جمعه ، والمصادر تجمع إذا اختلفت ، على ذلك قولهم : العلوم ، والعقول ، وما أشبههما ، وإذا جعل كذلك يكون قد عَدَّى فواضل وهو جمع مكسر إلى قوله « على الناس » والصفائح : أحجار عِرَاض يُسْقَف بها القبور

(١) قوله « فى لحد » موضعه نصب على أن يكون خبر « أصبح » لأن ميتا من الصدر فى مقابلة حَيًّا من العجز ، ولا يكون ذلك إلا حالا ، وكذلك يجب أن يكون ميتا ، وإلا اختلفا وفسد المعنى ، فيقول : أصبح وهو ميت يتَّسع له لحد من الأرض ضيق وكانت الصحاصح تضيق عنه وهو حى فيجوز أن يكون تضيق عن جيوشه وعن أصحابه الذين كانوا يَحْيَوْن بحياته ، ويجوز أن يريد بالضيق ما كان يبث من إحسانه وينشر من جَدْوَاه فى أهل الأرض ، فيكون التقدير أنها لو جسمت لكانت الصحاصح تضيق عنه ، وفى معناه للبحترى :

كَانُوا ثَلَاثَةَ أَبْحُرٍ أَفْضَى بِهَا   وَلَعُ الْمَنُونِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْبُرِ

(٢) « مافاضت » فى موضع الظرف : أى مدة فيضها ؛ وقوله « حسبك » مبتدأ ، وخبره « ماتُجِنُّ » وقديتم حسبك بنفسه فلا يحتاج إلى خبر ، فيقال : حسبك ، وحينئذ يتضمن معنى الأمر ، كأنه يراد اكتف ، ولذلك يستقل

فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَازِعٌ وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ (١)

كَأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ (٢)

لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ الْمَرَاثِي وَذِكْرُهَا لَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ

٢٠ — وقال يحيى بن زياد الحارثى (٣)

نَعَى نَاعِيَا عَمْرٍو بِلَيْلٍ فَأَسْمَعَا فَرَاعَا فُؤَادًا لَا يَزَالُ مُرَوَّعَا (٤)

الكلام به ، والجوانح : الضلوع ، سميت بذلك لانحنائها ، والجنوح : الميل

(١) لو قال بدل جازع وفارح جَزِعٌ وَفَرِحٌ كان أفصح وأكثر لأن فَعِلَ إذا كان غير متعد فالأجود والأقيس فى مصدره فَعَلٌ ، وَفَعِلٌ فى اسم الفاعل ، وإذا كان متعديا فبابه فاعل ، وقد قيل فى المريض : مارض ، وفى السليم سالم ، لأن البابين يتداخلان ، وقوله « ولا بسرور » أراد ولا بذى سرور ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه

(٢) « كأنْ » مخفف كأنَّ ، واسمه مضمر ، وأراد كأن الأمر والشأن لم يمت حى سواك

(٣) يكنى أبا الفضل ، وهو خال أبى العباس السفاح ، خليع ماجن يُرْمَى بالزندقة

(٤) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « أسمعا » حذف مفعوليه ، لأن المراد أسمع الناسَ نعيَهُ . وهو بتجرده من المفعول يستعمل فى المكروه ، ولأنه إذا أطلق مبهما فالإبهام فى هذا الكلام أبلغ ، وإنما قال « مُرَوَّعا » إيذانا بأن ذلك الروع لا إفاقة منه ، ويجوز أن يكون مُرَوَّعا لكثرة المصائب فى عشيرته

وَمَا دَنِسَ الثَّوْبُ الَّذِي زَوَّدُوكَهُ
وَإِنْ خَانَهُ رَيْبُ الْبِلَى فَتَقَطَّعَا (١)
دَفَعْنَا بِكَ الْأَيَّامَ حَتَّى إِذَا أَتَتْ
تُرِيدُكَ لَمْ نَسْطِعْ لَهَا عَنْكَ مَدْفَعَا (٢)
مَضَى فَمَضَتْ عَنِّي بِهِ كُلُّ لَذَّةٍ تَقَرُّ بِهَا عَيْنَايَ فَانْقَطَعَا مَعَا (٣)

---

(١) الدنس: لطخ الوسخ وغيره، حتى فى الأخلاق: أى لم يدنس كفنك لطهارتك كما تدنس سائر الأكفان

(٢) يجوز أن يريد بالأيام نوائب الأيام وأحداثها، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه. ويجوز أن يريد بالأيام أنفس الأحداث فسماها أياما كما تسمى الوقعات بها، وكما قال الله عز وجل: (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وقوله «حتى إذا أتت تريدك» تريدك: نصب على الحال: أى مريدة، وفائدة حتى الغاية، وكأنه (١) قال: دفعنا الأيام بك وبمكانك إلى وقت مجيئها مريدة لك فحينئذ لم نقدر على دفاعها، وقوله «لم نسطع» أراد لم نستطع فحذف منه التاء تخفيفا لكثرته فى الكلام: اسْطَاعَ يَسْطِيع بمعنى استطاع يستطيع، وقد حكى أَسْطَاعَ بفتح الهمزة يُسْطِيع بضم الياء، وليس هذا من الأول، لأن هذا فى معنى أطاع

(٣) «تَقَرُّ» قيل: هو من القرار، وقيل: هو من القُرّ البرد، وهذا أقرب؛ لأنه يقال فى ضده: سخنت عينه، وقوله «معا» فى موضع الحال، وموضع «تقربها عيناى» جر على أن يكون صفة للذة: أى كل لذة تبرد عيناى بها وتسر نفسى بحصولها

---

(١) فى المطبوعتين «ولأنه» وليس بشىء

مَضَى صَاحِبِي واسْتَقْبَلَ الدَّهْرُ مَصْرَعِي
وَلاَ بُدَّ أنْ أَلْقَى حِمَامِي فأُصْرَعا (١)

٢١ وقالَ ابن المُقَفَّع (٢)

رُزِئْنَا أَبَا عَمْرٍو وَلاَ حَيَّ مِثْلُهُ فَلِلَّهِ رَيْبُ الْحَادِثَاتِ بِمَنْ وَقَعْ (٣)

---

(١) معنى « لابد » لامحالة ، وهو من البدد والاتساع والتفريج ، كأنه تضايق الأمر فيه فلا اتساع معه ، ويقال : لابد من أن يكون كذا وكذا ، ولا بد أن يكون كذا ، و«أن» يحذف حرف الجر معه كثيرا

(٢) يرثى يَحْيَى بن زياد ، وقيل : يرثى ابن أبى العَوْجاء عبد الكريم

(٣) الثانى من الطويل . والقافية متدارك

يقول : أُصبنا بأبى عمرو ، وهو مفقود النظير ، وموضع « ولا حى مثله » نصب على الحال ، والعامل فيه « رزئنا » ثم قال على وجه التعجب : لله ريب الدهر بأى رجل وقع ، وقوله « بمن وقع » منقطع مما قبله ، وإن كان فاعل وقع الضمير العائد إلى الريب المستكن فيه ؛ لأن قوله « لله ريب الحادثات » كلام مستقل بنفسه فيما يفيد من إكبار الشأن وتفظيع الحال ، وإضافة الشىء إلى الله تفخيم وتعظيم ، على ذلك قولهم : بيت الله ، وإن كانت المساجد كلها لله ، ولله دره ، وقوله « بمن وقع » مستقل بنفسه أيضا ، وفيه استعجاب من أن يكون الدهر يعرض لمثله أويهم به مع فخامة أمره ، ولو قال « وبمن وقع » فزاد واوا لكان أكشف فى المعنى المراد منه ، ولايمتنع أن يكون « بمن وقع » فى موضع الحال ، كأنه قال : لله ريب الحادثات واقعا بمن وقع ومؤثرا موجعا ويكون حالا للريب ؛ والعامل فيه مادل عليه قوله : لله ريب الحادثات

فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَكْتَنَا ... ذَوِى خَلَّةٍ مَافِى انْسِدَادِ لَهَا طَمَعْ (١)

فَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقْدُنَالَكَ أَنَّنَا ... أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعْ (٢)

٢٢ — وقال بعض بنى أسد :

بَكِّى عَلَى قَتْلَى الْعَدَانِ فَإِنَّهُمْ ... طَالَتْ إِقَامَتُهُمْ بِبَطْنِ بَرَامِ (٣)

---

(١) قوله « مافى انسداد لها طمع » فى موضع الجر لأنه صفة لخلة

(٢) يقول : جلب إلينا فقدُك نفعاً وهو أمننا من تسلط الجزع علينا لرزية مستأنفة إذ كان خوفنا عليك وحذرنا فيك . وإنما جلب الفاء لمخالفة الجزاء الشرط بكونه مبتدأ وخبرا والمبتدأ محذوف ، كأنه قال : فالأمر والشأن قد جر نفعا ، وقوله « أننا أمنا » يجوز فتح الهمزة وكسرها ، فاذا كسرت الهمزة فهو على الاستئناف ، ويكون جملة الكلام تفسيرا للنفع المستجد ، وإذا فتحت الهمزة من « أننا » يكون الكلام بيانا لعلة حصول النفع : أى لأننا أمنا ، ويجوز أن يكون موضع « أننا أمنا » نصبا على البدل من نفعا ، وقوله « على كل الرزايا » على : تعلق بقوله « أمنا » يقال : هو آمن على كذا وقد أمنت على مالى عند فلان من امتداد الأيادى إليه : أى لاتمتد ، وكذلك قوله « أمنا على كل الرزايا من الجزع » أى : لا نجزع ، ولا يجوز أن يتعلق قوله « على كل الرزايا » بقوله « من الجزع » لأنه لو كان كذلك لكان فى صلته والصلة لاتتقدم على الموصول

(٣) الثانى من الكامل ، والقافية متواتر

الْعَدَان : من بنى أسد ثم من بنى نَصْر بن قُعَيْن ، وأصل الْعَدَان فى اللغة ساحل من السواحل ، وبَرَام وخَزَام ببلاد بنى عامر : أى طالت إقامتهم بمهبط أرض بَرَام لأنهم أموات

كَانُوا عَلَى الْأَعْدَاءِ نَارَ مُحَرِّقٍ   وَلِقَوْمِهِمْ حَرَمًا مِنَ الْأَحْرَامِ (١)

لَا تَهْلِكِي جَزَعًا فَإِنِّي وَاثِقٌ   بِرِمَاحِنَا وَعَوَاقِبِ الْأَيَّامِ (٢)

عَادَاتُ طَيٍّ فِي بَنِي أَسَدٍ لَهُمْ   رِيُّ الْقَنَا وَخِضَابُ كُلِّ حُسَامِ

٢٣ — وقال آخر :

نُعِيَ لِي أَبُو الْمِقْدَامِ فَاسْوَدَّ مَنْظَرِي

مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَكَّتْ عَلَيَّ الْمَسَامِعُ (٣)

---

(١) مُحَرِّق : هو عمرو بن هند ، ومحرق وإن كان صفة فى الأصل فقد صار كالعلم له لاشتهاره فى رجل واحد ، وعلى هذا قوله

* عَلَيْهِنَّ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرِّقٌ *

وقوله « حَرَمًا من الأحرام » نكره لاختلاف الأحرام ، وهو حرم الله تعالى بمكة والشام وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة :

(٢) انتصب « جزعا » على أنه مصدر لعلة ، ولا يمتنع أن يكون فى موضع الحال ، يريد جازعة ، وهذا الجزع الذى نهاها عنه ليس يريد به الحزن لفقده ، وإنما يريد به الحزن لسلامة الواتر على مر الأيام لا غير ، ألا ترى أنه قال : فإنى واثق برماحنا ، وقوله « وعواقب الأيام » يشير به إلى تغير الزمان

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

اسْتَكَّتْ : استدت فلم تسمع شيئا ، ويقولون : استكت مسامعه من العطش ومن الجوع ، ويستعيرون ذلك فى كل أمر عظيم يعظم عليهم ، وإنما يقولونه كالمستعار ، لا أن المسامع تستك فى الحقيقة ، قال (١) :

أَتَانِي أَبَيْتَ اللَّعْنَ أَنَّكَ لُمْتَنِي   وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ

وأما قول عَبيد :

---

(١) هو النابغة الذبيانى يخاطب النعمان بن المنذر

وَأَقْبَلَ مَاءُ الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ زَفْرَةٍ
إِذَا وَرَدَتْ لَمْ تَسْتَطِعْهَا الأَضَالِعُ (١)

٢٤ — وقال آخر :

قَدْ كَانَ قَبْلَكَ أَقْوَامٌ فُجِعْتُ بِهِمْ   خَلَّى لَنَا فَقْدُهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارَا
أَنْتَ الَّذِى لَمْ تَدَعْ سَمْعًا وَلَا بَصَرًا
إِلَّا شَفًا فَأَمَرَّ الْعَيْشُ إِمْرَارَا (٢)

دَعَا مَعَاشِرَ فَاسْتَكَّتْ مَسَامِعُهُمْ   يَا لَهْفَ نَفْسِىَ أَوْ يَدْعُو بَنِى أَسَدِ

وإنما أراد أنهم لم يجيبوه فكأنهم صُمّ ، وقوله « اسودّ منظرى » أى أظلمت علىّ الأرض ، و« استكت » من قولهم : بئر سكوك ، إذا كانت ضيقة الخرق ، وقال أبو هلال : أى عَشِيتُ وصممت لشدة الأمر الذى لقيت حين نعى لى ، ومنه أخذ أبو تمام :

* أَصَمَّ بِكَ النَّاعِى وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا *

(١) الزَّفْرَة : النحيب ، وهو تردد البكاء فى الجوف ، يقول : إنها تشتد حتى لا تستطيعها الأضالع

(٢) من ثانى البسيط : والقافية متواتر

وقوله « فجعت بهم » الجملة ، فى موضع الصفة لقوله أقوام ، و« خلى لنا[1] هلكهم » فى موضع خبر كان ، والشفا : الباقى من الشىء القليل ، وقوله « لم يدع » بالياء هو أقيس الروايتين لأن الصلة جاءت على حدها مع الموصول ، وإذا رويته بالتاء فعلى الخطاب ، وقال «سمعا وأبصارا» لأن السمع اسم للجنس فهو كالجمع .

---

(١) الذى فى البيت « خلى لنا فقدهم » فهو يذكر رواية أخرى أو لعله لم يتقيد بما فى البيت لأنه ليس بصدد شرح اللفظ

٢٥ — وقال الشَّمَرْدَل بن شَرِيك ، أو نَهْشَلُ بن حَرِّىّ : [1]

بِنَفْسِى خليلاىَ اللّذانِ تَبَرَّضَا
دُمُوعِى حَتَّى أَسْرَعَ الْحُزْنُ فى عَقْلِى [2]
وَلَوْلاَ الْأَسَى مَا عِشْتُ فى النَّاسِ سَاعَةً
وَلَـٰكِنْ إذا ما شِئْتُ جاوَبَنِى مِثْلِى [3]

---

(١) الشمردل : الطويل من الناس وغيرهم ، قال العِجْلى :

* سَامٍ كَجِذْعِ النَّخْلَةِ الشَّمَرْدَلِ *

يصف عنق بعير ، والنهشل : الذئب ، ومن أسمائه النَّهْسَر ، وَالنَّهْصَر ، وذؤالة ، وذألان ، وَنُشْبَة ، والسِّرْحَان ، والشَّيْذَمان ، والشَّيْمُذَان ، والخَيْتَعُور ، والعَمَلَّس ، وَالعَسَلَّق ، والتَّلَوْبُ ، والقَلَّيب ، والأَطْلَس ، والعَسَّال ، والهِمْلَّع ، والسَّمَلَّع ، وربما سمى هُذْلولا ، وأبو جَعْدَة ، وأبو جُعَادَة ، وذو الأجماع ، وأبو مُعْطَةَ ، وحَرِّىٌّ : منسوب إلى الحَرّ أو الحَرَّة

(٢) الأوّل من الطويل ، والقافية متواتر

تعلق الباء من « بنفسى » بفعل مضمر دل عليه جلية الحال ، كأنه قال : أفدى بنفسى من أُخَالُه . ومعنى « تَبَرَّضَا » أفنيا دموعى شيئا فشيئا لأن التَّبَرُّض التبلغ والتطلب من ههنا وههنا ، وماء بَرْض : أى قليل ، و بَرَضَ لى من ماله بَرْضاً ، إذا أعطاك القليل ، قال :

لَعَمْرُكَ إنَّنِى وَطِلَابَ سَلْمَى لَـكَالْمُتَبَرِّضِ الثَّمَدَ الظَّنُونَا

أى : بكيت عليهما حتى قل دمعى فكأنهما قالاه ، والدمع إذا جرى خَفَّف من الحزن ، فلما قل أسرع الحزن فى عقله فاختلط

(٣) قوله « فى الناس » أى : مع الناس ومختلطا بهم ، فموضع « فى الناس »

٢٦ — وقال أيضا : (١)

أَغَرُّ كَمِصْبَاحِ ٱلدُّجُنَّةِ يَتَّقِي قَذَى الزَّادِ حَتَّى تُسْتَفَادَ أَطَايِبُهْ (٢)

نصب على الحال ، والكلام جواب لولا ، وخبر المبتدأ الذى هو الأسى محذوف استغنى عنه بجواب لولا ، يقول : لولا أن لى بالناس (١) أسوة فى مصائبهم فأورثنى ذلك تماسكا وصبراً لقتلت نفسى فلم أعش ساعة من عمرى ، ولكن متى شئت وجدت نفسى أقرانا إن دعوتهم أجابونى وإن استسعدتهم أسعدونى ، قال الخليل : الإسعاد يستعمل فى المساعدة على البكاء خاصة

(١) والمرثى مالك بن حَرِّيّ أخو نهشل ، ويكنى أبا ماجد ، قتل بصفّين مع على عليه السلام وكان شجاعا

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الدُّجُنَّة : الظلمة ، وليلة مِدْجَان ، والدَّجْن : إلباس الغيم ، ومن روى « قذى الزاد » بالذال معجمة فانه يريد أنه يزهد فى خبائث الزاد وما يشين أخذه . إلى أن يستفيد الطيبات منه ، ويجوز أن يريد بقوله « قذى الزاد » ما يفىء عليه غدرا أو مخانة ، ويشير بالطيبات إلى ما كان من حِلّه ووجهه ، لا عار فى اكتسابه ، ومن روى « قدى الزاد » فالقدى : الرائحة الطيبة ، يقال : قِدْرٌ قدية ، إذا كانت طيبة الرائحة : أى لا يتشمم الزاد ورائحته حتى ينتقيه طيبا ، والأوّل أجود ، وذلك أنه أراد بالقذى الخبيث ، وقد طابق الطيب به

---

(١) مثل هذا قول الخنساء ترثى أخاها صخرا :

وَلَوْلاَ كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِى على إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِى

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِى ، وَلَكِنْ أُعَزِّى النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّى

وَهَوَّنَ وَجْدِى عَنْ خَلِيلِىَ أَنَّنِى
إِذا شِئْتُ لاَقَيْتُ امْرَأً مَاتَ صاحِبُهْ

أَخٌ مَاجِدٌ لَمْ يُخْزِنِى يَوْمَ مَشْهَدٍ
كَمَا سَيْفُ عَمْرٍو لَمْ تَخُنْهُ مَضارِبُهْ (١)

٢٧ — وقال الأسود بن زَمَعَةَ بن المطلب بن نَوْفَل (٢)

---

(١) « لم يخزنى » أى لم يُهِنِّى، من الخزى وهو الهوان ، أو لم يخجلنى ، من الخزاية وهو الاستحياء « يوم مشهد » : يوم اجتماع الناس ، و « سيف عمرو » : هى الصمصامة ، وخيانة السيف : النَّبْوَة عند الضريبة ، وكان سيف عمرو لا ينبو ؛ فاستوهبه عمر بن الخطاب فوهبه له ، فقيل لعمر : إنه غَيَّره و إنه ضن بالصمصامة ، فذكر عمر ذلك ، فغضب عمرو بن معد يكرب وقال : هاته ، فأخذه ودخل دار إبل الصدقة فضرب عنق بعير بضربة واحدة فأبانها، وقال : إنما أعطيتك السيف لا الساعد ، وارتفع قوله « أخ ماجد » على أنه خبر مبتدأ مضمر ، وقوله « كما سيف عمرو » لو رويت « كما سَيْفِ عمرو » بالجر لجاز ، وتجعل « ما » صلة ، والسيف ينجر بالكاف ، ومثله قوله

* كَمَا الْعَظْمِ الْكَسِيرِ يُهَاضُ حَتَّى *

و إن رفعته كان مبتدأ ، وكذلك السيف ، وتكون « ما » الكافة ، كقوله تعالى « رُبَمَا يودّ الذين كفروا » والضمير من قوله « لم تخنه » يرجع إلى عمرو ، و إن شئت إلى السيف

(٢) يرثى ابنه زَمَعَةَ بن الأسود ، وقتل يوم بدر مع قريش مشركا ، وفى نسخة « المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى » ، و زمعة اسم الرجل : مأخوذ من قولهم لِهُنَيَّةٍ تكون فى ظِلْفِ الشاة من خلفه : زَمَعَة وَزَمَعَ فى الجميع ، واستعير

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ ... وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ السُّهُودُ (١)
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ وَلَكِنْ ... عَلَى بَدْرٍ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ (٢)

ذلك فى غير الظاف ، قال دريد بن الصِّمَّة :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ ... أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ ... كَأَنَّهُ شَاةٌ صَدَعْ

وزعم قوم أنه يقال لـكلأ ليس بالـكثير : زَمَعَة ، وكذلك للنهر الصغير والْمَسِيل الضيق ، وقالوا للرجل الدنىء : هو من زَمَع القوم ، شبهوه بالتى تـكون فى الظاف ، قال :

جَرَاثِيمُ حَمَيْنَ ذِمَارَ نَجْدٍ ... وَأَنْتَ تُعَدُّ فِي الزَّمَعِ الدَّوَانِي

(١) الأوّل من الوافر ، والقافية متواتر

« أتبكى » لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الإنكار

سبب هذه الأبيات أن قريشاً كانت حَرَّمَت البكاء على قَتْلاَهَا يوم بدر ، وقالوا : يشمت بنا محمد وأصحابه ، ولا نبـكى قتلانا حتى نأخذ بثأرهم ، وكان الأسود بن زَمَعَة يحب ابنه زَمَعَة ، وكان قد أُصيب له ثلاثة بنين : زَمَعَة ، وعقيل ، والحرث ، وأحب أن يبكى عليهم ، ولم يحب أن يخالف قومه ؛ فسمع يوماً بكاء ناشدَةٍ بعيراً ، فقال لقائده وكان قد كُفَّ بصره : انظر ماهذا البكاء لعل قريشاً بكت على قتلاها فأبكى على أبى حكيمة ، يعنى زمعة ، فقد احْتَرَقَت كبدى ، فقال : هذا بكاء امرأة تنشد بعيراً لها أضلته فأنشأ يقول الأبيات .

(٢) الْبَـكْرُ : الفتىّ من الإبل ، والجمع بِـكَارة ، وقوله « تقاصرت الجدود » أى : تواضعت الحظوظ ، ومعناه أنه يستهين فَقْدَ المال ويستعظم فقد

أَلاَ قَدْ سَادَ بَعْدَهُمُ رِجالٌ وَلَوْلا يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا (١)

٢٨ — وقال رجل من بنى أسد (٢)

النفوس ، وتقاصرت : تفاعلت من القُصُور والعجز ، لامن القِصَر الذى هو ضد الطول ، كأنها تبارَت فى القُصُور . يدلّ على ذلك أنه يقال : قَصَرْتُ كذا على كذا : أى حبسته عليه ومنعته من الذهاب عنه ، حتى صار كالعاجز عن غيره ، ويقال أيضاً : قَصَرْته على كذا ؛ إذا رددته إلى دون ما أراد ، ومنه القَصْر فى الصلاة ، ويقال : تقاصَرَت إلى فلان نفسه ذلا . وقصر السهم عن الهدف فهو قاصر ، ولا يمتنع — وإن كان الأوّل هو أوجه — أن يجعل من القِصَر ويكون ضد تطاولت ، ويكون « على » موضوعا موضع الباء ، كما يقال : هم على ماء كذا ، وهم بماء كذا ، وقال أبو هلال : تقاصرت الجدود : أى عثرت ، والعاثر يتطأطأ عند العثار فيتقاصر ، والعثار فى الجد مثل ، وكذلك التقاصر . ويجوز أن يقال : إنه أراد بالجدود الأعمار : أى تقاصرت أعمار من قتل ببدر ، يعنى أنه قتل مَنْ قتل من المشركين فذهب بهم عز قريش : أى لاتبكى على بكر وابكى على من تقاصرت جدودهم ببدر فهلكوا ، وكانت بدر سوقا من أسواق العرب ، تقوم ثمانية أيام من ذى القعدة ، وكانت وقعة بدر فى رمضان السنةَ الثانية من الهجرة .

(١) يعرض بأبى سفيان بن حرب ؛ لأنه رأس قريشاً لما قتلتْ أشرافهم

(٢) وذكروا أن رجلين من بنى أسد خرجا إلى إصبهان فآخيا دهقَاناً بها فى موضع يقال له راوَنْد ، فمات أحدهما ، وغبر الآخر والدهقان ينادمان قبره : يشربان كأسين ويصبان على قبره كأسا ، فمات الدهقان ، فكان الأسدى ينادم قبريهما [ويترنم] بهذا الشعر ، وكان يشرب قدحا ويصب على قبريهما قدحَيْن :

خَلِيلَيَّ هُبَّا طَالَ مَا قَدْ رَقَدْتُمَا أَجِدَّ كُمَا لَا تَقْضِيَانِ كَرَاكُمَا (١)

أَلَمْ تَعْلَمَا مَالِي بِرَاوَنْدَ كُلِّهَا

وَلَا بِخُزَاقٍ مِنْ حَبِيبٍ سِوَاكُمَا (٢)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « طالما » يجوز أن يكون « ما » الكافة ، وقد ركب مع « طال » تركيباً واحداً حتى صارا معا كالشيء الواحد ، ويجوز أن يكون « ما » منفصلا من طال ، ويكون مع الفعل الذى بعده فى تقدير المصدر ، كأنه قال : طال رقودكما ، فاذا كتب المركب مع ما يجب أن يوصل أحدهما بالآخر ، وإذا كتب الثانى فصل بين طال وبين ما ، و « أجدَّ كما » انتصب على المصدر ، ذكره سيبويه فيما ينتصب من المصادر توكيداً لما قبله ، ومثله فى الاستفهام : أَجِدَّكَ لاتفعل كذا ، كأنه قال : أجدًّا ، غير أنه لا يستعمل إلا مضافا ، فهو يجرى فى التأكيد مجرى حَقًّا ، وفى الاضافة [مجرى] جَهْدَكَ ومعاذ الله ، والمعنى أتجعلان فعلَكُما جدًّا ، وطالما قد يكتفى به إذا كان المتقدم من الكلام يشتمل على ماقد استطيل ، وعلى ذلك عَزْماً وَشَدًّا

(٢) « ألم تعلما » هو لم أدخل عليه ألف الاستفهام ، والاستفهام كالنفى فى أنه غير موجب ، ونفى النفى إيجاب ، لذلك قرن بألم فيما كان واجباً واقعاً لأنه يتضمن من التحقيق والتثبيت فى التقرير وتأكيد المقرر على المخاطب مثل مايتضمنه القسم لو أتى به بدله ، لذلك عقبه بما يعقب به القسم ، وهو « ما » النافية ، وكذلك : الله يعلم ، ويعلم الله ، ويشهد الله ، والله يشهد ، يستعمل استعمال الأيمان ؛ وكذلك قول القائل :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَأْتِيَنَّ مَنِيَّةٌ مَا بَعْدَهَا خَوْفٌ عَلَيَّ وَلَا عَدَمْ

أَصُبُّ عَلَى قَبْرَيْكُمَا مِنْ مُدَامَةٍ فَإِلَّا تَنَالاهَا تُرَوِّ جُثَا كُمَا (١)

فقوله « ولقد علمت » جارٍ مجرى اليمين فيما ذكرت من التأكيد ، ولولا ذلك لما عقب بما يكون جواب اليمين . وقوله «ألم تعلما» أصله تعلمان ، ودخلت ألم للتقرير ، وقوله « مالى براوند من صديق » فى موضع المفعول لتعلمان ، لأن تعلم هذه فى موضع تعرف ، كقوله تعالى : (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت) وكذلك « لقد علمت لتأتين » ودخلت علمت ليؤكد بها ؛ لأنك أخرجت الكلام بها من أن يكون على سبيل التظنى أو من خبر مخبر فيكون إحالة عليه ، واللام من « لتأتين » له الصدر فيمنع علمت من العمل . وإذا كان كذلك كان موضع لتأتين نصباً على أنه مفعول علمت ، وقوله « من صديق » فى موضع الرفع على أن يكون اسم ما ، وفائدة « من » الاستغراق ، و« سواكما» فى موضع غير وهو صفة لصديق

(١) ويروى « فإن لم تذوقاها أبل ثرا كما » وقوله «من مدامة » موضعه نصب على أنه مفعول أصبُّ ، ومن : للتبعيض ، وقوله « أبلّ » يجوز أن تبنيه على الفتح والضم والكسر ؛ لأنك تدغم وإن كان معربا فيلتقى بنقل الحركة عن العين إلى الفاء ساكنان ، ثم تبنى على الكسر لأنه الأصل فى التقاء الساكنين ، أو على الفتح لخفته ، أو على الضم للاتباع ، ولا خلاف فى إدغام المعرب من كل العرب، فأما المبنى فبعض يظهر التضعيف فيه ، فيقول : اردُدْ ، وبعض يقول : رُدَّ ، فيدغم ، وإن كان مبنياً ، إلا أن الأصل فى الإدغام للمعرب ، ثم حمل المبنى عليه ، فاعلمه ، والجثا : جمع جُثْوَة ، وهو التراب المجتمع ، ويقال للقبر جُثْوَة ، وجمعه جُثاً ؛ قال عدى بن زيد :

عَالِمٌ بالَّذِى يُرِيدُ نَصُوحُ الْ جَيْبِ عَفٌّ عَلَى جُثَاهُ نَحُورُ

أُقِيمُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا لَسْتُ بَارِحًا
طِوَالَ اللَّيَالِي أَوْ يُجِيبَ صَدَاكُمَا (١)

وَأَبْكِيكُمَا حَتَّى المَمَاتِ وَمَا الَّذِي   يَرُدُّ عَلَى ذِي عَوْلَةٍ أَنْ بَكَاكُمَا (٢)

جَرَى النَّوْمُ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالجِلْدِ مِنْكُمَا
كَأَنَّكُمَا سَاقٍ عُقَارٍ سَقَاكُمَا

٢٩ — وقال عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثى ، يكنى أبا الوليد (٣)

أراد أنه مقيم فى ملكه لأنه ورثه عن آبائه ، وهذا كما قال حسان :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ   قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

ويجوز أن يكون الشاعر أراد أنه ينحر على القبور لإطعام الناس ، كما يفعله أهل هذا العصر من الصدقة عن الميت

(١) « لست بارحا » فى موضع الحال ، كأنه قال : أقيم ملازما أبدا ، وطِوَالَ : انتصب على الظرف ، والعامل فيه يجوز أن يكون «بارحا» ، ويجوز أن يكون «أقيم» ، وقوله « أو يجيب » أو : بدل من إلا ، والفعل بعده انتصب بأن مضمرة ، والعرب تقول : عظام الموتى تصير أصْدَاءً وهاماً ، لذلك قال : أو يجيب

(٢) يروى « أن بكاكما » و «إن بكاكما» فإذا فتحت الهمزة يكون موضعه من الإعراب الرفع على أن يكون فاعل يرد ، لأن «أنْ» مع الفعل فى تقدير المصدر ، وإن رويت «إنْ» بكسر الهمزة كان شرطا وجوابه يدل عليه «أبكيكما» من مصدره ، كأنه قال : وما الذى يرد البكاء على ذى عَوْلة إن بكاكما ، ومنه « من كَذَبَ كان شَرًّا له ، ومن صدق كان خيرًا له » أى : كان الكذب شرا له ، وكان الصدق خيراً له ، والعويل : صوت الصدر ، ومنه الْعَوْلَة ، وقد أعولت المرأة

(٣) وهو شامى ، كلامى ، شاعر

إِنِّى لِأَرْبَابِ الْقُبُورِ لَغَابِطٌ ‏ بِسُكْنَى سَعِيدٍ بَيْنَ أَهْلِ الْمَقَابِرِ (١)

وَإِنِّى لَمَفْجُوعٌ بِهِ إِذْ تَكَاثَرَتْ ‏ عُدَاتِى وَلَمْ أَهْتِفْ سِوَاهُ بِنَاصِرِ (٢)

فَكُنْتُ كَمَغْلُوبٍ عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ

وَقَدْ حَزَّ فِيهِ نَصْلُهُ حَرَّانَ ثَائِرِ (٣)

أَتَيْنَاهُ زُوَّارًا فَأَمْجَدَنَا قِرًى

مِنَ الْبَثِّ وَالدَّاءِ الدَّخِيلِ الْمُخَامِرِ (٤)

وَأُبْنَا بِزَرْعٍ قَدْ نَمَا فِى صُدُورِنَا

مِنَ الْوَجْدِ يُسْقَى بِالدُّمُوعِ الْبَوَادِرِ (٥)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

سكنى : مصدر كعُذْرَى وبُشْرَى ، وهو أن تسكن إنسانا منزلا بلا كراء ، والمنزل سَكَن ومَسْكن ، ومعنى البيت إنى أغبط الموتى بحصول سعيد فيما بينهم

(٢) « سواه بناصر » فى موضع النصب على أنه استثناء متقدم

(٣) النصل : اسم حديدة السيف ، لذلك صلح إضافته إلى سيفه ، وإن كان قد يستعمل استعمال السيف ، يقول : كنت كمن غلب على عدّته أشد ما كان حاجةً إليها

(٤) يقال : أَمْجَدَنَا من كذا : أى أكثر لنا منه ، وأَمْجَدْتُ الدابة ، إذا أكثرتَ علفها ، يقول : أَكْثَرَ قِرَانا من الحزن والداء المتمكن من القلب ، والمخامر : مأخوذ من الخَمَر ، وهو ما وارَاك من الشجر . ولما جعله مَزُوراً أقام له قِرًى لزائره على عادته وهو حى

(٥) نبه بهذا الكلام على أن حزنه يزيد على مرّ الأيام ، فهو كالزرع النامى ، وأن سقياه الدموع ، والبوادر : المستبقة لكثرتها وغلبتها ، وأصل الزرع

وَلَمَّا حَضَرْنَا لِاقْتِسَامِ تُرَاثِهِ ... أَصَبْنَا عَظِيمَاتِ اللُّهَى وَالمَآثِرِ (١)
وَأَسْمَعَنَا بِالصَّمْتِ رَجْعَ جَوَابِهِ ... فَأَبْلِغْ بِهِ مِنْ نَاطِقٍ لَمْ يُحَاوِرِ (٢)

٣٠ — وقالت امرأة من بنى شَيْبَانَ :

وَقَالُوا : ماجدًا مِنْكُمْ قَتَلْنَا
كَذَاكَ الرُّمْحُ يَكْلَفُ بِالْكَرِيمِ (٣)

الإنبات ، والزرعة : البذر ، ويقال : زُرِعَ لفلان بعد شقاء ، إذا أصاب مالا بعد الحاجة

(١) اللُّهَى : أفضل العطاء وأجزلها ، والواحدة لُهْيَة ولُهْوَة ، ومنه اللهوة التى تلقى فى الرحا ، والمآثر: جمع مَأْثُرَة ، وهو مايؤثر من المحامد : أى لما حضرنا وجدنا المكارم والمفاخر ما خلفه دون المال

(٢) رَجْعَ جوابه : أى مرجوع جوابه ، كما قال غيره : اسأل الأرضَ مَنْ شقّ أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فإن لم تجِبْكَ حِوَارا ، أجابتك اعتبارا ، وهذا مأخوذ من كلام بعض اليونانيين حين مات الاسكندر وقف عليه فقال : طالَ مَا وعظنا هذا الشخص بكلامه ، وَهُوَ لنا اليوم بسكوته أوعظ ، وقد أجاد أبو العتاهية حيث يقول :

وَكَانَتْ فِى حَيَاتِكَ لِى عِظَاتٌ ... وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

وقال صالح بن عبد القدّوس :

مَا الَّذِى عَاقَ أَنْ تَرُدَّ جَوَابًا ... أَيُّهَا الْمِقْوَلُ الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ
ذُو عِظَاتٍ وَمَا وَعَظْتَ بِشَىْءٍ ... مِثْلَ وَعْظِ السُّكُوتِ إِذْ لَا تُجِيبُ

(٣) الأول من الوافر ، والقافية متواتر .

بعَيْنِ أُبَاغَ قَاسَمْنَا الْمَنَايَا   فَكَانَ قَسِيمُهَا خَيْرَ القَسِيمِ (١)

انتصب «ماجداً» على أنه مفعول مقدم، ومنكم: فى موضع الصفة له. وموضع «ماجدا منكم قتلنا» موضع المفعول لقالوا، وقوله «كذاك الرمح يكلف بالكريم» جواب لهذا الابتداء، كأنه فأجيبوا الرمحُ يَكْلَفُ بالكريم كذاك، فأشير بذاك إلى الخبر الذى اقتصّوه، والكاف من «كذاك» كاف الخطاب لا موضع له من الاعراب، وتلخيص الكلام الرمح يكلف بالكرام كَلَفاً مثل ذلك الكلف، والعامل فى «كذاك» يكلف. والمعنى تنادَوْا ماجداً منكم قتلنا، فأجيبوا الرمح يعشق الكرام ويُولَع بهم مثل ذاك. وأكثر ما يجيء الجواب فى أثر السؤال من واحد فى القرآن كقوله تعالى: (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)

(١) «قاسمنا المنايا» يجوز بفتح الميم على أن تكون المنايا فاعلة، وقاسَمْنَا بسكون الميم على أن تكون المنايا مفعولة. قال أبو العلاء: أُبَاغُ: يجب أن يكون من الأُبغ، وهو لفظ ممات، ويجوز أن تكون الهمزة مبدلة من الواو، لأنهم قالوا وَبَغْتُهُ إذا عبته، وقيل: إن الوَبغ فسادٌ فى ريش الطائر أو وبر البعير، وقسيم الانسان: هو الذى يقاسمه، كما أن شَرِيبهُ الذى يُشَارِبه، والقسيم فى البيت واقع فى الحظ الذى هو قسم المنايا فوضعته فى موضع القسم؛ لأنك إذا قلت: قاسمت فلانا فأخذ قسمه، فقسمه الذى يقسم وهو مفعول، وجاز أن يجعل قسيما فى معنى مقسوم لأن الغرض ذلك. وَقَاسَمَ يقتضى مفعولا آخر، كأنه قال قاسمنا المنايا الناس والأصحاب، وقال النمرى: عين أُباغ موضع كانت فيه وقعة لهم، وقوله «قاسمنا المنايا» أى أخذت بعضاً وتركت بعضا فكان من أخذت خيراً ممن تركت لأنها أخذت من كان أشدفتكا وأعظم جراءة، قال أبو محمد الأعرابى: هذا موضع المثل «غاط بن باط»، ولم ينصف، أى باطل بن باطل، خلط فى هذا التفسير، وذلك أنه لم يعرف القصة وكم المرثى

٣١ — وقال عُتَىٌّ بن مالك العقيلى (١)

أَعَدَّاءُ مِنْ لِلْيَعْمَلاَتِ عَلَى الْوَجَى ... وَأَضْيَافِ لَيْلٍ بَيَّتُوا لِنُزُولِ (٢)

أواحد أم اثنان أم جماعة ، ومعنى البيت إن المنايا لما قاسمتهم أخذت قسمها خير قسم ، وهما المرثيان بهذا البيت ، ولم يأخذ هؤلاء من المنايا شيئا ، لم ينتصفوا منها ، وهذا مثل قول الآخر :

إِذَا مَا الْمَنَايَا قَاسَمَتْ بِابْنِ مِسْحَلٍ ... أَخًا وَاحِدًا لَمْ يُعْطَ نِصْفًا قَسِيمُهَا

فَآبَ بِلاَ قِسْمٍ وَآبَتْ بِقِسْمِهِ ... إِلَى قِسْمِهَا لاَقَتْ قَسِيمًا يَضِيمُهَا

وهذا الشعر لبنت فَرْوَةَ بن مسعود ترثى فروة وقيسا ابنى مسعود بن عامر ابن عمر بن أبى ربيعة وقتلا مع المنذر ذى القرنين يوم عين أُباغ يوم قتل المنذر ، وكان الذى قتل المنذر شَمِرَ بن عمرو الحنفى وكان مع الحرث بن أبى شمر الغسانى وهو المنذر بن امرىء القيس وأمه ماء السماء النمرية ، وهو يوم يقول المنذر : كريم والى مصرعه .

(١) قال أبو الفتح : عُتَىّ يجوز أن يكون تحقيرعات على الترخيم ، وأن يكون تحقير عتوّ ، قال : ولا أقول إن المصدر يحقر ، لكنه سمى به ثم حقر كما يحقر الفَضْل فُضَيْلا ، والعَلاء عُلَيًّا ، وأصل تحقير عُتُو عُتَيِّيٌ بثلاث ياآت فحذفت الآخرة كما حذفت من تحقير أَحْوَى أُحَىّ ، وحكى أبو الحسن أن منهم من يقول : إن المحذوفة فى تحقير عطاء إذا قلت عُطَىٌّ هى الوسطى ، ويجب أن يكون ذهب إلى ذلك من حيث كانت زائدة ، ولا يجوز أن يذهب إلى ذلك فى نحو تحقير أَحْوَى لأن الوسطى هنا عين .

(٢) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر

ناداه مسائلا له على طريق التوجع ، واليَعْمَلاتُ : النُّوق السراع ، والوجى : هو الحفاء ، واليعملة : الناقة التى تصبر على العمل والسير ؛ لأنهم يقولون : أعملت

أَعَـدَّاءُ ماللعَيْشِ بَعْدَكَ لَذَّةٌ وَلاَ لِخَلِيلِ بَهْجَةٌ بِخَلِيلِ (١)

أَعَدَّاءُ مَاوَجْدِى عَلَيْكَ بِهَـيِّنٍ وَلاَ الصَّبْرُ إِنْ أُعْطِيتُهُ بِجَمِيلِ

٣٢ — وقال أيضاً (٢)

كَأَنِّىَ وَالعَدَّاءَ لَمْ نَسْرِ لَيْلَةً وَلَمْ نُزْجِ أَنْضَاءً لَهُنَّ ذَمِيلُ (٣)

وَلَمْ نُلْقِ رَحْلَيْنَا بِبَيْدَاءَ بَلْقَعٍ

وَلَمْ نَرْمِ جَوْزَ اللَّيْـلِ حَيْثُ يَمِيلُ

الناقة ، إذا ركبتها فى السفر . وقال الخليل : اليعملة لايوصف بها إلا النوق ، وقال غيره : يقال للجمل « يَعْمَـل » اسم له من العمل ، كما يقال : يعملة ، وأنشد :

إذْ لاَ أَزَالُ عَلَى اقْتَادِ نَاجِيَـةٍ صَهْبَاءَ يَعْمَلَةٍ أَوْ يَعْمَلٍ جَمَلِ

أراد أو جمل يعمل ، وموضع « على الوجى » نصب على الحال ، كأن فناءه كان مألفاً للأضياف ومجمعاً للعفاة ، وقوله « بيتوا » أى : بيتوا الحى لينزلوا ويضافوا

(١) البهجة على ضربين : أحدهما السرور ، والآخر الحسن ، رجل بَهِجٌ مسرور ، وبهج وبهيج حسن .

(٢) والوزن واحد

(٣) أى : كأنى وإياه لم نجتمع فى مسير قط

أدخل الألف واللام على « العـداء » لأنه صفة فى الأصـل كالحَسَن والعباس ، وإذا أتيت به بلا ألف ولام فلأنك جعلته علما فصار معرفة بالعلمية ، وإذا أدخلت الألف واللام عليـه فانك راعيت حاله وهو صفة ثم جعلتها نفس المسمى وأدخلت الألف واللام عليه ؛ فعلى الأول لا يفيد الاسم فى المسمى شيئاً أكثر من تمييزه عن غيره ، وعلى الثانى أفاد معنى الوصفية فيـه مع التمييز ، فصار كالصفات الغالبـة الجارية مجرى الألقـاب فى التخصيص ، والإزجاء :

٣٣ — وقال أبو الْحَجْنَاءِ (١)

أَضْحَتْ جِيَادُ ابْنِ قَعْقَاعٍ مُقَسَّمَةً ... فِي الْأَقْرَبِينَ بِلَا مَنٍّ وَلَا ثَمَنِ (٢)
وَرَّثْتَهُمْ فَتَسَلَّوْا عَنْكَ إِذْ وَرِثُوا ... وَمَا وَرِثْتُكَ غَيْرَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ (٣)

السَّوْقُ ، والذميل : ضرب من السير وهو أعلى من الْعَنَق ، وقوله « لم نلق رَحْلَيْنَا » لو قال « رحالنا » لكونهما اثنين من اثنين فجرى مجرى قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) كان أدخل فى الاستعمال ، لكنه أتى به على الأصل ، وقوله « ولم نرم جَوْزَ الليل حيث يميل » أراد حيث يميل الليل ، وحيث هذا : ظرف زمان ، يريد فكأنا لم نرم بأنفسنا جوز الليل حيث يميل : أى وَقْتَ ميله ، يشير إلى جنوحه وإشرافه على تهوّره ، ومما جاء فيه وهو للزمان دون المكان عند أبى الحسن الأخفش قوله :

لِلْفَتَى عَقْلٌ يَعِيشُ بِهِ ... حَيْثُ تَهْدِى سَاقَهُ قَدَمُهْ

لأن المعنى للفتى عقل يعيش به مدةَ سعيه وحياته ونهوضه بساقه فى أمره ، ويجوز أن يكون « حيث » ظرفا لمكان ، ويكون المعنى إنا نعتسف الطريق فحيث مال الليل ملنا معه .

(١) هو تأنيث الأحجن ، وهو الأعوج ، ومنه المِحْجَنُ للعصا العوجاء الرأس كالصولجان يُهْصَر بها أطراف الشجر ونحوها ، وتكسير أحجن وحجناء حُجْن .

(٢) الأول من البسيط ، والقافية متراكب .

القعقاع والقعقعانى فى اللغة : هو الذى إذا مشى سمع لمفاصله تقعقع ، وأراد بالأقربين وُرَّاثَهُ .

(٣) السُّلو : طيب النفس عن الشىء ، والتسلى : تكلف السلوان ، ووَرَّثْتُ

٣٤ – وقال آخر :

لَنِعْمَ الفَتَى أضْحَى بِأَكْنَافِ حَائِلٍ
غَدَاةَ الوَغَى أَكْلَ الرُّدَيْنِيَّةِ السُّمْرِ (١)

لَعَمْرِي لَقَدْ أُرْدِيتَ غَيْرَ مُزَلَّجٍ وَلاَ مُغْلِقٍ بَابَ السَّمَاحَةِ بِالعُذْرِ (٢)

الرجل وأورثته بمعنى واحد ، وقال أبو زيد : ورّثت الرجل ، إذا أدخلته فى الميراث ولا حق له فيه .

(١) الأول من الطويل ، والقافية متواتر .

محمودُ « نعم » محذوفٌ ، كأنه قال : نعم الفتى فتى أضحى ، وانتصب « أكْلَ » على أنه خبر أضحى ، و« بأكناف حائل » ظرف مكان ، و« غداة الوغى » ظرف زمان ، وتعلقا جميعاً بأضحى ، ويجوز أن يجعل « بأكناف حائل » الخبر ، وينتصب « أكْلَ » على الحال ، ولا يمتنع أن ينتصب « غداة » بما دل عليه « بأكناف حائل » من الفعل المضمر ، ويجوز أيضاً أن يكون العامل فيه « أكل » لأنه ليس بمصدر فلا[1] يعمل ما فى صلته فيما قبله ، والأكل : الطعم ، وإضافته إلى الرُّدَيْنية لم يفد فيه اختصاصاً ، ألا ترى أن فائدته وهو مضاف مثل فائدته لو نون فقال : أكلاً للردينية ، ومعنى البيت محمودٌ فى الفتيان فتًى حصل بجانب هذا الوادى غداة الحرب طعماً للردينية السمر ، واللام من « لنعم » جواب قسم مضمر

(٢) اللام فى « لعمرى » لام الابتداء ، وخبر المبتدأ محذوف ، كأنه قال : لقد أهلكت غير ضعيف ولا جبان وقت المدافعة والممانعة ، والمزلَّج : الناقص المروأة ، وأصله فى صغر الجسم وقلة الطعم ، والزلج : السرعة فى المشى ، فرس زَلوج :

---

(١) هذا التفريع على المنفى ، لا على النفى ، والمراد أن المصدر لا يعمل ما هو من صلته فيما قبله ، وهذا ليس بمصدر فحكمه ليس مثل حكم المصدر .

سَأَبْكِيكَ لا مُسْتَبْقِياً فَيْضَ عَبْرَةٍ ... وَلا طَالِباً بِالصَّبْرِ عَاقِبَةَ الصَّبْرِ (١)

٣٥ – وقال خلف بن خليفة

أُعَاتِبُ نَفْسِى أَنْ تَبَسَّمْتُ خَالِيًا

وَقَدْ يَضْحَكُ الْمَوْتُورُ وَهْوَ حَزِينُ (٢)

وَبِالدَّيْرِ أَشْجَانِى وَكَمْ مِنْ شَجٍ لَهُ ... دُوَيْنَ الْمُصَلَّى بِالْبَقِيعِ شُجُونُ (٣)

رُبًا حَوْلَهَا أَمْثَالُهَا إِنْ أَتَيْتَهَا ... قَرَيْنَكَ أَشْجَانًا وَهُنَّ سُكُونُ (٤)

سريع فى المشى : أى هلكت وأنت سخى تام المروأة غير بخيل يعتذر إذا طلب منه الشىء ولا يبذله .

(١) « عاقبة الصبر » السلو والأجر ، يقول: لاأسلو للأجر ولا أستبقى الدموع

(٢) ثالث الطويل ، والقافية متواتر .

انتصب « خالياً » على الحال من « أعاتب » و « أن تبسمت » بفتح الهمزة معناه لأن تبسمت ومن أجل تبسمى ، ولك أن تكسر الهمزة من « أن » فيكون شرطاً ، ويكون جوابه ما دل عليه « أعاتب نفسى » ، والمعنى إذا خلوت بنفسى أعتبها لمـا يتفق منها من متابعة الناس على تصرفهم فى المؤانسة وقد يتبسم الموتور من غير سرور ، وأصل الوتر النقصان ، وذلك أنه ناقص عن الشفع ؛ والموتور : الذى نقص من مال أو عدد .

(٣) الأشجان : جمع شَجَن ، وهو الحزن فى أدنى العدد ، والشجون جمعه الكثير ، دُوَيْن تصغير دُون : أى دون المصلى بقليل ، ولا يقال عُنَيْد فى تصغير عِنْدَ لأن عند عبارة عن غاية القرب ، يقول : بهذه المواضع حاجاتى وهمومى وكم من حزين له هناك هموم وأحزان .

(٤) « رُباً » موضعه رفع على أنه بدل من قوله « شجون » ويعنى به القبور

كفى الهجرَ أنَّا لم يَضِحْ لكَ أمرُنا ... ولم يأتِنا عمَّا لديك يقينُ (١)

٣٦ — وقال عبد الله بن ثعلبة الحنفى :

لِكلِّ أُناسٍ مَقْبَرٌ بفِنائهم ... فهُم يَنقُصُون والقُبُورُ تَزيدُ (٢)

وما إنْ يَزالُ رَسْمُ دارٍ قد اُخلقتْ ... وبيتٌ لميْتٍ بالفِناء جَديدُ

هُمُ جِيرةُ الأحْياء؛ أمّا جِوارُهُمْ ... فَدانٍ ، وأمَّا المُلتقى فبَعيدُ (٣)

٣٧ — وقال آخر :

لا يُبْعِدِ اللهُ إخوانًا لنا ذهبُوا ... أفناهمُ حدَثانُ الدَّهرِ والأبدُ (٤)

المُسَنَّمة ، و« حولها أمثالها » صفة للربا ، وما أشار إليه من المماثلة ، و « قرينك أشجاناً » يعنى القبور إذا جئتها لا تقرينك غير الغم ، « وهن سكون » أى : ساكنة لا تتحرك ولا تنطق وهى مع ذلك تُحزِنُ وتُبكى

(١) أى : كفى الهجر هجر الموت ، لا هجر البين ، لأن كل واحد منا لا يعرف خبر صاحبه المهجور ، وقد يعرف خبر الهاجر

(٢) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر

مَقبر : موضع القبر ، وكأن المقبرة أكثر قبوراً من المقبر

(٣) جيرة : جمع جار ، « وأما الملتقى فبعيد » أى : الالتقاء لا يوجد مع دنو المجاورة

(٤) من البسيط الأول ، والقافية متراكب

معنى « لا يبعد الله » لا يهلك الله ، يقال : بَعِدَ الرَّجُلُ . فإن قيل : كيف قال « لا يُبْعِدِ الله » وقد عقبه بقوله « أفناهم حدثان الدهر والأبد » وهل الهلاك إلا الفناء ؟ قلت : هذه اللفظة جرت العادة فى استعمالها عند المصائب ،

نُعِدُّهُمْ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ بَقِيَّتِنَا وَلاَ يَؤُوبُ إِلَيْنَا مِنْهُمُ أَحَدُ (١)

٣٨ – وقال الْغَطَمَّشُ الضَّبِّىُّ (٢) :

إِلَى اللهِ أَشْكُو لاَ إِلَى النَّاسِ أَنَّنِى
أَرَى الأَرْضَ تَبْقَى وَالأَخِلاَّءُ تَذْهَبُ (٣)
أَخِلاَّى، لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى المَوْتِ مَعْتَبُ (٤)

٣٩ – وقال أَرْطَاةُ بن سُهَيَّةَ الْمُرِّىُّ (٥) :

وليس فيه طلب ولا سؤال ، وإنما هو تنبيه على شدة الحاجة إلى المفقود وتناهى الجزع والتفجع به ، ألا ترى أن الآخر قال :

يَقُولُونَ لاَ تَبْعَدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِى وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَا

وحدثان الدهر : نوائبه ، وأراد بالأبد نفس الدهر .

(١) يجوز أن يكون المراد بقوله « بقيتنا » خيارنا ، يقال : فلان من بَقِيَّة قومه : أى خيارهم ، ويجوز أن يكون الباقى منهم .

(٢) الْغَطْمَشَة : أخذ الشيء قهراً ، قالوا : ومنه اشتق الْغَطَمَّش فى اسم رجل فهو على هذا اسم مرتجل . وقيل : الْغَطَمَّش الرجل الكليل البصر ، فهو على هذا منقول من الصفة .

(٣) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

(٤) قوله « أَخِلاَّى » على قصر الممدود ، والأجود أن تترك مدته على حالته وتحذف الياء من آخره فى النداء لأن الكسرة تدل عليه

(٥) سُهَيَّة : أمه ، وكنيته أبو الوليد ، وأبوه زُفَرُ أحد بنى مرة ، كان فى زمن بنى مَرْوَان

هَلَ أُنْتَ أُبْنَ لَيْلَى إِنْ نظرْتُكَ رَائِحٌ
مَعَ الرَّكْبِ أوْ غادٍ غداةَ غدٍ مَعِي [1]

وَقفْتُ عَلَى قَبْرِ أُبْنِ لَيْلَى فلَمْ يَكُنْ
وُقُوفِي عليْهِ غيْرَ مبْكَى ومجْزَعِ

عَنِ الدَّهْرِ فاصْفحْ إنَّهُ غَيْرُ مُعْتِبٍ
وفي غيْرِ منْ قدْ وارتِ الأرْضُ فاطْمعِ [2]

٤٠ — وقال آخر في أخ له مات بعد أخ [3]

كَأَنِّي وسيفيًّا خليلي لَمْ نَقُلْ لمُوقِدِ نارٍ آخِرَ اللَّيْلِ : أوْقِدِ
فَلَوْ أَنَّهَا إِحْدَى يدَيَّ رُزِئْتُهَا
ولكِنْ يدي بانتْ عَلَى إِثْرِها يدِي [4]

---

(١) الثاني من الطويل ، والقافية متدارك

أدرج ألف القطع في «هل أُنت» وتلك لغة ، ونظرتك : انتظرتك ، وكان مات له ابن فأقام على قبره حوْلا يأتيه كل غـداة فيقول : ياعمر ، إن أقمت المساء فهل أنت رائح معي ؟ ويأتيه عنـد المساء فيقول مثل ذلك ، ثم ينصرف ، فلما كان رأس الحول تمثل بقول لبيد :

إِلَى الحْوْلِ ثُمَّ أسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُمَا وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدِ اعْتَذَرْ

ثم قال « وقفت على قبر ابن ليلى »

(٢) « غيرُ مُعْتب » أي : لا يرضي أحدا ، يقال . أعتب الرجلُ صديقَه ، إذا أرضاه

(٣) والوزن مثل الأول

(٤) إحدى: مبتدأ ، ورزئتها : في موضع الخبر ، يقول : لوأصبت بإحدى يَدَيَّ

فَأَقْسَمْتُ لاَ آسَى عَلَى إِثْرِ هَالِكٍ
قَدِى الْآنَ مِنْ وَجْدٍ عَلَى هَالِكٍ قَدِى (١)

٤١ — وقال آخر فى ابن له :

هَوَى ابْنِى مِنْ عُلاَ شَرَفٍ يَهُولُ عُقَابَهُ صَعَدُهُ (٢)

لكان فى الباقية بعض الاجتزاء ، ولكن تبعت الأولى الثانية ، فأدّى فقدُهما إلى انقطاع الحياة . وحذف جواب «لو» لأن المراد مفهوم ؛ وقوله « فلو أنها » الضمير يجوز أن يكون للقصة ، ويجوز أن يكون للمصيبة ، كأنه قال : فلو أن القصة إحدى يدى رزئتها

(١) « الآن » موضعه نصب على الظرف ، ولا يجىء إلا بالألف واللام ؛ وحكم الأسماء أن تكون منكورة شائعة فى الجنس ثم يدخل عليها مايعرفها من إضافة أو ألف ولام ، فخالف «الآن» سائر أخواته بوقوعه معرفة فى أول الأحوال ثم لزم مع ذلك موضعا واحداً ، لأن لزومه فى هذه الحال لموضعه قد ألحقه بشبه الحروف ، إذ كان حكم الحروف لزومها لمواضعها فى أوليتها لاتزول عنها ، فبنى لذلك . واختيرت الفتحة لخفتها ، يقول : لا أحزن بعده على هالك فقد بلغ حزنى منتهاه فليس فيه مزيد كما قال الرقاشى :

فَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلٍ تَعَطَّلِى وَقُلْ لِلرَّزَايَا كُلَّ يَوْمٍ تَجَدَّدِى

(٢) من ثانى الوافر ، والقافية متراكب

يقال : صَعِدَ يَصْعَدُ صُعُودًا وَصَعَدًا وصُعُدًا ، وقوله « يهول عقابه صعده » فى موضع الصفة للشرف ، يقول : هوى ابنى من أعلى شرف تخاف العقاب أن تعلوه من مشقته عليها

هَوَى مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ فَزَلَّتْ رِجْلُهُ وَيَدُهْ (١)

فَـــلاَ أُمٌّ فَتَبْكِيهِ وَلاَ أُخْتٌ فَتَفْتَقِدُهْ (٢)

هَوَى عَنْ صَخْرَةٍ صَلْدٍ فَفُزَّتْ تَحْتَهَا كَبِدُهْ (٣)

أُلاَمُ عَلَى تَبَكِّيهِ وَأَلْمُسُهُ فَلاَ أَجِدُهْ (٤)

---

(١) « زلت رجله » أى : انخلعت وبانت منه

(٢) لم يجعل « فتبكيه » « فتفتقده » جوابا للنفى لأن الجواب يكون منصوبا لكنه عطفه على ماقبله ، وهو عطف جملة على جملة ، ومثله فى القرآن (ولا يُؤْذَنُ لهُمْ فَيَعْتَذِرُون) لأن المعنى لايؤذن لهم ولا يعتذرون وكذلك هذا معناه لا أم له فلا تبكيه

(٣) الصَّلْد : مالا ينبت شيئا من الحجارة ومن الأرضين ، ومنه « أصْلَدَ الزَّنْد » إذا لم تخرج منه النار ، وقال أبو العلاء : إذا رُوِى « فَفُزَّتْ تحتها كَبِدُه » فهو من قولهم « أَفْزَزْته » أى : أزعجته ، ومنه قول أبى ذؤيب :

وَالدَّهْرُ ، لاَ يَبْقَى عَلَى حِدْثَانِهِ شَبَبٌ أَفَزَّتْهُ الْكِلاَبُ مُرَوَّعُ

كأنه يريد أن كبده زالت من موضعها ، وبعض الناس ينشــد « فَنَتَّت » ومنهم من يقول « فَفَرَّتْ » يريد فُرِيَتْ من « تَفَرِّى الأديم » ويحمله على لغة طيء ، يقولون: المرأة دُعَتْ أى دُعِيَتْ ، والدا رُبنَتْ أى بُنِيَتْ

(٤) « ألمسه » بمعنى ألتمسه ، واللمس والمس متقاربان فى معنى الطلب والالتماس قال الله تعالى : (وأنا لَمَسْنَا السماء فوجدناها ملئت حرساً) وكذلك قول الشاعر : (١)

---

(١) هذا الذى ذكره الشارح جزء من بيت من أبيات الحماسة ليزيد بن الحكم التميمى ، والبيت بتمامه :

مَسِسْنَا مِنَ الآبَاءِ شَيْئاً وَكُلُّنَا إِلَى نَسَبٍ فِى قَوْمِهِ غَيْرِ وَاضِعِ

وانظر (ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٢٩) من هذه المطبوعة

وَكَيْفَ يُلَامُ مَحْزُونٌ كَبِيرٌ فَاتَهُ وَلَدُهْ (١)

٢٤ — وقال آخر : (٢)

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَا
أَجَابَ الْبُكَا طَوْعاً وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ (٣)
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ الْحُزْنُ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ (٤)

---

* مَسِسْنَا مِنَ الآبَاءِ شَيْئاً *

أى : طلبنا وفتشنا وليس هو من المس باليد فى شىء ، ويدل على أن معنى قوله ألمسه أطلبه أنه عقبه بقوله « فلا أجده »

(١) لأن الكبير أجزع للنائبة من الصغير ليأسه من الولد

(٢) وقيل : هو للعباس بن الأحنف . وكان يكنى أبا الفضل ، وكان القنانى يسترذل شعره ثم سمع له :

لَوْ كُنْتِ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَبْرَتِي أَمَلِي رِضَاكِ وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ
لَكِنْ مَلِلْتِ فَلَمْ تَكُنْ لِيَ حِيلَةٌ صَدُّ الْمَلُولِ خِلَافُ صَدِّ الْعَاتِبِ

وهو معنى لم يسبق إليه ، فقال : أجدر بمن بحث التراب أن يجد فيه اللؤلؤة والخرزة النفيسة .

(٣) من أول الطويل ، والقافية متواتر .

قوله «طوعا» مصدر فى موضع الحال ، أراد أجاب طائعاً غير مجبر ، يقال : طاع له يطوع ، إذا انقاد له ، وهو طائع : أى إذا استعنت بالبكاء والصبر أعاننى البكاء فبكيت ولم يطعنى الصبر فجزعت .

(٤) يقول : إن انقطع أملى منك فان حزنى عليك باقٍ أبد الدهر

٤٣ — وقال النابغة يرثى أخاه من أمه ، وأمه عاتكة بنت أنيس الأشجعى : (١)

لاَ يَهْنِئِ النَّاسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلَأٍ
وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ مَالِ (٢)
بَعْدَ ابْنِ عَاتِكَةَ الثَّاوِى عَلَى أَمَرٍ
أَمْسَى بِبَلْدَةِ لاَ عَمٍّ ولا خالِ (٣)

---

(١) النابغة : الفاعلة ، من « نبغ » إذا ظهر .

(٢) الثانى من البسط ، والقافية متواتر

دعاه الضجر بموته إلى أن دعا على الناس كافة بأن لا يهنيهم الله ما يرعونه من كلأ ويحوزونه من مال ، ويجوز أن يكون الناس وإن كان لفظه عاما يختص بمن شمت بموته ، فقد قيل فى قوله تعالى (الذى قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) : إنه كان رجلا واحدا ، ولا يمتنع أن يكون اعتقد فى الناس كافة أنهم نظروا إليه بعين الحاسدين أيام حياته لكماله ، وهذا مذهب لهم ، يقولون : لا كانت الدنيا بعد فلان ، ولا كانت بعدى ، ومن هنا أخذ المحدث قوله :

إِنَّمَا دُنْيَاىَ نَفْسِى ، فَإِذَا تَلِفَتْ نَفْسِى فَلَا عَاشَ أَحَدْ
لَيْتَ أَنَّ الشَّمْسَ بَعْدِى غَرَبَتْ ثُمَّ لم تَطْلُعْ عَلَى أَهْلِ بَلَدْ

(٣) نسبه إلى أمه تنبيها على أن الجامع بينهما كانت الأمومة ، ويروى « الثاوى على أبوى » وهو موضع فيه قبره ، و « ذو أمر » موضع بعينه ، والأمر : حجارة تنصب ليهتدى بها ، وإنما أخذت من الأمارة ، وهى العلامة ، وقوله « ببلدة لا عم ولا خال » أى ببلاد الغربة .

سَهْلِ الْخَلِيقَةِ مَشَّاءٍ بِأَقْدُحِهِ   إِلَى ذَوَاتِ الذُّرَا حَمَّالِ أَثْقَالِ (١)

حَسْبُ الْخَلِيلَيْنِ نَأْيُ الْأَرْضِ بَيْنَهُمَا   هَــــذَا عَلَيْهَا وَهــذَا تَحْتَهَا بَالِى (٢)

٤٤ — وقال مُوَيْلِكٌ الْمَزْمُومُ يرثى امرأته أمَّ الْعَلاءِ :

أُمْرُرْ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِى حَلَّتْ بِهِ   أُمُّ الْعَلَاءِ فَنَـــادِهَا لَوْ تَسْمَعُ (٣)

أَنَّى حَلَلْتِ وَكُنْتِ جِدَّ فَرُوقَةٍ   بَلَدًا يَمُرُّ بِهِ الشُّجَاعُ فَيَفْزَعُ (٤)

صَلَّى عَلَيْكِ اللهُ مِنْ مَفْقُودَةٍ   إِذْ لَا يُلَائِمُكِ الْمَــكَانُ الْبَلْقَعُ (٥)

---

(١) ذوات الذرا : الأبل العظيمة الأسنمة ، حمال أثقال : أى يتحمل أثقال الغرامات على الناس ويلتزمها فى ماله .

(٢) قوله « وهذا تحتها بالى » يحتمل وجهين : يجوز أن يـكون « بالى » خبر المبتدأ ، وهو « هذا » أى وهذا بالٍ تحتها ، والآخر أن يكون أراد باليًا فسكن الياء للضرورة وتنصبه على الحال لأن الكلام قد تم قبله .

(٣) الأول من الـكامل ، والقافية متدارك

يخاطب نفسه ، ويروى « فحيها هل تسمع » والفرق بين « لو » هنا وبين هل ، أن « لو » فائدته الشرط هنا ، والـكلام به كلام من غاب القنوط عليـه من إدرا كها تحية من زارها ، و« هل » من حيث كان للاستفهام يصير الـكلام به كأنه كلام راج أو طامع فى سماعها ، ويكون المعنى حييها وانظر هل تسمع

(٤) معنى « أنَّى » كيف ، ومن أين ، وفروق : بناء للمبالغة ، ودخول الهاء فيها زادته مبالغة

(٥) الصلاة من الله : الرحمة ، كأنه يئس منها فأقبل يترحم عليها

فَلَقَدْ تَرَكْتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً ... لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعٌ عَلَيْكِ فَتَجْزَعُ (١)

فَقَدَتْ شَمَائِلَ مِنْ لِزَامِكِ حُلْوَةً ... فَتَبِيتُ تُسْهِرُ أَهْلَهَا وَتُفَجِّعُ (٢)

وَإِذَا سَمِعْتُ أَنِينَهَا فِي لَيْلِهَا

طَفِقَتْ عَلَيْكِ شُئُونُ عَيْنِي تَدْمَعُ (٣)

٤٥ — وقال حَفْصُ بن الأحنف الْكِنَانِيُّ (٤) :

---

(١) النية به الاستئناف ، كأنه أراد أنها من صغرها لا تعرف المصيبة ولا الجزع لها ، وهى على حالها تجزع لأن ما تأتيه من الضجر والبكاء وتتركه من النوم فعل الجازعين ، وفى القرآن (إنْ تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء) لك أن ترفع « فيغفر » على نية الابتداء كأنه قال : فهو يغفر لمن يشاء ، ومثل هذا كثير فى القرآن والشعر . وعلى ذلك قوله :

فَمَا هُوَ إلاَّ أنْ أرَاهَا فُجَاءَةً ... فَأُبْهَتُ حَتَى ما أكَادُ أُجِيبُ

ترفع « أبهت » على الاستئناف والابتداء .

(٢) الشمال : خليقة الرجل ، وجمعه شمائل ، قال :

هُمُ قَوْمِى وَقَدْ أنْكَرْتُ مِنْهُمْ ... شَمَائِلَ بَدَّلُوهَا مِنْ شِمَالِى

(٣) قوله « طفقت عليك » كقولك : أقبلت تفعل كذا ، وجعلت تقول كذا .

(٤) ويروى لحسان ، ويروى الأخْيَفْ ، وهو الصحيح ، قال أبو الفتح : الزَّبيل من أدَمٍ يقال له حَفْص إذا كان صغيراً ، والحفص : مصدر حَفَصْتُ الشىء أحْفِصُهُ حَفْصاً ، إذا جمعته من تراب وغيره ، وجمعه أحْفَاص وحُفُوص ، وَالْخَيَفُ : أن تكون إحدى العينين من الفرس سوداء والأخرى زرقاء . وهو من الاختلاف

لاَ يَبْعَدَنَّ رَبِيعَةُ بْنُ مُكَدَّمٍ وَسَقَى الْغَوَادِي قَبْرَهُ بِذَنُوبِ (١)

ومنه مسجد الْخَيْف ، وذلك أنه انحدر عن الجبل ، فليس شَرَفًا ولا حَضِيضًا فهو مخالف لهما ، والناس أخْيَاف : مختلفون ، قال :

النَّاسُ أَخْيَافٌ وشَتَّى فِي الشِّيَمْ وكُلُّهُمْ يَجْمَعُهُ بَيْتُ الأَدَمْ

وكان أبو على يذهب إلى أن عين الخافة ، وهى الخريطة المنقوشة ، ياء . ويأخذها من هذا الموضع ، وذلك لما فيها من اختلاف الألوان ، ومن قال هنا « حَفْص بن الأحنف » فقد سها ، وقال أبو العلاء : حفص مأخوذ من قولهم لزبيل من جلود الحفص ، وقد قيل : إن ولد الأسد يسمى حَفْصاً ، وحفص بن الأخيف يختلف فى لفظه ؛ فيقال : الأحنف من حَنَفِ الرِّجْل ، وهو أن تُقْبل إحدى الرجلين على الأخرى ، وقيل : الحنف أن يمشى الإنسان على ظاهر قدميه ، وقالت امرأة وهى ترقص الأحنف بن قيس فى حال الطفولة :

واللهِ لَوْلاَ حَنَفٌ فِي رِجْلِهِ ما كانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ

ويروى الأخنف — بالخاء والنون — وهو أن يكون أحد جانبى الجسم مخالفاً للآخر ، ومن روى الأجنف فهو من الجَنَفِ أى الميل والظلم ، والأخيف بالخاء والياء قد مر تفسيره .

(١) الثانى من الكامل ، والقافية متواتر .

مُكَدَّم : مسمى بقولهم : حمار مكَدَّم ، إذا كان به آثار الكدام ، يقال : كَدَمَهُ ؛ إذا عضَّه ، ومنه سمى الرجل كِداماً وكُدَيْماً ، وفى سجع يروى عن العرب : إذا طلع النَّجْمُ ؛ فَالْعُشْبُ فِي حَطْم ، وَالْعَانَات فِي كَدْم ، يعنى بالنجم الثريا ، وحذف الألف واللام من المكدم كما مضى من الأسماء ، يقولون : الوليد ووليد ، والحرث وحارث ، قال :

نَفَرَتْ قَلُوصِى مِنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ | بُنِيَتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ
لا تَنْفِرِى يَا نَاقَ مِنْــهُ فَإِنَّهُ | شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَرٌ لِحُرُوبِ (١)
لَوْلا السِّفَارُ وَبُعْدُ خَرْقٍ مَهْمَهٍ | لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ (٢)

إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ أَبِى عَقِيلٍ | دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتِهَا الْوَلِيدَا

وقال الكميت :

لاَ كَعَبْدِ الْمَلِيكِ أَوْ كَوَلِيدٍ | أَوْ سُلَيْمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهِشَامِ

واستعار الذنوب للغيث ، وإنما أصله فى الدلو المملوءة ماء أو المقاربة للملء ، وربما جعل الذَّنوب فى الحظ والنصيب .

(١) المِسْعَر : الذى كأنه آلة فى إيقاد الحرب .

(٢) قوله « لولا السفار » كانت العادة فى العرب أن الواحد إذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى الأضياف ينحر راحلته ويطعمها للناس إذا أعوز الزاد ولم يتسع ؛ يفعل ذلك نيابة عنه إلا أن يمنع مانع من بعد سفر وما يجرى مجراه ، فصار هذا يعتذر من إبقائه على راحلته ، والحبو : الزحف قبل القيام ، ويفعله البعير المعقول وهو يريد المشى ، ومنه الحابى من السهام ، وهو الذى يزحف إلى الهدف .

وقال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أن بنى فراس كانوا أصابوا دما من بنى سُلَيْم بن منصور ، فَوَدَوْه ، ثم إن نُبَيْشَةَ بن حبيب خرج فى فُرْسَان من بنى سُلَيم حتى إذا كانوا بالكديد من أرض كنانة لَقُوا ربيعة بن مُكَدَّم بذى عَصَل من أمج ، فلما رأى الرهج من بعيد قال لظعائنه : أسْرِعْنَ النجاء فانى لا آمن أن يكون هذا طَلَباً من عدوّ ، وعليكن (١) قَصْد الطريق فأنا واقف حتى يستبين لى الرهج ، فان خفت عليكن شيئاً أخذت بالقوم فى الْخَمَرِ

---

(١) فى نسخة بن « وعليكم قصد الطريق » وكذلك فيما بعده من الضمائر

وعدلْتُ بهم عن الطريق ، وموعدكن الكديد إلى ثنية غَزال أو عُسْفَان ، فإن لم أوافقكن [1] في بعض هذه المواضع فقد هبطتن بلاد قومكن ، ثم ركب فرسه ذاهباً نحو الرَّهج ، فقالت نساؤه بينهن : خَلَفَ ربيعة : أي هرب ، ونادته إحداهن : إلى أين منتهى نفْرة الفتى ؟ وصاحت به أخته أم عمرو :

* مَسَاءَةً مَسَاءَهْ   تَرْكُ الفتى نِسَاءَهْ
حَتَّى يَبُلَّ مِنْ دَمٍ أَنْسَاءَهْ

فلما سمع ذلك انصرف إليهن من وجهه ذلك وهو يقول :

أَلَمْ عَمْرٍو زَعَمَتْ أَنِّي فَرِقْ   أَنْ لا أُطَاعِنْهُمْ وَأَنْ لاَ أَعْتَنِقْ
وَأَنْزِعُ الرُّمْحَ سِنَانُهُ لَثِقْ

ثم توجه إلى بني سُلَيم وهم يقصُّون الأثر ولا يرونه ، فتراءى لهم من الشجر فلما رأوه قصدوا له وظنوا أن الظُّعن أمامه ، وكان أرمى الناس ، فجعل يقاتلهم ويرميهم حتى قَتَل فيهم وجَرَحَ وعقر ، فاذا شغلهم بذلك نقَّز فرسه في أثر الظعائن فاذا لحقهن طرد بهن ، وإذا لحق القوم به عطف عليهم ، وجعلت أمه تذمره وتقول :

الْحَقْ بُنَيَّ وَالْمُحَامِي لاَ حِقْ   وَاشْغَلِ الْقَوْمَ بِضَرْبٍ صَادِقْ

فلم يزل ذلك دأبه حتى نفدت نبله ، وانتشرت عليه فرسه ، وانتهى إلى الكديد ، وذلك عند الأُصُل ، وألحوا في طلبه وحنقوا عليه ، فجعل يحمل عليهم بالرمح مرة وبالسيف أخرى فيصيب فيهم ، فحمل عليه نُبيشة بن حبيب فطعنه فأثبته ، وقال : قتلته ، فقال : أخطأفوك يانبيشة ! فشَمَّ نبيشة سنانه فقال : كذبتَ إني لأجدُ ريح بطنك ، فخرج ربيعة يركض متحاملا حتى لحق ظعائنه على رأس ثنية غزال ، فقال لأمه : اسقيني ، فقالت : يابني إن سقيتك مت مكانك

---

(١) كذا في الأصول كلها ، لعله « فان لم أوافكن »

فأَخَذَ نَا القوم ، فاصبر لعلنا ننجو ، ويقال : قالت له : إنك ميت والماء للحى ، قال : فاعصبى طعنتى ، فجعلت تعصبها بخمارها وهو يقول لها :

شُدِّى عَلَىَّ الْعَصْبَ أُمَّ سَيَّارْ فَقَدْ رُزِئْتِ فَارِساً كَالدِّينَارْ

صَقْرًا يَلُفُّ الْقَوْمَ لَفَّ المِغْوَارْ مُغَامِرًا بِالضَّرْبِ خَلْفَ الْأَدْبَارْ

فشدت عليه ثم عاد فقاتلهم على رأس الثنية ، وانطلقت النسوة ، ووقف ربيعة على فرسه ، فلما وجد الموت اتكأ على رمحه وأقبل السُّلَميون ؛ فلما رأوه على فرسه أحجموا عنه ووقفوا طويلا لا يرونه إلا حيا ، فلما طال ذلك عليهم رمى ابنُ غادية السلمى فرسه بسهم ، فحاصت به ، فندر عنها ميتا ، فأتوه فأخذوا سَلَبه ، وخافوا الطلب . فلم يُعْلَم فارس فى العرب حمى ظعائنه حيا وبعد موته غيره ، وجاءه رجل من القوم فطعن بزُجّ الرمح فى عينه وقال : قبحك الله !! لقد حميت الظعائن حيا وميتا ، ووافت الظعائن أرضَ بنى فِرَاس فأخْبَرْنَهُم الخبر ، فركب مُسَافع بن خلف بن قَوَّالة ، وكان خال ربيعة ، فى فرسان ، حتى انتهوا إلى ربيعة على رأس الثنية ميتا مسلوبا فتركوه على حاله ، وخرجوا فى طلب القوم حتى جَنَّهم الليل ، فلم يدركوهم ، وانصرفوا إلى ربيعة فدفنوه على رأس ثنية غزال ، وجعلوا عليه إرميًّا من حجارة سود ، ووضعوا وسطه مَرْوَةً بيضاء ضخمة مثل عجز الجزور ، فكان لا يمر به أحد من العرب إلا عقر عليه دابة أو بعيراً ، فكان أول من ترك العقر عليه رجل مر به من أهل تَيْمَاء ويقال هو كُرْز بن خالد أخو بنى الحرث بن فهر ، ويقال : هو من قريش ، مَرَّ به يومئذ وهو شيخ كبير فقال : لا أعقر ناقتى ، ولكن أرثيه مكان ذلك ، ويقال : بل هو عَمْرو بن شَقيق الفِهْرى ، ويقال : حَفْص بن الأخيف العامرى ، فرثاه ، ورثاه مسافع وغيره بقصائد هى مثبتة بعضها فى مقاتل الفرسان وبعضها فى تفسير أبى رياش

٤٦ — وقال آخر :

أَجَارِىَ مَا أَزْدَادُ إلاَّ صبابَةً إليْكَ وَمَا تَزْدَادُ إلاَّ تنائيَا (١)

أَجَارِىَ لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ ميِّت

فَديتُكَ مسْرُورًا بنفْسِى وَمَالِيَا

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أُمَلاَّكَ حِقْبَةً

فَحَالَ قضَاءُ اللهُ دُونَ رَجَائِيَا (٢)

أَلاَ لِيَمُتْ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ ، إِنَّمَا عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٤٧ — وقالت فاطمة بنت الأجحم الْخُزَاعِية (٣) :

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الصبابة : الوجد والمحبة ، والفعل منه صَبِبْتُ أَصَبُّ ، ورجل صَبٌّ وامرأة صَبَّة ، وقوله « جارى » ليس بندبة لأن المندوب لايكون إلا بيا ووَا ، لكنه على العادة ناداه ورخمه ، وهو ترخيم جارية ، وهو ههنا اسم رجل

(٢) أُمَلاَّكَ : أى أبقى معك مَلِيًّا ، يقال : مليت فلانا فتمليته : أى جعل لى أن أعيش معه مَلاَوة ، فيبقى ممتعا به ، وَالْمَلَوَان الليل والنهار من هذا

(٣) الأجحم : الشديد حمرة العينين مع سعتهما ، والأنثى جحماء ، وهذا الشاعر هو أجحم بن دِنْدِنَةَ الخزاعى زوج خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب ، وكان أجحم هـذا أحَدَ سادات العرب ، وخُزَاعة : علم مرتجل ، وسميت بذلك لانخزاعهم عن الأزد إلى الحجاز أيامَ خرَجُوا من مأرب : أى لانقطاعهم عنها ، يقال : انخزع الجبل : أى انقطع ، وانخزع مَتْنُ الرجل ، إذا انحنى من كبر وضعف ، قال :

فلمَّا حَلَلْنَا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزَاعَةُ عَنَّا فِى جُمُوعٍ كَرَاكِرِ

يَا عَيْنِ بَكِّى عِنْدَ كُلِّ صَبَاحِ   جُودِى بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجَرَّاحِ (١)

قَدْ كُنْتَ لِى جَبَلاً أَلُوذُ بِظِلِّهِ   فَتَرَكْتَنِى أَضْحَى بِأَجْرَدَ ضَاحِ (٢)

قَدْ كُنْتَ ذَاتَ حَمِيَّةٍ مَا عِشْتَ لِى

أَمْشِى الْبَرَازَ وَكُنْتَ أَنْتَ جَنَاحِى (٣)

---

(١) الثانى من الـكامل ، والقافية متواتر

حكى أن فاطمة كانت تتمثل بهذه الأبيات بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : عائشة هى المتمثلة بها

قولها « بكى عند كل صباح » تريد أنه كان مبدأ نهاره وقت نـكايته فى الأعداء فاجعلى بازاء فعله حينئذ البكاء عليه الساعة ، وأرادت بالأربعة قبائل الرأس ، وقولها « جودى » أى : لا تدخرى شيئا من الدمع ، وقولها « ياعين » حذفت الياء لوقوعها موقع مايحذف فى النداء وهو التنوين ، ولأن الـكسرة تدل عليه ، وباب النداء باب حذف وإيجاز ، ويجوز أن يكون المراد بقولها « جودى بأربعة » جوانب العين : الْمُوقَين واللِّحَاظين ، وقيل : الشئون الأربعة

(٢) الأجرد : الأملس ، والضاحى : البارز للشمس ، يقال : ضَحِىَ يَضْحَى أى انكشفت بعد أن كنت فى ستر

(٣) يقال : حَمَيْتُ الشىء أحميه حَمِيَّة : أى أنفت وغضبت ، وفلان حَمِىُّ الأنف ، لايحتمل الضيم ، والْبَرَاز : الفضاء من الأرض ، فاذا خرج إنسان الى ذلك الموضع قيل : برز ، وأصله الظهور لأن الفضاء ظاهر لايستره شىء ، و « كنت أنت جناحى » أى يدى وما أتقوى به ، وكان نهوضى بك كما أن نهوض الطائر بجناحه

فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي ... مِنْهُ وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ (١)

وَأَغُضُّ مِنْ بَصَرِي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ ... قَدْ بَانَ حَدُّ فَوَارِسِي وَرِمَاحِي

وَإِذَا دَعَتْ قُمْرِيَّةٌ شَجَنًا لَهَا ... يَوْمًا عَلَى فَنَنٍ دَعَوْتُ صَبَاحِي (٢)

٤٨ — وقالت أيضا :

إِخْوَتِي لَا تَبْعَدُوا أَبَدًا ... وَبَلَى وَاللهِ قَدْ بَعِدُوا (٣)

---

(١) أى : لاناصر لى ، وهذا مثل : أى لادفع عندى لأنه يدفع بالسلاح والرجال ، ومن دفع بيده فهو ذليل لم يحصل على دفع . وقيل : معناه أتلطف لظالمى واسأله الكف عنى بيدى فعل المستأمن

(٢) أى : أقول وَاسُوءَ صَبَاحاه ، ونصب « شجنا » لأنه مفعول له ، لأن الشجن يحملها على الدعاء ، هذا إذا جعلت الشجن الحزن والحاجة ، وإن جعلته الحبيب نصبته لأنه مفعول به

(٣) من خامس المديد ، والقافية متراكب

لك أن تروى « إخوتى » و « إخْوَتَا » فمن روى « إخوتى » فانه سكن الياء ، وأصله الحركة لكونه علامة الضمير متطرفا على حرف واحد فوجب تقويته بالتحريك كما أن سبيل أختيه الكاف والهاء التحريك لووقعتا موقعه ، وآثروا الفتحة لخفتها ، ويدل على أن الأصل الفتحة أنه لو كان ماقبله ساكنا كان لايجىء إلا مفتوحا ، وذلك قولك : رَحَاىَ ، وعَصَاىَ ، إلا أنه لما كان باب النداء باب حذف وإيجاز لكثرة استعمالهم له سكنوا الياء ، ومن قال « إخوتا » فَرَّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة فانقلبت الياء ألفا ، على ذلك قولهم : بَادِية وبَادَاة ، وناصية ونَاصَاة ، وقولك « بأباهما » وأنت تريد بأبى هما ، وقولها « لا تبعدوا » لاتهلكوا ، واستدركها بقولها « بلى والله قد بعدوا » تنبيه منها على أن « لاتبعدوا »

لَوْ تَمَلَّتْهُمْ عَشِيرَتُهُمْ لِاقْتِنَاءِ الْعِزِّ أَوْ وَلَدُوا [1]
هَانَ مِنْ بَعْضِ الرَّزِيَّةِ أَوْ هَانَ مِنْ بَعْضِ الَّذِي أَجِدُ [2]
كُلُّ ما حَيٍّ وَإِنْ أَمِرُوا
وَارِدُو الْحَوْضِ الَّذِي وَرَدُوا [3]

٤٩ — وقالت امرأة : [4]

وإن كان لفظه لفظ الدعاء فهو جارٍ على غير أصله ، وإنما هو تحسر وتوجع

(١) أي : لو عاشوا معهم مَلِيًّا من الدهر : أي طويلا ، لاقتناء العز : أي لاكتسابه ، أو ولدوا : أي لو كان لهم ولد وخلف بعدهم ، تقول : لو طالت أعمارهم فاعْتَقَدَتْ عشيرتهم عزاً وشرفاً بهم أو كان لهم خلف .

(٢) « هان » جواب « لو » أي : كان بعض غمِّى بهم أهون علىّ ، ومعناه لو قضى الأمر على ذلك لخف بعض ما بى ، وقولها « من بعض الرزية » الأخفش يجيز زيادة «من» فيما ليس بواجب كالاستفهام والنفى [1] فعلى طريقته يكون المعنى كان ابتداء المهون بعض الرزية .

(٣) « ما » زائدة ، ويجوز أن يريد بالحى ضد الميت ، ويكون الضمير من « أمروا » عائدا إلى لفظة « كل » وجواب الشرط فى قوله « وإن أمروا » ما دلّ عليه قوله « واردو الحوض الذى وردوا » والضمير العائد من الصلة إلى الموصول محذوف ، كأنه قال : الذى وردوه ، لأنهم استطالوا الاسم بصلته .

(٤) ويقال : إنها لأم تأبط شرا ، ويقال : لأم السُّلَيْك بن السُّلَكة ، وهذا الاسم منقول من قولهم : سُلَك ، وهو طائر ، وجمعه سِلْكان ، والسُّلَيْك : بطن من العرب ، وقال أبو العلاء : لفرخ الحجلة خاصية فى إخفائه نَفْسَهُ فقيل له

(١) هكذا ، وهو كلام لا يوافق مذهب الأخفش

طافَ يَبْغى نَجْوَةً مِنْ هَلاكٍ فَهَلَكْ
لَيْتَ شِعْرِى ضَلَّةً أَىُّ شَىْءٍ قَتَلَكْ (١)

سُلَكٍ، وقد يجوز أن يكون السُّلَيْك لم يرد به هذا الوجه، ولا يبعد أن يكون مُسَمًّى بالسُّلَيْك مصغر السُّلَك أو مرخماً ترخيم التصغير من سالك وسَلَّاك ونحو ذلك، وكان السليك أحد مغاوير العرب، وبه يضرب المثل فى المضاء، قال الشاعر:

أَزُوَّارُ لَيْلَى مِنْكُمُ آلَ بُرْثُنٍ عَلَى الْهَوْلِ أَمْضَى مِنْ سُلَيْكِ الْمَقَانِبِ

والسُّلَك: فرخ الحَجَلَة، والأنثى سلكة، ومنه سميت المرأة بهذا الاسم.

(١) من مشطور المديد، والقافية متراكب.

قال أبو العلاء: هذا الوزن لم يذكره الخليل، ولا سعيد بن مَسْعَدَة، وذكره الزجاج، وجعله سابعا للرمل، وقد يحتمل أن يكون مشطورا للمديد، وقولها «ليت شعرى» موضع شعرى نصب بليت، وهو محتاج إلى مفعولين، لأنه فى معنى علمى، ويقال: شَعَرْت شِعْرَة، كما يقال: فَطِنت فِطْنَةً، إلا أنه لا يستعمل مع ليت، وقد حذف منه الهاء، وقولها «أى شيء قتلك» الجملة كما هى فى موضع نصب لأنها نابت عن مفعوليه، وخبر ليت مضمر لا تجده إلا كذلك، فهو يشبه خبر المبتدأ بعد لولا إذا قلت: لولا زيد لخرجت، فقوله «لخرجت» جواب لولا، وخبر المبتدأ محذوف لا يجيء إلا على ذلك، واستغنى «ليت» بمفعولى شعرى عن خبره، و«ضلة» انتصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر، وهذا الضلال يجوز أن يكون لنفسه فيما استبهم عليه من حال المتوفى كأنه ضل عن العلم به ضلة، ويجوز أن يكون للمتوفى نفسه، كأنه ليت شعرى غَيْبَتَه وخفاء أمره ضلالا له، والمعنى تمنيت أن أعلم أى شيء أهلكك، وهذا الضلال عن معرفة حالك وذهابى عن العلم به، هذا على الأول، وعلى الثانى يكون المعنى ما الذى قتلك حتى ضلات هذا الضلال، فان قيل: خبر «ليت» كيف يجيء فى

أَمَرِيضٌ لَمْ تُعَدْ أَمْ عَدُوٌّ خَتَلَكْ
أَمْ تَوَلَّى بِكَ مَا غَالَ فِي الدَّهْرِ السُّلَكْ[1]
وَالْمَنَايَا رَصَدٌ لِلْفَتَى حَيْثُ سَلَكْ[2]
أَيُّ شَيْءٍ حَسَنٍ لِفَتًى لَمْ يَكُ لَكْ
كُلُّ شَيْءٍ قَاتِلٌ حِينَ تَلْقَى أَجَلَكْ
طَالَ مَا قَدْ نِلْتَ فِي غَيْرِ كَدٍّ أَمَلَكْ
إِنَّ أَمْرًا فَادِحًا عَنْ جَوَابِي شَغَلَكْ[3]
سَأُعَزِّي النَّفْسَ إِذْ لَمْ تُجِبْ مَنْ سَأَلَكْ

التقدير وإن لم يظهر فى الاستعمال ؟ قلت : تقديره ليت شعرى واقع أىّ شىء قتلك : أى ليتنى علمت أو وقع على بما يقتضى هذا السؤال ، لأن الذى تمناه هو ما كان جوابه لا نفس السؤال .

(١) هذا إعلام بأنه تغيب لخفى أمره فيما أصابه .

(٢) ويروى « رُصَّد » كأنه جمع رَاصِد ، وتكون المنايا جمعا ، والرواية الأولى أجود .

(٣) قولها « إن أمرا فادحاً » اكتسب أمر وهو نكرة من النعت بعض الاختصاص فلذلك صح الابتداء به حتى دخل إن عليه . ألا ترى أن فائدته مع إبهامه كاملة فى المراد ، والمعنى إن عظيما من الأمور صرفك عن رَسْمك فى مباسطتى ولأن الكلام قد يحمل على المعنى فيما يستفاد منه فكأنه قال : ما صرفك وشغلك عن جوابى إلا أمر عظيم فادح .

لَيْتَ قَلْبِي سَاعَةً صَبْرَهُ عَنْكَ مَلَكْ
لَيْتَ نَفْسِي قُدِّمَتْ لِلْمَنَايَا بَدَلَكْ (١)

---

(١) الدليل على أن هـذه الأبيات لأم السليك مايدل عليه الخبر ، وذلك أن السليك بن السلكة خرج فى تَيْم الرباب يتبع الأرياف حتى مر بفَخَّة فيما بين أرض بنى عُقَيل وسَعْد بن تميم ، فلقى رجلا من خَثْعَم يقال له مالك بن عُمَيْر ابن أبى زَرَّاع بن جُشَم بن عَوْف بن الْعَتِيك ، وَالْعَتِيك : من الجرأة والإقدام ، يقال : عتك عليه بالسيف ، إذا حمل عليه ، ولا يمتنع أن يكون اشتقاقه من اشتقاق عاتكة وهى القوس التى قد احمرت من القدم ، أو من قولهم : عتك بالشىء ، إذا لزمه ، فأخـذه ومعه امرأة من خفَاجَة يقال لها : نَوَار ، فقال له الخثعمى : أنا أفدى نفسى منك ، فقال له السليك : ذلك لك على أن لاَ تخيسَ ولا تُطْلِـعَ علىَّ أحداً من خَثْعَم ، فأعطاه ذلك ، وخرج إلى قومه ، وخاف السليك على امرأته فنكحها ، وجعلت تقول : احذر خثعم فإنى أخافهم عليك ، وجعل ينشدها هذا الشعر :

تُحَذِّرُنِى أَنْ أَحْذَرَ الْقَوْمَ خَثْعَماً وَقَدْ عَلِمَتْ أَنِّى امْرُؤٌ غَـيْرُ مُسْلَمِ
وَمَا خَثْـعَمٌ إلاَّ لِئَامٌ أَذِلَّةٌ إِلَى الذُّلِّ وَالْإِسْخَافِ تُنْمَى وَتَنْتَمِى

وبلغ شِبْل بن قِلاَدة بن عمرو بن سعد بن عُوَيف بن عَتِيك وأنسَ بن مدركة الخـبرُ ، فخالفا الخثعمى زوج المرأة ، فلم يعلم السليك حتى طرقاه ، فأنشأ يقول :

* مَنْ مُبْلِـغٌ حَرْباً بِأَنِّى مَقْتُولْ *

(حرب : ابنه وكان به يكنى)

يَارُبَّ نَهْبٍ قَدْ حَوَيْتُ عُثْـكُولْ وَرُبَّ خِرْقٍ قَدْ تَرَكْتُ مَجْدُولْ

وَرُبَّ رِيمٍ قَدْ نَكَحْتُ عُطْبُولْ ... وَرُبَّ عَانٍ قَدْ فَكَكْتُ مَكْبُولْ

* وَرُبَّ وَادٍ قَدْ قَطَعْتُ مَشْبُولْ *

فيه أشبال الأسود، وقال أنس لشبل: إن شئت كفيتك القوم وتكفيني الرجل، فقال: لا، بل أكفيك القوم وأكفني الرجل، فشد عليه أنس فقتله، وقتل شبل وأصحابه من كان معه، فقال عوف بن يربوع الخثعمي وهو ابن عم مالك: والله لأقتلن أنسا في إخفاره ذمة ابن عمي، وجرى بينهما في هذا المعنى مقارضات، فمما قاله أنس بن مدرك:

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي كَرِيمٍ قَدْ أُصِبْتُ بِهِ ... ثُمَّ بَقِيتُ كَأَنِّي بَعْدَهُ حَجَرُ

لاَ أَسْتَكِينُ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ وَلاَ ... أُغْضِي عَلَى الأَمْرِ يَأْتِي دُونَهُ القَدَرُ

مِرْدَى حُرُوبٍ أُجِيلُ الأَمْرَ جَائِلَهُ ... إِذْ بَعْضُهُمْ لِأُمُورٍ تَمْتَرِي جَزَرُ

إِنِّي وَعَقْلِي سُلَيْكاً بَعْدَ مَقْتَلِهِ ... كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ البَقَرُ

غَضِبْتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ ... وَإِذْ يُشَدُّ عَلَى وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ

كانت العرب إذا أوردوا البقر فلم تشرب لكدر الماء ولقلة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء، لأن البقر تتبعه كما يتبع الشَّوْلُ الفحلَ، وكما تتبع أُتُنُ الوحش الحمارَ، وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تَصُدُّ الثيران عن الماء حتى تمسك البقر عن الشرب فتهلك، وقال أبو العلاء: قال قوم: الثور في هذا المثل الطحلب، وقد سماه بالثور وذكره مع البقر ليلغز به على السامع، وإن صح ذلك فالمعنى مستطرف، وفيه لغز، لأن المقصد الطحلب، والوجه الأول، وإنما ذكر هذا المثل على وجه الإنكار ووضع الشيء في غير موضعه، كقولهم: مالي إلا ذنب صُحْرَ: أي لا ذنب لي، وكذلك الثور لا ذنب له إذا عافت البقر الماء، وإنما فعل ذلك بعض الرعاة فوصفوا ظلمه وضربوا به المثل، وقول الأعشى:

لَكَالثَّوْرِ وَالجِنِّيُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ ... وَمَا ذَنْبُهُ إِنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا

٥٠ — وقال العُجَيْرُ السَّلُولىُّ (١) :

تركْنا أبا الأضيافِ فى ليْلةِ الصَّبا
بمرْوَ ومِرْدَى كُلِّ خصْمٍ يُجادِلُهْ (٢)

تركْنا فتىً قدْ أيقَنَ الْجوعُ أنَّهُ
إذا ماثوى فى أرْحلِ القوْمِ قاتلُهْ (٣)

الجنى : اسم الراعى ، وقيل : الواحد من الجن .

(١) قال أبو الفتح : بنو عجْرٍ بطن من العرب . فقد يجوز أن يكون العُجَير تحقير هـذا الاسم ، وقد يجوز أن يكون تحقير أعجر . والمؤنث عَجْراء ، إذا كانا ذوىْ عُجَر ، وهى العُقَد ، وقال رجل للحطيئة وهو يرعى غنما له : ما عنـدك يا راعى الغنم ؟ فقال : عَجْراء من سَلَمٍ ، فقال : إنى ضيف ، فقال : للضيفان أعددتهـا ، وأما سَلول فاسم مرتجل ، لا نعرفه جنسا ، وذكر أبو العلاء هذا الذى ذكره وقال : ولو رخم معْجَرُ المرأة ترخيم التصغير : لقيل عُجَيْر ، وكذلك قولهم : فحل عَجير إذا كان لا يولد له ، وقيل : هو العِنِّين . ولا يمتنع أن يكون العُجَير من قولهم : عجر الشىء ، إذا لواه ، وسلول : هى أم مُرَّةَ بن عامر بن صَعْصَعَة غلبت على ولدها فنسبوا إليها .

(٢) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

جعله أبا الأضياف لتوفّره عليهم ، ويرى « أبا الحجناء » والصَّبا تهبُّ من مطلع الشمس ، والفعل منها صبَتْ تَصْبُو ، وأضاف الليلة إلى الصبا تعريفا وتخصيصا، كأنه كان للصبا شأن تلك الليلة ، والمِرْدَى : صخرة يُكسَر بها النوى ، هذا أصله ، ويقال : فلانٌ مِرْدَى الحروب أو الخصوم أى يرمون به فيكسرهم

(٣) « إذا ماثوى » ظرف لقاتله ، والمراد بهذا البيت أنه يطعم الناس فيفقدون الجوع ، فكأنه قتله ، وهذا نحو من قول الآخر :

فتًى قُدَّ قدَّ السيفِ لا مُتضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لَبَّاتُهُ وأباجلُهْ (١)
إذا جدَّ عندَ الجِدِّ أرضاكَ جِدُّهُ
وذو باطلٍ إنْ شئتَ ألهاكَ باطلُهْ
يسرُّكَ مظلومًا ، ويُرضيكَ ظالمًا
وكلُّ الذي حمَّلتَهُ فهْوَ حاملُهْ (٢)
إذا نزلَ الأضيافُ كانَ عذَوَّرًا ... على الحيِّ حتَّى تستقلَّ مراجلُهْ (٣)

لا يُبْعِدُ اللهُ رَبَّ الرَّمَا ... دِ والمِلْحِ ما وَلَدَتْ والِدَهْ
هُمُ المُطْعِمُونَ سَدِيفَ السَّنَا ... مِ والقاتِلُو اللَّيلَةَ البارِدَهْ

أى : يقتلونها بإيقاد النار ونحر الجزر فينصرف شرها عن الناس ، فكأنها تُقْتَلُ بذلك .

(١) الرَّهَلُ : الاسترخاء ، وجمع اللَّبة بما حولها ، وأباجله : جمع أبْجَل ، وهو عرق غليظ يكون فى الفخذ والساق ، وإذا وصف الفرس بالسرعة قالوا : هو واهى الأباجل ، والمتضائل : المتخاشع .

(٢) مظلوما : انتصب على الحال ، يقول : إن اهتُضِمْتَ انتقم لك من ظالمك ، وإن اهتَضَمْتَ أنت غيرَكَ لم يقعد عن نصرتك ، وهـذا على طريقتهم ، لا على طريقة ماورد فى الخبر « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » لأن تفسير الخبر فيه ، وهو أنه قيل له : ينصره مظلوما فكيف ينصره ظالما ؟ فقال : يكُفّه عن الظلم لئلا يأثم ، وما هذا معناه ، والمرزوقى حمل معنى الخبر على معنى البيت ، ولا وجه لذلك

(٣) النحويون يقولون : إن الواو فى « عَذَوَّر » وما كان مثله زائدة ، والعذور : السيء الخلق ، كأنه يحتاج إلى أن يعتذر لسوء مايفعل ، ومعناه أنه يسيء خلقه على خدمه وأصحابه لأنه يريد أن يعجل قرى الأضياف

٥١ — وقال الحَجْناء مولى بنى أسد :

أعاذِلُ مَنْ يُرْزَأْ كحَجْناءَ لا يَزَلْ
كَئِيبًا ويَزْهَدْ بَعْدَهُ فى الْعَوَاقِبِ (١)

حبيبٌ إلى الفِتْيانِ صُحْبَةُ مِثْلِهِ
إذا شانَ أصْحابَ الرِّجالِ الْحَقَائِبُ (٢)

نِظامُ أُناسٍ كانَ يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ
ويَصْدَعُ عَنْهُمْ عادِياتِ النَّوائِبِ (٣)

---

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « ويزهد بعده فى العواقب » أى : فى عواقب أطهار النساء ، لأنه يعلم أنه لا يولد له مثل هذا الابن ، ومثله :

أفَبَعْدَ مَقْتَلِ مالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ... تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ

(٢) ويروى « حبيباً » وانتصابه على الحال من المضمر فى قوله « بعده » وصحبة : ارتفع بقوله « حبيبا » ارتفاع الفاعل بفعله ، ويروى « حبيب إلى الفتيان » على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « صحبة مثله » ، وجواب « إذا » ما يدل عليه صدر البيت ، كأنه قال : إذا بخل أصحاب الرجال بالزاد فشأنهم امتلاء حقائبهم ، ففى ذلك الوقت يستحب الفتيان صحبة مثله لحسن توفره ورحابة صدره . وإنما قال « صحبة مثله » ولم يقل « صحبته » إجلالا له وصيانة لاسمه ، لا إتيانا بنظير له ، وعلى هذا قولهم : مِثْلُ فلان لا يُوَازَى بفلان ، ومثلك لا يفعل كذا ، وفى القرآن (ليس كمثله شىء)

(٣) قوله « عاديات النوائب » يجوز أن يكون من العداء الظلم ، يقال : عَدَا يَعْدُو عَدْوًا وعِدَاء وعُدْوانًا ، ويجوز أن يكون من الْعَدْو ، يريد

وَجَرَّبْتُ مَاجَرَّبْتُ مِنْهُ فَسَرَّنِى
وَلاَ يَكْشِفُ الْفِتْيَانَ غَيْرُ التَّجَارِبِ (١)

بَعِيدُ الرِّضَا لاَ يَبْتَغِى وُدَّ مُدْبِرٍ وَلاَ يَتَصَدَّى لِلضَّغِينِ الْمُغَاضِبِ (٢)

وَكُنْتُ إِذَ مَاخِفْتُ أَمْرًا جَنِيتُهُ
يُخَفِّضُ جَأْشِى ضَبْثُكَ الْمُتَرَاغِبُ (٣)

مسرعات النوائب ، ومعنى يَصْدَعُ يفرق ، ومنه « تَصَدَّعَتْ الأرض بفلان » إذا تغيب فارًّا

(١) هذا كقوله * ولَمْ يُخْبِرْكَ مِثْلُ مُجَرِّبِ * ومنه المثل :

تَرَى الْفِتْيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ (١)

(٢) أى : ليس بسريع الأوْبَة إذا غضب ، ولا يتعرض لعدوه المنطوى عليه ، بل يتركه ينطوى على مافى صدره من غل وعداوة ومنتظرا مايكون منه ، ومحاذرا مايتقى من جهته

(٣) ويروى « المتراغب » بالغين معجمة وبالراء ، ويروى بالسين غير معجمة وبالزاى ، فاذا روى بالغين معجمة فهو من الرغابة ؛ يقال : وادٍ رَغيب ، وحوض رَغيب : واسع ، وبطن رغيب ، للكثير الأكل ، ومن روى بالسين غير معجمة وبالزاى فهو من قولهم : سيل زاعب : يملأ الوادى ، وقد جاء « راعب » بالراء والعين غير معجمة فى معنى زاعب ، غير أن الزاى أكثر ، ويروى « ضبنك المتراغب » فاذا أخذ بهذه الرواية فهو مثل قولهم : فلان

---

(١) قال المفضل : أول من قال ذلك عثمة بنت مطرود البجلية ، وانظر مجمع الأمثال (١ : ١١٩ بولاق)

٥٢ — وقال آخر :

إذا ماامرؤ أثنى بآلاء ميّتٍ ... فلا يُبْعِدِ اللهُ الوليدَ بنَ أدْهَمَا (١)

فَمَا كانَ مِفراحًا إذا الخيرُ مسَّهُ ... ولا كانَ منَّانًا إذاهُوَ أنعمَا (٢)

ونادى المُنَادِي أوّلَ الليلِ باسمهِ ... إذا أحْجَرَ الليلُ البخيلَ المُذَمَّمَا

لَعمْرُكَ ماوارَى الترابُ فعالَهُ ... ولكنّما وارى ثيابًا وأعظُمَا (٣)

٥٣ — وقال أبو الشَّغْب العَبْسيّ فى خالد بن عبدالله القَسْرِى (٤)

ألا إنّ خَيْرَ النَّاسِ حيًّا وهالكًا

أسيرُ ثَقِيفٍ عِنْدَهُمْ فى السَّلاسِلِ (٥)

رَحْبُ الذّراع ، يريد إنّى إذا خفت لجأت إليه فكنت فى ضِبْنِه : أى كنفه وناحيته ، ومن روى « ضبثك » فالضبث : القبض الشديد : أى إنك تقبض الكف على العدو فيطمئن جأشى لذلك

(١) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

الآلاء : النعم ، واحدها إلًى ، يعنى بها صنائعه عند الناس ، يقول : إذا أثنى على ميت بحسن أياديه فقرب الله الوليد لكثرة أياديه

(٢) المِفْرَاح : الكثير الفرح ، يصفه بأنه لايطغيه الغنى ولا يكدر إنعامه بالمن والأذى

(٣) يقول : إن مناقبه مشهورة ، وإنما ستر التراب ثيابه وأعظمه

(٤) وهو أسير فى يد يوسف بن عمر

(٥) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

قوله « حيا وهالكا » يجوز أن ينتصب على الحال ، والعامل فيه مادل عليه « خير الناس » ويكون الكلام ثناء على المخبر عنه بخير الناس ، ويجوز

لَعمْرِى لَئِنْ عَمَّرْتُمُ السِّجْنَ خَالِدًا وَأَوْطَأْتُمُوهُ وَطْأَةَ الْمُتَثَاقِلِ
لَقَدْ كَانَ يَبْنِى الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ
وَيُعْطِى اللُّهَى فِى كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرِىَّ لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ
وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِى الْقَبَائِلِ (١)

أن ينتصبا على التمييز ، ويكون معناه أحياءه خير الأحياء وأمواته خير الأموات فيرجع المدح إلى سلفه وقومه ، كأنه قال : إن خير الناس من الأحياء والأموات أسير ثقيف ، وقوله «عندهم» يجوز أن يكون فى موضع الحال ، ومعناه حاضراً لهم ، ويكون العامل مادل عليه أسير ثقيف ، وتكون فائدة الكلام أنه كان يجوز أن يكون أسيرا لهم ولم يكن عندهم ، وكذلك قوله « فى السلاسل » يجوز أن يكون فى موضع الحال ، ويكون العامل ماعمل فى الظرف فيكون تقديره بحضرتهم مُقَيَّدًا ، ويجوز أن يكون العامل فى «عندهم» مادل عليه قوله «فى السلاسل»

(١) قوله « عمرتم السجن » أى : أدمتم سجنه ، كأنهم جعلوا خالدا للسجن عُمْرَى ، والفعل منه عَمَّرْته كذا ، وأعْمَرْته : أى جعلته له عُمْرَه ، والعمر : السنون والحين ، ومنه (فقد لبثت فيكم عُمُرًا) وقوله « وأوطأتموه وطأة » يجوز أن تكون «وَطْأَةً» مصدرا من أوطأتموه ، وإن لم يكن من لفظه ، كما يجعل الْعَطَاء موضع الإعطاء ، والمفعول الثانى محذوف ، كأنه قال : أوطأتموه السجن أو الأرض إيطاء المتثاقل ، ويجوز أن يريد أوطأتموه فوَطِىء وطأة المتثاقل ، وقال أبو العلاء :يجوز أن يكون المراد بقوله « عمرتم السجن خالدا » جعلتموه مَعْمُورًا به ، وقوله « وأوطأتموه » مثل ، وإنما يقال : وَطِئَه وَطْأَةَ المتثاقل ، إذا فعل به أمرا يثقل عليه . وإن لم يكن ثم وطأة ، واحتاج إلى إقامة الوزن فعدى

٥٤ — وقال مُهَلْهِل (١)

نُبِّئْتُ أَنَّ النَّارَ بَعْدَكَ أُوقِدَتْ
وَاسْتَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ الْمَجْلِسُ (٢)
وَتَكَلَّمُوا فِي أَمْرِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
لَوْ كُنْتَ شاهِدَهُمْ بِهَا لَمْ يَنْبِسُوا (٣)

الفعل بالهمزة ، والمعنى أوطأتموه غيركم : أى عبدانكم وحشمكم ، وقال أبو هلال : يعنى أنكم كبَّأتموه فثقلت وطأته كالبعير الذى يتثاقل بحمله

(١) قيل : سمى مُهَلْهِلا لأنه أوّل من أرقّ الشعر وهلهله ، قال النابغة :

أَتَاكَ بِقَوْلٍ هَلْهَلِ النَّسْجِ كاذِبٍ ... وَلَمْ يَأْتِكَ الْحَقُّ الَّذِى هُوَ ناصِعُ

وأنكر قوم هذا ، وقالوا : كيف يكون هذا ومهلهل أحد شعراء العرب ؟ ! قال ابن الكلبى : وإنما سمى مهلهلا ببيت قاله :

لَمَّا تَوَقَّلَ فِى الْكُرَاعِ هَجِينُهُمْ ... هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مالِكاً أَوْ صِنْبِلاَ

الكُرَاع : أنف الحَرَّة . وهلهلت : رجعت الصوت

(٢) الأوّل من الكامل ، والقافية متدارك

كان كُلَيْب وائل لا توقَدُ مع ناره للضيفان نار فى أحمائه ، وفيما يقرب من منازله وأوطانه ، وكان إذا حضر مجالسة الناسُ لايجسر أحد أن يفاخر غيره أو يسابه إعظاما لقدره ، فلما فقد تجرّأوا على الكلام

(٣) لم ينبسوا : لم يتكلموا ، وهذا نحو قول صفية ابنة عبد المطلب ، ويروى لغيرها :

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ ... لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْثُرِ الْخُطَبُ

الهنابث : الأمور الشداد

وَإِذَا تَشَاءُ رَأَيْتَ وَجْهًا وَاضِحًا وَذِرَاعَ بَاكِيَةٍ عَلَيْهَا بُرْنُسُ
تَبْكِي عَلَيْكَ وَلَسْتُ لِأُمٍّ حُرَّةٍ
تَأْسَى عَلَيْكَ بِعَبْرَةٍ وَتَنَفُّسُ (١)

---

(١) قال أبو رياش : اسم كليبٍ وائلٌ ، وكان له كُلَيْب كان يكنعه : أى يشده ويطرحه فى الروضة ، فيحمى منتهى عُوَائه ، ويقال : هذا صوتُ كليبِ وائلٍ ، ولما اجتمعت لكليب مَعَدٌّ يوم خزازى وقاتل بهم اليمن فهزمهم وظفر باليمن ازداد كليبٌ شرفا إلى شرفه وعزًّا إلى عزه ، حتى ضرب به المثل إلى الساعة ، فيقال : أعز من كليب وائل ، وفى تصداق ذلك يقول الفرزدق :

فَاسْأَلْ بِقَوْمِكَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهُمْ وَقَدِيمُ تَغْلِبَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
ضَرَبُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ أَشْرَفَتَا عَلَى النِّيرَانِ
لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ دَخَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانِ

وكان كليب قد تزوج جليلة وماوية بنتى مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة، وأمهما الهالة بنت منقذ بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وجدتها البسوس، ويقال : إن البسوس الناقة التى تَدِرُّ على الإبساس ، وفيه يقول أبو جندب الهذلى .

فَمَنْ كَانَ يَبْغِى الصُّلْحَ فِيهِ فَإِنَّهُ كَأَحْمَرِ عَادٍ أَوْ كُلَيْبٍ لِوَائِلِ
أَتَيْتُ بِمَا تَجْنِي الْبَسُوسُ لِأَهْلِهَا بِأَلْفَىْ لَجَامٍ بَعْدَ أَلْفَىْ مُقَاتِلِ

وكانت بنو جُشَم بن بكر رهط كليب وبنو شيبان فى دار واحدة إرادةَ الطاعة ومخافةَ الفُرْقَةِ ، وكان جسّاس بن مرة بيته إلى بيت كليب ، ولجساس عشرة إخوة : هَمَّامُ بن مرة ، ونَضْلة ، ودُبّ ، وكِسْر ، وسَيّار ، وجُنْدَب ،

وسَعْد ، وبُجَيْر ، والحُرث ، وهمام بن مرة الذى يقول :

وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةٌ أُدْعَى لَهَا　　وَإِذَا يُحَاسُ الحَيْسُ يُدْعَى جُنْدَبُ

هٰذَا لَعَمْرُكُمُ الصَّغَارُ بِعَيْنِهِ　　لَا أُمَّ لِى إِنْ كَانَ ذَاكَ وَلَا أَبُ

ولكليب أربعة إخوة : عَدِىّ ، وامْرُؤ القيس ، وهو مهلهل ، وسَلَمة بن ربيعة ، وعبد الله بن ربيعة ، ثم إن كليباً جعل أرضا من أرض العالية حِمًى ممنوعا لا يرعاه إلاّ من آذَنَ بحرب ، ثم إن رجلا من جَرْم يقال له سَعْد أقبل بناقة له يقال لها سَرَاب حتى نزل على البَسُوس جارة خالة جساس ، وبينها وبين سعد قرابة ، فخرجت ناقة سعد فى إبل جساس ، وهو خليطُ كليبٍ تَسْرَح إبلُهما جميعاً ، فكان كليب يخرج ويدورق حماه ، فاذا هو بحُمَّرَةٍ على بَيْض لها ، فلما نظرت إليه صَرْصَرَت وخفقت بجناحيها ، فقال : أَمِنَ رَوْعُكِ ، أنت وبَيْضُكِ فى ذمتى ، ثم قال :

يَا لَكِ مِنْ حُمَّرَةٍ فِى مَعْمَرٍ　　خَلَا لَكِ الْجَوُّ فَبِيضِى وَاصْفِرِى

* وَنَقِّرِى مَاشِئْتِ أَنْ تُنَقِّرِى *

ثم خرج بعد ذلك يطوف ، فإذا هو بأثر بعير لا يعرفه قد وطىء البيضَ فشدخه ، فاشتد ذلك عليه ، وقال : وأنْصابِ وائل ما اجترأ على إخفار ذمتى جمل من إبل وائل ، وانصرف إلى منزله والغضبُ يُعْرَف فى وجهه ، حتى إذا كان من الغد خرج هو وجسّاس ليتفقدا إبلهما وينظرا مَرْتَعَهما ، فنظر كليب إلى ناقة سَعْد فظن أنها التى كسرت البيض ، فقال : أولى لك ثم أولى . فلقد هممت ولو استيقنت لفعلت ، لا عادت هذه الناقة فى هذه الإبل ، فظن جساس أن كليباً إنما قال ذلك ليخرج إبله من الحمى ، فغضب جساس وقال : بلى والله لتعودَنّ عَوْدًا على بدء ، ولا تضع إبلى رؤسها فى موضع إلا وضعت هذه الناقة رأسها فيه ، فقال كليب : قد تقدم رَحْلُك على سِيسائك يا جساس ، والله لئن عادت

لأضعنّ سهمي في ضرعها ، فقال جساس : وأنصاب وائل لئن وضعت سهمك في ضرعها لأضعنّ سناني في صلبك . ثم طرد جساس الناقة في أبعُرِه . فجعلها في جانب الحمى عن طريق كليب ، فانصرف كليب إلى منزله مغضباً ، فقالت له الجليلة زوجته : ما بالك مغضباً ؟ فلم يخبرها ، فلم تزل به حتى قال : هل تعلمين أحدًا يمنع مني جاره ؟ قالت : ما أعلمه إلا ما كان من أخي جساس ، قال : وإن جساساً ليمنع مني جاره ؟ قالت : نعم إن قال ، فهل قال ؟ قال كليب :

قَدْ قَالَ وَالْقَوْلُ عَنِّي رَاهِقُ ... إِلاَّ إِذَا كَانَتْ لَهُ حَقَائِقُ

فقال جساس :

* عِنْدَ الزِّحَامِ تُعْرَفُ السَّلاَئِقُ *

* وَذُو الْوَعِيدِ كَاذِبٌ أَوْ صَادِقُ *

* هَلْ شِيمَةٌ إِلاَّ لَهَا خَلاَئِقُ *

وسارت بينهما أشعار كثيرة في هذا المعنى ، فكان كليب إذا أراد أن يركب منعته جليلة وناشدته أن يعق صهره أو يقطع رحمه ، وتناشد جساساً أخاها وفيما جرى بينهما قال مهلهل لكليب :

أَخٌ وَحَرِيمٌ سَيِّئٌ إِنْ قَطَعْتَهُ ... فَقَطْعُ سُعُودٍ هَدْمُهَا لَكَ هَادِمُ
فَمَا أَنْتَ فِيمَا بَيْنَ هَاتَيْنِ صَانِعٌ ... وَكِلْتَاهُمَا فِيهَا عَنِ الْحَقِّ حَازِمُ
وَقَفْتُ عَلَى قلتين إِحْدَاهُمَا دَمٌ ... وَإِحْدَاهُمَا فِي الْمَاءِ مِنْهَا الْعَلاَقِمُ
فَمَنْقَصَةٌ فِي هٰـذِهِ وَمَذَلَّةٌ ... وَشَرٌّ شِمِرٌّ بَيْنَكُمْ مُتَفَاقِمُ
وَأَخْذُكَ بِالضَّيْمِ الْمُذَلِّلِ قُضْأَةٌ ... وَأَخْذُكَ يَوْمَ الضَّيْمِ بِالذُّلِّ نَادِمُ

فأجابه كليب .

سأَمْضِي لَهُ قُدْماً وَلَوْ شَابَ فِي الَّذِي ... أَهُمُّ بِهِ فِيمَا صَنَعْتُ الْمَقَادِمُ
مَخَافَةَ قَوْلٍ أَنْ يُخَالِفَ فِعْلَهُ ... وَأَنْ يَهْدِمَ الْعِزَّ الْمُشَيَّدَ هَادِمُ

وقال لمهلهل : والله ما أنت إلا زيرُ نساء ، ولو قتلْتُ ما أخذتَ بدمى إلا اللبن ، فمكث كليب أياما ثم بلغه أن الناقة فى الحمى ، فركب ومعه سلاحه فلم يجدها ، ثم مكث أياماً ، ثم ركب ، ووردت إبله وإبل جساس على إثرها واردة فحبست إبل جساس وعقل منها أبعرة فيهن ناقة سعد ، فلما رأت الناقة الماء نازعت عِقَالَهَا فقطعته وأتبعت الإبل ، فكان الرعاء يذودون عن الحوض فغلبتهم الناقة ووردت وهى تطرد ، فظن كليب أنهـــا من إبل جساس ، ثم أنكرها ، فسأل عنها ؟ فقيل : هى ناقة الجَرْمى ، فظن كليب أنها أرسلت ترغيما له ، فاستعرضها ، فرمى ضرعها بسهم فانتظمه ، فنفرت وأقبلت إلى عَطَنها لها عجيج يَشْخُب ضَرْعُها شريجين من لبن ودم ، فلما رأتها البسوس وثبت وانتزعت خمارها عن رأسها وصاحت : واذُلاه ، وضربت وجهها ، وصرخ الجرمى يدعو بالويل ؟ وتقول البسوس : واذلاه ، واذل جاراه ، وأنشأ كليب يقول :

سَيَعْلَم آلُ مُرَّةَ حَيْثُ كَانُوا ... بأنَّ حِمَاىَ لَيْسَ بِمُسْتَبَاحِ
وَأنَّ لَقُوحَ جَارِهِمُ سَتَغْدُو ... عَلَى الْأَبْيَاتِ غُدوةَ لاَ بَرَاحِ
إذا عطنت سَرَاب بفرسنيها ... تَبَيَّنَتِ الْمِرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ
فَظَنُّوا أَنَّنِى بِالْحِنْثِ أَوْلَى ... وَأَنِّى كُنْتُ أَوْلَى بِالنَّجَاحِ
وَمَا يُسْرَى الْيَدَيْن إذَا أُصِيبَتْ ... مِنَ الْيُمْنَى بِمُدْرِكَةِ الْفَلاَحِ

فقال جساس للبسوس : اسكتى فلك بناقتك ناقة أعظم منها ، فأبت أن ترضى ، حتى صاروا لها إلى عشر ، فلما كانت بالليل أنشأت تقول تخاطب سعدا وترفع صوتها لتسمع جساساً :

أيَا سَعْدُ لاَ تُغْرَرْ بِنَفْسِكَ وَاحْتَرِزْ ... فَإِنِّىَ فِى قَوْمٍ عَنِ الْجَارِ أَمْوَاتِ
وَدُونَكَ أَذْوَادِى إِلَيْكَ فَإِنَّنِى ... مُحَاذِرَةٌ أَنْ يَغْدِرُوا بِبُنَيَّاتِى
لَعَمْرُكَ لَوْ أَصْبَحْتُ فِى دَارِ مِنقَرٍ ... لَمَا ضِيمَ سَعْدٌ وَهُوَ جَارٌ لِأَبْيَاتِى

وَلٰـكِنَّنِي أَصْبَحْتُ فِي دَارِ مَعْشَرٍ   مَتَى يَعْدُ فِيهَا الذِّئْبُ يَعْدُ عَلَى شَاتِي

فقال جساس : اسكتى أيتها المرأة ، فو الله ليصبحن غداً عقير أعظم عقرا على وائل من ناقتك ، وسمت العرب أبياتها هذه الْمُوَثِّبَات ، فلما بلغ كليباً كلامه قال : قد اقتصر جَسَّاس من قتلى على عَقْرِ عُلَيَّان ، ودون عَقْرِ عُلَيَّان خَرْطُ الْقَتَاد فى الليلة المظلمة ، وعُلَيَّان : جمل كان فحلا لكليب ، فظن كليب أنه عناه ، وقال جساس :

إِنَّ جَارِي فَاعْلَمُوا ذَ   لِكَ مِنْ أَدْنَى عِيَالِي
وَأَرَى نَاقَةَ جَارِي   مِثْلَ نُوقٍ مِنْ جِمَالِي
فَإِذَا مَا ضِيمَ جَارِي   ضِمْتُمُونِي فِي رِجَالِي
سَأَفِي لِلْجَارِ حَتَّى   يَعْلَمَ الْقَوْمُ احْتِيَالِي
وَأَرَى لِلْقَوْمِ حَقًّا   كَيَمِينِي مِنْ شِمَالِي
إِنَّ لِلْجَارِ عَلَيْنَا   دَفْعَ ضَيْمٍ بِالْعَوَالِي
فَأَقِلُّوا اللَّوْمَ إِنِّي   دُونَ مَالِ الْجَارِ مَالِي
ذَاكَ حَقٌّ غَيْرَ شَكٍّ   أَيْ وَأَنْصَابِ إِيَالِ

ثم إن جساساً مكث يتندَّسُ الخبر عن كليب فإذا بلغه أن معه سلاحه لم يأته ، حتى خرج كليب ذات يوم وليس معه سلاحه ، فتبعه جساس هو وعمرو ابن أبى ربيعة المزدلف بن ذهل بن شيبان ، ويقال : إنه عمرو بن الحرث بن شيبان ، حتى لحقاه فى الحمى ، فقال له جساس : دُرْلى من قدامه حتى أقتله ، وكان كليب لا يلتفت وراءه من الكبر ، فقال له جساس : خُذْ حِذْرَكَ فإنى قاتلك ، فقال له كليب : دُرْ قدامى إن كنت صادقاً ؛ فقد عرفتَ أنى لا ألتفت ، فقال له عمرو : أنصفك ولا إخالك تفعل ، فطعنه من ورائه ، فوقع وولى جساس هاربا ، فقال : اسقنى ياجساس فلا بأس بى ، قال : الماء أمامك ،

ويقال : قال : تَجَاوَزْتَ الأَحَصَّ وَشُبَيْثاً ، وهما ماآن ، ويقال : إن عمرو ابن الحرث قال لجساس : والله ما أظنك صنعت شيئاً ، وأخاف أن تكون قد طرحتنا فى بلية ، فعاج على كليب فَذَفَّفَ عليه : أى تَمَّمَ ، وهو قول مهلهل :

قَتِيلٌ مَاقَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرٍو   وَجَسَّاسِ بْنِ مُرَّةَ ذُو ضَرِيرِ

وأقبل جساس هاربا حتى عاينه أبوه وهو فى النادى ، فقال : وأنصاب وائل لقد جرَّ جساس جريرة عظيمة ، قالوا : وماذاك ؟ قال : لأنى أرى منه موضعاً ما رأيته منذ شدّ إزاره ، وكان فى فخذه بَرَص ، فلما اشتد الركض بدا منه ذلك لأبيه ، فلما وقف عليهم قال أبوه : ماوراءك ؟ قال : قتلت كليبا ، قال : إذا تُخَلَّى بجريرتك وتُقْرَن لهم بِجَرير فيقتلوك به ، وأنصاب وائل لاتجتمع وائل على خير بعد كليب ، ولبئس ماجررت على قومك ياجساس : قتلت رئيسهم ، وفرّقت جماعتهم ، وألقيت الحرب بينهم ، فقال جساس :

تَأَهَّبْ عَنْكَ أُهْبَةَ ذِى امْتِنَاعٍ   فَإِنَّ الْأَمْرَ جَلَّ عَنِ التَّلَاحِى

وَإِنِّى قَدْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ حَرْباً   تَغُصُّ الشَّيْخَ بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ

وهى طويلة ، فأخذه أبوه فأوثقه رباطاً ، وجعله فى بيت ، ثم دعا بطون بكر بن وائل ، فقال : ماتقولون فى جساس ؟ فقد قتل كليبا وها هو ذا مربوطا ننتظر متى يطلبوه فنعطيهم إياه ، فقال سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس : لا والله مانعطيهم إياه ، ولنقاتلن دونه حتى نَفْنَى جميعاً ، فدعا بجزور ثم نحرت ، ثم تحالفوا على الدم ، فقالوا : رد على جساس قوله ، فأنشأ مرة يقول :

فَإِنْ تَكُ قَدْ جَنَيْتَ عَلَىَّ حَرْباً   فَلَا وَكِلٌ وَلَا رَثُّ السِّلَاحِ

وَلٰكِنِّى عَلَى العِلَّاتِ أُجْرِى   بِهِ الْمَوْتَ الْمُذِيقَ عَلَى الصَّبَاحِ

فَإِنِّى حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِى   أُجِرُّ الرُّمْحَ مِنْ أَثَرِ الْجِرَاحِ

٥٥ — وقال آخر :

لَقَدْ مَاتَ بِالْبيْضَاءِ مِنْ جَانِبِ الحِمَى
فتًى كَانَ زيْنًا لِلْمَوَاكِبِ وَالشَّرْبِ (١)
تَظَلُّ بنَاتُ الْعَمِّ وَالْخَالِ حَوْلَهُ
صَوادِىَ لاَ يَرْوَيْنَ بِالبَارِدِ الْعَذْبِ (٢)

لَعَمْرُكَ مَا أُبَالِى حِينَ جَرَّتْ عَلَىَّ الْحَرْبُ بِالْقَدَرِ الْمُتَاحِ
سَأَلْبسُ ثَوْبَهَا وَأَذُبُّ عَنِّى بِهَا يَوْمَ الْمَذَلَّةِ وَالْفِضَاحِ
فَإِنِّى قَدْ طَرِبْتُ وَهَاجَ شَوْقِى طِرَادُ الْخَيْلِ عَارِضَةَ الرِّمَاحِ

مع غيرها من الأبيات ، ثم أطلق جساسا ، وأنشأ يقول :

الْبَغْىُ فِيهِ لِلْمَنِيَّةِ هَادِ وَاللهُ لِلْأَقْوَامِ بِالْمِرْصَادِ
لَوْ كَانَ أَقْصَرَ وَائِلٌ عَنْ ظُلْمِنَا لَمْ يُلْفَ مُضْطَجِعًا بِغَيْرِ وِسَادِ

وهى أبيات ، وقد أكثرت العرب فى ذكر قتل كليب وبغيه فى أشعارها .

(١) الأول من الطويل ، والقافية متواتر

البيضاء : اسم موضع ، والحمى : اسم موضع ، واشتقاق الموكب من الوَكَبَان والوكوب ، وهو مشية فى دَرَجَان : أى كان زينا للفوارس إذا ركبوا ، وللندامى إذا شربوا

(٢) الصوادى : العطاش ، وأراد أن غليلهن وحمى أكبادهن لايزول بالبارد العذب من الماء إذ لم يكن ذلك عن عطش

يُهِلنَ عَليْهِ بِالأَكُفِّ مِنَ الثَّرَى
وَمَا مِنْ قِلًى يُحْثي عَليْهِ مِنَ التُّرْبِ (١)

٥٦ — وقالت جارية ماتت أمُّها فأضرَّتْ بها امرأة أبيها

فَلَوْ يَأْتِى رَسُولِى أُمَّ سَعْدٍ أَتَى أُمِّى وَمَنْ يَعْنِيهِ حَاجِى (٢)
وَلَـكِنْ قَدْ أَتَى مَنْ بَيْنَ وُدِّى وَبَيْنَ فُؤَادِهِ غَلَقُ الرِّتَاجِ (٣)
وَمَنْ لَمْ يُؤْذِهِ أَلَمٌ بِرَأْسِى وَمَا الرِّئْمَانُ إِلاَّ بِالنِّتَاجِ (٤)

٥٧ — وقالت أم الصّريح الـكِنْدِيَّةُ :

هَوَتْ أُمُّهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ صُرِّعُوا
بِجَيْشَانَ مِنْ أَسْبَابِ مَجْدٍ تَصَرَّمَا (٥)

---

(١) أى : يرسلن عليه التراب لاعن بغض ولا إهانة ولـكن إظهاراً لما أفضى إليه أحوالهن من السقوط فى التراب والابتذال بموته

(٢) الأول من الوافر ، والقافية متواتر

أم سعد : أمها ، و « من يعنيه حاجى » : أى من تهمه حاجاتى

(٣) تعنى امرأة أبيها : أى قد أتى رسولى من لايصل ودى إلى فؤاده لانغلاق باب مودته على ، والرتاج : الباب ، ويحتمل أن يكون « مِنْ بيْنِ وُدّى » بكسر الميم ويكون راجعا إلى الأم ، ويكون معنى غلق الرتاج القبر : أى قد حيل بين فؤادها ومودتى بالموت ، وقيل : إنها تشكو الرسول وقلة عنايته بأمرها ، وقيل : الرسول الرسالة

(٤) أى : من لايهمه أمرى ولا يجزع لسقمى ، ثم قالت « وما الرئمان إلا بالنتاج » أى : ليس العطف والمودة إلا بالولادة

(٥) الثانى من الطويل ، والقافية متدارك

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ
وَأَنْ يَرْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلَّمَا (١)

فَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا لَكَانُوا أَعِزَّةً
وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمَا (٢)

يقال هذا فى الاستعظام والتعجب : أى ثكلتهم أمهم . ويقال « هَوَتْ أمهم » أى هلكت ، وَالْمَهْوَاةُ وَالْهُوَّة والأُهْوِيَة وَالْهَوَاءة على فُعَالَة بمعنى واحد . وهو ما بين أعلى الجبال والبئر إلى المستقر ، وفى القرآن (فأمه هاوية) قيل : هى اسم لجهنم : أى هى مأواهم كما تؤوى الولد الأم ، وقيل « هوت أمهم » معناه أم رؤسهم هاوية فى الهوة ، وتلخيص البيت هوت أمهم أىُّ شىء تَصَرَّمَ من أسباب المجد يوم صرعوا بجيشان ، وهو اسم علم لبقعة اتفقت الوقعة بهم فيها وقال أبو العلاء : « هوت أمهم » من الأدعية التى استعملتها العرب على العكس ، وذلك أن ظاهرها ذم ودعاء على المذكور والمراد بها المدح ، ويدل على غرضهم فى ذلك أنهم لا يجيؤن بها فى مواطن الذم ، ومثله :

فَهْوَ لَا تُنْمِى رَمِيَّتُهُ مَالَهُ لَاعُدَّ مِنْ نَفَرِهْ

(١) الواو فى قوله « والقنا » واو الحال : أى امتنعوا من الإحجام والنكوص ولم يطلبوا وجه المهرب .

(٢) قال النمرى : ظاهر الكلام شنيع ، ولوكان كل من فَرَّ عزيزاً لكان الجبان كذلك ، ولكن الكلام يدل على أنهم أُسلموا وخذلوا وكَثرَتْهم الخيل فأحسنوا البلاء فقُتلوا ، ولو فروا لعُذروا ولم يلَامُوا لوضوح عذرهم ، ولأنهم قد عُرِفُوا بالشجاعة قبل فلو فروا يوماً نسبوا إلى حسن الرأى لا إلى قبح الفرار ، كما قال أوس :

٥٨ – وقال الحسين بن مُطَير بن الأشيم الأسدى (١)

أَلِمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولاَ لِقَبْرِهِ

سَقَتْكَ الْغَوَادِى مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا (٢)

وَلَيْسَ الْفِرَارُ الْيَوْمَ عَارًا عَلَى الْفَتَى   إِذَا جُرِّبَتْ مِنْهُ الشَّجَاعَةُ بِالْأَمْسِ

(١) وهو من فحول المحدثين، أدرك بعض بنى أمية ومدحهم، وبقى إلى أيام بنى العباس، ومدح المهدى بقوله:

لَهُ يَوْمُ بُؤْسٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَبْؤُسٌ   وَيَوْمُ نَعِيمٍ فِيهِ لِلنَّاسِ أَنْعُمُ

فَيُمْطِرُ يَوْمَ الْجُودِ مِنْ كَفِّهِ النَّدَى   وَيُمْطِرُ يَوْمَ الْبَأْسِ مِنْ كَفِّهِ الدَّمُ

فَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْجُودِ خَلَّى يَمِينَهُ

عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُعْدِمُ

وَلَوْ أَنَّ يَوْمَ الْبَأْسِ خَلَّى عِقَابَهُ

عَلَى النَّاسِ لَمْ يُصْبِحْ عَلَى الْأَرْضِ مُجْرِمُ

(٢) الثانى من الطويل، والقافية متدارك

أى: ربيعا بعد ربيع، وخص الغوادى لأن المراد حصوله له كل غداة كل يوم، ومربعاً: يجوز أن يكون ظرفا، وأن يكون مفعولا، ويكون المربع والربيع المطر نفسه. وقال الخليل: وقد يسمى الوسمىّ ربيعا، ويكون المعنى سقتك الغوادى مطرا بعد مطر، ويجوز أن يكون مصدرا من قولهم: رُبِعَتِ الإبل، إذا أصابها مطر الربيع، فكأنه قال: ربعتك الغوادى مربعا بعد مربع: أى سقيا به سقى

فَيا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرةٍ
مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ للسَّماحةِ مَضْجَعا (١)

وَيا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وارَيْتَ جُودَهُ
وَقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ وَالبَحْرُ مُتْرَعا (٢)

بَلَى قَدْ وَسِعْتَ الُجودَ وَالُجودُ مَيِّتٌ
وَلَوْ كانَ حَيًّا ضِقْتَ حَتَّى تَصَدَّعا (٣)

---

(١) هذا يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون مثل قول الآخر

كأَنْ لَمْ يَمُتْ حَيٌّ سِواكَ وَلَمْ تَقُمْ على أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَائِحُ

ويكون الكلام تعظيما للحال وتنبيها على أن ما وقع لم تجر العادة بمثله ، والآخر أن يكون المعنى أنت أول حفرة استحدثت لتوارى فيها السماحة والسخاء : أى السماحة ماتت بموت معن ، وانتصب « مضجعا » على الحال

(٢) إن قيل : لم قال « مترعا » فوحد والإخبار عن البر والبحر جميعا ؟ قلت : يجوز أن يكون إنما وحّد لأنه نوى التقديم والتأخير ، كأنه قال : وقد كان منه البر مترعا والبحر أيضا مترع ، فيرتفع البحر بالابتداء ، واكتفى بالإخبار عن الأوّل ، إذ كان المعطوف كالمعطوف عليه ، ومثله :

* فَإِنِّى وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ *

يريد إنى لغريب بها ، وقيار أيضا غريب ، وهو اسم فرسه ، ويجوز أن يكون لما علم أن المعطوف حكمه حكم المعطوف عليه اكتفى بالإخبار عن أحدهما ثقةً بأن الثانى علم بأنه فى حكمه ، ومثله

رَمَانِى بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِى بَرِيئًا وَمِنْ جُولِ الطَّوِىِّ رَمَانِى

(٣) « بلى » جواب استفهام مقرون بنفى ، نحو ألم وأليس ، وما أشبههما ،

فَتًى عِيشَ فِى مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ
كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْراهُ مَرْتَعا (١)

وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الُجودُ فَانْقَضَى
وَأَصْبَحَ عِرْنِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعا (٢)

وهذا الشاعر لما قال متعجبا : كيف واريت جوده على كثرته ، صار بما شاهد من الحال كأن القبر قال له : ألم أسعه ألم أواره ، فقال : بلى قد وسعته

(١) موضع قوله « فتى عيش فى معروفه » نصب على الاختصاص ، والعامل فيه مضمر ، كأنه قال : اذكر فتى هذه صفته ، ويجوز أن يكون موضعه رفعاً على الاستئناف ويكون خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فتى ، وقوله « عيش فى معروفه » يجوز أن يكون أراد من استغنى به وبمعروفه من المتصلين به والمنقطعين إليه ، ويجوز أن يكون أراد من عاش من وقوفه وحبائسه بعده ، ويجوز أن يريد أنه علم الناس الجود والتكرم ، وقوله « كما كان بعد السيل مجراه مرتعا » ارتفع مجراه بكان ، وكان الحكم أن يليه ، فلم يسغ ، لأن الضمير فيه يرجع إلى السيل ، وقد تقدم عليه ، والإضمار قبل الذكر فيما يجرى مجراه لا يجوز ، فامتنع ردّه إلى رتبته من ولى العامل له لشىء يرجع إلى الضمير المتصل به لا لشىء يرجع إليه ، وتلخيص الكلام كما كان مجرى السيل مرتعاً بعده .

(٢) « لما » تجىء لوقوع الشىء لوقوع غيره ، وهو علم للظرف ، فيقول : حين مضى معن لسبيله فقد الجود وامحت آثاره وأضحت المكارم ذليلة إذ مات من يربها .

٥٩ — وقال آخر :

مَاذَا أَجَالَ وَثِيرَةُ بْنُ سِماكِ ... مِنْ دَمْعِ بَاكِيَةٍ عَلَيْهِ وَبَاكِي (١)

ذَهَبَ الَّذِى كَانَتْ مُعَلَّقَةً بِهِ ... حَدَقُ الْعُنَاةِ وَأَنْفُسُ الْهُلَّاكِ (٢)

٦٠ — وقال أشجع بْن عمرو السُّلمى فى محمد بن منصور بن زياد

أَنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ ... مَا مِثْلُ مَنْ أَنْعَى بِمَوْجُودِ (٣)

أَنْعَى فَتًى مَصَّ الثَّرَى بَعْدَهُ ... بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ (٤)

---

(١) الثانى من الكامل ، والقافية متواتر .

قال أبو العلاء : يروى « وثيرة » بالثاء وهو من قولهم : فراش وَثِير ، إذا إذا كان وطيئاً كثير الحشو ، ويروى «وتيرة » بالتاء ، ولها مواضع : يقال للحلقة التى يتعلم عليها الطعن وتيرة ، ولما بين الأصبعين وتيرة ، ولغرة الفرس وتيرة ، تشبيهاً بالوتيرة الوردة البيضاء ، والوتيرة : غلظ من الأرض ينقاد ، والوتيرة : الطريقة ، ومافى عمله وتيرة : أى فتور ، ويروى « وبيرة » و « مزيرة » ويروى أحال وأجال وأسال ، فأجال من جَوَلان الدمع ، وأحال بالحاء صَبَّ ، قال :

* يُحِيلُونَ السِّجَالَ عَلَى السِّجَالِ *

(٢) العُنَاة : الأسَرَاء ، واحدهم عانٍ ، والهُلَّاك : الفقراء ، يعنى أنه كان يفُكُّ الأسراء ويَجْبُرُ الفقراء ، فلأجل ذلك كانت عيونهم ممتدة إليه أيام حياته .

(٣) ثالث السريع ، والقافية متواتر .

قوله « فتى الجود » كما يقال : فتى الحرب ، وكما قيل : لا فتى إلا على .

(٤) أى : يبس الثرى فامتص يبس التراب ندوّة العود فيبسا جميعاً .

وَانْثَلَمَ الْمَجْدُ بِهِ ثَلْمَةً جانِبُهـــا لَيْسَ بِمَسْدُودِ
فَالْآنَ تُخْشَى عَثَراتُ النَّدَى وَصَوْلَةُ الْبُخْلِ عَلَى الْجُودِ

٦١ — وقال عبد الله بن الزَّبِير الأسدى :

رَمَى الحِدْثانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودَا (١)
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيضَ سُودا (٢)
فَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ بُكاءَ هِنْدٍ وَرَمْلَةَ إِذْ تَصُكَّانِ الْخُدُودا
سَمِعْتَ بُكاءَ باكِيَةٍ وَباكٍ أَبانَ الدَّهْرُ واحِدَها الفَقِيدا (٣)

---

(١) الأوّل من الوافر ، والقافية متواتر .

السُّمود : الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه ، ويقال للمأخوذ عن الشيء : اترك سمودك ، وفى القرآن (وأنتم سامدون) أى : ساهون لاهون ، وقوله « رمى الحدثان » فيه مايجرى مجرى القلب ؛ لأنه لو قال : رمى المقدار نسوة آل حرب بحدثان ، لكان أقرب فى المعتاد ، وقال أبو العلاء : السمود فى هذ البيت يراد به تغيُّر الوجه من الحزن : أى كأن الوجوه أصابها السَّمَاد ، وقال غيره : سمدن أى رفعن رؤسهن ينحن . وكل رافع رأسه سامد .

(٢) هذا يشبه ماحكى عن العريان بن الهيثم لماسأله عبدالملك عن حاله ، فقال : ابيضَّ منى ما كنت أحب أن يسودّ ، واسودَّ منى ما كنت أحب أن يبيض ، فى كلام طويل ، ثم قال :

وَكُنْتُ شَبَابِى أَبْيَضَ اللَّوْنِ زاهِراً فَصِرْتُ بُعَيْدَ الشَّيْبِ أَسْوَدَ حالِكَا

أى صارت شعورهن بيضا من الحزن ، ووجوهن سوداً من اللطم

(٣) من سمع هذين البيتين ولم يعرف المعنى قدر أن فيهما خطأ لأنه قال :

٦٢ — وقال مسلم بن الوليد :(١)

حَنِينٌ وَيَأْسٌ كَيْفَ يَتَّفِقَانِ ... مقِيلاهُمَا فِى القَلْبِ مُخْتَلِفَانِ (٢)

غَدَتْ وَالثَّرَى أَوْلَى بِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ... إِلَى مَنْزِلٍ نَاءٍ لِعَيْنِكَ دَانِى (٣)

لو سمعت بكاء هند ورملة ، وهما امرأتان . ثم قال : سمعت بكاء باكية وباك ، فجاء بأنثى وذكر ، ثم قال « أبان الدهر واحدها » أى هما تنوحان معاً وتلطمان الخدود معاً لا تفتر إحداهما دون الأخرى فيتفرد أيهما باكية واحدة لاتصال أصواتهما وصكهما ، وعطف بقوله « وباك » على قوله « باكية أبان الدهر واحدها الفقيدا » فكأنه قال : وباك كذلك .

(١) وماتت امرأته ، وهو مولى أسعد بن زُرَارَةَ الخزرجى ، ولُقِّبَ صريع الغوانى بقوله :

هَلِ الْعَيْشُ إِلاَّ أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصِّبَا

وَتُضْحِى صَرِيعَ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النُّجْلِ

وكنيته أبو الوليد ، مدح الرشيد ، والبرامكة ، وداود بن يزيد بن حاتم ، ومحمد بن منصور بن زياد صاحب ديوان الخراج ، ثم ذا الرياستين فقلده مظالم جرجان

(٢) الثالث من الطويل ، والقافية متواتر

يقول : كيف اجتمع اليأس والرجاء مع اختلاف مقرهما فى القلب ؟ يقول : إن اليأس من لقاء الإنسان والشوق إليه لا يتفقان

(٣) هذا تحسر ، يقول : ابتكرت وهى فى ملكة التراب دون ملكة وليها ، وقوله « إلى منزل ناء لعينك دانى » مثل قول الآخر :

فَلاَ وَجْدَ حَتَّى تَنْزِفَ العَيْنُ مَاءهَا ... وَتَعْتَرِفَ الْأَحْشَاءُ بِالْخَفَقَانِ (١)

٦٣ — وقال أيضا :

قَبْرٌ بِحُلْوَانَ اسْتَسَرَّ ضَرِيحُهُ

خَطَرًا تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ (٢)

أمّا جوارهم * فدانٍ وَأَمَّا الْمُلْتَقَى فَبَعِيدُ

وقد ألم فى قوله « غدت والثرى أولى بها » بقول الآخر :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْكِ مِنْ مَفْقُودَةٍ ... إِذْ لاَ يُلاَئِمُكِ الْمَكَانُ الْبَلْقَعُ

(١) يريد لاوجد يعتد به إذا ذكر الهالع على مثله حتى تستنفد العين ماءها لاتصال البكاء بها ، وقوله « لاوجد » خبر لا محذوف ، كأنه قال : لاوجد حاصل أو موجود ، وقوله « وتعترف » من قولهم : عرف فلان لـكذا ، واعترف له ، إذا صبر فيه واعتاده ، على ذلك قوله

* عَلَى عَارِفَاتٍ لِلِّقَاءِ عَوَابِس *

(٢) الثانى من الـكامل ، والقافية متواتر

استسر بمعنى أسرَّ ، ومثله استعجب بمعنى عجب ، وأكثر ماترى استسر فى معنى استخفى وتوارى ، وعلى ذلك قولهم فى آخر الشهر : استسرَّ القمر ليـلة أوليلتين ، فهو من السِّرار ، وهو آخر يوم فى الشهر ، والخطر : ارتفاع المكانة والحال فى الشرف ، ثم يقال فى الشريف : هو عظيم الخطر ، والضريح : أصله القبر يشق ولا يلحد ، وارتفع « قبر » بالابتداء لأنه بصفته — وهو بحلوان — قرب من المعارف ، واستسر فى موضع الخبر ، والمعنى قبر بهذا المكان اشتمل على عظيم من العظماء ، وقوله « خطرا » أراد ذا خطر ، فحذف المضاف ، وكذلك

نُفِضَتْ بِكَ الأَحْلاَسُ نَفْضَ إِقَامَةٍ
وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا الْأَمْصَارُ (١)

فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ
أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ (٢)

سَلَكَتْ بِكَ الْعَرَبُ السَّبِيلَ إِلَى العُلاَ
حَتَّى إِذَا سَبَقَ الرَّدَى بِكَ حَارُوا (٣)

الأخطار ، أراد ذوو الأخطار ، وقوله « تقاصر » يجوز أن يكون من القصور العجز : أى تعجز أن تبلغ محله الأخطار ، و يجوز أن يكون ضد تطاول من القصر

(١) يريد أن العُفَاة قعدوا عن الاجتداء بعد موتك يأساً ممن يُطمَع فيه أو يُرْجى خيره ، « واسترجعت نزاعها الأمصار » أى كل من كان على بابه انصرفوا إلى أوطانهم نافضين أيديهم ممن يتعطف عليهم أو يصطنعهم ، فكأنهم كانوا ودائع الأمصار عنده مدة مقامهم ببابه فارتجعتهم ، والنُّزَّاع : جمع النازع ، وهو البعيد والغريب جميعاً ، وكذلك النزيع ، والجمع النزائع ، ويجوز أن يكون من نزعت إليه نزاعا : أى حننت

(٢) يقول : أذهب لوجهك وآلاؤك منشورةٌ ، وصنائعك محمودة ، مشكورة ، وآثارك كآثار السحاب وقد أغاثت الناس بأمطارها ، فإذا أقلعت أثنى عليها أهل السهل والجبل ، وقوله « غوادى مزنة » أضاف الغوادى إلى المزنة لأنها منها تجمعت فكملت مزنة ، والغوادى : السحابات التى تنشأ غدوة وكأنه أراد أقطاعا منها ، و يجوز أن يكون المراد بالغوادى أمطارا تصوب غدوة وأضافها إلى المزنة

(٣) يعنى أنك هادى العرب فى اكتساب المعالى ، ومفعول « سبق » محذوف ، كأنه قال : سبقهم الردى بك

قد تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه الجزء الثانى من « شرح ديوان الحماسة » للخطيب التبريزى ، ويليه — إن شاء الله — الجزء الثالث ، ومطلعه « قال أبو حَنَش الهلالى فى يعقوب بن داود :

يَعْقُوبُ لاتَبْعَدْ وجُنِّبْتَ الرَّدَى فلَنَبْكِيَنَّ زَمَانَكَ الرَّطْبَ الثَّرَى »

نسأل الله أن يَمُنَّ بإكماله ، إنه ولى المعونة والتوفيق

الفهارس الهجائية

للجزء الثاني من كتاب

شرح ديوان الحماسة

للخطيب التبريزي

صنعها

محمد محيي الدين عبد الحميد

بيـان

(١) تردَّدنا طويلا فى صنْع هذه الفهارس لهذا الـكتاب ، ثم تردَّدنا — بعد أن استقام عندنا أمر عملها — فيما عسى أن نفعل : أنجعل فهارس الـكتاب كله ملحقةً بآخره دفعة واحدة أم نجعل مايتعلق منها بكل جزء فى آخره ؟ و بعد تردُّد طال أمده ترجح عندنا أن نذيل كل جزء بالأنواع الآتية :

ا — النوع الأول : فهرسٌ بأعلام الشعراء الذين نُسب إليهم شعرٌ فى هذا الجزء من ديوان الحماسة [١] ، فان اتفق أبو تمام والخطيب التبريزى على اسم الشاعر ذكرناه على ما اتفقا عليه ، و إن اختلفا ذكرنا الاسمين جميعاً كلّ واحد منهما فى مكانه من الفهرس .

ب — النوع الثانى : فهرس بشعر الحماسة [٢] مرتباً على حروف المعجم بحسب حرف القافية ، وذكرنا البحر الذى منه هذا الشعر .

ح — النوع الثالث : فهرس بأعلام الشعراء الذين نُسب إليهم شعرٌ مذكورٌ فى شرح الحماسة للخطيب التبريزى أو فى تعليقاتنا عليه [١] ، أو ذكروا فى الشرح بوصف كونهم شعراء و إن لم يذكر لهم شعر ؛ ورتبنا هذا النوع ترتيب النوع الأول

ى — النوع الرابع : فهرسٌ بالشعر الذى ذكر فى شرح الحماسة [٢] للخطيب

(١) لم نبال فى ترتيب هذا الفهرس بحرف التعريف ، ولا بكلمة « ابن » أو « بنت » أو « أخ » أو « أخت » أو « أبو » أو « أم » أو « ذو » أو « ذات » ، بل رتبناه على ما وراء ذلك ترتيبا دقيقاً

(٢) رتبنا هذا الفهرس على أواخر القوافى ، ثم رتبنا كل حرف منها على ترتيب بحور الشعر ، ثم رتبنا كل بحر على حركات الأواخر فبدأنا بالمضموم ثم ثنينا بالمفتوح ثم أتبعنا ذلك بالمكسور ثم الساكن فكان من ذلك ترتيب دقيق .

وفى تعليقاتنا عليه . ورتبنا هذا النوع ترتيب النوع الثانى .

ولم نشأ أن نضم هذا النوع والذى قبله إلى النوعين الأول والثانى مبالغةً منا فى العناية بالكتاب .

هـ — النوع الخامس : فهرسٌ بالأعلام التى ذكرت فى الكتاب غير منسوبٍ إليها شعر ولا ذكروا بوصف أنهم شعراء ، سواء أكانوا فى الواقع من الشعراء أم لم يكونوا : وسواء أكان ذكرهم فى كتاب الحماسة أم فى شرحه أم فى تعليقاتنا عليه : وهذا النوع يشتمل على أسماء الرجال والنساء والقبائل والبطون

(٢) ثم إن طال بنا الأجل ألحقنا بآخر الكتاب فهارسَ أخرى عامّة

(٣) والله سبحانه المسئول أن ينفع بهذا العمل ، وأن يتقبله قبولا حسناً ، وأن يثيبنا عليه .

الفهرس الأول

بأعلام شعراء الحماسة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

انتهى الفهرس الأول بأعلام شعراء الحماسة

الفهرس الثانى

لقوافى شعر الحماسة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء المثناة

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الراء المهملة

حرف السين المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف العين المهملة

حرف الميم

تمّ الفهرس الثانى ، وهو يشتمل على شعر الحماسة
مرتبا على حروف الهجاء بحسب قوافيه

الفهرس الثالث

بأعلام الشعراء الذين ورد ذكرهم فى شرح الحماسة

وفى تعليقاتنا عليه

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الطاء المهملة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

تمَّ الفهرس الثالث بأعلام الشعراء الذين ورد ذكرهم فى الجزء الثانى من شرح الحماسة للخطيب التبريزى أوفى تعليقاتنا عليه :

الفهرس الرابع

للقوافى الواردة فى شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزى

وفى تعليقاتنا عليه

وهو قسمان : الأول فى الأبيات الكاملة

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف التاء المثناة

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الدال المهملة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

تم القسم الأول من الفهرس الرابع

القسم الثانى من الفهرس الرابع

وهو يختص بأنصاف الأبيات

الفهرس الخامس

بأعلام غير الشعراء الذين ورد لهم ذكر (١)
فى ديوان الحماسة وشرحه للخطيب التبريزى
ويشتمل على أسماء الرجال والنساء والقبائل والعشائر والبطون

حرف الهمزة

(١) نريد الذين ذكروا ولم ينسب لهم شعر ولا وصفوا بكونهم شعراء وإن كانوا شعراء فى الواقع ، وإن نسب لهم شعر فى غير هذه المواضع

حرف الباء الموحدة

حرف التاء المثناة

حرف الثاء المثلثة

حرف الجيم

حرف الحاء المهملة

حرف الخاء المعجمة

حرف الدال المهملة

حرف الذال المعجمة

حرف الراء المهملة

حرف الزاى

حرف السين المهملة

حرف الشين المعجمة

حرف الصاد المهملة

حرف الضاد المعجمة

حرف الطاء المهملة

حرف العين المهملة

حرف الغين المعجمة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

تم الفهرس الخامس بأعلام الرجال ، والنساء ، والقبائل ، والبطون ، والعشائر ، الواردة فى الجزء الثانى من شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزى ، وبه تم الفهارس الهجائية لهذا الجزء ، والله المستعان على إكمال الكتاب بمنه وكرمه .